بسم الله الرحمن الرحيم

التيار الإسلامى والعلمانية

(المجلد الأول)

إعداد

مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
٤ ش ٩ب المعادى ت:٣٨٠٢٠٣٢

مجلد رقم ١ التيار الإسلامى والعلمانية (المجلد الاول)

العنوان

المؤلف	المصدر	رقم الصفحة	التاريخ
الشيخ يوسف البدرى : لم ارفع دعوى ضد نجيب محفوظ ... وانصحه			
محمود على	الحياة	١	١٩-٠١-٩٦
الحكم ضد "روزاليوسف" ثالث انتصار للإسلاميين فى محكمة القاهرة			
اشرف صادق	المجلة	٣	٢٠-٠١-٩٦
حرية الرأى فى الإسلام			
أحمد صلاح الدين بدور	الأهرام	٤	٢١-٠١-٩٦
انتشار الفكر الضال فى المجتمع مسؤولية الأسرة والدولة			
كريم المهندس	الحياة	٥	١١-٠١-٩٦
لنا رأى			
	اللواء الإسلامى	٨	٢٥-٠١-٩٦
الرؤية المادية للقرآن (الجزء الثانى والأخير)			
سمير الطنطاوى	الشعب	٩	٢٦-٠١-٩٦
فوضى الحسبة			
حلمى النمنم	المصور	١٥	٢٦-٠١-٩٦
"لا .. يا شيخ !"			
إبراهيم سعده	أخبار اليوم	٢٣	٢٧-٠١-٩٦
الهدف الحقيقى			
جمال الغيطانى	أخبار الأدب	٢٧	٢٨-٠١-٩٦
محاكم تفتيش .. قطاع مختلط !			
صلاح عيسى	العربى	٢٩	٢٩-٠١-٩٦
أنا لا أطارد الفن فلا قيمى للحياة بدونه			
احمد سيد	الأحرار	٣١	٢٩-٠١-٩٦
الشيخ يوسف البدرى يرد على الحملة الصحفية			
رفعت سيد أحمد	الشعب	٣٣	٣٠-٠١-٩٦
هذا هو الرد على أباطيل خصوم الإسلام			
حسن علام	آخر ساعة	٣٨	٣١-٠١-٩٦
العلمانية والإسلام			
كامل الشرقاوى	الشعب	٤٥س	٠٢-٠٢-٩٦

مجلد رقم ١ التيار الإسلامى والعلمانية (المجلد الاول)

العنوان / المؤلف	المصدر	رقم الصفحة	التاريخ
يوسف البدري : الإخوان المسلمون . بدعة !			
محمد بركات	الوطن العربى	٤٧	٩٦-٠٣-٠٦
العبث بشهر الصيام .. مرفوض !			
حاتم هلال	حريتى	٥٧	٩٦-٠٣-٠٤
المفتى .. الحلال والحرام !			
محمود السعدنى	المصور	٦٣	٩٦-٠٣-٠٩
"نحن .. يوسف البدرى" !			
عبد القادر شهيب	المصور	٦٥	٩٦-٠٣-٠٩
رجوع الشيخ لى .. صوابه !			
إبراهيم سعده	أخبار اليوم	٦٦	٩٦-٠٣-١٠
حزب العدالة الاجتماعية يقرر فصل الشيخ يوسف البدرى			
محمد عبد العال	أخبار اليوم	٧٠	٩٦-٠٣-١٠
"الحسبة" مشكلة كبرى فى طريق الفن			
محمد تبارك	أخبار اليوم	٧٣	٩٦-٠٣-١٠
رؤية إسلامية فى معانى الردة عن الدين وعقوباتها الشرعية			
محمد عمارة	الحياة	٧٤	٩٦-٠٣-١٠
انتصرت لأننى أدخلت الحسبة لأول مرة فى القوانين المصرية !			
محمد سعد العوضى	أكتوبر	٧٧	٩٦-٠٣-١١
المجتمع المصرى وشق البطون !			
عبد العظيم رمضان	أكتوبر	٨٠	٩٦-٠٣-١١
.. وعين الإسلام الآخر !			
جمال سليم	العربى	٨٥	٩٦-٠٣-١٣
"المصور" والشيخ البدرى			
حلمى النمنم	المصور	٨٦	٩٦-٠٣-١٦
تاريخية معانى وأحكام القرآن الكريم			
محمد عمارة	الشعب	٨٨	٩٦-٠٣-١٦
تجديد فكر "الإسلام السياسى" : الخروج من دوائر الأوهام المغلقة			
نبيل عبد الفتاح	الحياة	٩٤	٩٦-٠٣-١٧
من فقه المصاطب والمقاهى !			
فهمى هويدى	الأهرام	٩٧	٩٦-٠٣-٣٠
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟!			
محمد عباس	الشعب	١٠١	٩٦-٠٣-٢٣

مجلد رقم ١ التيار الإسلامى والعلمانية (المجلد الاول)

العنوان / المؤلف	المصدر	رقم الصفحة	التاريخ
وظيفة جديدة للدين !			
حسن دوح	الأهرام	١٠٧	٢٤-٠٢-٩٦
صحوة إسلامية أم عنف دينى ؟			
مصطفى الفقى	الحياة	١٠٩	٢٦-٠٢-٩٦
نحن محتاجون إلى مشروع قومى لتربية جيل يعرف الفضائل العامة			
حسام سليمان	الأحرار	١١١	٠١-٠٣-٩٦
مفكر والإسلام المفترى عليهم !			
محمد على ابو ريان	الأهرام	١١٤	٠٣-٠٣-٩٦
الحسبة .. سفينة النجاة			
	المسلمون	١١٥	٠٨-٠٣-٩٦
المفتى : الحسبة لا تكون إلا للنيابة العامة التى تتقصى الحقائق			
عطية عبد الحميد	الأهرام	١١٨	١١-٠٣-٩٦
مبارك حريص على أن تكون كل القوانين .. مطابقة للشريعة			
محيى الدين السيد	الخرطوم	١١٩	١٣-٠٣-٩٦
تأجيل قضية روزاليوسف			
	روزاليوسف	١٢٠	١٨-٠٣-٩٦
للحسبة أيضا وجهان			
سليمان فياض	الأهالى	١٢١	٢٧-٠٣-٩٦
هل ارتد روجيه جارودى عن الإسلام ؟			
	الدستور	١٢٧	٢٧-٠٣-٩٦
التصدى للتيارات الأدبية المنحرفة .. فريضة دينية			
احمد عبد الرحمن	اللواء الإسلامى	١٣٤	٢٨-٠٣-٩٦
الشيخ محمد الغزالى .. المشروع الفكرى والموقع الفكرى			
محمد عمارة	الشعب	١٣٨	٢٩-٠٣-٩٦
الأمة الإسلامية اليوم تعانى التمزق وتنشد الوحدة			
رفعت سيد أحمد	الشعب	١٤١	٢٩-٠٣-٩٦
بعض ما قاله صحيح فهم خطأ، وما أخطأ فيه تجب مناقشته لا محاكمته			
فهمى هويدى	المجلة	١٤٥	٣١-٠٣-٩٦
قباقيب يوسف البدرى .. والعورة !			
سامح سعد فرج	الدستور	١٥٠	٠٣-٤-٩٦
نحن ننتظر من الأزهر			
أحمد عبد العاطى حجازى	الأهرام	١٥١	٠٣-٠٤-٩٦

مجلد رقم ١ التيار الإسلامى والعلمانية (المجلد الاول)

العنوان / المؤلف	المصدر	رقم الصفحة	التاريخ
النشأة مع الشيعة والمعارك بقيادة السنة			
أحمد المصرى	الأهالى	١٥٣	٩٦-٠٤-٠٣
العمل التطوعى والمفهوم الحضارى للمشاركة فى التنوير والتنمية ؟			
	الأهرام	١٥٦	٩٦-٠٤-٠٦
ما هو المستحيل فى الحق ؟!			
رجب هلال حميدة	الأحرار	١٥٨	٩٦-٠٤-٠٧
رسالة .. وردها !			
أحمد عبد المعطى حجازى	الأهرام	١٥٩	٩٦-٠٤-١٠
عن فتوى شيخ الأزهر			
محمد سعيد العشماوى	الأهالى	١٦٣	٩٦-٠٤-١٠
خطاب مفتوح إلى شيخ الأزهر			
خليل عبد الكريم	الأهالى	١٦٧	٩٦-٠٤-١٠
مأزق المفتى			
فهمى هويدى	المجلة	١٦٩	٩٦-٠٤-١٣
الهجوم على السنة النبوية .. طعن فى أساسيات الدين الحنيف			
حاتم هلال	حريتى	١٧٥	٩٦-٠٤-١٤
رسالة أخرى ..			
أحمد عبد المعطى حجازى	الأهرام	١٧٨	٩٦-٠٤-١٧
العمامة فى الأصل .. لوزير العدل !			
ناصف سليم	الجمهورية	١٨٠	٩٦-٠٤-١٩
قضية حسبة جديدة ضد نجيب محفوظ			
	المصور	١٨٢	٩٦-٠٤-١٩
الإيمان الإسلامى وظاهرة التكفير			
محمد عماره	الحياة	١٨٣	٩٦-٠٤-٢١
أنت معى وأنا معك!			
أحمد عبد المعطى حجازى	الأهرام	١٨٦	٩٦-٠٤-٢٤
أرفض دعاوى الردة			
	الأهالى	١٨٩	٩٦-٠٥-٠٤
الاختيار الأول			
جابر عصفور	الحياة	١٩٠	٩٦-٠٥-٠٦
المحكمة : يوسف البدرى ليس له صفة			
	روزاليوسف	١٩٣	٩٦-٠٥-٠٦

مجلد رقم ١ التيار الإسلامى والعلمانية (المجلد الاول)

العنوان / المؤلف	المصدر	رقم الصفحة	التاريخ
لا تناقض بين الدين .. والفلسفة			
	عقيدتي	١٩٦	٩٦-٠٥-٠٧
الشيخ "على" .. من "الصعيد" إلى "إنجلترا"			
محمود سلطان	الشعب	١٩٩	٩٦-٠٥-٠٧
الأزهر الشريف : المؤسسة وشيخها			
زياد بهاء الدين	الأهرام	٢٠٠	٩٦-٠٥-٠٨

المصدر : الحياة اللندنية

للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات — التاريخ : ٧ مايو ١٩٩٦

جدل واسع حول «دعاوى الحسبة» في مصر

الشيخ يوسف البدري: لم ارفع دعوى ضد نجيب محفوظ... وأنصحه وآخرين بالتبرؤ من كتابات مسيئة للإسلام

□ القاهرة - من محمود علي:

■ أكد الشيخ يوسف البدري عدم صحة ما نُشر منسوباً إليه عن قيامه برفع دعوى لتفريق الاديب نجيب محفوظ عن زوجته استناداً الى ما كتبه محفوظ في رواية «أولاد حارتنا» وروايات أخرى عدة أبرزها «الطريق».

واعتبر البدري الذي كان نائباً في البرلمان المصري بين عامي ١٩٨٧ و١٩٩٠ في حديث إلى «الحياة» «ان ما نشر خطأ... فأنا دائما لا اقول انني سوف أفعل وانما اقول انا فعلت، فنحن لا نعلن عن قضية الا عند تداولها امام القضاء، فلم يكن احد يعلم بقضية نصر ابو زيد او «طيور الظلام» أو أفيشات السينما الا بعد تداولها».

لكنه اضاف: «انا هاجمت فكر نجيب محفوظ، وما زلت اهاجمه، رغم انني معجب باسلوبه»، وقال «لو فكرت في رفع دعوى عليه سأذهب اولا اليه لانصحه بالتبرؤ من كتاباته».

وفيما رفض البدري ان يصرح باسماء من يمكن ان يرفع دعاوى قضائية عليهم في المستقبل، قال إن كتابات بعض الكتاب المصريين «تتضمن اساءات الى الاسلام»، وضرب امثلة المستشار سعيد العشماوي، والكاتب حسين احمد امين، والدكتور رفعت السعيد، والدكتور محمود خيال، والصحافي عادل حمودة، لكنه أكد انه لم يرفع دعاوى قضائية ضد أي من هؤلاء، ولا يحب ان يتحدث عما لم يفعله.

وأوضح انه قام برفع عشر دعاوى، خسر ستاً منها، وكسب أربعاً ضد نصر ابو زيد، والمنتج السينمائي بديع صبحي، ورئيس تحرير مجلة «روزاليوسف» محمود التهامي، وفيلم «طيور الظلام» والقضية الأخيرة ستنظر فيها المحكمة يوم ١٧ شباط (فبراير) المقبل.

وعاود البدري حديثه عن نجيب محفوظ قائلاً: «انني اشكره على حسن ظنه بي في تصريحاته المنشورة، والتي قال فيها ان البدري لا يفعل ذلك»، واضاف: «لكن رغم حبي له واعجابي بأسلوبه الا ان حبي للحق أكبر وسيأتي الوقت الذي اذهب اليه واقول له ان يتبرأ مما كتبه فإذا عاد إلى الصواب كان ذلك أمراً محموداً وإن لم يعد فتلك مسألة أخرى لا احب ان اتحدث عنها الآن».

ورداً على سؤال عن كتابات نجيب محفوظ قال: إن فيها خروجاً على الاسلام فرواية «اولاد حارتنا» كلها سموم يجب ان يتوب عنها، اما في «التركة»، فالكاتب يقول «إن الدين يفسد الحياة وان العلم هو الذي يصلحها، وحتى في روايته «الشحاذ» يصور المتصوف المتدين على أنه فاسد خلقياً».

وردا على سؤال آخر عن علاقته بتيار الاخوان المسلمين، قال البدري «ان الاخوان في كل مكان خارجون عن الإسلام، لأنهم لا يبتغون الدين، وانما يسخرونه لتحقيق مكاسب سياسية، وانا لست منهم».

واضاف «انا احاول تطبيق الشريعة عن طريق القلم الرصاص واحارب المنكر بالطريق القانوني، واسلحتي في ذلك القلم والورقة والمحكمة».

وكانت مجلة مصرية نشرت اول من امس ان الشيخ يوسف البدري قال إن «المدخل القانوني الوحيد لإدانة محفوظ واثبات كفره هو رفع دعوى قضائية بتفريقه عن زوجته»، واحدث ما نسب الى

المصدر: الحياة اللندنية

التاريخ: ١٩ يناير ١٩٩٦

الشيخ يوسف البدري

تتمة الصفحة الاولى

البدري جدلاً كبيراً في الاوساط السياسية والثقافية والقانونية والدينية المصرية عن دعاوى «الحسبة» التي انتشرت أخيراً، وأدت احداها الى صدور حكم بتفريق الدكتور نصر ابو زيد عن زوجته، وأخرى الى حكم على المنتج السينمائي بديع صبحي بالحبس ثلاثة اشهر، وثالثة الى حكم على محمود التهامي بالحبس عامين.

وسألت «الحياة» المفكر الاسلامي الدكتور محمد عمارة عن هذه الدعاوى فقال: «يجب ان نميز بين حق الانسان في المجتمع المسلم في ان يرفع الى القضاء دعوى انطلاقا من مبدأ الحسبة الذي هو جزء من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين اساءة استخدام هذا الحق في القضايا الفكرية، فالمبدأ الاسلامي ينص على عدم جواز هذا الحق في القضايا الاجتهادية التي يجب ان تكون موضوعا للحوار بعيدا عن الدعاوى القضائية».

ورأى نقيب المحامين في القاهرة السيد عبد العزيز محمد ان نظام الحسبة في مصر «اسيء فهمه لان الحسبة وظيفة من وظائف الدولة. وان ولاية الحسبة لم تكن للافراد».

لكن منتصر الزيات محامي زعيم الجماعة الاسلامية عمر عبدالرحمن يقول إن الدعوى التي اقيمت ضد الدكتور نصر ابو زيد هي «دعوى رمزية يكتفي بها كرفض لحال الزيغ الفكري، وهي من ثم نداء رقيق الى كل المبدعين والمفكرين ان يوفقوا فكرهم وعقائدهم مع الشريعة الاسلامية والا يتصادموا معها».

واعتبر الزيات ان من شأن اقامة دعاوى جديدة اضاعة «هذا المعنى اللطيف... وإنما حسب المسلم ان يذكر فقط».

ويطالب الروائي جمال الغيطاني بضرورة الاسراع في استصدار تشريع جديد يلغي دعاوى الحسبة التي وصفها «بانها ارهاب يواجه كل كبير وصغير في الدولة».

لكن الشيخ يوسف البدري يقول إنه في حال إلغاء مبدأ الحسبة في مصر «فاظن ان اصحاب الاقلام المدافعة عن الحقوق لن تسكت وستلجأ الى المحكمة الدستورية العليا».

المصدر: المجلة

التاريخ: ١٣ يناير ١٩٩٦

الحكم ضد «روز اليوسف»
ثالث انتصار للاسلاميين في محكمة القاهرة

القاهرة - اشرف صادق

جاء حكم حسن التهامي رئيس محكمة القاهرة ضد رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف» الاسبوعية محمود التهامي السجن عامين وبغرامة تقدر بحوالي 501 جنيه مصري في الدعوى التي رفعها الشيخ يوسف البدري احد رموز الاسلاميين في مصر ليثير جدلا واسعا بخصوص مفهوم الحسبة في الاسلام الذي يقوم على مبدأ حق المسلمين في محاسبة الاخرين عن تصرفاتهم اذا كانت تتعارض مع مبادىء الاسلام وهو المبدأ الذي يستند اليه الاسلاميون في كل دعاواهم القضائية ضد العديد من الكتاب والسينمائيين والمثقفين.

ويعتبر الحكم الأخير ضد رئيس تحرير «روز اليوسف» هو الثالث من نوعه. فقد حكمت المحكمة من قبل بمنع فيلم «المهاجر» ليوسف شاهين وتم رفع المنع بعد ان استأنف المخرج الحكم الذي اصدره ايضا حسن التهامي، كما حكمت المحكمة من قبل بالتفريق بين الدكتور نصر أبو زيد وزوجته على اساس ارتداد أبو زيد عن الاسلام بناء على ما جاء في بعض كتاباته، وكانت قضية أبو زيد حملت رئيس تحرير «روز اليوسف» على الكتابة عن خطورة المعركة مع الاسلاميين وعلى أساس ما كتب في هذا الصدد أقيمت الدعوى القضائية ضده.

واستقبل التهامي الحكم بانزعاج وقال ان المقال الذي كتبه لم يشهر ولم يهن احدا وكان مجرد تحذير من أن المعركة مع المتطرفين دخلت ساحات المحاكم واشار الى انه سوف يستأنف الحكم اما الشيخ البدري فكان سعيدا وقال ان الحكم انتصار لمقاومته للخطيئة والانحلال وأعلن أنه مستعد لتقديم ثلاثين حالة أخرى الى المحكمة خلال العام الحالي 1996.

المصدر : الأهـــــرام

التاريـــخ : ٢١ يناير ٢٠٠٢

حرية الرأى فى الإسلام

المستشار
أحمد صلاح الدين بدور
رئيس محكمة امن الدولة العليا

لقد اعطى الاسلام لكل انسان الحرية فى ان يقول ما يعتقد انه الحق ويدافع بلسانه وقلمه عن رأيه ولكن هذه الحرية ليست مطلقة، بل هى مقيدة بعدم العدوان عدم الاساءة، فلا يجوز ان يكون ما يكتب او يقال خارجا عن حدود الآداب العامة والاخلاق الفاضلة وقد حصر الرسول الكريم جوهر رسالته فى بث تلك الاخلاق حين قال عليه الصلاة والسلام «انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» ومن اهم تلك الاخلاق التى حرص الاسلام عليها ضرورة التلطف فى مخاطبة ذوى المكانة من الناس وفى هذا يقول الحق سبحانه موجها الصحابة الى قواعد التعامل مع الرسول الكريم: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » الحجرات - «وكذلك ضرورة توقير كبار السن وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» واذا كان الاسلام قد حث المسلمين على طلب العلم كما ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقا الى الجنة» وباعتبار ان العلم يهذب النفس البشرية وان الانسان كلما ازداد علمه ازداد حسن خلقه وفى هذا المعنى يقول الرسول الكريم«من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزدد من الله الا بعدا» وقد اوجب الاسلام على المتعلم ان يكون عاملا بما تعلم، وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «لا يكون الانسان عالما حتى يكون بعلمه عاملا » واوجب الاسلام على المسلم مهما اوتى من علم ان يكون متواضعا وفى هذا يقول الحق سبحانه «سأصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير حق » الاعراف ١٤٦ـ كما اوجب عليه ان يكون جداله بالحسنى ولوجه الله وليس لهوى فى نفسه او حقد على الآخرين او حسدا او غيرة من الاخرين وقد كره الاسلام الجدال لمجرد الجدال وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «اذا غضب الله على قوم رزقهم الجدال» . واذا كان الرسول الكريم قد قال لمعاوية «لا تتبع عورات الناس لانك ان تتبعت عوارتهم افسدتهم او كدت تفسدهم». واذا كنا نرى فى هذا الزمان بعض اقلام متعلمى هذه الايام يسخرون علمهم من حين لآخر فى سب هذا والطعن فى نزاهة ذاك وتضخيم الهفوات وتسويد كل ما هو ناصع فى جبين هذا الوطن بهذا الصراخ والعويل الذى يطلقونه هنا وهناك وكاننا قد اصبحنا فى مجتمع هو عبارة عن مجموعة من المتهمين والمجرمين والخارجين على القانون دون مراعاة لكل ما تقدم من قيم إسلامية اصيلة فانني لا املك ازاء ذلك غير ترديد قول الحق سبحانه «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» - الشمس من ٧- ١٠»

شيخ الازهر جادالحق علي جادالحق الى «الحياة»:

انتشار الفكر الضال في المجتمع مسؤولية الأسرة والدولة



□ القاهرة - من كريم المهندس:

■ «هذا شهر رمضان المبارك هلت طلعته على المسلمين، يبشرهم برضوان الله ورحمته. ها هو شهر رمضان الذي أنزل الله فيه القرآن. أهنئ الامة بمقدمه، مذكرا بأن الصوم في الإسلام طريق للتهذيب وحسن الاستقامة، وكف للنفس عن الاقدام على متطلبات الغرائز المعوجة كالانانية والافراط في تحصيل الرغبات، دون نظر الى ما قد تجر إليه من آثام واضرار. هذا الصيام زكاة للنفس ورياضة للجسم وداع للبر، فهو للفرد وقاية وللمجتمع صيانة، إذ ان في جوع الجسد صفاء القلب وإيقاد القريحة، وانفاذ البصيرة، فدوام الشبع يورث البلادة ويعمي القلب، فاحيوا القلوب بكثرة الذكر والتفكير وقلة الشبع وصونوا الاسماع عن كل لغو، وغضوا الابصار عن كل لهو، ولا تبسطوا الايدي الى محظور، ولا تخطوا باقدامكم الى ممنوع في الشرع ومنكور في طيب العرف. هذا الصيام حرمان مشروع، وتاديب بالجوع، وخشوع لأمر الله وخضوع. ولكل فريضة حكمتها، هذه الفريضة ظاهرها المشقة وباطنها السكينة و الرحمة. فهي تستثير في الانسان الشفقة وتحض على المعروف والاحسان والصدقة، وتذهب بالكبر وتعلم الصبر، ذلك انه متى جاع من ألف الشبع، وحرم المترف اسباب المتع، ذاق مرّ الحرمان كيف يكون ويقع، كما عرفه الجوع وألمه اذا لذع».

هكذا بدأ شيخ الازهر الشيخ جادالحق علي جادالحق حديثه لـ «الحياة»، وكان معه هذا الحوار التالي:

● ما هي حكمة مشروعية الصوم؟

- الصوم فريضة جماعية تعم آحاد المكلفين ومجموعهم، في موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة وعلى نمط واحد تتغير به العادات والمواقيت اذا نوينا الاصلاح والصلاح. وليس أصلح لتربية الأمة واصلاح ما اعوج من اخلاقها وعاداتها وأمور معايشها، من تعويدها الاهبة للنظام وتغيير سيئ العادات، الى كريم الحسنات. انه شهر في كل سنة تتلاقى فيه جماعة المسلمين على سنة واحدة في اليقظة والرقاد والطعام والصيام والانتظام في صفوف الجماعة في المساجد لاداء الفروض والمستحبات. والصوم بذاته معلم يغرس في الصائمين قوة الارادة والحزم مع النفس، ويحملها على تعظيم امر الله، إقبالا على الصوم مهما تكن مشقته فتنشأ به في كل نفس استجابت للصوم عزيمة لا تعرف الوهن، وإصرار على الاصلاح لا يعرف النكوص. فالنفس متى اقتنعت بتناول الحلال طاعة لله وطلبا لمرضاته استحيت من تناول الحرام وتمرست على البعد عن اقترافه.

● ما هي مزايا الصيام في رمضان ؟

- لو صام المسلمون رمضان صوما كاملا خالصا بحزم وعزم لاستطاعوا بما تخلقوا به من العزيمة الماضية والارادة الحازمة التخلص من نوازع النفس الأمارة بالسوء ومن شرور الاعمال كالربا والزنا والغدر والخيانة والكذب وقول الزور، ولساقتهم هذه الارادة وتلك العزيمة الى البعد عن كل الموبقات والمحرمات التي شاعت وذاعت في مجتمعنا في هذا العصر، حتى اختلطت الامور وتشابهت. لو صمنا رمضان كما ينبغي لبرز بيننا الوازع الديني رقيبا لا يغفل ولا يلين يملأ القلب فلا يضل ، والبصر فلا يزيغ. ولو صمنا شهر رمضان كنا مجتمعا متكاملا، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولما استطاع عدو أن يحيك لنا المؤامرات والدسائس، وأن يبذر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولما اختلّت منا الصفوف واستمعنا الى كل ناعق، بل نزلنا عند أمر الله الذي قال تعليما وتوجيها «يأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين».

● ما هي فضائل الصوم؟

- الصوم وقاية من ادران النفس وامراض الجسد، فهو شفاء من الغل والحقد والحسد، اذ فيه يتساوى الغني والفقير إذ يصوم كل منهما عن الطعام والشراب والشهوات ايمانا واحتسابا لله الذي شرع للجميع ما يصلح به نفوسهم واجسادهم، وأنزل القرآن المجيد فيه علم الدين والدنيا، وبه صلاح الحياة للخلائق كافة. فقد جاء بالمساواة بين الناس جميعا، في الحقوق والواجبات، وفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح، قال الله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم». فهذا شهر العطاء والكرم، كما جاء في الاحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففيه ليلة خير من الف شهر، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق. والصوم اختبار لعزيمة المسلمين وعزمهم ومراقبتهم لربهم في السر والعلن وهو فوق هذا مهذب للطباع مفصح عن مكنون نفس الانسان. فإن صام وصان عبادته عن اللغو والرفث والفسوق والعصيان فذلك هو الصوم الذي نسب الله اجره الى ذاته العلية من دون تحديد كما جاء في الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لي وأنا اجزي به. والصيام جنة فإذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه احد أو شاتمه فليقل إني صائم.

● بماذا تنصح المسلمين في رمضان؟

- متى وعد الكريم أجزل العطاء من دون حساب، فلنأخذ أنفسنا بآداب الاسلام في هذا الشهر حتى تستقيم عليه عاداتنا فنقلع عن كل ما لا يقره ديننا، اذ ان الشهر كفيل بتغيير سيئ العادات إلى الرشد والصلاح. وليكن صوم هذا الشهر طهرا وتطهيرا وإنابة الى الله وخشوعا، ومعرفة بحقه علينا وخضوعنا. ولنذكر إنه شهر التعبد لاشهر الاسراف والاتلاف وتعريض الصحة للخطر، فالصوم شُرع لمصلحة الناس وتزكية نفوسهم وصحة أبدانهم، فعليهم الا يفسدوا ذلك بالاسراف في الطعام والشراب، فلنستقبل هذا الشهر بالاخلاص لله في الدين والمسارعة الى التوبة.

● كيف يمكن مواجهة التطرف؟

المصدر: الحياة اللندنية

التاريخ: ٢٢ يناير ١٩٩٦

– للاسرة دور كبير في توجيه مزيد من الاهتمام الى تربية الأبناء تربية صحيحة لنسلم من الخروج عن التقاليد والاخلاق، فإن رعاية الابناء واجب مقدس ومع ذلك نشكو الآن من التطرف. اننا نحن المسؤولون عنه، ولا علاج له إلا ان نكون يدا واحدة مع الدولة في جهود الاصلاح ننصح ونعدل، ومن يرتكب جرما فالقضاء له بالمرصاد. فعلى عاتق الاسرة يقع العبء الأكبر في حماية الابناء من الانحراف أو الوقوع في براثن الفكر الضال. وإلى جانب دور الاسرة تنبغي مقاطعة اصحاب الفكر الضال والمنحرف وعدم اللقاء بهم لخطورتهم الكبيرة ودورهم في زعزعة القيم والاستقرار في المجتمع، فالتقدم السريع في وسائل الاتصالات المقروءة والمسموعة والمرئية سهل مهمة أصحاب الأهواء والفكر الضال في نفث سمومهم في المجتمعات على كل المستويات. ويتطلب الامر الشرعي حد الحرابة على الجماعات الخارجة على القانون والتي تهدد أمن المجتمع واستقراره. ويجب الا نطلق عليهم اسم المتطرفين أو وصفهم بالجماعات الاسلامية بل يجب تسميتهم باسمهم الحقيقي «ارهابيون» حتى يعلم الجميع في الداخل والخارج من هم. فليس في الاسلام جماعات اسلامية والامة كلها مسلمة، ولسنا في حاجة إلى من يرشدنا إلى الإسلام الصحيح. إن التطرف يعني الغلو في الدين وهؤلاء ليسوا الا مجرمين لان الاسلام لا يعرف القتل أو العنف او زعزعة الاستقرار. ويجب أن نخلع عنهم صفة الايمان ما داموا مجرمين، وكلمة التطرف الآن تساوي المجرم وقال عنها القرآن الحرابة والبغي، وجزاؤهم حدده القرآن الكريم «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

المصدر: اللواء الإسلامي
التاريخ: ٢٥ يناير ١٩٩٦

لنا رأى

الدعوة الى المصالحة بين مختلف التيارات الفكرية في مصر ومحاولة الالتقاء على الثوابت خدمة لمصالح الوطن العليا . والتى طرحها الدكتور مصطفى محمود امام حشد من العلماء والمفكرين الاسلاميين وبعض العلمانيين فى حواره بالصالون الثقافى بدار الأوبرا منذ ايام . دعوة جديرة بالتشجيع والاحترام . وهى دعوة جاءت فى موعدها خاصة بعد ان اتسعت هوة الخلاف بين الطرفين وتراشق رموزهما بسهام الخصومة .

ويشهد الله ان اصحاب التيار الماركسى الذين تحولوا الى العلمانية هم هذا الخلاف والشقاق بما يثيرونه كل يوم على صفحات الجرائد والمجلات من هجوم وتهكم على عقيدة الأمة ومقدساتها ويصادمون مشاعر ابنائها ويسخرون من علمائها ويشوهونهم .

كل ذلك بدعوى حرية الفكر والابداع . وكأن الابداع لا يكون الا بالتشكيك فى عقيدة الأمة والتطاول على علمائها بدافع الشهرة وحب الظهور .

وهؤلاء يعلمون جيدا ان افعالهم هذه تصادم مشاعر الأمة وهى من أهم اسباب التطرف والعنف التى يقع بعض الشباب فريسة لها .

كما انهم يشغلون المجتمع بقضايا تافهة لا تستحق الاهتمام حتى يلهوه عن القضايا الكبرى والاهداف الأسمى فى مسيرته وبواعث نهضته التى تنبع من ذاتيته الحضارية والفكرية الأصيلة لا من فتات موائد الآخرين .

فالحوار والتفاهم بين كل التيارات الفكرية أمر حيوى مطلوب وليس ترفا ثقافيا يمكن الاستغناء عنه . شريطة ان يلتزم الجميع بادابه وضوابطه حتى لا يتحول الى مهاترات لا طائل من ورائها .

وحتى يتم هذا العمل ويكتب له النجاح لابد من ابداء حسن النية والرغبة الجادة فى العمل لمصلحة الوطن العليا والترفع عن الصغائر والاحقاد الشخصية بين كل الاطراف . ونحن فى شهر كريم تتنزل فيه الرحمة والمغفرة . ويصلح ان يكون بداية لمرحلة جديدة من التفاهم والتعاون والود بين كل ابناء الأمة

« اللواء الإسلامى »

الحوار
ترحب «الحوار» بجميع الآراء من مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية والسياسية فى مصر والوطن العربى حول القضايا المصرية والعربية والإسلامية الملحة.
إشراف: سمير الطنطاوى

الرؤيـة المـاديـة للقـرآن (الجزء الثانى والأخير)



بقلم:
د. محمد عمارة

فى الجزء الأول من دراسته حول «الرؤية المادية للقرآن الكريم عند نصر أبوزيد» أوضح المفكر الكبير الدكتور محمد عمارة أن الدكتور نصر أبوزيد يخالف ما ذهبت إليه الأمة الإسلامية عبر تاريخها كله من أن للقرآن خصوصيته النابعة من قداسته وألوهيته.. ويرى أنه مجرد نص لغوى تشكل فى الواقع والثقافة، واليوم يواصل عمارة فضح المنهاج الماركسى الذى ينتهجه أبوزيد ورؤيته المادية للقرآن الكريم.

من

«ثقافة الواقع الجاهلى» التى رأى الدكتور نصر أنها قد أسهمت فى «تشكيل وتكوين» القرآن.. أشار إلى «الحنيفية» -بقايا شريعة وملة إبراهيم عليه السلام -فقال: «لا يمكن، فى حالة النص القرآنى مثلا تجاهل الحنيفية، بوصفها وعيا مضاداً اللوعى الدينى الوثنى الذى كان سائدا ومسيطرا.. ومعنى ذلك أن النص -القرآنى- يمثل فى جانب منه جزءا من بنية الثقافة».

ومعنى كلام الدكتور نصر أن القرآن قد أخذ «فى جانب منه» من الروايات الشفاهية عن بقايا الحنيفية، وأن هذا «الجانب» ليس وحيا من المصدر الإلهى وإنما من ثقافة الواقع فهو -بهذا الرأى- تلفيق!.

ولو انصف الدكتور نصر، لعلم أن الحنيفية -ديانة إبراهيم- يراها المؤمنون «مفارقة للواقع» وليست «جزءا من بنية ثقافة الواقع» لأنها دين نزل فى صحف إبراهيم، وليست فكراً شكله الواقع.

وفى علاقة القرآن الكريم بكتب الديانات السابقة -وبخاصة التوراة والإنجيل- يؤمن المسلمون بأن القرآن قد جاء مصدقا لما لم يحرف أهل الكتاب من تلك الكتب، ومستوعبا للصادق فيها، فهو لذلك مهيمن عليها، وكاف عنها.. وأنه قد صحح ما حرفوه من بعض مواضعها، وما نسوه أو ما كتموه من آياتها، وما نبذوه وراءهم ظهريا من عقائدها وشرائعها.. يؤمن المسلمون بأن هذه هى علاقة القرآن بالكتب الدينية السابقة عليه، وذلك انطلاقا من محكم آيات القرآن التى تقول: «وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به..».

«وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراءهم ظهريا واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون».

كذلك يؤمن المسلمون بأن القرآن هو أحسن ما أنزل الله من كتب، لصلاحه لكل زمان ومكان.

«الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى» «واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم».

لكن الدكتور نصر يرى فى النص القرآنى نصا «ملفقا» -بالمعنى السلبى لمصطلح التلفيق!- لأنه عبارة عن انتقاء من تلك الكتب، فهو قد أخذ بعضها، مع إعادة توظيف وتاويل، وما رفضه منها صنفه فى خانة الانحراف أو التحريف! نعم تلك هى عقيدة الدكتور نصر، وفيها يقول: «أما الموقف «موقف النص القرآنى» من النصوص الدينية، فقد اعتمد آلية الانتقائية التى تقبل الأجزاء وتعيد توظيفها وتاويلها، أما الأجزاء المرفوضة، فتم تصنيفها فى خانة الانحراف، أو التحريف الناتج عن الضلال.

ولقد أجمعت الأمة على أن كتاب الله «ذكر وقرآن مبين» لا شبه بينه وبين الشعر.. «وما علمناه الشعر وما ينبغى له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين».

«إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر، قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن، قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين».

لكن الدكتور نصر يرى فى القرآن شبها -من حيث تركيبته- بالشعر الجاهلى، وبالمعلقات الجاهلية. والفارق بين تركيب القرآن -عنده- والشعر الجاهلى، هو أن القرآن قد تشكل فى مدى زمنى زاد على العشرين عاما.. وأن لدلالاته مستويات متعددة فى السياق الخاص بكل جزء من أجزائه. بل ويرى القرآن «منظومة من مجموعة من النصوص» بسبب تعدد النصوص الثقافية التى شكلته!.

يرى كل ذلك، فيقول: **«إن النص القرآنى منظومة من مجموعة من النصوص. وإذا كان يتشابه فى تركيبته تلك مع النص الشعرى، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلا،**

فإن الفارق بين القرآن و المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل فى المدى الزمنى الذى استغرقه تكون النص القرآنى، كما يتمثل فى تعدد مستويات السياق المحددة لدلالة كل جزء من أجزائه.. وهذه التعددية النصية فى بنية النص القرآنى تعد فى جانب منها نتيجة للسياق الثقافى المنتج للنص، لأنها تمثل عناصر تشابه بين النص ونصوص الثقافة عامة، وبينه وبين النص الشعرى بصفة خاصة».

وإذا كان القرآن قد خاطب النساء، كما خاطب الرجال -مع الجمع بينهما فى خطاب واحد فى كثير من الأحيان- فإن تخصيص النساء بالخطاب، عند الدكتور نصر، ليس تكريما إلهيا للمرأة، ولا ارتقاء بها عن التجاهل الذى كانت عليه فى الجاهلية، ولا هو استجابة لاسباب نزول روى أحاديثها علماء أسباب النزول.. وإنما الأمر -عند الدكتور نصر- هو انحياز من القرآن إلى شعر الصعاليك، الذى كان بعض شعرائه يفردون النساء بالخطاب.. فهو أثر من آثار إسهام شعر الصعاليك فى تشكيل القرآن الكريم!

نعم! يرى الدكتور نصر ذلك، ويقول: **«وسياق مخاطبة النساء فى القرآن» المغاير لسياق مخاطبة الرجال، رغم الجمع بينهما فى سياق واحد فى كثير من الأحيان، يمثل القرآن فيه تجاوزاً للنصوص الشعرية السائدة، وانحيازاً لنصوص الصعاليك، حيث تمثل الزوجة مخاطبا فى بعض نماذجه».**

وهذا الكلام، الذى يمثل **«كارثة إيمانية»** فى النظرة إلى القرآن، وفى الحديث عنه.. هو أيضا **«كارثة جهالة»** فى الحديث عن الشعر الجاهلى، بعامة، والذى أفرد كثير من شعرائه المرأة بالخطاب.. لكن «كارثة الجهالة» فى الشعر تهون إذا ما قيست بكارثة الاعتقاد الإيمانى فى القرآن الكريم.

وإذا كان القرآن الذى رأى الدكتور نصر- انطلاقا من المادية الجدلية -أنه قد تشكل وتكون واكتمل فى الواقع ومن نصوص الواقع وثقافته وأبنيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. إذا كان هذا القرآن قد غدا فى الحضارة الإسلامية، المحور الذى تاثرت به النصوص الثقافية الأخرى، فإن تفسير ذلك جاهز هو الآخر فى المادية الجدلية «التى تعتبر الفكرة انعكاسا لواقع موضوعى، وفى ذات الوقت تؤكد التأثير العكسى للفكرة فى تطور الواقع المادى، بهدف تحويله».

وكما طبق الدكتور نصر منهاج المادية الجدلية فى تشكيل الواقع للنص وتكوينه وفعله له، على علاقة القرآن بالواقع، ذهب فطبق هذا المنهاج المادى الجدلى فى عودة النص -بعد تشكله وتكونه واكتماله وانفعاله بالواقع- للتأثير فى الواقع والتحويل له.. **«فالقول بأن النص منتج ثقافى، يمثل بالنسبة إلى القرآن**

مرحلة التكون والاكتمال، وهي مرحلة صار النص بعدها منتجا للثقافة.. والفارق بين المرحلتين في تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها، و إمداده للثقافة وتغيير حالها».

إنه -عند مادية الدكتور نصر الجدلية- جدل بين النص والواقع.. فمن الواقع تكون النص وتشكل واكتمل وانفعل، ثم يعود ليؤثر في الواقع مرة أخرى، وهكذا.. دون أن يكون هناك أي وجود للنص سابق على الواقع أو مفارق له، أو مصدر إلهي وقدسي أوحى بشيء مقدس من حضرة إلهية وراء الطبيعة والواقع ومفارقة لهما.. فعند الدكتور نصر، وبنص عبارته: إن **«الواقع هو الأصل. من الواقع تكون النص -«أي القرآن»- ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفعالية البشر تتجدد دلالته، فالواقع أولاً والواقع ثانياً، والواقع أخيراً»!**

والمسلمون قد أجمعوا واجتمعوا على أن عربية القرآن -لغة ونظما- إنما هي فعل إلهي، وليست إضافة بشرية ولا إبداعا إنسانيا، ولا هي من عند رسولهم، عليه الصلاة والسلام.. فالله، سبحانه وتعالى هو الذي أنزل هذا القرآن عربيا، وأوحاه عربيا، وجعله عربيا.. فعربيته جزء من بنيته وجوهره وحقيقته وهويته..

وهذه العقيدة الإسلامية، مصدرها القرآن الكريم، جاءت في العديد من الآيات المحكمات.. من مثل:

«إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون». «وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا».

«وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا». «إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون». فالله، سبحانه وتعالى، هو الذي «جعله» عربيا و«الجعل» هنا معناه: «تصيير الشيء على حالة دون حالة أخرى» أي أن عروبة اللسان القرآني هي فعل إلهي كالنظم له والدلالات فيه..

ويؤمن المسلمون، أيضا، بأن عروبة القرآن، هي اطراد لسنة إلهية في وحيه إلى سائر الرسل والأنبياء، أن يكون الوحي بلسان القوم الذين يرسل إليهم الرسول أو تبدو فيهم الدعوة إلى الرسالة. «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم».

على هذا الاعتقاد، في القرآن الكريم -وانطلاقا من هذا القرآن- أجمع المسلمون واجتمعوا..

لكن الدكتور نصر أبو زيد يشكك في هذه الحقيقة، ويرفض هذا الاعتقاد.. ويوحي إلى قارئه بأن هوية النص القرآني هي المعنى دون اللفظ العربي، وأن «اعتبار العربية جزءا جوهريا في بنية النص القرآني» هي من «أيديولوجيا العصبية العربية» عند الإمام الشافعي، وليست حقيقة من حقائق الوحي الإلهي والاعتقاد الإسلامي.

ويذهب ليوهم قارئه بوجود خلاف بين أبي حنيفة، والشافعي على مكانة العربية من هوية القرآن وبنية نصه وجوهره وذلك بدعوى أن إجازة أبي حنيفة لمن لا يعرف العربية أن يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته باللغة التي يعرفها هو قول بأن هوية القرآن هي المعنى وحده دون اللفظ العربي.. يذهب الدكتور نصر هذا المذهب

الغريب عن الاعتقاد الإسلامي، فيقول: «ويبدو الخلاف حول طبيعة النص هو المحرك الباطني للخلاف الفقهي حول القراءة في الصلاة بغير العربية.

إنه خلاف حول «هوية» النص القرآني هل هو المعنى وحده؟ أم المعنى متلبسا بالألفاظ؟ وعلى صحة الافتراض الأول يمكن للترجمة أن تحل محل الأصل وتجزئ عنه، وهو فيما يبدو الموقف الضمني الذي ينطلق منه أبو حنيفة. أما الموقف الذي ينطلق منه الشافعي ويذود عنه فهو التلازم بين اللفظ والمعنى، واعتبار العربية بكل ما يتلبس بها من أيديولوجيا جزءا جوهريا في بنية النص»!

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة لعلم أن أئمة الإسلام وفقهاء الأمة قد أجمعوا على أن عروبة القرآن هي تنزيل ووحي وجعل إلهي -وما كان لهم إلا أن يجمعوا على هذا الذي جاء به محكم القرآن ذاته- **وأن رأي أبي حنيفة إنما هو جواز قراءة الفاتحة، لمن لا يعرف العربية، بلغته، في الصلاة فحسب، باعتباره مضطرا.. فهي رخصة للمضطر، وليست حلالا مباحا- كأكل الميتة وشرب الخمر للضرورة، فهو لا يبيح الميتة ولا يحل الخمر بحال من الأحوال -ولا أثر لهذا الذي توهمه الدكتور نصر من أن أبا حنيفه قد استبعد أن تكون العربية -في اللغة والنظم- جزءا من بنية وهوية وجوهر النص القرآني.**

فعروبة القرآن «جعل إلهي» وليست اختراعا شافعيا دفعت إليه «أيديولوجيا العصبية العربية»! والغريب أن الدكتور نصر، الذي يشكك في أن تكون عربية القرآن جزءا من بنيته وهويته وجوهره، **هو الذي يذهب ليشكك في عالمية الخطاب القرآني، عندما يزعم أن المخاطبين به هم العرب وحدهم، الذين ينتمون إلى النظام اللغوي العربي وإلى الثقافة العربية.. فيقول: وكون «النص» -أي القرآن- بلاغا معناه أن المخاطبين به هم الناس جميعا، الناس الذين ينتمون إلى نفس النظام اللغوي للنص وينتمون إلى الإطار الثقافي الذي تعد هذه اللغة مركزه».. فالمخاطبون** بالقرآن -عنده- هم جميع المنتمين إلى اللغة العربية وثقافتها.. وعندما تحدث عن «الدائرة الإنسانية» تحدث عنها كدائرة من دوائر «مشروع عربي ثقافي إنساني حضاري» «يمكن استنباطه من النصوص الدينية» فالعالمية هي «المشروع الثقافي العربي» أما القرآن فإن المخاطبين به هم العرب المنتمون إلى اللغة العربية والثقافة العربية!

يقول الدكتور نصر: ذلك، وهو يعلم إجماع المسلمين واجتماعهم على عالمية الرسالة التي تجسدت في الوحي القرآني، وذلك انطلاقا من الآيات المحكمات في القرآن الكريم، تلك التي أكدت على عالمية الرسالة القرآنية، منذ الحقبة المكية، وقبل رسائل النبي، صلى الله وعليه وسلم، إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس -ملوك وقادة الشعوب غير العربية- ففي القرآن المكي نقرأ: **«قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكر للعالمين».**

فالقرآن ذكر للعالمين، وليس لأهل العربية وثقافتها وحدهم! **«وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين». «وما هو إلا ذكر للعالمين». «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا». «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».**

فالقرآن ذكر للعالمين.. والمبعوث به رحمة ونذير للعالمين.. والعرب هم نقطة البدء، وحملة هذا الذكر وهذه الرحمة إلى العالمين!.

هذه هى عقائد الإسلام فى القرآن الكريم.. وتلك هى اجتهادات الدكتور نصر فى «نقض هذه الاعتقادات»! وهى «اجتهادات» نظنها لا تتسق مع إعلانه -الذى نتلقاه بالقبول- أنه مسلم وفخور بأنه مسلم، ومؤمن بالله، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره» فهل من سبيل إلى مراجعة لهذه «الاجتهادات» طلبا للحق الأدنى من الاتساق بينها وبين عقائد الإسلام فى القرآن، تلك التى اجتمع عليها المسلمون، خاصتهم وعامتهم، عبر تاريخ الإسلام؟!

● فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن نزل من عند الله.. ومن ثم فلقد كان له وجود عند الله قبل التنزيل.. أما الدكتور نصر فيقول: إن القرآن نص شكله الواقع وكونه، ولم يكن له وجود مفارق للواقع -الاقتصادى والاجتماعى- قبل هذا التشكيل والتكوين..

● والمسلمون يؤمنون بأن القرآن مصدره الله، وله قداسة مصدره الإلهى.. والدكتور نصر يرى فى هذا الاعتقاد كلاما يقال: والأخذ به والإيمان بمقتضاه يطمس الحقيقة ويعكر إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص..

● والمسلمون يؤمنون بأن القرآن هو الوحى الخاتم الذى حفظه الله من التحريف.. والدكتور نصر يراه مجموعة من النصوص المأخوذة من الكتب الدينية السابقة.. فهو قد انتقى أجزاء أعاد توظيفها وتأويلها، ورفض أجزاء صنفها فى خانة الانحراف والضلال..

● والمسلمون يؤمنون بأن القرآن ليس شعرا، ولا هو مما يشبه فى نظمه الشعر.. والدكتور نصر يقيم أوجه الشبه بينه وبين الشعر الجاهلى، وبخاصة المعلقات، وشعر الصعاليك.

● والمسلمون يؤمنون بأن عروبة القرآن وعربيته تنزيل ووحى وجعل إلهى.. والدكتور نصر يشكك فى ذلك، ويرى أن العربية ليست من بنية القرآن وجوهره وهويته.. وإنما هى من «أيديولوجيا العصبية العربية» إلخ.. إلخ.

والمقصد، الذى تتغياه هذه الدراسة هو مراجعة هذه الكتابات فى «اجتهادات» الدكتور نصر، تحقيقا للاتساق بين اعتقاده فى القرآن واعتقاد المسلمين الذى جاء فى هذا القرآن.

ولعل قول الدكتور نصر: فى بيانه للناس- عقب صدور الحكم بردته عن الإسلام- «ولن أتنازل عن أى اجتهاد من اجتهاداتى إلا إذا أثبت لى بالبرهان والحجة أننى مخطىء» هو الذى فتح باب الأمل فى المراجعة الفكرية، التى نأمل أن تثمر الاتساق بين الاعتقاد الإسلامى فى القرآن الكريم وما يكتبه المسلم عن هذا القرآن الكريم!

الدستور

فوضى الحسبة

شيخ التكفير والتفريق ومحتسب العصر والأوان يوسف البدري

٤٠ كاتبا أمام القضاء

المصدر: الأهالي

التاريخ: ١٧ يناير ١٩٩٦

المحروسة للبحوث والتدريب والمعلومات

قريبا وملفاتهم جاهزة عندي

●● لم يعد الأمر يحتمل مزيدا من الصمت .. بالأمس كان نصر أبو زيد واليوم نجيب محفوظ ، وهناك ٤٠ كاتبا أمام القضاء يواجهون الطعن في دينهم والاتهام بالردة والكفر ، ويضاف لهم ٤٠ آخرين ينتظرهم هذا المصير ! .

القضية ليست في هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الإسلام والمسلمين ، بل فى أنهم اشتبكوا مع عقل يفكر ويجتهد ، ووصل الأمر بكبيرهم أن يعلن بجرأة وتبجح أنه لاسبيل لتجريم رواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» إلا برفع دعوى حسبة لتفريقه عن زوجته .. إلى هذا الحد البشع يجرى استخدام دعاوى الحسبة من بعض الأدعياء والمحتسبين الجدد بهدف تكفير الكتاب والمفكرين وإدانتهم تمهيدا لتكفير المجتمع كله .

والعارفون لدينهم يؤكدون أن الاسلام الحقيقى يأبى أن يطعن مسلما فى دين وعقيدة مسلم آخر ، بل أنه بعد أن استقر الايمان فى القلوب طوال هذه القرون لم يعد هناك مجال لاعمال حد الردة إلا فى حالات الكفر البواح أو اعتناق دين آخر .

ويبقى السؤال .. هل تستمر هذه الفوضى .. وهل نترك دعاوى الحسبة هكذا في يد كل من يسىء استخدامها ويهدد بها أعناق الناس والعلاقات الأسرية أم أن الأمر يتطلب تنظيم دعاوى الحسبة لكى لاتكون سلاحا فى يد الساعين للشهرة حتى ولو كان بالباطل ؟

وإذا كان هناك اجماع من رجـــال الفقه والقانون على أن المحتسب لم يعد له وجود وأصبح النائب العام نائبا عن المجتمع فى هذه الدعاوى .. فإننا نقول ونكرر إنه لابد من تدخل المـشرع فالأمور لم تعد تحتمل انتظـــارا ●●

المصدر: الـــــ
التاريخ: ١٩٩٦

●● هذا هو شيخ التكفير والتفريق، والمحتسب الجديد الذى أعطى نفسه حق حساب الناس وتكفيرهم، يوسف البدرى،لم يكن الرجل قد وقع فى زلة لسان الأسبوع الماضى حين قال «للمصور» إنه يجهز لدعوى بتفريق نجيب محفوظ عن زوجته، وهذا الأسبوع يشرح يوسف البدرى خطته وحيثياته كاملة!، قال إنه سيحكم مصر من خلال المحاكم والقضايا، وسيبدأ بالكتاب والمفكرين، بعد أن اكتملت لديه ملفات أكثر من ٤٠ كاتبا ومفكرا انتهى إلى أنهم جميعا كفرة ومرتدون، وقال: إن الديمقراطية كفر، وأنه يمكن ترك سيناء لإسرائيل على أن يتركوا فلسطين، وتمنى عودة الخلافة العثمانية.

هذه هى أقوال البدرى المليئة بالمتناقضات والمفاجآت نقدمها بصوته وبصورته كى يعرف الناس حجم المهزلة التى تدار تحت دعاوى الحسبة●●

أجرى الحوار:

حلمى النمنم

عدسة:

فاروق عبد الحميد

● **لماذا العداء الشديد للكتاب والفنانين والمبدعين؟**

●● هذا الاتهام باطل، أنا صديق لكثير من الكتاب، صديق للكاتب العظيم ثروت أباظة، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وصلاح عبدالصبور الذى أعجبت به كثيرا بمسرحياته خاصة مسرحية الحلاج التى رأيتها فى دار الأوبرا.. وأقرأ لمصطفى أمين وسعيد العريان وجورجى زيدان والعقاد.. وأعتبر طه حسين أستاذى رغم أن لى عليه ملاحظات، أحيانا تأتى تعبيراته بما يشبه الطعن فى الإسلام، لكننا نحسن الظن به ومن بين الذين أبغضهم سلامة موسى ونجيب محفوظ.

● **صديقك ثروت أباظة يعتبر نجيب محفوظ أستاذه!**

●● إن كان يعتبر نجيب محفوظ أستاذه فلعل ذلك فى الفن القصصى فقط، لا فى الأفكار.. لأن اتجاه أباظة إسلامى وطيب وليس فيه خروج وخلاعة، ولايحارب الدين والإيمان.

● **كل الذى قرأ أعمال نجيب محفوظ لايمكن أن يرى فيها خلاعة ولا محاربة للدين؟**

●● رغم إعجابى بأسلوبه إلا أن نجيب

المصدر : الـ...
التاريخ : ٢٠ / ... ١٩٩٦

● الديمقراطية ضد الإسلام لأنها تجعل الأمة وليس الله مصدر السلطات
● على نجيب محفوظ أن يتبرأ من رواياته ويحرقها ويصدر كتابا فى الرد على نفسه
● ليأخذ اليهود سيناء ويتركوا فلسطين

محفوظ هو المتهم بالترصد لكل الأفكار الإيمانية والعقيدة لدحضها وإبرازها كأنها مجرد متحف أو أنتيكة.

● لكن الرجل يعلن باستمرار أنه مؤمن ومسلم ويرفض مثل هذا الفهم لأعماله؟

●● له أن يصر على أنه مسلم، ولي أن أناقش أفكاره، وأحكم عليه من أفكاره.. ففى رواية «الطريق» رمز إلى الله باسم «سيد سيد الرحيمى» الذى جعل ابنه صابر يبحث عنه فلا يجده لأنه لا وجود له، وتكون نهاية «صابر» الزنا والإجرام والسجن أى أن الله غير موجود والبحث عنه يؤدى إلى المهالك.

وهل ينكر أن الجبلاوى فى أولاد حارتنا هو الله، وأن أبوجابر هو موسى، ورفاعة هو عيسى، وقاسم هو محمد، ويصور رسول الله يغازل المرأة التى يحبها على أنها خديجة

● هذا فهمك الخاص ولكن هناك من يفهم الرواية بشكل مغاير، لأن الرواية قائمة على الرمز ولايوجد فهم نهائى للعمل الأدبى؟!

●● نجيب محفوظ رمزى، وكل أعماله رموز، وهو دارس للفلسفة أساسا، وأنا أيضا درست الفلسفة الإسلامية وكنت أقرأ أعماله فور صدورها، وأفهم مراميها، وهو يستهدف العقيدة والدين، والمفروض عموما أن لايشذ أى عمل أدبى عن الدين.

● وماذا بعد فهمك هذا؟

●● هو موضوع فى الخانة، هو رقم (١)، وليس لنا سلاح إلا ورقة وقلما وقانونا ومحكمة، أمامنا القضاء أما كيف تكون القضية فهذا لم نستقر عليه بعد.. ومن ناحيتى جمعت دراسات كثيرة عنه وملفه اعد وانتهى.

● أولاد حارتنا لم تطبع فى مصر، ولم توزع فى مصر، فكيف تقاضى عملا طبع فى بيروت؟

●● لا.. طبعت فى الأهالى.

● لم يوافق على طباعتها؟

●● ولكنه لم يستنكر، ولم يرفع دعوى ضد من نشرها، وألا ترى أن رفضه لأن تطبع فى مصر منذ سنة ١٩٥٩ وحتى الآن أعتراف ضمنى منه برأينا فيها، وموافقة على تقرير الأزهر ورأيه، ألا يعد إصراره على ألا تطبع الرواية دون موافقة الأزهر اقتناعا منه بموقف الأزهر؟!! لو كان يعتقد أنه على حق لأصر على نشرها.

…صح رأيك فإنه قانونيا لم … ثم فلا مؤاخذة عليه؟

… ذلك.

… يكفي؟

… أن يفعل كما فعل الأشعرى حين … الاعتزال وحرق كتبه أخذ كتبه التى … الاعتزال ووقف فى المسجد الجامع … «ألفت هذه الكتب وأنا معتزلى وها أنذا … قها، وأنا برىء ممن لم يحرقها، ولذلك لم … ملنا سطر واحد منها، ومطلوب من نجيب محفوظ أن يقرأ «أبرأ إلى الله مما كتبت واستغفر الله وأتوب إليه».. ويقوم بحرق كل رواياته التى تمس العقيدة وليس أولاد حارتنا فقط، ويعلن أنه برىء ممن لايحرقها.. بل وأن يضع كتابا يرد به على نفسه.. ولايفعل هو وحده ذلك، ونصر أبوزيد مطالب بالشىء نفسه.

● ألا ترى ذلك تزيدا؟

●● لا.. ليس تزيدا، لقد فعل د. مصطفى محمود ذلك حيث تبرأ من «الله والإنسان» وأصدر «حوار مع صديقى الملحد» عليهم أن يحنو حذوه ويقلدوه، كان مصطفى محمود أشجعهم.

● من من الكتاب الآخرين وضعتهم فى «الخانة»؟

●● لا.. لن أقول لك.. ولكنهم عشرات تحديدا ٤٢ أو ٤٣، ونحن ندرس كل ملف بهدوء، ونقرر الشكل القضائى الذى نسلكه.

ملحوظة: أخرج البدرى لنا عددا كبيرا من الملفات التى تضم قصاصات وأوراقاً عن الكتاب، لاحظنا من بينها مجلات المصور - روزاليوسف.. صباح الخير وعقيدتى واللواء الإسلامى.

● من أنتم؟

●● التيار الإسلامى.

● هل ترفع القضايا بنفسك؟

●● مشاركتى فى القضايا تكون إما بإعداد التقارير، أو بالشهادة أمام القضاء، أو باسمى شخصيا، وهناك آخرون.

● ماذا كان دورك فى قضية د. نصر أبوزيد؟

●● أنا الرجل الأول، أو قل الثانى فى هذه القضية.

● ألم يسبقك د. عبدالصبور شاهين؟

●● د. عبدالصبور شاهين مظلوم والله فى هذه القضية، دوره انتهى عند تقرير الجامعة، ولكننى أثرت القضية وتأثر المستشار محمد صميدة حين تناول استاذ فى دار العلوم القضية فى خطبة الجمعة مسجد السلام بالهرم ورفع دعوى، ولم أدخل متضامنا معه حتى أظل شاهدا، فقد تستعين بى المحكمة للشهادة، أو أتقدم أنا بشهادتى واكتفيت بأن أذيع البيانات وأنشرها من خلال عقيدتى وبعض الصحف القومية التى لنا فيها ناس، وأنا الذى سرب مذكرة نيابة النقض فى قضية نصرأبوزيد إلى إحدى الصحف القومية الأسبوع الماضى ونشرتها بشكل جميل فى الصفحة الأولى.

● من على وجه التحديد توعز إليه برفع الدعاوى؟

●● تلاميذى كثيرون، والمتحمسون كثيرون، لكن المهم فى كل قضية أن تكون لوجه الله وليست بهدف الشهرة، وأن يكون القانون لا الإسلام فى صفنا، ولاحظ أننى لم أنكر كلمة الإسلام فى أى قضية لكى تدرك مدى الحماس، فإن هناك مطبعة قامت بطبع حكم تفريق نصر أبوزيد فى كتاب ووزع مجانا فى المساجد.

● ولكن بعض الإسلاميين مثل د. سليم العوا، د. محمد عمارة استنكروا دعوى التفريق وقالوا الفكر يرد عليه بفكر؟

●● لو أننى سببت أب سليم العوا ألن يأخذنى إلى المحكمة، لقد سب نصر أبوزيد الإسلام فأخذته إلى المحكمة.

العلمانية كفر

● رجل يحاضر فى الجامعة.. ما شأنكم أنتم به، الجامعة وحدها هى التى تحاسبه ثم إن الرجل لم يسب، لقد قال رأيا؟

●● نحن لم نكن نسمع عن نصرأبوزيد، ولكن أحد كتاب الأهرام أثار القضية علنا، ولولا ذلك ماسمعنا عنه، بدليل أن هناك مرتدا آخر اسمه د. أحمد صبحى منصور كان فى جامعة الأزهر ففصله الأزهر ولم نقاضيه، وهناك أستاذ فى الطب البيطرى بجامعة القاهرة وضع كتابا أسماه «شفاء الصدر

بنفى عذاب القبر» وهذا ارتداد ومع ذلك أيضا لم نقاضيه لأننا لم نجد الكتاب لدى الباعة، وهناك مرتدون آخرون كثيرون لم نقاضيهم، لأنهم لايعلنون ارتدادهم، مصطفى أمين كاتب علمانى وقد يكون مرتدا فى جلساته الخاصة ولكنه لايعلن ذلك بل يقيم ليلة القدر ويساعد الفقراء لذا نحترمه ولم نمسه.

● كيف تفهم العلمانية؟

●● هناك العلمانية بكسر العين وتعنى العلم، لا شأن لنا بها، وهناك العلمانية بفتح العين وهذه تعنى أن الشيء بوضعه كما هو

وليس هناك ميتافيزيقا وما وراء الطبيعة وأن هذه الأشياء خرافة وأسطورة.

● من تسميهم علمانيين بيننا لم يقولوا بذلك، إنهم يريدون الديمقراطية فى مواجهة الاستبداد الموروث من أيام الخلافة العثمانية؟

●● الديمقراطية شرعا ضد الإسلام، لأن مصادر السلطات فى الديمقراطية هى الشعب ويقولون الأمة مصدر السلطات ونحن نقول: «إن الحكم إلا لله»، أما الخلافة العثمانية فليت أيامها دامت وليتها تعود، إن السلطان عبدالحميد فقد منصبه لأنه رفض تسليم فلسطين لليهود.

● غير صحيح، لقد رفض تسليمهم فلسطين وعرض عليهم أن يأخذوا سيناء بدلا منها وكرومر ـ غير المسلم ـ هو الذى رفض أن تقتطع سيناء من مصر؟

●● يأخذون سيناء ماشى، أما فلسطين لا..!

● إذا كنت ترى الديمقراطية ضد الإسلام، فلماذا دخلت مجلس الشعب وتجولت بين الأحزاب السياسية، وغازلت التنظيمات ابتداء من الاتحاد الاشتراكى حتي الحزب الوطنى؟

●● نعم، فعلت كل ذلك بهدف تطبيق الإسلام، وسعيت إلى ذلك فى مجلس الشعب، ووجدت أن الأمر يحتاج ٢ دورات، ولكن لم يتح لى دخول المجلس إلا دورة واحدة، أما عضويتى فى حزب الأحرار فلأن الحزب أعلن أنه سيكون وعاء التيار الإسلامى ولم يلتزم فخرجت.. لكنى لم أغازل الحزب الوطنى، لقد ذهبت مع لواء مصطفى كامل مدير مباحث أمن الدولة أنئذ وفى سيارته الخاصة إلى مكتب د. والى الذى عرض على دخول الحزب الوطنى، فاشترطت شروطا أربعة، قال «ماشى.. نملأ الاستمارة يا شيخ يوسف...».. قلت له أقابل الرئيس مبارك أولا، ولم يحدث.

لست إرهابيا

● ألا ترى أن ترصدك الكتاب يكمل محاولات الاغتيال والقتل التى يقوم بها الإرهابيون؟

●● لا.. لست إرهابيا أنا أريد تطبيق الشريعة بحكم القضاء، وحين قال محمود التهامى ذلك سجناه ثلاث سنوات.

● لكنك أقمت فى نيوجيرسى بالولايات المتحدة بين عامى ٩٢، ١٩٩٣ وفى المنطقة نفسها التى كان يقيم بها د. عمر عبدالرحمن وأتباعه؟.

●● لست إرهابيا ولامتطرفا، وفى سرك عمر عبدالرحمن حكم بتكفيرى هناك فاضطررت للعودة.

● ألم تقرأ أفكار الفرق الإسلامية، بعضها قال بأفكار ربما تكون أفكار نصر

أبوزيد وغيره مجرد قشور إلى جوارها، ومع ذلك فإن علماء هذه الفرق لم يكفروا ولم يفرقوا عن زوجاتهم؟!!.

●● لا.. ألم يقتل الحلاج لكفره.. ألم يحبس ابن عربى فى مصر.. ألم يحارب الرافضون الذين قالوا هذه المقولات، وأحرقت كتبهم وبقيت لنا منها مجرد نتف.

● ولكن المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى، أنصفوا العقل وأعطوه استقلاله، وكان ذلك أزهى حالات الحضارة الإسلامية؟

●● المعتزلة على خير إلا أنهم قالوا بخلق القرآن، وذاعوا وقت أن كانت السلطة معهم، فلما تغيرت السلطة تابوا عن الاعتزال.

● كمسلم ألا ترى غضاضة فى أن تستفيد أوربا بابن رشد وابن الهيثم وابن النفيس ونحن تخلفنا ونفيناهم؟ بسبب أفكار كالتى تقولها الآن؟

●● لماذا نحمل التيار الإسلامى كل أوزار القرون الماضية، لقد عذب الفقهاء واضطهدوا.. مالك.. ابن حنبل.. أبوحنيفة.. الشافعى، إلى حد أنهم قالوا إذا رأيت داعية لم يبتل من السلطان فشك فى إيمانه.

● لكننا فى النهاية تخلفنا بينما كانت الشريعة مطبقة، وحين جاء نابليون قال هازئا

.. أين علومكم؟

جاء نابليون لم تكن الشريعة

لايطبقون الشريعة.

يك فقط، ولكنهم العثمانيون

ودة أيامهم؟

● مماليك أو عثمانيون كلهم أتراك

س أن مشعل الحضارة لايمكن أن يبقى في يد أمة واحدة فلابد للعجلة أن تدور «وتلك الأيام نداولها بين الناس».

● ألم يكن التخلف بسبب انعدام الحرية؟

●● انعدام الحرية لاتمنع الابتكار، ولكن العقل له طاقة، وطاقة العقل الإسلامي كانت قد وصلت نهايتها.

● إذن أنت لاترى ضرورة للحرية؟

●● الحرية شيء والإباحية شيء آخر، أنا أفهم الحرية أن تكون حرا في اختيارك ولكن في حدود الشرع فقط.

● ألا ترى أنك تفرغ الإسلام من قيمه الحقيقية مثل العقل والعلم والحرية وتقف عند أمور شكلية؟

●● نحن لانحارب العلم.. لم نحارب مصطفى مشرفة ولافاروق الباز، ولامجدى يعقوب، بل إنني بكيت عندما قتل يحيى المشد في باريس، هل نقاب النساء يمنع الزراعة والاستصلاح، نحن لم نحاسب طبيبا ولا وزيرا نحاسب المخطيء فقط. النقاب لايمنع المرأة أن تكون طبيبة هل التقدم لايكون إلا مع الإباحية والتدين لايكون إلا مع التخلف!؟

أنا والراهبة

● الذين يعرفونك أيام كنت تعيش بالسيدة زينب يؤكدون أنك صاحب مغامرات وكنت دون جوان الحى،

●● مازال سكني بالسيدة زينب موجوداً أو يعيش به أخي، وعملت مدرسا ببعض المدارس المسائية في السيدة، وليس صحيحاً أنه كانت لي علاقات نسائية.

● كم مرة تزوجت؟

●● ليس معي الآن سوى زوجتي، أم أولادي، وهي داعية إسلامية، وكانت لي زوجة قبلها.. كانت راهبة وفرنسية، فقد كنت معارا بالجزائر مدرسا للغة العربية، إبان حركة التعريب هناك في ١٩٦٩، وكانت هي تعد الدكتوراة واحتاجت إلى مدرس خاص يشرح لها الشعر العربي، فكنت أنا، وتعارفنا، وجدت ميلها إلى الإسلام، فدعوتها إلى الإسلام، لكنها خافت.. فعرضت عليها الزواج.. لقد كنت مضربا عن الزواج وظللت عشر سنوات بعد التخرج بدون زواج، حتى التقيت بهذه الراهبة وتزوجنا هناك واشهرت إسلامها ثم عادت إلى فرنسا لتزور أهلها وهناك «ارتدت» عن الإسلام وأرسلت لي خطابا تخبرني بما حدث وتعرض على استعدادها الاستمرار في الزواج، فرددت عليها أن زواجنا فسخ تلقائيا.

● حاولت أن تكون صحفيا في بداية حياتك ولكنك لم تنجح.. وربما كان ذلك بسبب عدائك للصحفيين؟

●● بعد أن تخرجت من دار العلوم سنة ١٩٥٩ عملت مدرسا للغة العربية بمدرسة علم الدين الخاصة بالمبتديان، وكانت هناك حفلة مدرسية منعت الطالبات فيها من المشاركة، ففصلوني لأنني عطلت منهجا دراسيا.. فذهبت للعمل بروزاليوسف، في مجلة الشباب التي كان يرأس تحريرها يوسف السباعي وكان مفيد فوزي ومحمود المراغي زميلي، ومدير التحرير راجي عنايت، وبعد فترة فوجئت بموظف الاستعلامات ذات يوم يمنعني من الدخول وقال لي «ماعتش تيجي هنا...»

● حاولت أن تكون ممثلا مسرحيا وفشلت أيضا؟

●● حاولت أن أتخذ الفن وسيلة فأسست سنة ١٩٦٠ فرقة «يوسف البدري المسرحية» وسجلتها في الشهر العقاري، ولاتزال مسجلة إلي الآن، وحاولت الحصول على «ممثل شباك» في الفرقة فذهبت إلى توفيق الدقن، وحصلت على ممثلة ـ لا أذكر اسمها الآن ـ وطلبت منها أن تتحجب وهي تمثل، فطردني الدقن وقال لي اخرج أنت لاتصلح للفن...، وقدمت الفرقة عدة أعمال مثل «عقل في المزاد» حول ماجرى لبورسعيد سنة ١٩٥٦ وأوبريت الوردة الحمراء ومشاعر

خرساء ولكن الفرقة لم تنجح لأنني لم أعتمد على عناصر نسائية.

● لكن مايردده عارفوك في السيدة يردده الإخوان أيضا؟

●● الإخوان يحاربونني دائما.. وأنا في الجزائر.. وأنا في الإمارات.. وأنا في الولايات المتحدة، لأنني أكشفهم، هم طلاب سياسة.. طلاب دولة وحكم حتى ولو بالباطل، والكثير من تلاميذي ذهبوا إلى الإخوان ولم يقتنعوا بموقفي منهم، لكنهم بعد الانتخابات الأخيرة عادوا يقولون لي لقد شاهدنا عيانا ماقلته فيهم.. لكن ليس معنى هذا أنني مع فضيلة المفتي د. سيد طنطاوي، لقد وضعت كتابا للرد عليه ولم أجد ناشرا له.

● وشيخ الأزهر؟

●● رجل معتدل وآراؤه معتدلة، وأنا ألتقي به دائما ويهديني كتبه بخط يده، واستشهدت بأحد كتبه عندما حاولت تأسيس حزب الصحوة

● إلى من تسمع من المغنين والمغنيات؟

●● أعوذ بالله، أنا حنفي المذهب، وهو أشد المذاهب تحريما للغناء، لا أتعمد ولا أقصد سماع الأغنيات بل أبتعد عنها، زمان كنت كلثومي الهوى لكن أم كلثوم انتهت إلى حيث كان يجب أن تبدأ، وبدأت من حيث كان يجب أن تنتهي بدأت بولد الهدى، وانتهت بالحب كله.

حلمي النمنم

■■ الموقف السياسي ■■

«لا.. يا شيخ!»

بقلم : إبراهيم سعده

من أعظم «الخبطات الصحفية» التي حققتها الصحافة المصرية - على مدى السنين العديدة الماضية - ذلك الحديث الذي أجراه الزميل الأستاذ حلمي النمنم مع الشيخ يوسف البدري، و نشره في العدد الأخير من مجلة «المصور». لقد أعدت قراءة الحديث أكثر من مرة، غير مُصدق ماأقراه، من جهة، وغير متصور- من جهة أخرى - أن هناك من السذج والجهلاء من يلجأ الى مثل هذا الشيخ - ونحن نستعد لاستقبال القرن الواحد والعشرين - طالبا منه أن يفتيه في أمور الدين والدنيا!

لقد كان الزميل حلمي النمنم موفقا كل التوفيق في تقديمه لهذا الحديث الذي جاء صدمة هائلة ومحزنة لكل من قرأه أو سمع عنه. فالأمر - كما كتب - لم يعد يحتمل مزيدا من الصبر. بالأمس كان نصر أبو زيد، واليوم نجيب محفوظ وهناك - كما أكد الشيخ البدري في حديثه - ٤٠ كاتبا أمام القضاء يواجهون الطعن في دينهم والاتهام بالردة والكفر، ويضاف اليهم ٤٠آخرون - من المفكرين والكتاب والفنانين والمبدعين - أقسم الشيخ على سحبهم للمثول - هم أيضا - أمام القضاء ليواجهوا نفس مصير من سبقوهم!

كثيرون - وأنا من بينهم - لايعرفون عن الشيخ البدري غير مايُنفرهم منه أو يضحكهم عليه، ويحض على عدم الاهتمام بما يقوله فضيلته او يفعله. فليس لدينا الوقت الذي نضيعه في الاستماع الى آراء وأفكار وفتاوى «الفاضي» الذي أصبح «قاضي»، لا همَّ له أو هدف غير تكفير الناس جميعهم، لينفرد وحده - بعد ذلك - بتعليمهم وتلقينهم «حكمه» و«مواعظه» و«إرشاداته» و«فتاويه»!

وكثيرون - أيضا- هؤلاء الذين افزعتهم سلسلة القضايا التي تفرَّغ الشيخ البدري لإقامتها خلال السنوات العديدة الماضية بهدف الإيقاع بأخوته المسلمين، عن طريق سحبهم الى ساحة القضاء، طعنا في إسلامهم، وتجريحا في أعراضهم، وتشهيرا بكتاباتهم، وتجريما لآرائهم، وتشكيكا في معتقداتهم وأخلاقهم ومبادئهم!

المصيبة الكبرى أن فضيلة الشيخ البدري قد لا يعرف خطورة الكارثة التي تسبب فيها، أو لعله يعرفها فتكون

٢٧ - ٢

المصيبة أعظم: من يصدق أن هذا الشيخ لا يتحرج عندما يعلن - بكل صفاقة - أنه لن يترك أعظم من أنجبته أمة العرب في فن الرواية والقصة والعربي الوحيد الذى فاز بجائزة نوبل في الأدب - الأستاذ نجيب محفوظ - ينجو «بجريمته وكفره» وسيسحبه الى ساحة القضاء!!

هذا الذى لا يتصوره أحد، قرأته بلسان الشيخ البدرى عندما قال فى مجلة «المصور»:

« إن نجيب محفوظ متهم بالترصد لكل الأفكار الإيمانية والعقيدة لدحضها وإبرازها كأنها مجرد تحف أو أنتيكة!».

وعندما قاطعه الزميل حلمى النمنم مؤكدا أن نجيب محفوظ يعلن باستمرار أنه مؤمن ومسلم ويرفض مثل هذا الفهم لأعماله، يجيب الشيخ البدرى بعد أن تقمص شخصية الحاكم بأمر الله، قائلا:

« له أن يصر على أنه مسلم، ولى أن أناقش أفكاره، وأحكم عليه منها! ففى رواية «الطريق» رمز الى الله باسم سيد سيد الرحيمى، وفى رواية «أولاد حارتنا» قدم الله فى صورة الجبلاوى!» ونفى الزميل حلمى النمنم هذا الفهم الخاطىء للرواية، لأن الرواية - كما قال - قائمة على الرمز ولا يوجد فهم نهائى للعمل الأدبى. ومرة أخرى لا يتقبل الشيخ البدرى هذه الحقيقة الأدبية والعلمية المتعارف عليها، ويصر فضيلة الشيخ على معاقبة نجيب محفوظ طبقا لفهمه المتحجر، وتعنته الأعمى، فيقول بكل بساطة:

- « لقد وضعناه فى الخانة، وهو رقم (١) وليس لنا سلاح إلا ورقة وقلما وقانونا ومحكمة! أمامنا القضاء، أما كيف تكون القضية فهذا لم نستقر عليه بعد! ومن ناحيتى جمعت دراسات كثيرة عنه، وملفه أعد وانتهى!».

ببساطة شديدة، وبيجاحة أشد، قرر حضرة صاحب الأمر والنهى فى عموم أمة المسلمين فى قارات الدنيا الخمس، أن يسحب حامل جائزة نوبل فى الآداب الى المحكمة، إلا إذا أعلن - كما أمر سيدنا الشيخ - عن توبته، وقام بحرق كل رواياته التى تمس العقيدة وليس رواية أولاد حارتنا فقط ويعلن - أيضا - أنه برىء ممن لا يحرقها، بل وأن يضع كتابا يرد به على نفسه!

ولم يكتف الشيخ يوسف البدرى بملاحقة كاتبنا الكبير، وحامل أعظم وأعرق جائزة فى الأدب العالمى، وإنما اتضح أن «جهاد» سيدنا الشيخ ضد من يصفهم - بكل شجاعة وبجاحة - بأنهم من: «المرتدين» و«الكافرين» و«المارقين» و«العلمانيين» لا نهاية أو حدود له، وأن «القائمة» طويلة وتضم عشرات من ألمع المثقفين والمفكرين والمبدعين المصريين! ويتحدث سيدنا الشيخ عن هذه القائمة فيقول متفاخرا:

- « القائمة، تضم عشرات، وتحديدا يصل العدد الى ٤٢ و٤٣، ونحن ندرس كل ملف بهدوء ونقرر الشكل القضائى الذى نسلكه ضد صاحبه»!

والمفاجآت لا تنتهى مع تصريحات سيدنا الشيخ الى الزميل مندوب مجلة المصور:

○ فهو يرفض الديمقراطية ويعتبرها: «رجس من عمل الشيطان»! ويرفض أن يكون الشعب هو مصدر السلطات كما تنادى الديمقراطية، لأن هذا يعنى - من وجهة نظر

٢٤-٢

سيدنا الشيخ - ان الديمقراطية ضد الدين الإسلامي، وتتنافى مع رأى وفكر التيار الإسلامى الذى يمثله ويتحدث باسمه ويطالب - حاملا شعاره ورافعا رايته - بتفريق العلماء والمفكرين والمثقفين والمبدعين عن زوجاتهم!

○ وهو يدافع عن الاستبداد الموروث من أيام الخلافة العثمانية، ويتحسر على أيامها، ويتمنى عودتها لتحكم أمة المسلمين مرة أخرى! ولا يكتفى السيد الشيخ البدرى بذلك وإنما نراه يتجنى على التاريخ فيقول بالحرف الواحد: «أما الخلافة العثمانية فليت أيامها دامت وليتها تعود ! إن السلطان عبدالحميد فقد منصبه لأنه رفض تسليم فلسطين لليهود». ويسارع الزميل حلمى النمنم فيصحح خطأ «الداعية الإسلامى الكبير» فيقول له :« غير صحيح ماتقوله. فالسلطان عبدالحميد رفض تسليمهم فلسطين وعرض عليهم أن يأخذوا سيناء - المصرية - بدلا منها، ولكن كرومر - غير المسلم - هو الذى رفض أن تقتطع سيناء من مصر».

وبدلا من ان يعتذر سيدنا الشيخ عن الخطأ التاريخى الذى سقط - عامدا متعمدا - فيه، وبدلا من أن يحاول تكذيب مؤامرة السلطان عبدالحميد على مصر وشعبها المسلم، فوجئنا بالشيخ البدرى يعترف بهذه المؤامرة ويؤيدها، معلنا - بنفس شجاعته أو بجاحته - : «ياخذون سيناء..ماشى، أما فلسطين.. فلا!».

هكذا - بمنتهى البساطة - يفاجئنا الشيخ البدرى بأنه كان يتمنى لو تم التنازل عن كل سيناء المصرية لتكون مأوى ودولة لليهود، بدلا من فلسطين! الشيخ الذى ينتمى الى مصر ويحمل جنسيتها وولد وعاش وتعلم فوق أرضها، نراه لا يجد أدنى حرج أو غضاضة فى منح اليهود أرضا مصرية لتقوم عليها دولة إسرائيل! الشيخ الذى يتوهم أنه خلق من أجل إنقاذ البشرية، ورفعة شأن المسلمين فى قارات الدنيا الخمس، هو نفسه الذى يتحسر - اليوم - على أيام السلطان العثمانى عبدالحميد الذى تآمر على مصر لصالح اليهود،وأبدى استعداده لإجبار المصريين على التخلى عن أرضهم فى سيناء وتقديمها هدية لا ترد الى يهود العالم ليقيموا دولتهم فوقها !

أى شيخ هذا الذى يُفرِّط - بمنتهى السهولة - فى أرض المسلمين؟! أى داعية إسلامى هذا الذى يتحسر على أيام حكم الشعب بالحديد والنار، ويعلن - بكل شجاعة أو بجاحة - أن الديمقراطية جاءت لضرب الإسلام، وأن حكم الشعب للشعب يعنى الكفر والزندقة؟! وأى مفتى فى الدين الإسلامى هذا الذى لا عمل له - ولا هدف - غير الإيقاع بالمفكرين والمثقفين والمبدعين والفنانين المصريين فى مصيدة التكفير والتجريح، توطئة لسحبهم الى المحاكم والمطالبة بإدانتهم، رغبة وأملا فى توقيع أقصى وأقسى العقوبات عليهم أخفها وقعا التفريق بين المتهم - المدان بالكفر - وبين زوجته؟!

إنها مهزلة حقيقية - وبكل المقاييس - أن نترك أمور ديننا ودنيانا ليتحكم فيها مثل هذا الشيخ وباقى أفراد جماعته الذين يعجبون به و يسيرون على نهجه! فالذى قرأته فى مجلة «المصور» عن هذا الشخص وعن أفكاره ونواياه وتاريخه المشبوه، افزعنى حقيقة..ورأيت أنه من

واجبي أن أعيد نشر هذا الحديث - في عدد اليوم من «أخبار اليوم» - حتى تتاح الفرصة أمام أكبر عدد من القراء للتعرف على هذا «الداعية الداهية» الذي يرفض الديمقراطية، ويطالب بعودة الحكم الاستبدادي، ويتنكر للشعب الذي ينتمي إليه، ولا يحترم البلد الذي يحمل جنسيته وهويته، ولا يخجل من أن يعلن أنه كان يتمنى لو أن اليهود أقاموا دولتهم فوق سيناء بدلا من فلسطين!

إن شخصاً واحداً تتجمع فيه هذه الصفات كلها - وغيرها - لا أراه، في تصوري، الشخص الذي يمكن أن يسعد أحد بمصافحته أو الاستماع الى مايقوله أو النظر الى مايفعله. شخص يتنازل بسهولة عن تراب بلده، ويتحسر على عهود الاستبداد، ويرى أن الديمقراطية ضد الإسلام، ويطارد مفكري ومثقفي ومبدعي وفناني مصر ويتهمهم بالكفر والزندقة، هو شخص ربما يحتاج الى زيارة إحدى المصحات التي يمكنها معالجة الروح والجسد.. معا!

إبراهيم سعده

٢٦

نقطة عبور

الهدف الحقيقى

فى تصريحات منسوبة الى فضيلته ولم يكتبها. قال الشيخ يوسف البدرى انه قبل ان يرفع قضية التفريق بين نجيب محفوظ وزوجته سيطلب منه الاستتابة عما كتب:

هل هذا معقول؟

هل يمكن ان يطلب احد من الجاحظ، او ابن خلدون، او شكسبير او تولستوى او احمد شوقى، او.. او.. ان يستتاب عما كتب؟ ما هو رد فعل اى منا لو قرأ عن واقعة مشابهة فى كتب التاريخ؟

الا يعلم الشيخ البدرى ان مؤلفات نجيب محفوظ التى ترجمت الى لغات العالم قد اسهمت فى التعريف بالاسلام على اوسع نطاق لأنها مكتوبة بمنظور اسلامى عميق؟

وهل لنا أن نتساءل عن الموقع الفكرى للشيخ يوسف البدرى الذى يستيقظ مبكرا ويمضى الى المحاكم ملوحا بالقلم الرصاص لتفريق الازواج عن زوجاتهم. لم نسمع شيئا عن اجتهاد قدمه فى مجالات الفقه والتفسير، مثل الشيخ محمد الغزالى او الشيخ محمد سيد طنطاوى، ولا نعرف له جهدا يمكنه ان يضعه فى مصاف الشيوخ العظام للاسلام فى العصر الحديث - الامام محمد عبده، والامام المراغى والشيخ شلتوت، ومع ذلك يقف فى المحكمة ليدلى بتصريحات تتناقلها وكالات الانباء، ويتردد اسمه فى اذاعات العالم. وتتصل به اجهزة الاعلام فينفى.. او يؤكد هل هذا هو الهدف؟

الا يدرى الشيخ البدرى ان مثل هذه التصريحات تنقل الى العالم كله. وتحرص وكالات الانباء على ابرازها منسوبة الى رجل الدين الاسلامى. لتصوير الاسلام نفسه على انه معاد للادب والفن وحرية التعبير، الا يدرى القائمون على رفع دعاوى الحسبة لتفريق الأدباء والمفكرين عن زوجاتهم انهم يقدمون افضل مادة ممكنة لأجهزة الاعلام المعادية للاسلام. لقد اصبحت النصوص الادبية الكبرى جزءا من حقائق التاريخ، فكيف يجيء من يدعى الوصاية على الادب والفكر ليطلب من هذا الاديب او ذاك ان يتوب عما كتب؟ عبر التاريخ كله لم يحدث مثل ذلك إلا أمام محاكم التفتيش فى الغربه والتى ارغمت جاليليو على سحب اعترافه بكشفه العلمى الخطير وهو ان الأرض تدور حول الشمس. لماذا لا تناقش الفكرة بالفكرة.. ويرد على الكتاب بالكتاب. الا يتفق ذلك مع ديننا الحنيف الذى علمنا ان نجادل الكفار - كفار قريش صريحى الكفر - بالتى هى احسن. هل مهمة الداعى الاسلامى الحق اليوم فى عصرنا المضطرب، والذى تواجهنا فيه تحديات شتى تهدد وجودنا نفسه، وتهدد لغتنا العربية، وثقافتنا، هل مهمته ان يستيقظ مبكرا ويذهب الى المحاكم لمطاردة الادباء والمفكرين، والتخطيط بالقلم الرصاص لفصلهم عن زوجاتهم وابنائهم واطفالهم والتشهير بهم. واشاعة مناخ من الرعب والارهاب الفكرى، ام مهمة الداعى هى الدعوة الحسنة الى طريق الله القويم. والبحث عن حلول لمشكلات الأمة فى عالم يتغير بسرعة. ويحمل إلينا تحديات هائلة مع دخول القرن الحادى

والعشرين، وعصر المعلومات. والتكنولوجيا المتقدمة، هل نسعى الى استيعاب هذا العصر ام انه سيبتلعنا؟ هل سننتقل إليه بقيمنا الروحية وتراثنا العريق. ام سنصبح كأهل الكهف، لا مكان لنا فى الحياة الدنيا؟ أليست المشاكل الاساسية جديرة بالمناقشة وطرحها والتفكير فيها.

● لماذا يسيء بعض المتحدثين باسم الاسلام الى ديننا الحنيف ويقدمون الى العالم ما يصوره على انه دين معاد للادب والتعبير؟

لماذا يتجاهلون سماحة الاسلام، وازدهار الثقافات المختلفة فى ظله بما فيها الثقافات غير العربية؟

● لماذا يصر بعض المشتغلين بالاسلام السياسى على معاداة الادب والفن الى حد اصدار الفتاوى بقتل الادباء والفنانين؟

● لماذا يتجاهلون حقائق التاريخ، وذلك التقدم الرائع الذى شهدته حركة الادب. والعمارة، والموسيقى، مع انتشار الاسلام شرقا وغربا لماذا لا يقرأون عن النهضة العلمية الجبارة التى حدثت فى القرن الرابع الهجرى؟ والتى كان اهم ملامحها حركة الترجمة الواسعة التى تبناها الخلفاء انفسهم وقامت اساسا على نقل علوم الثقافات القديمة. خاصة اليونانية الى العربية، ولولا هذه الحركة لضاعت ثقافات العالم القديم ولتخلفت البشرية قرونا، لقد استعادت اوروبا هذه العلوم مرة اخرى عندما ترجمتها فى عصر النهضة الى اللغات الاوروبية من العربية وكانت الاساس الذى قامت عليه الحضارة الاوروبية الحديثة، خلال القرن الرابع وصلت الحضارة الاسلامية عامة والعربية خاصة الى ذرى رفيعة تراجعت عنها الآن. واننى لأحسد اسلافنا من الكتاب العظام امثال الجاحظ والتوحيدى والهمذانى والشعراء العظام فى العصر الاموى والعباسى والفاطمى والمملوكى والعثمانى على ما كانوا يتمتعون به من حرية فى التعبير والقول، حرية يتضاءل الى جانبها كل المتاح لنا الآن ونحن نمضى عبر القرن الخامس عشر الهجرى. على امتداد التاريخ الاسلامى كله. وفى شتى مراحله، وفى مختلف الامصار التى دخلت شعوبها افواجا فى الدين الحنيف. لم نقرأ ولم نسمع عن حركات معادية للادب وللادباء للفكر والمفكرين كتلك التى تجرى الآن.

نعرف جيدا ان هذا كله مجرد خطوات على طريق يتستر الماضون فوقه بالدين واهدافهم سياسية فى جوهرها. لكن ما يلحق الاسلام من ضرر بواسطة بعض المسلمين.. فادح ومؤسف، لا نملك فى مواجهة ذلك إلا ان ندعو صادقين: اللهم احم الاسلام من بعض المسلمين.

جمال الغيطاني

المصدر: العربي
التاريخ: ٢٩ يناير ١٩٩٦

مشاغبات

محاكم تفتيش.. قطاع مختلط!

أخيراً وبعد ان كاد الصبر يحرق الدكان، أحالت الحكومة الى مجلس الشعب مشروع قانون بتنظيم إجراءات مباشرة دعاوى الحسبة في مسائل الأحوال الشخصية لتضييق الثغرة التي نفذ منها المتطرفون ليحاولوا استصدار منظومة من الأحكام القضائية، لفرض تفسيرهم المتزمت للنصوص الدينية، وقراءتهم الجاهلة للنصوص الأدبية والفنية على كل مجالات الابداع الأدبي والفني والبحث العلمي، بهدف تطويعها لتكون في القالب المحدود الذي صنعوه ويسيئون به الى الشريعة الاسلامية!

وهي محاولات وصلت الى ذروتها بصدور الحكم بالتفريق بين «د. نصر حامد أبو زيد» وزوجته، وبشروع الشيخ «يوسف البدري» ـ وعدد من المحامين في إقامة دعاوى حسبة ضد ٤٠ كاتباً وأديباً وصحفياً، في مقدمتهم «نجيب محفوظ» يطلب فيها الحكم بردتهم عن الدين الاسلامي، وبالتالي التفريق بينهم وبين زوجاتهم..

ومع أن رجال القانون والقضاء والكتاب والمفكرين يلحون على إصدار هذا القانون منذ أكثر من عامين، فقد ترددت الحكومة في اعداده وتباطأت في تقديمه، بينما لم تتردد في سلق القانون ٩٣ خلال ٤٨ ساعة، وهو ما يؤكد أنها لا تزال عازفة عن مواجهة أفكار المتطرفين بأفكار واضحة تنطلق من نصوص الدستور التي تصون حريات الرأي والتعبير والابداع الأدبي والفني والبحث العلمي، وبموقف هجومي يسد أمامهم سبل التحايل للانقلاب على الدستور، ويقلص من تأثيرهم على الرأي العام.

ولأنها «حكومة أصولية» تدعي كالشيخ البدري وبطانته احتكار الصواب، وتعتبر الاجتهاد في شئون الوطن تجديفاً، كما يشهد بذلك القانون ٩٣، فإنها لم تنظر لما يفعله الشيخ باعتباره مخططاً للانقلاب على الدستور، بل تعاملت معه باعتباره حليفاً فسكتت عنه حين توهمت أنه يهاجم خصومها، فلما وسع الرجل نطاق الاشتباهات على نحو كشف عن أنه اقام محكمة تفتيش قطاع خاص، اسرعت تقدم مشروع قانون بتاميمها ونقل ملكيتها الى القطاع المختلط استثناء من سياسة الخصخصة..

ونصوص القانون ومذكرته التفسيرية ـ التي لم يرد بها ذكر الدستور، وكان الذي كتبها هو الشيخ البدري نفسه ـ تكشف عن هذا بوضوح، فقد جاء لينظم اجراءات رفع دعاوى الحسبة، لا لكي يلغيها، فاعطى الشيخ البدري وبطانته حقاً قانونياً، لم يكن لهم منذ الغيت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية عام ١٩٩٥، على الرغم من صدور حكم قضائي لصالحهم، وانطلق المشروع في ذلك من رؤية محافظة، ترى أن الحسبة جزء من شرع الله، مع أنها

اجتهاد بشرى. بنظام إدارى لم يرد به نص فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية، وحلت محله سلطات عامة عديدة فى النظم الادارية المعاصرة، فلا محل للقول بأن مصادرته تفتح الباب للطعن فى دستورية القانون، بدعوى مخالفته للنص الدستورى الذى يقضى بأن تكون الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع، خاصة وأن المذكرة التفسيرية للمشروع لم تشر الى ذلك الاحتمال.

ولم يكتف المشروع بمنح الشيخ البدرى وبطانته، حق التقدم ببلاغاته ومستنداته للنيابة العامة، لتستمع الى أقوال أطراف البلاغ، وتجرى التحقيقات اللازمة، ثم تقرر فى النهاية اقامة الدعوى أو حفظ البلاغ، بل منحه - كذلك - حق الطعن على قرار النيابة بالحفظ أمام المحكمة الابتدائية، وكلفتها بأن تترافع فى الدعوى التى حفظتها اذا حكمت المحكمة بتحريكها، لينتهى الأمر الى نفس النهاية وهى اقامة محكمة تفتيش «قطاع مختلط» بين «الشيخ البدرى» والحكومة، تحكم على ايمان الناس وتفتش فى عقول المفكرين والادباء وتحول النصوص الأدبية والفنية الى أدلة اتهام، وتقحم النيابة العامة والقضاء فى مسائل النقد الأدبى والفنى، وتقودهما لاصدار أحكام بالكفر والتطليق، لابد أن تنتهى باطلاق الرصاص على المذنب من دون حكم!

المطلوب هو اصدار قانون يلغى دعاوى الحسبة و يسد الباب أمام ظاهرة التحايل لاصدار أحكام قضائية بالردة ضد الأدباء والفنانين والباحثين الاكاديميين، سواء باستغلال الثغرة الموجودة فى قانون الأحوال الشخصية، أو الغموض الذى يشوب بعض مواد قانون الاجراءات الجنائية، وليس إصدار قانون ينظم عمل محاكم التفتيش، ويحولها من قطاع خاص الى قطاع مشترك!

ويا أيتها الحكومة الاصولية: لا تقرصينى.. ولا عايز عسلك!

صلاح عيسى

أنا لا أطارد الفن فلا قيمة للحياة بدونه

الشيخ يوسف البدرى .. علا نجمه للظهور بعد رفعه سلسلة قضايا حسبة أبرزها كانت مشاركته فى قضية التفريق بين نصر ابو زيد وزوجته والتى لا تزال أصداؤها تسمع فى مصر وخارجها .. ثار حوله الجدل .. فالبعض اتهمه بانه بذلك يحارب الفكر الابداع .. والبعض الآخر اتهمه ايضا بمحاولته الظهور والشهرة من وراء رفعه لهذه القضايا الجديدة على المجتمع المصرى .. ومابين الاتهام الاول والاتهام الثانى تداخلت اتهامات وقضايا كثيرة طرحناها فى حديثنا معه الذى اتسم بالصراحة والجرأة ... وفيما يلى نصه

●● أنت متهم بالعمل على محاربة حرية الفكر والابداع وتضييق الخناق على الكتاب والفنانين بحثا عن الشهرة ؟

● من قال أننى احارب الابداع الفكرى ؟! لو فعلت لخالفت احكام الاسلام .. لقد جاء الاسلام ليحث العقل على النظر والابداع والنبى صلى الله عليه وسلم دعى اصحابه الى التعليم والابداع لاقامة الدولة المدنية .. لذا فاننى احارب فقط كل خروج على الدين أيا كان نوعه وهذا الخروج ليس مقصورا على هذا الزمان .. بل ان تاريخ الاسلامى حافل بهذا الخروج منذ العهد النبوى .

واسالك للدلالة على كذب هذا الاتهام من الكتاب الذين هاجمتهم ؟

لقد هاجمت نصر أبو زيد ونجيب محفوظ وسعيد العشماوى وكذلك محمود خيال وحسين أحمد أمين ولو انك صنفت هؤلاء لوضعتهم فى مكانهم الصحيح .. فهل ترانى هاجمت مائة ألف كاتب فى مصر ؟!

فما أحسب أنى اطارد الفن فلا قيمة للحياة بدون فن ولا أطارد الابداع ولا المثقفين .. فان حياتنا تصبح جافة بدونهم .. وقد تعجب لو علمت اننى فنان إذ كنت شاعرا ومؤلفا مسرحيا وقاصاً بل اكثر من ذلك -وهذا هو العجب- كنت صاحب فرقة مسرحية .. فأنا اهاجم فقط الخروج على التعاليم الاسلامية



.. «ومن راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان» .. وكان لزاما علينا ان نقرع نواقيس الخطر ونوقظ الناس بعد ان انشغل الناس بلقمة الخبز والضائقة الاقتصادية واغفلوا المعنى السليم للاسلام .. وعرفوا منه القشور وتهال جبال النسيان فوق تعاليم الاسلام ويتم تقديم متعة مقروءة او مسموعة او مرئية تتملق غرائزهم وتشبع جفاف حياتهم فى شكل مغلوط بعيدا عن الاسلام .. وهذه القضايا التى نرفعها نبهت الناس فعلا الى معانى الاسلام الحقة .

●● ولكن قضية ابو زيد بعد كل ما حدث فيها لم تشغل غير المثقفين والمهتمين فقط اما باقى الناس فلم يدروا عنها شيئا ولم يهتموا وهذا على عكس ما تقوله .

● بل العكس هو الذى حدث فالناس كانت متلهفة الى معرفة الحقيقة ولقد سمعت من مسئول يتولى وظيفة قياس الرأى العام ان الامر فى البداية كان تعاطف الناس مع نصر أبو زيد ولما انكشفت الحقائق بدأت الناس تقف ضده .. وقد تنفست الصعداء عندما علمت أن جميع طلاب كلية الآداب جامعة القاهرة قرروا عدم حضور محاضراته بالكلية حتى فارقها غير مؤسوف عليه الى هولندا .. ونحن نخدم الاسلام لوجه الله تعالى وننبه الرأى العام الذى طغت فيه المادية على القيم الروحية وفسد ذوقه وساء تدينه ورضي بالقشور والفتات الذى يلقى اليه فى حين اتخم من برامج تجعل الخروج على الاسلام هى الاساس وتجعل التدين هو الاستثناء وهذا مذهب ادبى معروف فى الكتابة والفن اسمه «البنيوية» .. وهذا المذهب يعنى بتمرير صور الحياة المراد تلقينها للناس والاجيال على انها الوضع الطبيعى عن طريق تسللها فى الشعور واللاشعور بحيث تبدو وكانها طبيعية فيفقد الناس حاسة النقد خصوصا اذا تم تقييم اعلامى لتعاليم الدين والاخلاق والفضائل .. وقد اشار الرسول الكريم الى ذلك فى احاديث كثيرة

●● لماذا تلح الآن فى مسالة رفع الدعاوى فى حين انك لم تكن تنهج هذا النهج قبل ذلك ؟

● دعاوای هذه تتبع مبدأ الاسلام الاصيل المسمى بالحسبة بمعناها الصحيح .. والحسبة تسمى فى الفقه الاسلامى دفع الصائل بمعنى رد الخطر .. ودفع الصائل نوعان : اما ان يكون الصائل بقصد الامور الشخصية لفرد واحد ويسمى الدفاع الشرعى الخاص .. واما ان يكون الصائل يتعدى الكل المشترك من مقدرات ومقدسات ومثل مجتمع باكمله ويسمى الدفاع الشرعى العام .. ودفع الصائل مبدأ اسلامى يتغير فى اسلوب ممارسته بتغير الاماكن والازمنة والمجتمعات وقد كنت فى شبابى افعل ذلك عن طريق مزاولة الحسبة عندما كنت مدرسا ثم كداعية فى المساجد ثم زاولتها عندما كنت عضوا فى مجلس الشعب .. فلما تم ابعادى منه زاولتها عن طريق القضايا التى كانت اولها قضية حزب الصحوة والتى مكثت اربع سنوات اترافع فيها امام مجلس الدولة فلما انتهت برفض الحزب رفعت فى نفس العام قضايا الحسبة ..بدأناها باعلانات السينما «الافيشات» ثم بنصر أبو زيد ثم بالصحافة واخيرا بالافلام ومستقبلا هناك قضايا كثيرة لن نفصح عنها الآن حتى نتمكن من دراسة اجراءاتها ونتائجها ومدى فائدتها للمجتمع .. لكل هذا فاننى اوضح اننى لم اكن فى رفع القضايا مبتدءا بعمل ولكنه تطوير لعمل .. وقد تدهش حين تعلم ان تهمتى الوحيدة التى اتهمنى بها النبوى اسماعيل عام ١٩٨١ هى تكوين جماعة سرية للامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الحسبة) لقلب نظام الحكم بالقوة والتى بناء عليها اعتقلنى السادات قبل احداث التحفظ فى سبتمبر .. ولقد اردت ان تكون ولاية الرئيس مبارك ولاية حسبة اذ اننى عندما التقيت به فى فبراير ١٩٨٨ عرضت عليه فكرة انشاء وزارة الحسبة ووافق عليها وحول الامر الى د. عاطف صدقى .. واذكر ان جريدة الاحرار كانت اولى الصحف فى التنويه عن هذه الوزارة .. وقد سرت انباء مؤكدة بانشائها .. حتى عندما سئلت هل احب ان اكون وزيرا لهذه الوزارة ؟ فاجبت باننى ارفض اى منصب ادارى تنفيذى وقدوتى فى هذا الامام الاعظم ابو حنيفة .

●● ما صحة ما تردد بانك ستقيم دعوى قضائية للتفريق بين نجيب محفوظ وزوجته ؟ وايضا ستقيمها على ٤٠ كاتبا ؟

● ما تردد بشأن نجيب محفوظ هو حديث كاذب ومختلف وقد كذبته وكالات الانباء العالمية وسوف اقاضى المحرر الذى نشر ذلك فانا معجب بكتابات نجيب محفوظ كأسلوب رصين يحمل بصمات اصالة اللغة العربية ورونق المعاصرة القوية إلا اننى ارى انه بقدر ما يتمتع من جمال الاسلوب بقدر ما يتمتع من تحويل القصص الحق الى القصص الباطل وتزيين الباطل على انه الحق .. وانا لا احاكم نوايا نجيب محفوظ .. فالنية غيب لا يعلمه الا الله .. ولا احاكم ايمانه فما على من حسابه من شىء ولكننى اقف ضد كتاباته التى اهانت نصوص الاسلام .. ان قصة «اولاد حارتنا» صدمتنى عندما كنت طالبا بالليسانس وجاءت قصة «الطريق» لتصدمنى اكثر وجاءت «التركة» بعد ذلك كعمل ادبى تمثيلى لتخبطنى حين تقول بعلانية : يا علماء الاسلام لا تشغلوا الطريق ودعوا الامر لعلماء الدنيا !! ثم قرأت فى «المرايا والشحاذ» مازاد من حدة توترى وجعلنى اتأكد ان نجيب محفوظ يرى ألا جدوى او فائدة من البحث عن حلول اسلامية لان البحث عنها ينتهى الامر به الى الجريمة والضياع والقتل والسرقة .. مما دفعنى الى تحذير الناس طوال سنين حياتى من كتاباته .. ومن هنا فان موقفى من نجيب محفوظ يدعونى الى نصحه باعتباره مسلما ان يفعل كما يفعل د. مصطفى محمود عندم كتب «حوار مع صديقى الملحد» وان يعلن رجوعه عما كتب وان يبرأ الى الله قبل فوات الاجل وان يفعل كما فعل ابو الحسن الاشعرى عندما كان معتزليا فلما تاب الله عليه احرق كتبه امام الناس وتبرأ منها والف كتاب «الابانة» يرد فيه على نفسه ويعلن توبته .. اما مسألة رفع قضية عليه اوعلى اربعين كاتبا فهذا فى علم الغيب ولكننى ساكون عند حسن ظن نجيب محفوظ واشكره على ثقته بنا .. وكنت اقصد باربعين ليس عدد الكتاب ولكن للتنويه عن كثرة القضايا التى ادرسها محاولا تطبيق الشريعة الاسلامية عليها بواسطة قلم القضاء .. وهناك ظواهر فى المجتمع ادرسها قانونيا واعلم مخالفتها للقانون وعند تكييفها قانونيا سوف تتخذ الاجراءات الكفيلة اما ماهى وكم عددها فهذا امر يعلمه الله .

●● ماذا لو الغى مجلس الشعب نظام الحسبة ؟

● لم ارفع قضايا الحسبة عن طريق قانون الاحوال الشخصية إلا فى قضية نصر أبو زيد .. ولم ألجأ لهذا الاسلوب فى باقى القضايا .. واطمئنك انه دستورى لا يجوز إلغاء الحسبة فى الأحوال الشخصية .. ولو تم إلغاؤه فامامنا المحكمة الدستورية العليا .. وقد يغيب عن البعض عدة حقائق نذكر منها ثلاثة :

الاولى : ان المحكمة الدستورية العليا قضت منذ ١٥ عاما بعدم دستورية كثير من مواد القانون المصرى لانها تخالف المادة الثانية من الدستور إلا انها قضت بوجوب احترام القانون حتى يتم تغييره واستحثت مجلس الشعب بسرعة اصدار القوانين الدستورية غير المخالفة للمادة الثانية والقاضية بان الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .

الثانية : أن القانون الموضوع حاليا يجيز رفع قضايا حسبة من اللجوء الى التفرقة بين الزوجين فى حالة خروج أحد على تعاليم الاسلام

الثالثة : اننا فى مستقبل ما نثيره من قضايا لن نستخدم قانون الحسبة بوجه عام إن شاء الله .

أجرى الحوار :
أحمد سيد

المصدر: الشعب
التاريخ: ٢٠ يناير ١٩٩٦

الإبداع وحرية التعبير والحسبة:

الشيخ يوسف البدرى يرد على الحملة الصحفية:

أرادوا استخدامى لتمرير القانون.. وحرفوا أقوالى

الرئيس مبارك وافق على إنشاء وزارة للحسبة فى فبراير ١٩٨٨م!!

وبداية.. يهمنا الإشارة إلى بعض القضايا التى تاهت وسط الضجيج الإعلامي والزوبعة المثارة حول حرية الراى والتعبير، وقضايا الحسبة: اولى هذه القضايا: ان المفاجاة الحقيقية التى وجدناها بعد بحث وسؤال المحامين الذين رفعوا دعاوى قضائية ضد بعض الكتاب والأدباء، انهم لم يحركوا هذه القضايا، وبالتالى لم يكسبوا سوى قضية واحدة ضد كاتب واحد (وللاسف جنى عليه اصدقاؤه ومشايعوه قبل اعدائه) وهو الدكتور نصر حامد ابوزيد، وان باقى القضايا هى قضايا سب وقذف عادية يستطيع اى مواطن ان «يرتكبها»، او ان (يرد عليها بالقانون).

وعليه فإن الامر يشككنا فورا فى دوافع من اثار الضجة، وخبث اهدافه وانه ليس إلى هذا الحد غيورا على «الإبداع» و«حرية الراى»، وإلا لما خلط كل الاوراق وكل القضايا إلى درجة اننا تخيلنا ان كل كتاب مصر قد رفعت عليهم دعاوى حسبة!!

ثانى هذه القضايا: ان من أثاروا الحملة لم يذكروا للراى العام موقفهم من قضايا الحريات وتزييف إرادة الامة فى الانتخابات، وكان الامور تتجزأ عند هذه النقطة، وكأن حرية التعبير السياسية مبتورة تماما عن حرية التعبير الفنية والادبية، وأن علينا أن «نبلع» هذا التزييف للقضية وهذه الثنائية العجيبة فى التعامل معها، وفى حين يرى العقل والمنطق أنها قضية واحدة مترابطة يوصل بعض اجزائها إلى البعض الآخر، وانه لا يستقيم فصل الدفاع عن حرية الانتخابات والحريات السياسية، وحقوق الإنسان، واقتصاد الوطن الذى يباع فى «المزاد» وقضية فلسطين التى يبيعونها هم الآن، عن قضايا حرية الإبداع، والعنف والتعبير الثقافى.

ثالث هذه القضايا: اجمع كبار الكتاب وفقهاء القانون على أن لكل مجتمع، ولكل قضية ضوابطها الاجتماعية، ومحرماتها، ومن العبث الادعاء بغير ذلك.. وليست هناك «حرية مطلقة» فى اى من المجتمعات الإنسانية سواء اليوم او فى الماضى، وما يقال عن غير ذلك فهو مجرد عبث ولغو لا معنى له، «والإسلام ثقافة وعقيدة وحضارة» هو اول من كفل حرية الإبداع، والتعبير، والراى، ألم يتحاور الله سبحانه وتعالى وفقا للنص القرآنى مع «إبليس» وفى ذلك أكبر دلالة على وجوب الحوار بالحسنى حتى مع (الشياطين)، فقط ثمة ضوابط عقلية وعقائدية ينبغى أن تضبط سلوك ونتاج المبدع، والرأى، والتعبير، وهى ضوابط تتصل بمصلحة الامة والعقيدة.

رابع هذه القضايا: أننا بالبحث والتحقيق فى جميع القضايا التى قيل إن هؤلاء المحامين والدعاة قد قاموا برفعها ضد بعض الكتاب، وجاءت بعد أن منعوا من الرد عليهم -صحفيا أو إعلاميا- عليهم ولم يسمح هؤلاء الكتاب بممارسة (حرية التعبير) بالمعنى الصحيح، والجاوهم قسرا إلى (المحاكم) كإسلوب أخير ووحيد لإبداء مخالفتهم فى الراى، بعد أن أغلقوا أمامهم مساحات الهواء الصحفى النقى، ولو صدق هؤلاء المحامون فيما قالوه، لتاكد لنا أيضا أن الضجة التى اثيرت، كانت على غير أساس موضوعى، فالذى يطالب بالإبداع أو «الفلتان» على حد تعبير المفكر والفقيه القانونى د. عصمت سيف الدولة، لم يمتلك الشجاعة الادبية فى السماح للأخرين من خصومه بتقديم وجهة نظرهم واعتراضهم على أمور تمس عقيدتهم، فهل نطمئن بعد ذلك على صحة دعاوى هؤلاء (المبدعين)، وصدق (إبداعهم)؟!

خامس هذه القضايا: هو ما يتصل بالاديب الكبير / نجيب، محفوظ، فهنا يتبدى الزيف الشديد، وكلمات الحق التى أريد بها -بالفعل- الباطل بعينه، فى تلك الحملة المثارة حول الحسبة (والحسبة بالمناسبة هى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر)، فبالتفتيش والسؤال والتحقيق وجدنا أنه لم ترفع دعاوى حسبة على أديبنا الكبير حتى هذه اللحظة، وأن ما يثار هو خلاف معه فى الراى حول رواية «أولاد حارتنا» ولم يتعد الامر ذلك.. فلماذا أقحموا اسم نجيب محفوظ فى هذه الحملة بهذا الخبث؟ إن الهدف واضح إذن وهو إعطاء الحملة طعما ومذاقا مقبولا حتى نبلعها بدون (دماء) لما لنجيب محفوظ من حب ومنزلة فى قلوب المصريين جميعا.

حملة ظالمة يريدون بها باطلا

س: منذ ايام وبعض الصحف والمجلات الرسمية تشن عليك حملة صحفية ناقدة استنادا إلى حديث صحفي سبق ان ادليت به لمجلة المصور واقوال لك بشان مسالة الحسبة.. وحرية التعبير ومحاكمات الكتاب، ماتعليقك؟

جـ: احب أن أقول إن هذه الحملة إنما تبغى تلك الاقلام من ورائها اولاً: استرضاء السلطة، وثانيا التمهيد لضرب تشريع إسلامى آخر مثل التشريعات المضروبة، ونحن نعلم أنهم لما ارادوا إلغاء المحاكم الشرعية قاموا بحملة ضد القاضى «سيف» والقضاة الآخرين، وعندما ارادوا ضرب الاوقاف قاموا بضرب الشيخ الباقورى أيامها، وعندما يقومون بضرب أى تشريع يخالف ويعارض اهواءهم يمهدون له بحملة ظالمة، وهذا عهدنا معهم، وبالذات تلك الصحف المسماه

بـ«القومية».

وعموماً.. الـذى قالوه عنى، كله كـلام مبتسر مقطوع من سياقه، مثـل الذى قال (ويل للمصلين) ثم صمت بعد ذلك لم يتم كـلامه. على سبيل المثال عندما تحدثت فى الحوار الصحفى عن رفض السلطان عبد الحميد تسليم فلسطين لليهود، قال المحرر (ولم اقل أنا وأتحدى أن يظهر الشريط): «لقد عرض عليهم سيناء» قلت له: يا ليتهم جاءوا إلى سيناء كنا قد ذبحنـاهم بأظافرنا وقضينا عليهم»! هـذا القول للأسف لم ينشر كاملاً ومانشر فقط هو قول يفهم منه أننى أريدهم فى سيناء بدلاً من فلسطين.. أترى كيف يحرفون الكلم عن مواضعه؟!!

كذلك مســألة «الديمقراطية»، حرفـوها عن موضعها ايضـاً.. وغيرها.. وغيرها.. إنهم جميعاً يتمسحون فى الوطنية، ونقر أننـا أشد وطنية من كثيرين، وأحرص على بلادنا وأمنها وسلامتها ودينها من كثيرين.

إنهم فى تقديـرى يهدفون إلى تعطيل الـدستور، ونحـن نريد إعمالـه، ونستخدم الطريق القانونى والقضائى الراقـى السلمى، فإن حكم القضاء لنا فيما رفعناه من قضايا تقبلناه وإن حكم علينا تقبلناه برضاء. والورقة والقلم والقضاء والقانون هم الفيصل.

فلماذا هم غاضبون؟ لماذا هم عاصفون؟ لماذا مقالاتهم حامية وساخنة؟

أما بالنسبـة إلى الإبداع، فليبدع كل إنسـان مايبدع، وكلنا معـرضون للخطأ إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو المعصوم.. وعليه فليصحح بعضنا لبعض مايخطىء فيه. وأمـة الإسلام، أمة محتسبة، تدعو إلى المعـروف، وتنهى عن المنكر، فهى إذن مهمة ثـابتة ودائمة ومتصلة، ولـو ضاع منها الاحتساب لانتفـت صفتها كأمة إسلامية، قال تعالى [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـون بالله]، وقدم الأمر بالمعروف والنهـى عن المنكر (أى الحسبة) على الإيمان بالله؛ أى أن الإيمان بالله لا يكتمل أساساً إلا إذا كان الإنسان غيورا على دينه، وعلى أمته، وعلى مقدساتها، والرسول عليه الصلاة والسلام هو أول محتسب فى تاريـخ أمة الإسلام؛ لأنـه يأمر بالمعـروف وينهى عن المنكـر وفقاً لنص الـآيات القرآنية.

أعود فأقـول: إن هذه الحملة ضدى، لسـت مقصوداً بها لذاتى، فـأنا شخص لا أترأس حزباً أو صحيفة أو أملك حصانة برلمانية، أو نفس وسائلهم، كل ماأملكه هو الدعوة، والاستخدام السلمى للقانون والـدستور، الذى يزعمون الإيمان به، فلماذا هم غـاضبون؟ إنها حملـة يراد بها مـاهو أكبر مـن ذلك.. يـراد بها تمرير قـوانين وتشريعات أخرى مضادة.

لم نرفع سوى قضية واحدة للحسبة

س: ماذا عـن القضايا التى قمتـم برفعها على السينما، والكتاب؟ وهـل هى قضايا حسبة؟

جـ: قمنا بـرفـع قضـايا على الإعـلانـات الخليعـة فى السينما، وحكم القضـاء لصـالحنـا، وحكم القضاء لنـا فى قضية (نصر أبـو زيد)، وقضية (روزاليـوسف)، و(طيور الظلام) والعجيب أننا لم نرفع سوى قضية حسبة واحدة، هى قضية نصر أبو زيد أما باقى القضايا، فهى قضايا سب وقذف عادية، وكونهم يخلطون الأمور والدعاوى ببعضها فمعنى هذا أنهم يريدون شيئاً آخر غير الحقيقة والحق.

س: ماذا عن الـ ٤٠ ملفا الذين أعددتهم لكتاب وفنانين؟

جـ: أنا أتحدى من كتـب هذا الكلام أن يبرز (شريط التسجيل) الذى يـزعم أننى قلت فيه ذلك، ثم من قال إننى أعد الملفات بهدف رفع الدعاوى فحسب، لماذا لا يكون هدفى هو القيام بالإعداد للتقدم بتشريعات جديدة!! وأنا أتحدى أن أكون قد قلت: إن هذه الملفات لرجال أريد رفع دعاوى عليهم.. أتحدى.

س: وماذا عن نجيب محفـوظ وماتردد عن أنك سترفع عليـه دعوى حسبة

تحقيق يكتبه: د. رفعت سيد أحمد

هو الآخر؟

جـ: غير صحيح.. نجيب محفوظ أنا واجهته قبل ٧ سنوات مضت، وليس اليوم، وإلى هذه اللحظة لم أرفع عليه قضية، فلماذا إثارة الموضوع الآن؟! إن ماقيل عن هذا الموضوع حديث ملفق لا أساس لـه من الصحة.. فنحن رغم خلافنا مع نجيب محفوظ إلا أن الأمر معه لم يتجاوز (الحوار) والدعوى، وإظهار الأخطاء في رواياته، والتى يمس بعضها العقيدة.

س: بماذا تفسر حملة (أخبار اليوم)، ومن قبل (المصور) تحديداً ضدك؟

جـ: إنهم أرادوا استخدامى لأهداف أخرى يريدونها، وهي تمرير التشريع الجديد الخاص بالحسبة، ولكننى أعدهم بأنهم لن يفلتوا من يد العدالة لما قاموا به من تحريف لأقوالى ومن اجتزاء لها ومن سياقها.. أعدهم.

حرية التعبير والإبداع

س: تحملنا ظلال هذه الحملات الصحفية وما حولها، إلى سؤال مباشر لكم بصراحة: مارؤيتكم لحرية التعبير، وحدودها؟

جـ: إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مزوداً بمواهب: الصوت الجميل، الألفاظ الجميلة، الخيال الجميل، ولقد شد الخيال بالنسبة للصوفية في العهد الأوسط في الإسلام أذهان الناس جميعاً، ولو قرأت كتب ابن عربى والقناوى والجيلانى والسهروردى، لرأيتهم يركزون على الخيال.. من إذن أنكر الإبداع؟ النبى -صلى الله عليه وسلم- كان يقص القصص، والقرآن الكريم ملىء بالقصص والتعبيرات التى هى المثل الأعلى لكل شىء، إلا أن هناك فرقاً بين القصص الحق والقصص الباطل. والله سبحانه وتعالى لايحب الجهر بالسوء من القول. حرية التعبير مكفولة بالشرع: والشعر كالكلام طيبه طيب وقبيحه قبيح. ولولا الإبداع لما ألفت كتب التفسير الحديث، وأصول الفقه، والتجويد وغيرها. الإسلام جاء بعدة فنون وأطلق لحقل العنان ولكنه وقف به عند حدود الشرع. والحرية المطلقة غير المحددة بحدود تحترم عقيدة الأمة ومصالحها تتحول إلى فوضى، والإبداع فى حدود المسموح به دينياً وحضارياً، مباح ولأقصى مدى، وغير ذلك لا يصير إبداعاً بل يتحول إلى كفر أو هجوم أو قذف.

القرآن والحسبة

س: عودة إلى مسالة الحسبة.. وللاستزادة: هناك من يقول: إنه لا نص قرانيا ولا حديث نبويا صحيحا بشانها وإنها مجرد اجتهاد بشرى ظهر مع الدولة العباسية، ما قولكم وانتم من دعاتها اليوم؟

جـ: الامة الإسلامية -كما سبق واشرت- أمة محتسبة، والاحتساب هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهى لذلك خير أمة، وعندما وصف الله المجتمع المؤمن قال: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله). ولقد زاول الرسول -عليه الصلاة والسلام- الحسبة من اول يوم وأمر المسلمين بها فقال: (من راى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)، وهناك أحاديث كثيرة منها: (لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحملن الظالم على الحق أو ليضربن قلوب بعضكم البعض وتدعونه فلا يستجاب لكم) وغيرها، حتى أن المعتزلة ذوى الاصول الخمسة، كان الاصل الخامس عندهم: الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اى «الحسبة». والحسبة كانت وظيفة منذ عهد النبى عليه الصلاة والسلام، كان يولى بعض صحابته على الحسبة إلى أن جاء عمر فنظمها إدارة وكان قد ولى «السيدة الشفاء» اول وزيرة حسبة فى التاريخ الإسلامى، وكانت تمر ومعها الأعوان وتمر فى الاسواق وفى كل مكان تامر بالمعروف المهدر وتنهى عن المنكر المرتكب: وهناك عشرات الكتب فى هذا المجال منها (كتاب: نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامى فى القرن الثامن الهجرى، وكتاب القربى فى أحكام الحسبة -سنة ٦٢٨ هجرية، كتاب نهاية الرتبة فى ظل الحسبة المؤلف فى القرن السادس الهجرى، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية وكتاب القاضى عبد الجبار الأصول الخمسة والأحكام السلطانية)، وكتب الفقه الإسلامية العديدة جعلت الحسبة اصلاً من الأصول الخمسة والشواهد عديدة والأدلة التاريخية بينة وهى

ترد على من يقول: الا نصا او حديثا او تاصيلاً فقهيا لهذه القضية المهمة.

من الذى يقوم بالحسبة؟

س: هل من حق اى فرد فى الامة ان يقوم بدور «المحتسب» الآن وفى هذا العصر ام هى مهمة النائب العام، كما اشار بعض فقهاء القانون؟ وهل يدخل فى هذا المجال (الإبداع) و(حرية التعبير).. نريد رايكم؟

جـ: يحدثنا التاريخ أن «محمد على باشا» قام بتوزيع مهام الحسبة على العديد من الوظائف (قيل: إنها وصلت إلى ٣٠ وظيفة) منها: شرطة الآداب –ائمة المساجد –مفتشو التموين –مامورو الضرائب –مفتشو المدارس، فاى جهة تقوم بالضبطية تعتبر جزءاً من وظيفة (الاحتساب)، وكل الأماكن الآن بها ضبطيات إلا (الإبداع الكلامى). كان هناك فى الماضى القريب، والذى للأسف تطور دوره ليصبح من مراقب لحدود الشرع والإسلام فى هذا الإبداع إلى رقيب لمصلحة سياسة الدولة. وأؤكد كذلك أن حاكم مصر (الرئيس مبارك) فى لقائى به فى فبراير ١٩٨٨ قد اتفقت معه ووافق على إنشاء وزارة للحسبة!! فلماذا يثيرون هذه الضجة الآن وقد سبق ووافق رئيس دولتهم على مضمونها (اى مضمون الحسبة) بل ووافق على إنشاء وزارة لها: لماذا؟ الا يكشف ذلك عن حقيقة نوايا هؤلاء وسوء قصدهم.

الحوار قبل الجزاء

س: لماذا لم تجربوا وسائل اخرى من الحوار مع المختلفين معكم فى الراى قبل ان تقوم برفع دعاوى الحسبة او السب او القذف.. الم يكن هذا اجدى؟

جـ: بل قمنا بمحاولات كثيرة للحوار معهم وكانوا هم يرفضون ويمتنعون، فمثلاً بالنسبة لقضية الحسبة الوحيدة (لاحظ الوحيدة يعنى هذه الضجة الكبرى تقوم على غير أساس وتخلط كل الاوراق معاً)، فلقد حاولنا الحوار مع نصر ابو زيد عدة مرات وارسلنا له إنذارات قضائية، ودعوى وطلب أن يعود عن افكاره (التى للأسف اشاعها أتباعه على صفحات الأهرام ولم نكن نحن الذين اشعناها، هم الذين حفروا له ونبشوا)، ولقد تم توضيح المنكر الذى وقع فيه ثم دعوناه فى نهاية المذكرة القضائية إلى الحوار والتوبة عن هذا المنكر.. إلا أنه أبى، ومع ذلك نحن حتى اليوم لم نستخرج صورة رسمية لحكم الاستئناف لتنفيذ الحكم، ولن نستخرج هذه الصورة لأننا نريده أن يقلع عن الخطأ ويتوب، ولسنا هواة تفريق بين الازواج كما يصورون فى صحافتهم، بل نحن أحرص منهم على رباط الزوجية والاسرة، ولم نكن لندخل هذا الباب (باب الاحوال الشخصية) لو أن القانون كان قد كفل لنا باباً آخر لكشف المنكر والردة لدى البعض، إلا أنه للأسف لم يترك لنا مجالاً غير هذا الباب. وهم الآن يغلقونه بالتشريع الجديد المقدم منذ أيام لمجلس الشعب.

بالنسبة للقضايا الاخرى، سبقها جميعاً طلب الحوار، وإنذارات بتصحيح الأخطاء، وطلب بنشر ردودنا على ما أثير ضدنا مثلاً من سب وقذف، إلا انهم للأسف لم ينشروا لنا كلمة واحدة ولم يقبلوا الحوار.. فماذا نفعل؟ لقد اضطررنا لاستخدام حقنا القانونى السلمى، الذى كفله لنا القضاء والقانون؟! وهل لنا طريق غيره؟! خبرنى بالله عليك اين أناقشهم؟! هم متاح لهم كل الصحف، ووسائل الإعلام، ونحن محرومون منها، بالله عليك إن امسكنا مدفعاً قالوا إنكم إرهابيون، وإن ارسلنا مقالات لم تنشر، والقيت فى سلة المهملات، او شوهت وحرفت كما فعل (إبراهيم سعدة) وإن نحن ذهبنا إلى المحكمة قالوا: (الفاشيون قادمون).. ماذا يريدون هل نصفق لهم ولسياساتهم وأفكارهم حتى لو انحرفت عن عقيدة الأمة ومصلحتها؟! قل لنا ماذا نصنع؟! وماذا نقول لربنا؟! ولو وقفت ساكتاً لسألنى الله لقد أعطيتك لساناً وقلماً وقضاء وقانوناً، وانا اريد ان ابرىء ذمتى امام الله.. وأنا –والله– لا اريد شهرة.

الديمقراطية والشورى

س: نشر على لسانكم ان (الديمقراطية ليست من الإسلام).. ماذا تقصدون تحديداً بذلك؟

جـ: إننا قصدنا تحديداً تلك الديمقراطية التى قال عنها د. ثروت بدوى: إنها تمثل حكم الأقلية ولا تمثل الأغلبية، إنها بالمعنى الإسلامى (الجبرية): أما ما نؤمن به فهو (الشورى) وفقاً لما اتى به الإسلام والرسول الكريم: فإذا فهمت الديمقراطية وفقاً للفهم القرآنى والإسلامى للشورى، فنحن لا نعاديها، أما إذا فهمت وفقاً للتقاليد والفهم الحضارى الغربى، فنحن نرفضها، ولدينا فى الإسلام ما هو ادق وانفع واعمق.. لدينا الشورى، وحتى هذا المعنى الرائع، والمحدد، قاموا بتحريفه على لسانى واجتزائه من سياقه الصحيح، الم اقل لك: إنهم كانوا يهدفون إلى التشويه وليس البحث عن الحقيقة؟! وهكذا هم دائماً وتاريخياً.

للبحوث والتدريب والمعلومات

المصدر: آخر ساعة

التاريخ: ٢١ يناير ١٩٩٦

الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف يتحدث إلى « آخر ساعة » :

هذا هو الرد على أباطيل خصوم الاسلام

● الإسلام لم ينتشر بحد السيف. وإنما بالإقناع فقط.

● حديث يكتبه : ● حسن علام

● الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - عالم جليل تزخر المكتبة الاسلامية بالعديد من مؤلفاته فى الفلسفة والأخلاق والفكر الاسلامى، وترجمت بحوثه العلمية فى الرد على خصوم الاسلام باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والأندونيسية والتركية، ومثل الأزهر الشريف فى مؤتمرات عالمية عديدة اهمها مؤتمر الحوار بين الأديان..

وفى حديثه الهام «لآخر ساعة» يتولى الدكتور محمود زقزوق الرد على شبهات وأباطيل المستشرقين من خصوم الاسلام بالرأى والحجة والمنطق والدليل فى كل ما أثاروه فى الاعلام الغربى من مغالطات علمية وفكرية وتاريخية فى هذا العصر الذى اشتد فيه الكيد للإسلام والمسلمين فالمؤامرة على ديننا الحنيف (من قبل أعدائه وخصومه) قديمة قدم الإسلام نفسه، تشتد حينا.. وتخبو حينا آخر !

المصدر: صباح الخير
التاريخ: ١١ يناير ١٩٩٦



بيت الطاعة ليس له أساس فى الشريعة الاسلامية

● وزير الأوقاف الدكتور محمود زقزوق يتحدث إلى حسن علام ● تصوير: خالد الباجورى



سالت الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف :

● شكك المستشرقون من أعداء الاسلام بعدم صلاحية ديننا لقيادة حركة الحياة فى هذا العصر وأنه يملك نظرية للحكم.. فبماذا تردون على هذا التشكيك ؟

— الذى يجب أن نعلمه أن هناك بعض الاتجاهات داخل الدوائر الاستشراقية تشكك فى كثير من الأمور الاسلامية، وليس فقط فى نظرية الحكم، ولكن فى الاسلام نفسه وحتى لانظلم المستشرقين لابد أن نفرق بين مستشرقين موضوعيين.. معتدلين، ومستشرقين لهم أهواء وأغراض، وهؤلاء المستشرقون الذين لهم أهواء واغراض لاتمت بصلة إلى العلم، فهؤلاء يشككون فى كل الأمور الاسلامية، وبطبيعة الحال الرد على مثل هؤلاء لايكون بالصراخ، ولا بالشكوى، ولا بالإدانة ولكن بالعلم وهو السبيل الوحيد الذى يمكن أن نرد به على على كل ما يثار ضد الإسلام فى الاعلام الغربى أو فى الاستشراق بصفة عامة.. فالحجة بالحجة، والدليل بالدليل، والرأى بالرأى، وهذا هو الأسلوب الأمثل والمقنع..

وبطبيعة الحال المسلمون مقصرون فى هذا الجانب، بمعنى أنه لايكاد يوجد فى جامعة فى أوروبا وأمريكا إلا ويوجد معهد للاستشراق، والمستشرقون لهم اتحاد دولى ويعقدون مؤتمرات دولية بصفة مستمرة وينسقون جهودهم، ولهم دائرة معارف إسلامية كبيرة لها أهميتها الكبرى لدى الباحثين، ومنظمون، ويعملون كفريق عمل ولذلك لايوجد عمل متكرر يخرج عنهم لانه وبصفة مستمرة هناك تبادل للآراء والأفكار..

دائرة معارف المستشرقين

لقد أخرجوا دائرة معارف إسلامية فى أوائل هذا القرن ومن سنة ١٩٥٤ إلى الآن يخرجون دائرة معارف إسلامية جديدة وصلوا فيها الآن حتى ستة مجلدات ويمكن على نهاية هذا القرن وبداية القرن الحادى والعشرين يكملونها إلى ثمانية مجلدات بلغات أجنبية مختلفة، ودائرة المعارف الأولى كانت بالانجليزية والفرنسية والألمانية وتضم كل أرائهم.

فالباحث فى الغرب عندما يريد معرفة أى حاجة عن الإسلام ابسط حاجة يجيب دائرة المعارف الاسلامية ويقرأ فيها فيعرف من خلالها وجهة النظر المعروضة أمامه.. طيب فين وجهة النظر الإسلامية؟ مش موجودة.. ولذلك فيه تقصير من المسلمين.. فلو كان لهم دائرة معارف إسلامية بنفس اللغات التى كتب بها المستشرقون لتواجدت فى كل المكتبات، وبالتالى القارىء الذى يريد التعرف على أى شىء إسلامى يقرأ النظرية وهو رأى المستشرقين من وجهة نظرهم، ثم يقرأها من وجهة نظر المسلمين.. فهذا غير موجود وبالتالى فهناك تقصير شديد جدا فى هذا المجال..

لذلك أنا منذ سنوات طويلة ناديت بأن يكون هناك على مستوى العالم الاسلامى مركز بحوث يتابع كل ما ينشر عن الإسلام والمسلمين فى الخارج، ويقوم بالرد العلمى على كل هذه القضايا التى تثور ضد الإسلام والمسلمين!

الإسلام وحركة الحياة

وبالنسبة للافتراء بالقول بعدم صلاحية ديننا لقيادة حركة الحياة فى هذا العصر نرد عليهم بأن الإسلام أولا هو أساس الدين للحياة، والله سبحانه فى القرآن الكريم يقول : ﴿ هو الذى أنشأكم من الارض واستعمركم فيها﴾ .

يعنى طلب منكم عمارتها .. فإذا كان ربنا طلب منا عمارة الارض إذن هذا واجب دينى وعمارة الأرض لن تكون إلا بالعلم والعمل والبحث العلمى وكل الوسائل التى تساعد على النهوض بالمجتمع.. إذن فديننا بذلك يقود حركة الحياة.

أما بالنسبة لقولهم ان ديننا لايملك نظرية للحكم. القضية هى أن الإسلام فيه أشياء أساسية قررها حتى يسير المسلمون على ضوئها من مبادىء، وفيه أشياء تركها للمسلمين لإن الاسلام صالح لكل زمان ومكان..

فإذا كان الامر كذلك، فمعنى ذلك أن يكون هناك مراعاة للتطورات، والأحداث التى تجد فى كل عصر، وفى كل زمان وإذا لم يكن كذلك يبقى فيه جمود، الاسلام لايريد هذا، الإسلام يريد فى الحكم تحقيق مبدأين أساسيين وهما: العدل والشورى.

وهذه هى النظرية الإسلامية فى الحكم، العدل المبدأ مفروغ منه، يعنى لاخلاف عليه، والشورى تتحقق بالأسلوب الذى يراه المسلمون صالحا فى كل زمان ومكان، قد يكون فى العصر الحاضر أن أنسب الصور هى التمثيل النيابى على النظام الغربى ولاباس فى هذا على الاطلاق طالما أن هذا فى صالح المجتمع.. وقد يكون بأسلوب آخر يعنى زمان كانوا بيقولوا أن أهل الحل والعقد وهم الناس الكبار أصحاب التجارب والخبرات فى الحياة هم الذين يمثلون الأمة.. قد يكون هذا جائزا فى مرحلة معينة، لكن ليس معنى هذا أن يصبح مبدأ ثابتا.. ولذلك فيه مرونة فى النظرية الإسلامية !.

الافتراء على القرآن الكريم

● قالوا ان القرآن الذى يرفعه المسلمون إلى مرتبة «التقديس» متضارب فى كثير من اياته، وحددوا عشر آيات ظاهرها التضارب وعنونوها: (سفر البرهان فى متناقضات القرآن) منها أن آية فى القرآن تفيد خلق السموات والأرض فى ستة أيام، وآية أخرى متضاربة معها تقول فى يومين .. فما ردكم على هذا الافتراء ؟

— إن اقتطاع آيات من سياقها هو الذى يحدث هذه البلبلة، لكن القرآن ليس متضاربا ولا متناقضا على الاطلاق، ولكن لابد أن تفهم الآيات فى سياقها، ولذلك الصحابة (رضوان الله عليهم) فى البداية كانوا يفسرون القرآن بالقرآن، وهذا بالدرجة الأولى، لان القرآن كل لايتجزأ، والاتجاهات المنحرفة عن الاسلام بتأخذ جزء من هنا، وجزء من هنا.. وتعمل منها

المحروسة
للبحوث والتدريب والمعلومات

المصدر :

التاريخ : ٢١ يناير ١٩٩٦

نظريات، لكن لما تكون فيـه آية بتتكلم عن يومين، وآية بتتكلم عن ستة أيـام.. معنى ذلك أن الستة ايـام هذه اكتمل فيهما الخلق كلـه، لكن فى هـذين اليـومين فيـه أساسيـات اتعملت فى السماء والارض، والآيتان صح تماما وليس فيهما تضـارب، الكتاب المقـدس فى العهد القـديم بيتكلم أيضــا عن خلق السموات والارض فى ستـة أيام، وغـايـة مـا فى الامر انهم يقـولـون أن الله استراح فى اليوم السابع اللى هو يوم السبت !

● خصـوم الإسـلام قـالـوا أيضــا أن هنـاك تضاربـا بين أقوال الـرسول ﷺ مع القـرآن فمثلا ذكروا نص الآية التى تقول :

﴿ ومـا آتاكم الـرسول فخـذوه وما نهاكم عنـه فانتهـوا﴾ . بانها تصطدم مع قول الـرسول «انتم أعلم بشئون دنياكم».

— كلمة (انتم أعلم بشئـون دنياكم) من الـذى أتى بها ؟ الرسول.. وبعدين فيـه مبدأ أساسى إذا تعارض حـديث مع القـرآن الكـريم تعـارض واضح فى هـذه الحالة يؤخذ بالآية ولايؤخذ بالحديث..

لأن القـرآن فى أصله ورد متـواتـر.. يقينى.. لاشك فيه .. حتى رسمه مازال كما هو لليوم.

ولكن الاحـاديث النبويـة قد يكـون هناك أحـاديث فيها ضعيف، عنـدما يستشهـد أحد بحـديث من هذه الأحـاديث الضعيفة ويقـول هـذا يتعارض مع الآيـة القرآنية نقول له لا.. وتبين له خطأه..

باختصـار نستطيع أن نقول إذا لم يمكن التـوافق بين الحديث والآية فعلى الفور نأخذ بالآية القرآنية..

● تناولوا ما أسمـوه «آفة» وجود المذاهب، وأن المسلمين منقسمـون إلى طـوائف وفـرق ومـذاهب دينية، وبـذلك أصبح الاسلام دين تفـريق.. لادين تجميع للناس.. فبماذا ترد عليهم؟

— الإسلام دين يسمح بالتعـددية الفكرية.. يعنى إحنا اليوم فى كل مكان بنتكلم عن ضرورة التعددية فى مجال السيـاسـة، وفى الفكـر، وفى مجال الادب، ولما يأتى الاسـلام يعمل تعدديـة يقولوا ان الإسـلام دين تفـريق.. لا.. الإسلام دين واقعـى من حيث أنه ينظـر للإنسـان نظرة واقعيـة فيه أسـاسيات بيتفـق عليها النـاس ربنـا لم يخلق اثنين زى بعض على الاطـلاق، وأعطـانـا رمــز وهـو أن بصمــة الإبهام للشخص لاتنطـابق مع شخص أخر فى العـالم كله، وهـذا دليل على أن لكل انسان شخصيته المستقلة ..

فيه وحـدة ثقافيـة، لكن ليس هنـاك وحدة فى الآراء ومن هنا أصبح هناك التعددية الفكـرية قائمة، والذى حــدث ان الاســلام فتح بـاب الاجتهــاد فى الفقــه الاسلامى، وإذا كان فتح فى الفقة الاسلامى فمن باب اولى أن يفتحــه فى مجالات الحيـاة الأخـرى.. هــذا الاجتهـاد بيجعل المجتهـد ينظـر فى النصـوص التى أمـامـه، ثم يتـوصل إلى الحكم، الفقهـاء عملـوا هـذا، وخرج هذا الاجتهاد.. وهذا الاجتهاد.. الخ.. كل هذا فى عرف الاسلام سليم.

والإسـلام لما فتح بـاب الاجتهـاد بنـاء على أن كل إنسان له وجهة نظر خاصة، وليس هذا فقط، بل حتى يكون هناك مـرونة فى التطوير لـلأحكام الشرعية على مدى الدهور والازمان.

باب الاجتهاد مفتوح

ولو بحثت فى القرآن الكريم ستجد أن آيات الأحكام فيــه ليست كثيرة، يعنى آيــات الأحكـام فى القــرآن لاتتجـاوز مائتين تقـريبـا من حـوالى ستة آلاف آيـة، ومعنى ذلك أن فيــه أشيــاء كثيرة تـركت للنــاس لـلاجتهاد، ونـرى اليـوم أمورا كثيرة جـدت فى مجال الطب على سبيل المثال — وتحتاج لاجتهادات جـديدة، مثل مـوضوع نقل الأعضـاء، وأطفال الأنـابيب، وهى أشياء لم يعـرفها العلماء السابقون، ومن هنـا لابد أن يكـون هناك اجتهـاد، إذن قضية ان المذاهب الفقهيـة جعلت الأمـة الاسـلاميـة أمـة متفـرقـة وليست أمـة مـوحـدة، هذا كـلام مبنى على غير أسـاس لأن هنـاك سببا متفقا عليه فى كل الدنيا بأن هناك تعددية فكرية !

● وادعـوا أن الاسلام انتشر بحـد السيف، وأن الفتـوحات الإسـلاميـة كانت أهـدافهـا سياسيـة واقتصادية فى المقام الأول ؟

— القول بأن الاسلام انتشر بحـد السيف هذا غير صحيح على الإطـلاق، وكمثــال على ذلك الإســلام فى جنوب شرق آسيـا، وفى غرب أفـريقيا انتشر بصـورة كبيرة جدا ولم يـدخل هذه البلاد جنـدى مسلم واحد، بل عن طـريق التجـار المسلمين وطـريق المتصـوفـة المسلمين، يعنى دليل على أن الاســلام بينتشر بـذاتـه لكن طبعـا حـدثت فتـوحات، وهـذه الفتـوحـات التى حـدثت لم يكن فيهـا على الإطلاق إجبـار للنـاس على اعتناق الاسـلام.. أبدا..

لقـد حدث فى عهـد (عمر بـن عبدالعـزيز) أن أحـد الولاة وجـد أن الناس بيقبلـوا على الاسلام، وبـالتالى لايدفعون الجزيـة، فكان رد فعله أن أجبر الجميع على دفع الجزيـة حتـى يقلل من العـدد الــذى يـدخل فى الاســلام من أجل التهـرب من دفع الجزيـة، فلما بلغ عمر بن عبدالعزيـز قال لهذا الوالى قبحك الله إن الله لم يبعث محمدا جابيا ولكن بعثه هاديا !!

الأخطاء البشرية فى التطبيق

● من شبهـاتهم أيضــا الخشيـة من التطبيق البشرى للشريعـة الاسلاميـة، فالبشر يخطئـون ويصيبـون، ويجب تنـزيـه الأسـلام عن أخطـاء البشر؟

— الإسلام فيـه قواعد ومبادىء مقـررة فى القرآن الكريم، وفى السنــة النبويـةالصحيحة، هـذه الأشياء تطبق عن طريق البشر لاشك فى ذلك مثل أى قوانين فى الدنيا تطبق عن طريق البشر وبالتالى الخطأ والصواب هنا ليس راجعا للمبادىء، ولكن راجع للتطبيق نفسه، التطبيق البشرى، وهـذا لايؤخـذ على الاسلام كـدين، ولكن يـؤخذ على المسلمين أنفسهـم، فعندمـا أخطىء كمسلم لايجوز أن أحمل الاســلام تبعيــة ذلك، يعنى اليـوم (مثـلا) فيـه تطرف وفيـه بعض السلـوكيـات الغربية، وسـائل الاعلام الغربية تحمـل الاسلام تبعة

ذلك كله والاسلام برىء من هذا تماما .

● وشبهة الخشية من الاستبداد باسم الدين كما حدث فى الواقع المسيحى الغربى فى القرون الوسطى ؟

— الوعى اليوم أصبح أكثر من أى وقت مضى وبالتالى الشعوب لم تعد ترضى بمثل هذا الاستبداد، وهذا الاستبداد أولا ليس من طابع الاسلام على الاطلاق، بل الاسلام دين التراحم، والرحمة والمودة، والسلام، والأمن، والاستقرار، من الممكن أن نستشهد بعشرات الآيات والأحاديث التى تحض على ذلك..

إذن نرد على الاستبداد باسم الدين (كما يدعون) بأن يقظة الشعوب ووعيها يحول دون ذلك الآن، ثم إن هذا الاستبداد باسم الدين مرفوض أساسا فى الاسلام !

النيل من الوحدة الوطنية

● هؤلاء المستشرقون قالوا ان جعل الحاكمية فى المجتمع للدين الإسلامى سيشق نسيج الوحدة الوطنية؟

— الحاكمية لله هذا شىء طبيعى، لكن من الذى بيطبق؟ البشر وبالتالى البشر بيخطئوا ويصيبوا، ولذلك فكلمة الحاكمية هى كلمة حق يراد بها باطل، ولم يحدث فى أى عصر من عصور الاسلام أن كان هناك فيه تطبيق للدين إلا عن طريق البشر، وهؤلاء البشر إذا أخطأوا فهم يتحملون خطأهم، وهناك مبادىء مقررة لايجوز لأحد أن يتجاوزها، والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم: ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين﴾

يعنى هنا فتح الباب للمسلمين ليتعايشوا سلميا مع كل الطوائف ومع كل الشعوب طالما ان هؤلاء لايعتدون عليك، حتى فى هذا الصدد الاسلام حاول أن يشجع المسلمين تشجيعا كبيرا جدا حتى يطبقوا هذا المبدأ، مبدأ التعايش السلمى فقال: ﴿ إن الله يحب المقسطين﴾، وحثهم على أن يبروهم ويقسطوا إليهم وحتى يدفعهم أكثر قال ﴿ إن الله يحب المقسطين﴾

فضلا على ان الاسلام لايميز بين فرد وفرد، حتى الانتماءات العرقية وغير العرقية، الاسلام لم يميز بينها على الاطلاق، والقرآن الكريم بيقول فى آية صريحة جدا :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ .

إذن هناك هدف من هذا التعارف وهو بدايات للتفاهم المشترك، والاحترام المتبادل والتعاون المشترك بما فيه خير المجتمع ككل وبالتالى فإن الفهم الخاطىء للدين هو الذى يوحى بهذه الأمور كلها وطبعا هناك بعض «التشويش» على الدين كدين، والدين مظلوم.. ومن ابنائه أكثر من أعدائه للأسف الشديد !!

أين البرامج المحددة ؟

● ذكروا أيضا أن الاسلاميين فشلوا تماما فى تقديم برامج محددة للناس لإصلاح شئون دنيانا بالدين ؟

— أنا قلت أن المفروض هو المبادىء، وهذه المبادىء تطبق.. وتطبقها حكومة مدنية.. يطبقها ممثلون للشعب.. وهذه مسألة ليست واردة أن رجال الدين هم الذين يحكمون، وهذا شىء غير وارد على الاطلاق لأن الاسلام يريد لهذه المبادىء أن يطبقها (أهل الذكر) يعنى أهل العلم.. يعنى أهل الاختصاص وأهل الخبرة، وطبعا رجل الدين العالم ليس له خبرة لا فى السياسة ولا فى الاقتصاد، ولا شىء من هذا القبيل، فلابد أن يطبق كل هذا رجال الخبرة، وليس رجال الدين .

احترام الإسلام للمرأة

● خصوم الاسلام من المستشرقين حاولوا ان يمردوا المرأة على الاسلام واستشهدوا بحديث الرسول الذى يقول عنها بأنها خلقت من ضلع «أعوج»، وان الاسلام ضد عمل المرأة؟

— يوجد هناك مفاهيم خاطئة لابد وأن تصحح، أولا الاسلام احترم المرأة بما لم يحترمها به دين آخر.

المرأة معروف فى بعض الكتب الدينية الأخرى انها هى التى أغوت آدم، وهى سبب الشر فى هذا الوجود والاسلام برأها من هذا وقال ان الذى أغوى آدم وحواء هو الشيطان وبالتالى هى مبرأة من تلك التهمة فهى ليست أصل الشر والفساد فى العالم، وربنا فى القرآن الكريم لما يتكلم عن الرجل والمرأة يقول: ﴿ من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينهم حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ﴾.

هنا الاثنان أمام الله سبحانه وتعالى واحد، والذى يعمل منهم صالحا يجازى خيرا، ومن يعمل منهم شرا يجازى شرا، ليس هناك أى فرق على الاطلاق، المرأة كانت بتعمل مع الرجل فى الصدر الأول للاسلام، وكانت التى تحمى النبى (صلى الله عليه وسلم) فى غزوة أحد كانت امرأة، والمرأة هى التى كانت تشارك فى القتال، وفى علاج الجرحى فى المعارك، وفى مرة من المرات أراد عمر بن الخطاب أن يحدد مهور النساء، وقفت امرأة فى المسجد وقالت له هذا الكلام غلط.. أنت لاتذكر الآية القرآنية التى تقول:

﴿وان آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ قال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر!

حكاية الضلع الأعوج

معنى هذا ان المرأة منذ صدر الاسلام لها اعتبارها وكيانها، وهذا الاعتبار والكيان هو باقى فى تعاليم الاسلام ولن يتغير على الاطلاق، ولما نأتى إلى مسألة (الضلع الاعوج) هى مش حكاية ضلع أعوج.. تعال للقرآن الكريم بيقول أيه :

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾

فالرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة، فالاثنين زى بعض، أصلهم واحد، وحكاية الضلع الأعوج هى فى الحقيقة مجرد تشبيه فقط أو تمثيل لأن فيه بعض النساء (مش كل النساء طبعا) بتحتاج إلى معاملة خاصة، ولذلك لاتعاملها بالشدة وإلا ستأتى بنتيجة عكسية، لكن ليس معنى ذلك انها مخلوقة من ضلع أعوج!

● هل الاسلام ضد عمل المرأة بمقاييس العصر الحالى؟

— من حيث المبدأ.. الاسلام لايمنع المرأة من العمل.. على الاطلاق.. بل العمل مباح.. والعلم مباح

للمرأة وكان من ضمن الأساتذة الذين تعلم على ايديهم ابن تيمية كانت «امرأة» وكانت السيدة نفيسة معروفة بعلمها، والسيدة عائشة معروفة انها كانت هى أعلم وافقه الناس فى عهد الصحابة (رضوان الله عليهم)، القضية الأساسية هو أن الاسلام يطلب من المرأة فقط (الاحتشام) فى ملبسها، ويطلب الاحتشام أيضا من الرجل فى ملبسه، أى للاثنين معا، وحكاية الاحتشام هذه اعتقد انها «فضيلة».

الحجاب فضيلة فى الاسلام والمسيحية

وفيه نقطة انا أثرتها فى الشهر الماضى فى لقاء لى فى إيطاليا وكان ذلك فى مؤتمر صحفى، واثيرت فيه قضية المرأة بصفة عامة، والحجاب، فانا قلت لهم بانه فى المسيحية . وفى الاسلام الحجاب فضيلة، والدليل على ذلك أن الراهبات محجبات، فإذا لم يكن الحجاب فضيلة فى المسيحية لم تكن الراهبة تتحجب، ثم ان من الوصايا الموجودة فى العهد الجديد أن المرأة لما تصلى لازم تغطى شعرها، وحتى اليوم لما واحدة تذهب لمقابلة بابا الفاتيكان، لازم تغطى شعرها.. لماذا.. لأن هذا دليل على الاحترام.

● **وماذا عن النقاب؟**

- النقاب هذا ليس إسلاميا على الاطلاق!

● **قالوا ان الاسلام ظلم المرأة فى المواريث فجعلها على النصف من الرجل؟**

- الحكاية فى الحقيقة مش ظلم لاننا لواجرينا عملية حسابية بسيطة حنجد ان الاسلام بيتحيز مع المرأة وليس ضدها.. لماذا؟

المرأة المطالب بالانفاق عليها إما والدها، أو زوجها، أو أخوها إذا لم يكن لها أحد، أو إما أقرب الاقربين إليها إذا كانت من ذوى الأرحام ولم يكن لها أحد، وهى عندما تتزوج مالها كله لها وحدها، إذا كانت بتعمل مرتبها لها وحدها أيضا، وزوجها هو المكلف بكل شىء، إذن الرجل مكلف بالانفاق على نفسه، وعلى أسرته، وعلى والديه، وعلى أقاربه إذا لم يكن لهم أحد..

أما المرأة فليست مطالبة على الاطلاق بإنفاق أى شىء!

بعملية حسابية بسيطة نقول «مثلا» رجل ميراثه ألف جنيه، شقيقته ستأخذ ٥٠٠ جنيه، الألف جنيه نصيب الأخ ينفق منها على أسرته، وعلى والديه، وزوجته، أما هى الخمسمائة جنيه تقوم بتنميتها لأنها ليس عليها التزام، إذن فلوسها بتزيد، أما هو فلوسه بتنقص، وبالتالى بعد هذه العملية الحسابية سنجد انه لاظلم للمرأة على الاطلاق!

بالسلامة : أنت طالق؟!

● **وقالوا ان انفصال المرأة المسلمة عن زوجها منوط بمجرد كلمة عابرة : أنت طالق؟!**

— أولا معروف ان أبغض الحلال إلى الله الطلاق، والطلاق جعل كحل أخير بعد كل محاولات للصلح بينهما.. إذا حدث نزاع أصلحوا بينهما.. واخذ حكم من أهلها، وحكم من اهله، إذا لم يحدث هذا (فامسكوهن بمعروف أو فارقهن بمعروف)، هذا هو قول القرآن، إذن القضية هنا انه لايجوز فيها أى تعسف على الاطلاق، كون الرجل يسىء استخدام هذا الحق فهذا مرفوض إسلاميا ان يسىء الرجل استخدام هذا الحق، فضلا على أن المرأة تستطيع أن يكون فى يديها الطلاق لو كتب فى العقد هذا قبل الزواج، ثم إن المرأة بعد الزواج (وإن كان هذا غير مطبق) فيه حاجة اسمها الخلع، وسأقرب لك معناه، نفرض أن واحدة لاتريد أن تعيش مع زوجها، خلاص، هى عايزة تطلق، وهو لايريد أن يطلقها، وبالفعل راحت واحدة للنبى وقالت له هذا، قال لها ردى عليه حديقته، يعنى هو لما جاء يتزوجها وهب لها حديقة، فردى له حديقته، وكل واحد يروح لحاله وينفصل.

إذن هى هنا تستطيع بناء على هذا التشريع الاسلامى أن تتنازل عما أعطاه لها، ولذلك الحديث بيتكلم فقط عن الذى اعطاه لها الرجل لها، فى هذه الحالة خلاص يطلقها، وإذا تعسف فى هذه الحالة فهو مذنب الآن.

ولذلك حكاية بيت الطاعة لا أصل لها فى القرآن الكريم على الاطلاق، ان يستعين الزوج بشرطى لاحضار المرأة بالقوة لبيت الطاعة.. موضوع بيت الطاعة ليس له أى أساس فى القرآن الكريم على الاطلاق لأن القرآن بيتحدث فى الحالتين «بمعروف» ولو فعل غير ذلك يكون تعسفا فى استعمال الحقوق، وتعسفا ضد الآخرين، وبالتالى على المسلم أن يراجع نفسه حتى يرضى ربه!

الحور العين للرجال فقط!

● **افتروا على الاسلام بانه حتى فى تبشيراته للمتقين الصالحين فى الجنة أعد للرجال حور عين، وترك النساء بلارجال؟!**

— الغيبيات هذه لانستطيع أن نفتى فيها، وبوجهات نظرنا، ولكن هو الله سبحانه وتعالى لما يقول:

﴿من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعلمون﴾

وهنا يكون للرجل والمرأة بنص الآية، فإذن هنا الله سبحانه وتعالى بيدخر خيرا للرجل والمرأة حتى ولو لم يذكر ذلك فى الآية القرآنية، فالله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم:

﴿ومـاربك بظلام للعبيد﴾.. و﴿ولايظلم ربك احدا﴾

معنى ذلك ان المرأة لن تظلم بنص القرآن نفسه، وان الله سبحانه وتعالى سيجعل لها فى الجنة نصيبا كما هو للرجل سواء بسواء، وهذه مسألة بترجع لله سبحانه وتعالى وإلى عدل الله.

● **ادعوا أن التخلف من طبيعة الاسلام، بدليل انه لاتوجد دولة إسلامية واحدة فى خريطة العالم المتقدم، والعالم الاسلامى كله فقير ومتخلف؟**

- نحن هنا ننسى التاريخ، يعنى التاريخ بيقول ان المسلمين استطاعوا ان يبنوا حضارة مزدهرة حلت محل حضارة الفرس والروم فى وقت من الأوقات، وأن التاريخ بيقول لنا أيضا أن الأوربيين بدأوا يترجمون النتاج الحضارى العلمى للمسلمين اعتبارا من القرن الحادى عشر وحتى نهاية القرن الثالث عشر، كانوا مترجمين معظم الكتب العربية الاسلامية فى شتى مجالات العلوم والفنون، وكان هذا هو الأساس لبناء الحضارة الحديثة، وفى الوقت الذى كانت فيه حضارة المسلمين مزدهرة إلى أقصى حد فى اسبانيا (الاندلس) كان مازال هناك عصور وسطى فى أوربا وهى ماتعرف بعصور الظلام.

حضارتنا .. وحضارتهم

إذن معنى ذلك ان الاسلام استطاع أن يبنى

المصدر: المساء

للبحوث والتدريب والمعلومات

التاريخ: ٢١ يناير ١٩٩٦

حضارة بالفعل، في الوقت الذي كانت فيه أوربا مازالت متخلفة وفي ظلام، وحكاية عصور الظلام هذه تعبير من عندهم وليس من عندنا.. كون ان المسلمين انهارت حضارتهم لاسباب عديدة طبعا.. ليس هناك سبب واحد.. كل حضارة من الحضارات يكون لها عمر معين، ثم إن هذه مثل موجات البحر.. يعني موجة بتطلع وتعلو حضارة، وبعدين الحضارة تلك بتنحسر، وتقوم حضارة ثانية.. الخ.. لكن هنا ليس هو ذنب الاسلام كإسلام ولوكان ذنب الاسلام لم يكن الاسلام يستطيع أن يبنى حضارة كما حدث، واعتقد انه من الواضح انه لايستطيع أى مكابر أن ينكر أنه كانت توجد حضارة إسلامية مزدهرة، وكان لها فضل كبير على العالم كله.

اليوم جدت على المسلمين في القرون الأخيرة ظروف معينة، وهذه الظروف وضعت أمامهم مشكلات كثيرة، وأصبح هناك فهم خاطىء للاسلام كإسلام على اعتبار انه مجرد شعائر تؤدى فقط، وانتشرت أفكار هي ليست من الاسلام في شيء على الاطلاق، وهذا هو قدرنا، وهذا التخلف ارادة الله سبحانه وتعالى.. هذا الكلام كله مرفوض تماما، والمسلمون مطالبون في كل عصر وليس في هذا العصر فقط أن يكونوا مشاركين في الحضارة الانسانية..

واليوم توجد دول إسلامية غنية بل وأغنى من بعض الدول الأوروبية، وهذا موجود عن طريق الثروات البترولية.

عيب المسلمين .. لا الاسلام

لكن ليس هناك دولة إسلامية على قمة التقدم العلمي والتكنولوجي، وهذا عيب المسلمين أنفسهم وليس عيبا في الاسلام، لأن الاسلام لايضع قيودا ولاحدودا ولاسدودا أمام المسلمين ليتقدموا في مجال العلم والتكنولوجيا!

● **بعد كل هذه الافتراءات من جانب المستشرقين.. كيف يتصور العالم الجليل الدكتور محمود زقزوق مستقبل الاسلام في عالم الغد؟**

- مستقبل الاسلام في عالم الغد يتوقف على وعى المسلمين بالاسلام الصحيح، وليس بالاسلام المغشوش، لأن الاسلام الصحيح بيفتح الطريق أمام المسلمين للحضارة والتقدم والتطور العلمى والتكنولوجي، وبيفتح السبيل أمام المسلمين للتعايش السلمى مع كل البشر، والاسلام أساسا دين منفتح على كل الحضارات والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «الحكمة ضالة المؤمن أنىّ وجدها اخذها» بمعنى أن يأخذها في أى مكان..

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

السؤال الأخير الذى وجهته للدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف:

● **المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.. كيف يمكن أن يصبح نافذة مصر على العالم الخارجي.. وليرد على مغالطات هذا النوع من المستشرقين؟**

- هذا يتوقف على دور اللجان العلمية في المجلس، وذلك من الأمور الأساسية التى أعنى بها ولدينا ١٢ لجنة علمية في المجلس، فيها كفاءات من أحسن العلماء وامكانات طيبة جدا، ولذلك كان أول مافعلته عند تولى مسئولية الوزارة هو انى اجتمعت مع رؤساء ومقررى اللجان العلمية حتى نضع تصورا لأن يكون انتاج هذه اللجان يعرفه الناس.. لأن الناس على مستوى الجمهور لايعرفون شيئا عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، لذلك في القريب العاجل ستصدر سلاسل كتيبات في كل أسبوعين من انتاج هذا المجلس لتعرض القضايا الاسلامية بالأسلوب الصحيح، وتعمل على التوعية الدينية والتثقيف الدينى بالاسلوب الامثل.

وبالنسبة لدور المجلس في الرد على المستشرقين: المجلس بيعمل ترجمات لمعانى القرآن الكريم انتهت ترجمة اللغة الانجليزية، والترجمة الفرنسية أوشكت على الانتهاء، والترجمة الروسية قطعنا فيها مرحلة كبيرة، والترجمة الألمانية قطعنا فيها شوطا مازال متواضعا، هذا كجزء، والجزء الآخر هو اننا ستعمل على اصدار مؤلفات وكتب باللغات الأجنبية المختلفة لتوضيح الصورة الاسلامية الحقيقية لتصحيح المفاهيم المغلوطة والرد على مايثار ضد الاسلام في الغرب حتى يمكن للمسلم ولغير المسلم أن يطلع على هذه الأمور ويتعرف على وجهة النظر الاسلامية!

العلمانية والإسلام

بقلم:
كامل الشرقاوى *

كان استعمار العالم الإسلامى من أهم أهداف الدول الاستعمارية «العلمانية»، عدا تركيا التى نجحت فيها حركة علمانية بقيادة «كمال أتاتورك» عام ١٩٢٤، استطاع بها أن يسلخ تركيا من كل ماهو إسلامى سلخًا، حتى الحروف العربية بدلها بالـلاتينية، وحرم الزى الإسلامى على النساء، وأمر الناس بارتداء القبعات، تقليدًا لما هو متبع فى الدول الغربية، كذلك الأذان فى المساجد أصبح باللغة التركية، وأغلق المعاهد والمدارس الإسلامية وغيرها، ظنًا منه أن تقليد دول أوربا بهذه الطريقة سوف ينقل تركيا إلى مصاف الدول الأوربية المتقدمة.

ولقد نسى «أتاتورك» حقيقة مهمة، وهى أن تركيا بفضل الإسلام كانت -على مدى ستمائة عام- سادس قوة عظمى فى العالم، إن لم تكن فى بعض الأحيان أعظمها. وبعد «علمنة» تركيا والابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية تراجعت إلى الخلف، لتحتل مكانًا فى قائمة الدول المتخلفة من الدول النامية، وانهارت الإمبراطورية العثمانية العظمى، وأصبحت غير قادرة حتى على حماية أتباعها من مسلمى البوسنة والهرسك. وكان لابد «لأتاتورك» أن يعى تمامًا أن «النظام العالمى الجديد» لن يسمح لدولة مسلمة بأن تقف على قدميها فى محاذاة الدول الأوربية الراقية والمتقدمة جدًا حتى لايتكرر قيام إمبراطورية إسلامية كما حدث فى الماضى.

وبالرغم من أن العلمانية تعمل على استئصال كل ماهو دينى من جذوره، إلا أنها حتى الآن لم تستطع أن تجرد الدول الأوربية العلمانية من عقائدها المسيحية، فالزواج مثلاً يتم حسب الشريعة المسيحية، ولايستطيع مسيحى أن يتزوج سوى واحدة، ولايمكن استبدال ذلك بقانون علمانى وضعى يخالف تعاليم هذه المذاهب، والطلاق المشروط، هو أيضًا من الشرائع المسيحية، حتى تعيين رؤساء الدول المسيحية العلمانية لابد وأن يكون مذهبهم مطابقًا للمذهب المسيحى للدولة، فرئيس أمريكا مثلاً لابد أن يكون كاثوليكيًا.. وهكذا بالنسبة إلى الدول الأخرى. ومعنى ذلك أن الدين واقع أساسى وأنه فعلاً موجود ولايمكن إنكاره، وهذا تناقض ملموس فى سياسة العلمانيين، فهم يؤمنون بشىء وينكرون شيئًا آخر، وهذا يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامى، فالذى يؤمن بالإسلام وينكر مبدأ واحدًا أو ركنًا من أركان الإسلام يعد من الكافرين.

وليس للعلمانيين دستور ثابت محدود، فما تراه مباحًا فى دولة علمانية ربما تجده محرمًا فى دولة أخرى، أما المسلمون فلهم دستور واحد هو القرآن الكريم وسنة النبى محمد صلى الله عليه وسلم. وقد سبق أن كانت لهم ممالك وإمبراطوريات ودول بنيت أساسًا على عقيدة واحدة ودستور واحد، وحققوا نجاحًا منقطع النظير، وأعداء الإسلام أنفسهم شاهدون على ذلك. وأفضل تعريف للعلمانية هو ما قيل من أنها تعنى المادية واللادينية، فى نفس الوقت فإن العلمانية تبنى تعاليمها الاجتماعية والأخلاقية على مبادىء اقتبست من الديانات عمومًا فالسرقة والاختلاس والغش والرشوة وشهادة الزور.. وغيرها، كلها أخلاقيات دينية اقتبستها العلمانية وفصلتها عن الدين، ووضعت قوانين وضعية خاصة تعاقب كل من يرتكبها.

والعلماني يعلم ابنه أن ارتكاب أى «جناية» من هذه الأخلاقيات يعد «خطأ» يعاقب عليه القانون، ويشب الابن لايخشى إلا القانون. أما الأب المسلم فإنه يربى ابنه على أن السرقة أو غيرها «حرام» تغضب الله، ويعاقب عليها القانون. فينشأ المسلم الحق يخشى الله ويحترم القانون.

وفى حين لايخشى العلمانى سوى القانون، ذلك أنه لو تهيأت له فرصة لارتكاب جريمة، وضمن تماماً عدم وجود دليل على إدانته فإنه سوف يرتكبها.. فإن المواطن المسلم، حتى لو ضمن أنه سوف يفلت من عقاب القانون، فإنه يؤمن إيماناً قاطعاً بأنه لن يفلت من عقاب الله.. لأنه تربى على أن يخشى الله فى السر وفى العلن.. وعلى ذلك فإن المواطن المسلم أفضل من المواطن العلمانى بمراحل كثيرة.

والعلمانيون المصريون ينادون المرأة المسلمة بالتحرر من الزى الإسلامى ويدعون أنه من أسباب التخلف، ظناً منهم بأن المرأة المصرية لو تحررت من هذا الزى فإن ذلك سوف يساعد الدولة على التقدم والرقى. ولم يبد العلمانيون سبباً واضحاً لذلك، ولم يثبت مطلقاً أن زى المرأة فى وقت من الاوقات أو فى دولة من الدول كان سبباً فى التقدم أو التخلف. فالمرأة فى اليابان مازالت ترتدى «الكيمونو» ولم نسمع واحداً من دولة اليابان «العلمانية» ينادى ويطالب المرأة اليابانية بأن تتحرر من زيها القومى. ونفس الموقف فى دولة الهند «العلمانية»، فهى تفخر بارتدائها «السارى الهندى»، كل ذلك رغم التقدم المذهل فى كل من اليابان والهند، ولم يحدد العلمانيون ما الزى المطلوب أن ترتديه المرأة المسلمة هل هو المينى جيب أم الميكروجيب أم الماكسى وهل هو فوق الركبة أم تحتها؟!

وينادى العلمانيون بالمساواة بين الرجل والمرأة، ولست أفهم كيف يتم تحقيق ذلك؟! فالمرأة لها مواصفات وتكوينات تختلف تماماً عن الرجل.. والرجل رجل.. فكيف نساوى بينهما؟.. وكيف نخالف الطبيعة؟ هل يمكن أن نظلم المرأة و[illegible] إليها أعمالاً كالتى يقوم بها الرجل؟ مثل قيادة الجيوش وإدارة وتشغيل مصانع الحديد والصلب وتشغيل الكباشات والحفارات، وتكسير الحجارة وحفر الأنفاق والآبار والعمل فى المناجم؟ أليس من الظلم أن نكلف المرأة -بما يمر من تغيرات طبيعية- تنفيذ أعمال شاقة لايقدر عليها سوى الرجل؟ أليس من العدالة أن نحميها ونحترم أنوثتها ونحافظ على جمالها ورقتها ونتلطف فى معاملتها بدون أن نجرح شعورها أو نهين كرامتها ونخدش حياءها ونعاملها كامرأة وديعة رقيقة؟ وعلى ذلك فإن مبدأ المساواة مع الرجل لايجب أن يتحقق إلا فى بعض المهن، فالمرأة ربما تكون أقدر وأفضل من الرجل فى الرعاية، كرعاية المرضى فى المستشفيات، ورعاية الأطفال فى المدارس والمنازل أو بعض المهن البسيطة.

وينادى العلمانيون بتقليد الغرب ولم يحددوا أبداً فى أى شىء نقلدهم؟ ويمكن القول بأنه من الافضل لنا أن نقلدهم فى كل شىء نافع لبلادنا ومجتمعاتنا، فهم متقدمون جداً علمياً وفنياً وصناعياً وثقافياً وفى علوم الطب والهندسة والصناعة والزراعة و... و... وغيرها.. ولايضير المجتمع المسلم لو قلدهم فى هذا التقدم. فالإسلام لايتعارض مع التقدم العلمى أو النهضة الصناعية أو الابتكارات الفنية وتاريخنا غنى بما يجبر أهل الغرب أن ينحنوا تقديراً وإجلالاً لعلماء المسلمين السابقين.. ولكن الإسلام أيضاً يتعارض تماماً مع كل من ينادى بإفساد أخلاق الشباب المسلم أو ينشر الانحلال فى المجتمع الإسلامى.

ففى دول الغرب خرج الشباب -باسم الحرية المطلقة والديمقراطية - بلا قيود ويمارس حياته الخاصة فى أندية للهو والمجون ويشرب الخمور ويتعاطى المخدرات ويقف فى أندية العراة متجرداً من كل شىء. كما ولدتهم أمهاتهم «أحراراً» فليس هنالك حدود أو قوانين أو تعاليم تميز الحلال من الحرام. أو الصحيح من الخطأ، وتميز بين تصرفاته كإنسان وتصرفات المخلوقات الأخرى. وصدرت قوانين فى الدول العلمانية تبيح للشباب أن يمارس الجنس مع فتاته، وأيدتها قوانين وضعية أخرى تحمى أبناء اللقطاء. واختلط الحابل بالنابل، وانتشرت الرذيلة وتفشى الفساد، إلى أن ظهرت لأول مرة فى التاريخ قوانين تبيح «الشذوذ الجنسى» ولم يظهر لها مثيل منذ عهد سيدنا «لوط» عليه السلام، فهى وصمة عار فى جبين الإنسان الآن.

وساعدتهم على الوصول إلى هذا المستوى انتشار المجلات والمسارح الجنسية الفاضحة، وإنتاج الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو الجارحة، وظهرت من بينهم روح شريرة خبيثة تشجع هذا الإنتاج المنحط باسم الثقافة وحرية الكلمة والتطوير والتنوير. ولست أدرى كيف يكون نشر صورة عارية فى مجلة أو جريدة سبباً فى تنوير أو تطوير أمة؟ وكيف سيكون حجب هذه المناظر البذيئة سبباً فى تخلفها؟!

لابد أن يعرف العلمانيون أن سبب تقدم هذه الدول هو براعتهم فى إدارة مصانعهم وتجاراتهم بذكاء، ووضع قوانين صارمة جادة من أجل تشغيل العمال والموظفين ساعدتهم على تنفيذ خطط مدروسة للبحث والدراسة والتخطيط والتصميم والإنتاج والتشييد، واتباع سياسة اقتصادية قوية واعتماد مناهج تعليمية راقية جداً.. وبعدها ضمنت الدولة حماية خطة الإنتاج والسيطرة على الأفراد فى المصانع والمزارع والمعامل وفى الإدارات الحكومية وغير الحكومية. واستطاعت بذلك القضاء على التسيب والانحلال واللامبالاة والفساد الحكومى والإهمال، ونجحت حقاً فى تطوير صناعتها وتحقيق نهضة علمية وفنية وثقافية وصناعية وزراعية.. ولم يكن الانحلال الخلقى والصور العارية والأفلام الجنسية فى يوم من الأيام سبباً فى هذا التقدم وهذه النهضة، بل بالعكس فإن هذه السياسة أغرقت أمريكا - زعيمة النظام العلمانى العالمى - فى مشاكل اجتماعية لا حدود لها.

شيخ التكفير الذي يسعى للتفريق بين نجيب محفوظ وزوجته

يوسف البدري: الإخوان المسلمون بدعة!

المصدر: الوطن العربي

التاريخ: ٢ [illegible] ١٩٩٦



تتحدث مصر والعالم هذه الأيام عن شيخ اسمه يوسف البدري. فالرجل أصبح بعبعا وأسطورة حتى سمي بشيخ «التكفير والتفريق» .. وتسابقت الإذاعات والصحف العالمية، إلى لقائه والحديث معه.. من محطة الإذاعة البريطانية «B.B.C» إلى الـ «C.N.N» وغيرهما من كبريات وسائل الإعلام المحلية والعالمية. فالشيخ الذي وصف بأنه «محتسب العصر والأوان» هو الذي حرك الدعوى ضد الدكتور نصر حامد أبوزيد، وفرق بينه وبين زوجته في حكم شهير، وهو الذي كسب قضية ضد محمود التهامي رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف» ورئيس مجلس إدارتها الذي حكم عليه بالحبس والنفاذ لمدة سنتين فضلا عن التعويض والغرامة، وهو الذي جر عادل إمام ووحيد حامد إلى المحكمة بسبب فيلم «طيور الظلام» .. ثم إنه هو الذي نشر على لسانه أنه سوف يقيم دعوى حسبة على نجيب محفوظ للتفريق بينه وبين زوجته باعتبار أديب نوبل مرتدا عن الدين الإسلامي في عدد من رواياته مثل «الطريق» و«التركة» و«الشحات» و«أولاد حارتنا» وغيرها .. ثم أن يوسف البدري هو الذي يعد الآن - كما قيل - ملفات لأكثر من أربعين كاتبا ومفكرا وفنانا لتقديمهم إلى المحاكمة، وهو الأمر الذي أثار ويثير الآن قضية «الحسبة» في الإسلام. وهل هي من الدين الحنيف حقا، وما المقصود بها، ومن المكلف بأمرها، وكيف نشأت، وكيف تطورت، وهل نأخذ بها اليوم في مجتمعنا أم لا. وقد كان هذا كله موضوعا لحوار صاخب طويل بين رجال القانون من ناحية، والصحافة من ناحية أخرى، والإسلاميين من ناحية أخيرة، حتى وصف الأمر كله بأنه «فوضى» ويجب أن تتوقف. إن قضية «الحسبة» مطروحة على الساحة الفكرية والقانونية والدينية في مصر هذه الأيام بكل قوة، والسبب في إثارتها بكل هذا الصخب هو الشيخ يوسف البدري، وحينما سألته: هل صحيح أنك المحتسب الجديد، وأنك سوف تستغل هذا الأمر لرفع دعاوى على أكثر من أربعين رمزا فكريا في مصر على رأسهم نجيب محفوظ .. قال : لا.. إن الأمر أكبر من ذلك بكثير، فالقضية القادمة سوف تزلزل المجتمع المصري كله من أقصاه إلى أقصاه، وسوف يكون لها دوي عالمي رهيب، وقد أعددت كل أوراقها ومستنداتها، وسنعرضها على القضاء قريبا. قلت: ضد من هذه القضية ؟ : قال: ليس الآن ولا هنا مكان الحديث عنها.. ولكن لننظر الآن فيما نحن بشأنه.. فماذا تريد؟

- قلت: أريد أن أعرف.. ماذا بينك وبين الأدباء والكتاب والفنانين؟

■ قال: ليس بيني وبينهم إلا كل خير. فأنا لا أترصد الناس، ولا أقف منهم موقفا عدائيا، وأنا أحب الفن وأتذوقه، وأشاهد المسرح، وأطرب لكل ما هو جميل. فالله جميل يحب الجمال. ولكن المشكلة تبدأ حين أصدم بأي أمر خارج لا يعجبني ولا يعجب غيري. وأما ما يكتب ويشاع عني من عداء للفن والفكر والأدب فهو ليس أكثر من فرقعة صحفية قامت بها مجلة «روزاليوسف» يوما وحصلنا على حكم ضد رئيس تحريرها، وتثيرها الآن مجلة «المصور» وسوف أقاضيها وأقاضي كل من كتبوا على لساني كلاما لم أقله بقصد شحن الرأي العام ضدي وضد كل ما هو إسلامي في مصر.

ـ هل صحيح أنك أعددت ملفات لأكثر من أربعين كاتبا وفنانا لتقديمهم للمحاكمة؟

■ إن العدد لا مفهوم له .. ولهذا لا تستطيع أن تذكر هذه الأرقام بهذه الدقة. ولكني اقرأ للجميع وتستوقفني أشياء فأكتب عنها لأناقشها وادحضها. ولكن أحدا لا ينشر لي. فنحن ندخل معركة غير متكافئة. هم يملكون الصحف والتأثير ونحن لا نملك حتى أن نرد عليهم. لقد هاجمنا ابراهيم سعدة في ثلاث مقالات في أكبر جريدة عربية فهل استطعنا أن نرد عليه. وهاجمني محمود التهامي في «روزاليوسف» وأغرى بي الدولة ووصفني بأنني إرهابي بالقلم أكمل دور الإرهابيين بالرصاص. ولم أستطع حتى أن أرد عليه. فماذا أفعل؟ ليس أمامي إلا القضاء ألجأ إليه. وليحكم القانون بيننا.. ثم من هم الكتاب الذين قاضيناهم من بين كل كتاب مصر.. إنهم لا يزيدون عن عدد أصابع اليد الواحدة. من بينهم نصر حامد أبو زيد. ومحمود التهامي. ووحيد حامد.. فهل يعتبر هذا إرهابا.

ـ لماذا قاضيت محمود التهامي رئيس مجلس إدارة «روزاليوسف»؟

■ لأنه سبني بأفظع أنواع السباب الفاحش فقال أن يوسف البدري يريد المساواة بالنساء. فكيف يعرض برمز إسلامي على هذا النحو البذيء. ثم راح يكتب قائلا: الشيخ الصاخب مريض نفسيا فلعله غاب عن المحكمة لأنه يعالج. ومعنى هذا أن الشيخ الذي يحاكم الكتاب مجرد رجل دعيّ يقود حركة غير طبيعية. وحينما يكتب التهامي قائلا إنني سأرفع دعاوى للتفريق بين الوزراء وزوجاتهم. وإنني سلاح في يد المتطرفين .. ماذا أفعل إزاء هذا الكذب كله إلا أن ألجأ إلى القضاء ليحكم لي أو علي.. فهل يعتبر هذا إرهابا أمارسه ضد أصحاب القلم. والله إنهم هم الذين يمارسون الإرهاب بصحفهم وأقلامهم.

ـ فماذا بشأن كاتب مسالم لا يملك جريدة ولا مجلة مثل وحيد حامد.. لماذا تقدمه للمحاكمة وهو يكتب فنا يقاوم به الإرهاب؟

■ لقد قدمني في فيلم «طيور الظلام» كرئيس عصابة، فلم يرفع أحد قضية في مصر على «أفيش» سينما إلا أنا وبعض المحامين .. وقد قدم هذه الشخصية بالضبط لشيخ يقود مجموعة من المحامين، وبعد أن نهدد الجميع ونكسب قضيتنا نعلن عن تنظيمنا الإرهابي. وهذا الفيلم يعرض منذ شهور في أكثر من ٤٠ دار عرض ولأربع حفلات كل يوم. فلماذا هذا التشويه والتعريض برمز إسلامي؟ لاحل أمامي إلا أن ألجأ للقضاء.

ـ ولماذا يفعلون هذا؟

■ لأننا نقف في وجه الخطأ، ونقول «لا» للمعصية ووالله لو صفقنا للفجور والمجون والانحراف لشجعونا، ولكنهم يشوهوننا ويعرضون بنا لأننا نقف في وجه الجرأة على العصيان. ثم أليس القانون حكما عدلا. فليحكم القانون لهم أو لي، مادمت لا أملك وسيلة اخرى.



- ليكن التهامي قد هاجمك بما لا يليق، ووحيد حامد استلهم شخصـ ك في فيلم له، فماذا بشأن نصر أبو زيد وهو مجرد باحث علمي قدم دراسات للترقية داخل أسوار الجامعة..

لماذا استخدمتم قانون «الحسبة» ضده وقاضيتموه؟

■ إن قضية نصر أبو زيد هي القضية الوحيدة التي لجأنا فيها إلى قانون «الحسبة» وما عدا هذه القضية فقد لجأنا إلى القانون العادي.

وقد ذهبنا إلى المحكمة بهذا الرجل لأنه يدرس الإلحاد في الجامعة، وقد شهد الأزهر بهذا في مذكرة من أكثر من مائتي صفحة تدمغه بالكفر فهل شيخ الأزهر إرهابي هو الآخر. وهناك تقارير عملية كتبها أناس أجلاء مثل الدكتور مصطفى الشكعه أثبتت كلها خروج الرجل عن الدين والملة، فلقد أفتى الجميع بكفره لأنه يقول إن الإسلام خرافة، والقرآن كلام محمد، وأنه نزل للعرب وحدهم، وهو مليء بالأغاليط والأساطير. فهل نسكت عن هذا كله. إن أحدا لو سبك فلن تسكت عنه، فما بالك لو سب الدين نفسه. هل هان علينا ديننا وإسلامنا حتى نسكت على هذا الكفر البواح الذي أجمع عليه الكل.

- ولماذا قضية الحسبة بالذات مع نصر أبوزيد؟

■ لأن جامعة القاهرة لم تتخذ ضده موقفا، بل رقته إلى درجة الأستاذية، ولم تفعل معه كما فعل الأزهر مع أحمد صبحي منصور الذي وضع كتابا عن التاريخ الإسلامي والأساطير الشعبية ثبت فيه مروق الرجل، فما كان من الأزهر إلا أن سحب منه رسالة الدكتوراة وفصله من الجامعة. أما مع نصر أبو زيد فلم يحدث هذا فهل نتركه ليعلم أولادنا الكفر والإلحاد. أن لي أبناء في الجامعة فأنا إذن صاحب مصلحة، ومن حقي أن أدافع عنهم، بمثل ما أدافع عن الإسلام والدستور معا.

- ومع هذا فإن هناك نفرا من المفكرين المسلمين البرزين مثل محمد الغزالي ومحمد عمارة وسليم العوا وفهمي هويدي وكمال أبو المجد وآخرين يرون أن تقديم

المصدر: الوطن العربي

التاريخ: ٢ فبراير ١٩٩٦

ابرز السؤال : [illegible] بركات

نصر أبو زيد للمحاكمة قد أساء للإسلام والمسلمين وشوه صورتنا في الغرب على نحو فظيع، إذ تم تصوير الأمر على أنه نوع من الاضطهاد الفكري حيث لا يستطيع الكاتب أن يفكر ويعبر بحريه حتى داخل أسوار الجامعة:

فهل أسأت - أنت - للإسلام بهذه القضية التي فضحتنا في الدنيا كلها؟

■ لن يرضى عنا الغرب المسيحي ولو أوقدنا أصابعنا شموعا من أجلهم. يقول تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم». فهل من أجل أن نحمي أنفسنا مما تقول إنه فضيحة نترك أولادنا ليتعلموا الكفر في الجامعة. هل نتركهم للإلحاد حتى يرضى عنا الغرب. هل نترك نصر أبو زيد يعلمهم التفسير والحديث ويقول لهم إن القرآن خرافات. إن الذي يعاني من الفضيحة هو الغرب. وانظر ماذا يحدث مع الأسرة المالكة في بريطانيا، وماذا يحدث مع كلينتون في أميركا. ولهذا لابد أن نعلن وبصوت عال أننا مسلمون ولا نخجل. يقول الله تعالى: «واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك». لهذا أقول للغزالي ولفهمي هويدي وللآخرين.. إذا كان الأمر كذلك فأصدروا نسخة جديدة معدلة من القرآن الكريم حتى نتجنب سخرية الغرب منا. يجب أن نحذف من القرآن الزوجات الأربع، والإماء، وما ملكت الأيمان لأن الغرب يعتبر هذا كله نوعا من الزنى، ويجب أن نحذف من القرآن كل ما يمس الربا لأن الربا هو عماد الاقتصاد العالمي. هل نفعل هذا بقرآننا لكي يرضى عنا الغرب، ومتى رضي عنا هؤلاء أو راعوا شعورنا. أنا لا أخجل من شيء وأنا أدافع عن دين الله، ولا أراعي في الحق لومة لائم. ووالله لو سب أحد الغزالي أو فهمي هويدي لساقه إلى المحكمة. فلماذا نسكت على من يسبون الإسلام. لقد وقف فهمي هويدي مع من هاجموا فيلم «المهاجر»، كما أن للغزالي شهادة شهيرة في قضية قتل فرج فودة. فلماذا يقفون من قضية أبوزيد هذا الموقف السلبي.. ألأنها لم تخرج من تحت أيديهم. لقد كتب د. العوا مقالا يقول فيه إننا خسرنا أنصارا كثيرين بسبب هذه القضية، فأي أنصار يريدون، أنهم يبحثون عن أنصار علمانيين يضرونهم ولا ينفعون. أما أنا فسأصدع بالحق مهما يقولون. لقد قال رسول الله بحديث الإسراء رغم أنه كان يعرف أن كثيرا من المسلمين سوف يرتدون بسبب هذا الحديث حين يختلط عليهم الأمر، ومع هذا فقد كان لابد أن يفعل ما يؤمر به. دون اعتبار لشيء إلا الإسلام نفسه.

- ماذا بينك وبين نجيب محفوظ؟

■ لا خصومة بيني وبين نجيب محفوظ، فقد كنت معجبا به وكنت من قرائه حتى نهاية الخمسينات. ولكنه بعد ذلك، ومع مطلع الستينات بدأ يتخلى عن مذهبه الواقعي ويكتب بطريقة رمزية ولكنها تشف عن كل شيء. وهنا بدأت ومنذ ذلك الوقت المبكر أهاجمه على المنابر، وحينما حصل على جائزة نوبل قلت إنه يجب أن يجرم ولا يكرم، ويعاقب ولا يكافأ. وحينما التقيت به سألني: لماذا تقول هذا؟ فقلت له: لأنك ملحد. قال: والله ما أنا بملحد. قلت: عظيم.. اثبت لنا هذا وتبرأ من كتبك التي تحتوي على إلحادك واحرقها وهي لا تزيد على خمسة كتب من بين ستين كتابا.. ليس عيبا أن نخطيء ولكن العيب أن نتمسك بالخطأ ونصر عليه.

ـ أين هذا الإلحاد في فن نجيب محفوظ؟

■ في رواية «الطريق» يبحث البطل عن أبيه، وأبوه هذا هو الله. وهو في رحلة البحث التي تنتهي بالموت لا يجد له أبا ولا يعثر عليه، بل يتعثر في الخطايا كلها ولا يجد إلها. وفي «التركة» يقول صراحة إننا لابد أن نعتزل الدين ونأخذ بالعلم. وفي «أولاد حارتنا» وبالرغم من كل الكلمات عن الرمز والرموز فإننا نعرف أن «الجبلاوي» هو الله.. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأن «إدريس» هو إبليس وأن «أدهم» هو آدم عليه السلام وأن «جبل» هو موسى وهو نبي من أولي العزم و«رفاعة» هو عيسى النبي الكريم و«قاسم» هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كنت أتمثل آيات الله فتقفز أمامي الكلمات وأنا أقرأ الرواية.. فماذا تريد بعد؟.

ـ ماذا تريدون أنتم؟

■ أن يتبرأ من هذه الكتب ويفعل كما فعل مصطفى محمود حين تاب إلى الله وتبرأ من أفكاره السابقة وكتب مجموعة كتب إسلامية رائعة منها «حوار مع صديقي الملحد»، وأن يفعل كما فعل الأشعري حين تاب عن الاعتزال وحرق كتبه.

ـ هل سترفع قضية حسبة على نجيب محفوظ للتفريق بينه وبين زوجته؟

■ نحن لا نحتاج إلى قضايا «الحسبة» في هذا الأمر ففي نصوص القانون العادي ما يفي بالغرض. ونحن لا نتعقب أحدا، بل نريد الإصلاح ما استطعنا.

ـ أليس تكفيركم للكتاب على هذا النحو مبررا يقدم للناس لكي يقتلوا خلق الله كما حدث مع نجيب محفوظ نفسه؟

■ لقد طعن نجيب محفوظ قبل أن نتكلم.وأنا أريد أن أقول إن كثيرا من الأحداث لا دخل للدعاة بهم، بل أن هناك عناصر في الداخل والخارج يريدون بالبلد سوءا، واقرأ كتاب نيكسون. وكتاب خالد محيي الدين لتعرف كيف تدبر المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين وينسب هذا كله بعد ذلك للإسلاميين زورا وبهتانا.

ـ تتحدث مصر كلها الآن عن قضايا «الحسبة» بعد أن استندت إليها في قضية نصر أبوزيد.. فما هي الحسبة إسلاميا؟

■ الحسبة هي الإسلام. وهي ليست أبدا كما قال البعض أو كما قال الأستاذ خالد محمد خالد صاحب كتاب «من هنا نبدأ».. قال الشيخ الفاضل إن الحسبة قد انتهت وأنها أنشئت أصلا لمراقبة التجار في الأسواق في صدر الدولة الإسلامية. وأقول له «لا».. لقد أخطأت كما أخطأت حينما قلت إن «أخلاق المدنية أهدى من أخلاق الدين». فالحسبة هي طبيعة الأمة الإسلامية. انها هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».. وحينما بشر الله اليهود والنصارى بمحمد وصفه بأنه المحتسب الأول. ومعنى هذا أن الأمة تضيع حين تضيع الحسبة بين المسلمين. وأبوبكر العظيم هو الذي كان يطلب من الأمة أن تقومه بالسيف إذا أخطأ. إنه لم يطلب أن

شتمني محمود التهامي وقال إنني أريد المساواة بالنساء وإنني إرهابي ومريض نفسيا

ينصحوه أو يرشدوه بل أن يقوموه. وعمر بن الخطاب حين اتسعت الدولة الإسلامية في عصره أنشأ الدواوين والوزارات فأقام وزارة للحسبة وكانت وزيرتها امرأة هي السيدة «الشفاء» أم عبدالله.

- ما تعريف الحسبة بالضبط؟

■ هي وظيفة تقوم بإلغاء المنكر الظاهر والأمر بالمعروف المعلن. أما ما يحتاج إلى شهود وإثباتات وبحث فيحوله المحتسب إلى القاضي.

- هل معنى هذا أن كل مسلم هو محتسب بالضرورة؟

■ هناك أمر نبوي يقول «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه.. وهذا أضعف الإيمان».

- ألا ينوب عن المجتمع الآن النيابة والنائب العام فهم يدافعون عن مصالحه وقيمه؟

■ النيابة والنائب العام يحفظون أشياء يرون أنها غير مهمة لأن القانون الذي بين أيديهم ليس قانونا إسلاميا. وهناك حكم من المحكمة الدستورية العليا يقول بأن نصف القوانين المعمول بها الآن لا تنطبق مع المشروع الدائم الذي وضعه السادات ونص فيه على أن الإسلام هو دين الدولة .. والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع. ولهذا استحث المجلس سرعة إصدار القوانين الإسلامية، ومعنى هذا أننا نحترم القوانين الموجودة لحين تعديلها. أما القوانين الجديدة فلابد أن تصدر موافقة لتعاليم الإسلام.

- وما رأيك فيمن يطالبون الآن بإلغاء قانون «الحسبة» ويقولون بأنها أصبحت «هوجة»؟

■ لقد اجتمعت بالرئيس مبارك لمدة ساعتين، وكان موضوع «الحسبة» من بين الموضوعات التي ناقشتها معه، وقد وافق الرئيس على إعادة الحسبة من جديد، وقدمت له مذكرة ضافية، كما قدمت أخرى لرئيس الوزراء. لقد تفرقت وظيفة الحسبة بين شرطة الآداب، والتموين، ومأمور الضرائب، وشيخ المسجد، وغيرهم، مع أنها يجب أن تجتمع في وزارة.. وظني أن الرئيس مبارك حين سمع مني اقتنع تماما بهذا.

- ثمة كتاب يكتبون ضد الإسلام من وجهة نظركم مثل حسين أحمد أمين، وسعيد العشماوي، وفؤاد زكريا، وغيرهم.. فلماذا لم تقتربوا منهم كما فعلتم مع رجل مثل نصر أبو زيد؟

■ من قال إننا لم نقترب منهم، أن بين أيدينا دراسات ضافية عن كل منهم، ولكن كل شيء بأوان، ونحن نقدم الأهم على المهم، فحينما يكتب هؤلاء فإن ضررهم محدود، أما حينما يدرس رجل كهذا في الجامعة ويخرج طلابا ملاحدة فتلك هي الكارثة.

ـ هل صحيح أن هناك تناقضا حادا بينك وبين الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى؟

■ نعم.. هناك اختلاف عميق بيننا رغم أنني بدأت إخوانيا فقد كنت أحد الأشبال من حرس الإخوان. ولكن أبي علمني بعد ذلك أنه لا جماعات في الإسلام، وأن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم. ومنذ ذلك اليوم تعلمت أن أي جماعة أو تكوين أو حزب لا يمكن أن يكون إسلاميا أو في خدمة المسلمين والإسلام. إنه تفريق للمسلمين. فإذا كانو هم إخوان مسلمون. فماذا يسمى الآخرون. الإخوان الكفار. وإذا كانت هذه جمعية السنة المحمدية. فمن هؤلاء: هل هم أعداء السنة. وإذا كان هؤلاء هم السلفيون، فماذا نسمي الآخرين.. هم المبتدعون، إذن وإذا كان هؤلاء هم شباب محمد. فهل الآخرون هم شباب الشيطان. تلك كلها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان. وظني أن وزارة الشؤون الاجتماعية وتبنيها لهذه الجمعيات إنما تقوم حتى دون أن تدري بتفريق المسلمين. إن كل جماعة منهم تهاجم الجماعة الأخرى. وكل منهم يدعي أنه وحده هو صاحب الحق وأنه يملك الصواب المطلق. وكل يدعي وصلا بليلى، وليلى لا تقر لهم بذاكا. فإذا اشتبكت دموع في عيون تبين من بكا ممن تباكى». لهذا كله أنا ضد أي جماعة ولم أعد أنضوى تحت لواء أي منهم. إن الإخوان المسلمين بدعة، والجماعات الأخرى كلها بدعة كذلك. وهم يعلمون رأيي هذا ولهذا يبادرونني بالعداء.

ـ وما أسباب هذا الرأى الذي تقول به؟

■ لأنهم يتخذون من الإسلام ستارا من أجل السلطة والوصول إليها. وانظر إليهم إذا خاطبوا أو كتبوا إلى مسؤول. انظر إلى التفخيم والتعظيم والملق. ثم انظر إلى ما يصنعون من أجل أن يصلوا إلى ما يريدون.

- ليس خطأ أن يسعى الإنسان إلى السلطة؟..

■ نعم.. ولكنك إذا اتخذت الإسلام شعارا فيجب أن تطبقه على نفسك أولا.. وهم يفهمون ما أعني. ثم إن أفراد جماعة الإخوان في الحقيقة ينصرف ولاؤهم مثل أي جماعة أخرى إلى الجماعة نفسها، حتى أنني أقول أن ولاء الفرد منهم للجماعة أكبر من ولائه لله. ولهذا فإن كلماتهم مجرد شعارات تبدو كالحق ولكنه الحق الذي يراد به باطل. إنهم طلاب سلطة. وأما الجماعات الأخرى فهم فقط يبحثون عن دور ليظهروا به ومن خلاله بين الناس.

- هم يعملون إذن من أجل هدف.. فما هو هدفك؟

■ يعلم الله أنني لا أفعل شيئا من أجل نفسي، بل أنني أحارب الفجور، وأدعو إلى الإسلام، ولست أبغي نفعا ولا شهرة ولا مجدا، ولا نقودا. فأنا لا أملك شيئا، لا عمل، ولا وظيفة، ولا جماعة، ولا أي شيء.. لا أملك إلا كلماتي التي أبتغي بها مرضاة الله.

فهل تكفي؟!

الدكتور عبدالصبور مرزوق لـ «حريتي»..

العبث بشهر الصيام .. مرفوض!

الاسلام لا يعارض الفنون ..
ولكن يعارض الابتذال والهبوط

نعم تذوقت رمضان خارج مصر..
تذوقا روحيا

الحسبة تعبير عن ضمير الأمة ..
وتنظيمها ضرورة

حوار: حاتم هلال

تصوير: محمود عبدالحميد

● المفكر الاسلامى الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب الامين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .. واحد من أكثر العقليات المسلمة معرفة .. وهو يملك إلى جانب سعة الثقافة جرأة الفكر ، ولهذا يحسم الكثير من قضايانا الاسلامية بأكبر قدر من الاستنارة الفكرية ، والفهم الواعى لفقه الواقع ، ومعرفة ماهو أولى ليقدم على ما ليس بأولى .

ذهبت إليه فى مكتبه .. بابتسامة عريضة استقبلنا ، وبعد الترحيب والتهنئة بالشهر الكريم .. كان هذا الحوار .

واذكر اننى كنت اقلد جدى فى الاذان وقراءة القرآن .. وأنا صغير فى سن السابعة كان الناس يقبلونى ويفطرون على أذانى .. هذا كله أعطانا ثقة ومحبة لدينى وعقيدتى والحمد لله استفدنا وهذا وقانا شرورا كثيرة فيما بعد .

خارج مصر

● لرمضان طعم خاص فى مصر فهل تذوقته بعيدا عنها ؟

● ● نعم تذوقت رمضان خارج مصر تذوقا روحيا تماما حيث القرآن فى كل مكان والمساجد المزينة

بالشموع والمليئة بالمصلين سواء الصومال أو اندونيسيا أو مكة أو غيرها ولا أنسى المشاهد العفوية البسيطة التى تنم عن البهجة فى الاحتفال برمضان فى الصومال حيث كنت أعمل مديرا للمركز الاسلامى هناك . كان المسحراتى يسير فى موكب كبير راقص وينشد أناشيد صوفية بديعة كنوع من العشق الالهى الجميل مثل رابعة العدوية عندما كانت تغنى قصائدها المشهورة .. وكنت انتظر الرجل واستوقفه وأجهز له فنجان شاى من أجل أن أستمع إليه .. وكان يقول هذه الاناشيد باللهجة الصومالية وبعد أن استطعت ترجمتها تذوقت فيها معانى جميلة فوق ماتتصور . وهذا يدل على ان الشارع مسلم فى أى مكان فى العالم الاسلامى سواء كان يتكلم العربية أو غيرها .

اضافة

● هل هناك خطة جديدة للعمل فى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية من أجل النهوض بالدعوة فى ظل وجود الدكتور زقزوق معكم كوزير للاوقاف ؟

● ● الحقيقة أن المجلس كان له اتجاهات .. ولكن عندما اتى الدكتور زقزوق أضاف الينا بعض الاشياء المهمة الدكتور زقزوق اساسا كان معنا كرئيس للجنة الفكر الاسلامى قبل أن يكون وزيرا فلقد طلب التركيز على السلاسل العلمية التى تعالج قضايا حية ومعاصرة . وتم تحديد أكثر من قضية نعمل فيها الان منها : العنف فى العالم .. الحالة والعلاج . الارهاب

لا يصح لكل من هب ودب .. أن يكــــون محتســـبا!

لاصلة له بالاسلام . الدور الغائب للعالم الاسلامى . دور العمائم فى حركة التنوير وهذا وغيره نرد فيه على من يقول أن الاسلام هو الارهاب ونعالج فيه الدور الاسلامى الغائب الذى انكشف فى البوسنة والهرسك حتى كان «فضيحة» للمسلمين جميعا ونوضح مفهوم التنوير الحقيقى الذى سرقه البعض

وادعوا أنهم أصحاب التنوير مع أن التنوير فى الاسلام ورواده علماء الاسلام .

● هل يمكن أن نعتبر ما تقومون به الان فى المجلس الأعلى منافسه لهيئة الكتاب أم ردا عليها أم ماذا ؟

● ● بصراحة أنا لا أدخل اطلاقا فى منافسة مع أى أحد يعمل . كل ما هنالك نحن نعمل نوعا من التصحيح القيم والموازين . وبدلا من ان أضيع وقتى فى الرد على السلبيات فاننا نتعامل بطريقة ايجابية تتمثل فى اصدار كتب صحيحة ومقبولة تحمل مبادىء الاسلام الصحيحة والحقيقية والتى من شأنها ان تصحح وتقضى على كل انحراف فى مجال الفكر والعقيدة .

● هل دعاوى الحسبة التى ظهرت الان بشكل لافت للنظر بحاجة الى تنظيم ؟ وما هى الحسبة ؟ وهل أى انسان يصلح أن ينصب من نفسه محتسبا ويدين هذا ويكفر ذاك ؟

● ● أى عمل لابد أن ينظم وهذا شىء طبيعى بل ان تنظيم دعاوى الحسبة ضرورة .. لأن من الممكن ان يقول كل واحد أنا محتسب واحد لم تعجبه «غنوة» فى الراديو يرفع دعوى على من قالها يقول فيها أنا محتسب وان هذه الأغنية ضايقتنى وأذت ذوقى . فلابد أن يكون للحسبة ضوابط .

والحسبة هى التعبير السليم عن ضمير الامة .. والمحتسب يمثل ضمير الامة .. وسيدنا عمر عمل المحتسب من أجل أن يمشى فى الاسواق يتبين الغشاشين من غيرهم من هنا ظهرت فكرة الحسبة

التى تؤدى الى تكليف مسئول ما يمثل المجتمع فى رقابة السلوك العام للبلد . وهذا الذى تقوم به النيابة العامة فى القانون الوضعى . فأنت من الممكن تتشاجر معى وتتصالح بعد ذلك والنيابة العامة تقول ماشى لكن اين حق المجتمع ؟! لابد من أخذ حق المجتمع .

وليس كل من هب ودب يصلح محتسبا فهناك شروط رهيبة وعظيمة للمحتسب منها . أن يكون نقى الضمير . نقى الخلق . لاغبار عليه ولا يجرح بأى وجه من الوجوه . لايقصد مصلحة شخصية فى إطار دعوى الحسبة وإنما يقصد المصلحة العامة للمجتمع . لايكون مدفوعا بهوى من الاهواء أو متأثرا بحزب من الأحزاب . أو يريد من وراء رفع هذه الدعوى نوعا من الشهرة أو الافساد السياسى . أى لابد أن يكون رجلا يقوم بالعمل حسبة لوجه الله تبارك وتعالى ولمصلحة الوطن ولمصلحة العقيدة والدين - أى للمصلحة العليا والعامة للمجتمع لأنه إذا فسد المحتسب فستكون كارثة .

ولو أخذنا بمبدأ الحسبة فلابد لها من تنظيم لابد أن تحدد شروط وصفات المحتسب .. لكن أن تترك دعاوى الحسبة لأى انسان فستكون بلاشك فوضى مرفوضة . وكل واحد يأتى ليعمل «نائب عام» ويوسف البدرى مع الاسف الشديد جعل القضية للقيل والقال والسخرية . ولهذا لابد أن تنظم المسألة بين

المصدر : مصرية

التاريخ : ٢ فبراير ١٩٩٦

يوسف البدرى حول القضية .. الى سخرية

يعارض الابتذال ويعارض الاسفاف ويعارض كل ما يجرح مشاعر الناس ويهبط بها إلى الدرك الاسفل .

القضايا المطروحة للنقاش مع د. عبدالصبور كثيرة ومتنوعة.. الا ان شهر الصيام فرض نفسه .. وبطريقته العقلية الهادئة فى التفكير والتعبير بدأ الحديث فقال : شهر رمضان المعظم له خصوصية لا توجد فى اى شهر اخر .. وخصوصية رمضان شكلها القران الكريم الذى نزل فيه من بيت العزة الى السماء الدنيا ، وليلة القدر التى هى خير من الف شهر والانتصارات العظيمة التى حدثت فى تاريخ الامة سواء انتصارات حديثة أو قديمة .. هذه الخصوصيات التى يتميز بها الشهر الفضيل تستوجب أن نتعامل نحن أيضا معه بخصوصية .. بمعنى اذا كنا فى غير رمضان نباشر بعض الامور المظهرية التى لا يقصد بها وجه الله وإنما يقصد بها وجه الدنيا .. فينبغى ان نتخلص من كل هذا فى رمضان لان هذا شهر خاص بالله سبحانه وتعالى ولا يحتاج «لبروباجندا» وتظاهر . والله تبارك وتعالى يقول : «كل عمل ابن ادم له الا الصوم فهو لى وأنا أجزى به».. فيجب أن نتجرد من اى شبه تظاهر او رياء ونجعل العمل خالصا لوجه الله تعالى فى رمضان .

ومن المخزى والمحزن ان فى كثير من بلاد العالم الاسلامى ـ وعندنا ايضا ـ يحول شهر رمضان إلى شهر ترفيهى وترفى .. ونحن لا نعترض على الترفيه او التسلية .. ولكن لا يجب ان تصل الامور إلى هذه الدرجة بحيث يتحول شهر الله تبارك وتعالى الى شهر للفوازير ، ويتم فيه تقديم كل هذه البرامج التى ليس لها اى مضمون ولا مدلول لا علمى ولا تاريخى ولا فكرى .. ان هذا الشهر العظيم الذى له الاثار الكبرى فى حياة الامة عبر التاريخ كله القديم والمعاصر والذى هو شهر الله يجب ان تتركز فيه البرامج التى تعطى الانسان قيمة أو تساعد على بناء الشخصية بوجه من الوجوه وليست التى تؤدى الى تمييع الشخصية وتحويلها من الجدية إلى الهزل الذى لا خير فيه .. ان ما يحدث يعطى انطباعا بأن المسائل تؤخذ بالشكليات دون ادراك المرامى والمقاصد الشرعية المطلوبة فى مثل هذا الشهر.. هذا بالاضافة ان ما ينفق علي مثل هذه البرامج يمكن أن ينفع في تحفيظ القرآن أو بناء المدارس أو المستشفيات أو تشغيل أكثر من عاطل .

أنا قرأت عن واحدة انها لكى تستعد للفوازير اشترت ملابس بثلاثين ألف جنيه .. تخيل ٣٠ ألف جنيه تسعد كم أسرة فى هذا الشعب من الفقراء والمحتاجين !! ان ما يحدث يصطدم برمضان وبطبيعتنا كمواطنين مسلمين ولهذا يجب أن يكون الاحتفال بشهر الصيام متفقا مع طبيعتنا كمسلمين. ثم ان ما يحدث غير مطلوب على المستوى السياسى ولهذا لا ينبغى تحدى مشاعر الناس بهذا الاسلوب . وهذه البرامج التى ليس فيها أى فن أو جمال . الاسلام لا يعارض الفنون ، ولا يعارض القيم الجميلة ، ولا يعارض اطلاقا أى شوء طيب .. لكن

ذكريات القرية

● ما هى ذكرياتك مع الشهر الفضيل فى تجربتك كطفل فى القرية ؟

● ● صمت رمضان وسنى ٦ سنوات.. لأنى نشأت فى بيت مشايخ ، والدى وجدى كانا شيخين.. والشيء الذى لا أنساه فى تجربتى كطفل فى القرية «المسحراتى» وكان اسمه «عم السيد سكر» توفى من حوالى ٥٠ سنة .. ولكن لا أنساه أبدا .. هذا الرجل كنت أمشى وراءه فى السحور وعندما كانت تأتى العشر الأواخر من رمضان كان يردد أناشيد جميلة بسيطة يودع فيها شهر رمضان . وكان الرجل يبكى وأنا أبكى معه . أتخيل أن رمضان شهر عزيز ولن يعود وسيفارقنا فراقا أبديا فأبكى مع الشيخ سكر .

الأمر الثانى فى القرية هو أن الفلاحين كانوا لا يفطرون داخل منازلهم . إنما فى الدوار ، كل واحد يأخذ «صينية » ويذهب أو يفطر خارج البيت امام الباب . ومعنى أن يفطروا امام الباب ان المائدة مفتوحة لاى قادم غريب أو قريب.. وهذا نوع من التكافل الطيب الذى من المفروض ان نكثر منه والتي تعتبر موائد الرحمن تطويرا له .. لكن ظاهرة القرية «شكل تانى» كل فرد فى القرية كان يفعل هذا كأنه واجب وكما يقول المثل «الجودة بالموجود» الذى اكل منه افضل منه .

وبالنسبة للقرآن كنا نحتفل به فى «الكتاب» ونحن صغار كان سيدنا رحمة الله عليه يجمعنا ويؤلف نشيدا نطوف به القرية بعد الافطار اسمه «حنان يامنان» اذكر منه : «حنان يا منان».. ساعدنا على القرآن . وانصر مولانا السلطان ـ طبعا لم يكن هناك سلطان ولا غيره ولكن هكذا النشيد ـ مولانا يا مولانا يا سامع دعانا .. أمة محمد لا تخيب رجانا .. يا رجا كل الرجا يا عظيم المرتجى يا لطيف لطفك .. يا كريم عطفك .. إلى اخر النشيد.. وكنا نلف القرية وكان الناس يثنون علينا ويعطوننا «كرملة».

النيابة العامة والمحتسب ولابد من لجنة من القانونيين والشرعيين لتضع الحدود المتاحة للنائب العام والحدود المتاحة للمحتسب وبهذا يتم التعاون بينهما فلابد من التنسيق مالا حق فيه للنائب العام يمكن ان يكون فيه حق للمحتسب . وما هو حق للمحتسب يمكن أن يكون للنائب العام . فلو أنت نائب عام وضبطت قضية زنا لامرأة متزوجة فأنت لاتستطيع أن ترفع عليها الدعوى إلا إذا أذن زوجها هذا فى القانون المدنى فإذا اتضح أن الزوج فاسد الاخلاق رجل ديوث والعياذ بالله . هنا يقول المحتسب لا .. أنا الذى أرفع الدعوى ولو ان الزوج رفض لأن هذا حق المجتمع وحق العقيدة وحق الله فالمسألة أولا وأخيرا محتاجة الى تنظيم .

على باب الله: محمود السعدنى

المفتى .. الحلال والحرام !

صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية هو موظف عام يحتل منصبا رفيعا فى الحكومة . وهذه الحكومة هى التى اختارت المفتى ، وهى التى رفعته إلى هذا المكان السامى ، ولا يعقل أن يكون اختيار المفتى ووضعه فى هذا الموقع الخطير لمجرد الزينة أو لاستكمال الديكور ، ولابد أن يكون الهدف من إنشاء منصب المفتى أن يكون صاحبه بمثابة مصباح ينير الطريق الشرعى الواجب سلوكه على الحكومة ! هذه بديهيات ولا أتصور أن يثور خلاف حولها ، ولكن مع الأسف الشديد اكتشفت أخيرا أن هذه البديهيات هى مجرد شعارات من نوع .. إغسل يديك قبل الأكل وبعده ، و .. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد ، وأمثالها من الشعارات التى كانت مطبوعة على أغلفة كراريس وزارة المعارف زمان ! بدليل أن فضيلة المفتى يفتى ولا من شاف ولا من درى ، المفتى يفتى وكل حى فى سوقه ، وعلى طريقة اتفضل شاى ، لأ أنا متشكر ، أو خالتى جت عندكم ؟ لأ ماجتشى ! طيب إذا كان هذا هو موقف الحكومة من المفتى ، فلماذا لا نعمم التجربة ؟ فنسمح للمحاكم بأن تأخذ برأى المفتى أو تمر عليه مرور الكرام ، ثم .. لماذا نبقى على المفتى نفسه .. إذا كنا لا نعمل بفتاويه ؟

وصاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية المتربع الآن على كرسى الإفتاء ، صرح أو أفتى منذ أيام بأن الحج إلى بيت الله الحرام على حساب الدولة المديونة حرام ، ولا أعتقد أن المفتى يقصد فرنسا بالدولة المديونة أو يقصد سويسرا ، ولكنه بالتأكيد يقصد دولة مصر المديونة حسب تقارير البنك الدولى وتقارير صندوق النقد الدولى! وصاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية سبق له أن أفتى من قبل بالفتوى نفسها ، وبالرغم من ذلك لم يحدث أى شىء على الإطلاق وكأن المفتى يؤذن فى مالطا ، والأعجب من ذلك أن العكس هو الذى حدث ، فى السنوات التى تلت فتوى صاحب الفضيلة فى عهد الدكتور عاطف صدقى ، تضخمت بعثة الحج الرسمية على حساب الدولة ، وأنفقت الحكومة المديونة أموالا طائلة على بعثات الحج بالمجان ، ولم نسمع أن أحدا من المسلمين الذين ذهبوا للحج البلوشى أنه تردد أو أحجم بعد فتوى المفتى ورفض

- السفر ، وهو دليل على أن الفكرة العامة لدى المصريين أن المفتى رجل حنبلى مع أن الدين يسر لا عسر ! لم يرفض موظف واحد السفر فى بعثة الحج البلوشى ، بل لجأ أغلبهم إلى الوساطة وإلى المحسوبية لكى يتمكنوا من السفر على حساب الدولة المديونة .

وأذكر أننى استمعت إلى تقرير شامل فى سهرة طويلة من أحد الوزراء وكان رئيسا لبعثة الحج منذ عدة سنوات ، استمعت إلى ما يندى له الجبين وإلى ما يُرعش الضمير من تصرفات البعض ، وخصوصا من وزير آخر جاء إلى الحج منفردا ، ولكنه أصر على أن يحصل على نصيبه من النعمة ، وطارد رئيس البعثة فى كل مكان حتى هبر بدل السفر الذى ليس من حقه ، وعملا بالمثل القائل : خد من دقنه وافتل له !

ولكنى وبالرغم من هذه الصورة البشعة أطرح سؤالا على الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء فى هذه المرحلة الجديدة : هل سيكون سلوك الحكومة الجديدة مطابقا لسلوك الحكومة السابقة فتعمل ودنا من طين وودنا من عجين ؟ هل ستبقى فتاوى المفتى مجرد طلقات طائشة فى الهواء ؟ أعتقد أن الوضع لابد أن يتغير فى عهد الدكتور كمال الجنزورى، وأنتظر الآن قرارا من مجلس الوزراء فى عهده الجديد بإلغاء بعثة الحج المجانية ، لأنها بشهادة مفتى مصر .. حرام !

والعبد لله لا يطالب بإغلاق الباب بالضبة والمفتاح ، ولكنى أطالب ببعثة حج مجانية تشمل أسر بعض الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فى معارك الوطن الكبرى، ممكن أيضا اختيار بعض المجتهدين من صغار الموظفين الذين اقتربوا من سن المعاش ، أما هذه الزفة من كبار الموظفين وحاشيتهم ، أما هؤلاء الذين لا يتقون الله فى المال العام ، فلا وألف لا ، أما إذا غطرشت الدولة وتجاوزت كلام المفتى ، فليس من حق أحد أن ينصحنا نحن الرعية بالاستماع إلى فضيلة المفتى أو اتباع فتاويه ، فإذا قال لنا الإرهاب حرام ، قلنا له .. لا بل إنه حلال ! وإذا قال لنا فوائد البنوك حلال ، قلنا له .. لا بل إنها حرام ! وإذا كانت الدولة التى عينت المفتى لا تصدقه ولا تنفذ ما يفتى به، فلماذا نستمع له نحن المواطنون وننفذ وصاياه !؟

وصدقونى إذا قلت لكم أنها ستكون ضربة معلم من حكومة الدكتور كمال الجنزورى إذا أصدرت قرارا بوقف هذا العبث ، أولا حفاظا على أموال الدولة ، وثانيا احتراما لفتوى المفتى ولكى تضرب المثل للرعية بأن احترام كلام المفتى واجب على كل مسلم يعبد الله وملائكته ورسله وكتبه ، وكفانا ديونا ننفق بعضها على النفخة الكدابة والمظاهر الفارغة التى لا ترضى الله ، أما إذا حدث العكس وغطرشت الحكومة كما فعلت أخت لها من قبل ، فالعبد لله ينصح المفتى بالاستقالة ، لأنه ما معنى أن يبقى المفتى فى منصبه وفتواه لا توضع موضع التنفيذ ولا تأخذ حقها من الاحترام؟

هذه هى المسألة باختصار واللهم قد بلغت، اللهم فاشهد !

ooo

ياميت حلاوة ياناس على حظ العبد لله، لقد أتيح لى عن طريق المصادفة رؤية القرن الحادى والعشرين ، رأيته بعينى ولمسته بيدى وسمعته بأذنى ، وكان لقائى به فى صالة متوسطة ملحقة بمكتب الدكتور حسين بهاء الدين وزير التعليم . والصالة مزدحمة بأجهزة

المصدر : المصور
التاريخ : ٩ فبراير ١٩٩٦

كمبيوتر متصلة اتصالا مباشرا بألفى مدرسة على امتداد المحروسة ومن الاسكندرية إلى أسوان ، وهو نظام جديد للتعليم تجربه مصر فى الوقت نفسه الذى يجرى تجربته فى ولاية كاليفورنيا ، لم يعد المدرس هو وسيلة الانتقال الوحيدة للعلوم من الكتب إلى عقول التلاميذ ،

وياحظ التلامذة المهبب إذا كان المدرس معقدا أو كسولا أو غير مؤهل لمهنة التدريس ، والله يرحمه الزمرانى أفندى جعلنى أكره الحساب حتى حساب الجزار والبقال ، والله يرحمه الشيخ عبد العال جعل بينى وبين قواعد اللغة العربية ثأرا ولا الثأر بين الزناتى خليفة وأبو زيد الهلالى ، والله يرحمه عباس أفندى الذى جعلنى أحب العمى وأفضله على دروس الفيزياء .

الدروس الآن لم تعد كلاما مرسلا وحسب مزاج المدرس ، هاهى الجغرافيا أمامك ، هضاب وجبال ووديان ، خط استواء ومدار جدى ومدار سرطان ، هاهى أمامك حية بأعشابها وغاباتها ووحوشها وسكانها ، وها هو نهر المسيسبى بهديره وتماسيحه وأسماكه القاتلة ، وهاهو التاريخ بشحمه ولحمه ، معركة مرج دابق أمامك ، وصلاح الدين الأيوبى شخصيا وهو على حصانه ، وهاهى معركة عين جالوت وقطز على رأس الجيش والظاهر بيبرس عن يمينه ، وهاهم التتار بقضهم وقضيضهم يفرون مذعورين كالكلاب الجربانة، وتتكسر شوكتهم إلى مالا نهاية!

هاهى الفيزياء خطوة خطوة ، وحساب المثلثات عملية بعد عملية ، حتى الحمار - لامؤاخذة - يفهم الدرس ويستوعبه ، لا مكان بعد تطبيق النظام الجديد للدروس الخصوصية، ولا مكان للفشل أو الخيبة فى المدارس ، عدد المدارس المستفيدة الآن ألفان فقط ، وبعد فترة يسود النظام مدارس مصر كلها . ياحظ محمود أكرم السعدنى ويابخته بالنظام الجديد ، ولو كان العبد لله حضر هذا النظام لأصبحت عالما نوويا ولا أينشتين ، أو بعبعا فنيا ولا فرانكشتين ! ثورة تعليمية حقيقية رأيتها فى بدايتها وأتمنى أن أراها عندما يتسع مداها فتشمل الجمهورية كلها .

برافو وزير التعليم ، جعلتنى أشاهد نهضة مصر فى القرن الحادى والعشرين ، وما رأيته فى الصالة الملحقة بمكتبك ، جعلنى أؤمن بمستقبل بلدنا وأطمئن !

«نحن .. يوسف البدرى» !

□ إذا تكلم أحد بصيغة الجمع فهذا يعنى إما أنه يتحدث باسم جماعة ما أو أنه يقصد تعظيم نفسه.

والأرجح أن الشيخ يوسف البدرى عندما تحدث لجريدة الشعب بصيغة الجمع لم يكن يقصد فقط تعظيم نفسه، وإنما كان يبغى أيضا إقناعنا أنه يتحدث باسم جماعة أو مجموعة ما.

فها هو يقول: «قمنا برفع دعاوى.. وحكم القضاء لنا».

«وقمنا بمحاولات كثيرة للحوار معهم يقصد مخالفيه فى الرأى - وحاولنا الحوار مع نصر أبوزيد عدة مرات وأرسلنا له انذارات قضائية».. «نحن حتى الآن لم نستخرج صوراً رسمية لحكم الاستئناف».

ويقول أيضا: «لسنا هواة تفريق».. «لقد اضطررنا لاستخدام حقنا القانونى السلمى».

وهكذا معظم كلامه فى الحديث جاء بصيغة الجمع.. لم يكن هذا عفوا لأنه عندما حاول التنصل من بعض ما قاله من قبل شخصيا تكلم وقتها بصيغة المفرد!

ومعنى ذلك أن يوسف البدرى يتحدث فعلا باسم جماعة أو مجموعة ما.. وكان حريصا على ايصال هذا المعنى لمن سيقرأ حديثه بجريدة الشعب.

وفى هذه النقطة بالذات لم يجانب البدرى الصواب فهو فعلا يتحدث باسم مجموعة انتزعت لنفسها حق الوصاية على المجتمع وعلى كتابه ومثقفيه ومبدعيه وفنانيه.

وأعضاء هذه المجموعة لايعترفون بصواب إلا ما يرونه أو يقررونه هم فقط، أما ماعداه فهو باطل أو خطأ يجب أن يقلع الآخرون عنه، وإذا لم يفعلوا وجب تكفيرهم وتطبيق عقوبة الردة عليهم وتفريقهم عن زوجاتهم.

وهذه المجموعة لاتختلف عن باقى المجموعات المتطرفة التى ابتليت بها بلادنا فى السنوات الأخيرة والتى استطاعت غواية عدد من شبابنا وسلبه أهم ما منحه الله لهم وهو العقل.

ولا أعتقد أننا نغالى إذا اعتبرنا مجموعة البدرى التى يتحدث باسمها تخدم بما تفعله تلك الجماعات التى تمارس العنف والإرهاب فى بلادنا، تدعمها وتساندها وتقدم لها مزيدا من العقول المضللة.. الجاهز أصحابها لحمل السلاح فى وجه المجتمع.. فالإرهاب الفكرى يفضى عادة للإرهاب المسلح ويمهد له.

إن عمل كل هذه المجموعات المتطرفة يصب فى مجرى واحد هو مجرى العنف المسلح فى النهاية.

والشيخ يوسف البدرى يدرك ذلك ويعيه جيدا.. وبدون أن يقصد أشار إلى ذلك فى حديثه للشعب أيضا.. فها هو يقول: «إن أمسكنا مدفعا قالوا إنكم إرهابيون وإن أرسلنا مقالات لم تنشر وألقيت فى سلة المهملات أو شوهت وحرفت.. وإن ذهبنا إلى المحكمة قالوا الفاشيون قادمون».

ومعنى هذا الكلام لايمكن أن يخطئه. أحد أن الذين يمسكون المدفع هم أنفسهم الذين يذهبون للمحكمة ويكتبون المقالات ويصيغون الفتاوى لإرهابنا».

هذه هى كلماته وإن أراد يوسف البدرى أن يتنصل منها كما فعل معنا فى المصور، رغم التسجيل الصوتى له، فليقاضِ أصحابه فى الشعب.

● عبدالقادر شهيب

المصدر: أخبار اليوم

التاريخ: ١٠ فبراير ١٩٩٧

■■ الموقف السياسى ■■

رجوع الشيخ إلى.. صوابه!

■■ بقلم: إبراهيم سعده

يبدو اننا منحنا الشيخ يوسف البدرى الفرصة التى كان يتمناها، وهى أن يظل فى «دائرة الضوء» بحيث تنشر الصحف عنه وعن شطحاته وعن معاركه التى لا تنتهى مع الدنيا كلها، مادامت تلك المعارك تشهره، وتُجبر الناس على ترديد اسمه!

فمنذ أسبوعين كتبت - فى هذا المكان - منتقدا «سيدنا الشيخ» الذى أكد - فى حديث صحفى أدلى به لمجلة «المصور» وأعدنا نشره فى «أخبار اليوم» - أنه سوف يسحب نجيب محفوظ الى المحكمة مطالبا بتفريقه عن زوجته، كما أضاف - محذرا، ومهددا، ومتباهيا - إنه انتهى من إعداد ملفات خاصة بأكثر من أربعين مفكرا وصحفيا وعالما وفنانا ومبدعا، لسحبهم جميعهم الى نفس المحكمة بعد أن اتهمهم بالكفر والإلحاد والخروج على الشريعة الإسلامية!

ومن الواضح أن الشيخ يوسف البدرى كان سعيدا كل السعادة بما يكتب عنه فى الصحف المصرية، وتتناقله وكالات الأنباء العالمية، بصرف النظر عما إذا كان ماينسب اليه فى صالحه أو ضده! فالمهم فقط بالنسبة لسيدنا الشيخ - كما أعتقد - هو أن تواصل الصحف كتابة اسمه، ونشر صورته.. مسبوقة بشتائمه واتهاماته التى يوزعها على عباد الله من مشاهير أهل الفكر والعلم والفن والإبداع!

لم أنفرد وحدى بنقد تصريحات الشيخ يوسف البدرى التى ادلى بها للزميل حلمى النمنم ونشرت فى الزميلة «المصور». كثيرون هؤلاء الذين أدهشتهم وأغضبتهم تلك التصريحات، وقاموا بنقدها والرد عليها فى الصحف والمجلات. ويبدو ان رد الفعل لآراء البدرى، كان سريعا، والرد مفحما له، وعندما وجد أن لهما قبولا وتاييدا من الرأى العام، أسقط فى يده، فلم يجد حلا للخروج من محنته غير إنكار ماسبق أن قاله وتباهى بإعلانه!

سارع سيدنا الشيخ إلى الاتصال بمكاتب وكالات الأنباء العالمية فى القاهرة، مؤكدا لها «كذب» ما نسبته اليه الصحافة المصرية، وأضاف قائلا: إنه قرر مقاضاة قيادات الصحف والمجلات التى نشرت تلك التصريحات

التى نسبتها إليه!

وقائمة أسماء «المسحوبين» الى المحاكم، طويلة وتضم الزملاء: إبراهيم نافع، رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير «الأهرام» ونقيب الصحفيين،ومكرم محمد أحمد، رئيس مجلس إدارة دار الهلال ورئيس تحرير «المصور» وأحمد رجب،الكاتب الصحفى باخبار اليوم، ومصطفى حسين،فنان الكاريكاتير باخبار اليوم،وحلمى النمنم،المحرر بمجلة المصور،وماهر داود،فنان الكاريكاتير بالأهرام،وإبراهيم سعده..كاتب هذه السطور!

ومن المنتظر أن تطول القائمة أكثر فاكثر مع استمرار سخط أصحاب الفكر والرأى على ماقاله، ويقوله، وماسيقوله، الشيخ البدرى أمس،واليوم،وغدا،مع تصميم عاشق الشهرة على المضى فى تقمصه لشخصية «المحتسب» فى هذا الزمن الردىء الذى نعيشه!

المهم اليوم أن الشيخ البدرى لم يكتف برفع القضايا على هؤلاء الكتاب والصحفيين والفنانين،فحسب،وإنما أضاف الى ذلك سلسلة «الإنذارات» التى أرسلها الى الصحف و وكالات الأنباء ينفى فيها - بشجاعة منقطعة النظير- معظم،وأخطر،ماقاله فى الحديث الذى نُشر فى «المصور» وأعادت «أخبار اليوم» نشره فى نفس الأسبوع !

لقد كنت أحد «المحظوظين» الذين وصلهم إنذار من مكتب المحامى الذى وكله الشيخ البدرى عنه فى توزيع إنذاراته وتهديداته، التى يتطاول فيها على رجال الفكر والقلم والفن، توطئة لسحبهم الى ساحة المحكمة الواحد بعد الآخر.الشىء الوحيد الذى لفت نظرى فى هذا «الإنذار» أن الشيخ يوسف البدرى الذى ظل يتباهى بشجاعته فى الجهر بالرأى الآخر بمناسبة وبدون مناسبة، تخلى - فجأة - عن هذه الشجاعة، وانكر انه ادلى بما نشرته مجلة «المصور» على لسانه!

ويتوالى تراجع، وتقهقر، وتنكر الشيخ البدرى لما قاله لمندوب «المصور»:

□□ اقسم الشيخ - بأغلظ الايمان - على أن الحديث المذكور نسب اليه زورا وبهتانا! ثم أضاف قائلا: إن أقواله نشر بعضها مبتورا على طريقة:«لا تقربوا الصلاة» وجاء بعضها الآخر ملفقا ومزورا حيث نسبت اليه - كما يؤكد - أقوال لم يقلها! فهو - على سبيل المثال - لم يأت على لسانه أنه: سيرفع دعوى للتفريق بين نجيب محفوظ وزوجته! كما أنه لم يعلن لمندوب المجلة أنه يدرس ملفات أربعين كاتبا ينوى سحبهم الى القضاء بتهمة الردة والكفر!

□□ نفى الشيخ البدرى أنه قال لمحرر مجلة «المصور» :إنه كان يفضل أن ياخذ اليهود سيناء بدلا من فلسطين! وإذا كان الشيخ البدرى، قد سارع بإنكار ما نُشر على لسانه،واتهم المجلة بتزوير أقواله وتصريحاته، إلا أنه لايزال - فى نفس الوقت - يتمسك بأقواله الأخرى التى لاتقل سوءا وغرابة - فى رأيى - عن أقواله السابقة التى يتنكر لها الآن خوفا أو جبنا!

□□ فالرجل لايزال مبهورا «بأمجاد» الخلافة العثمانية التى أذاقت الشعوب العربية الأهوال وأفقرتها وعذبتها ونهبت أموالها وأراضيها! هذا كله لا يضير مولانا الشيخ الذى يتقمص شخصية «محتسب العصر والأوان»الذى يؤكد: «أن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن الخلافة التركية - كما أسماها - كانت تمثل رعبا لأوربا وقد نشرت الإسلام فى ربوعها،وأخضعت دولها لسلطانها فتحالفوا ضدها لإسقاطها بعد أن غلبتهم قرونا طويلة !».

□□ والرجل لايزال - أيضا- رافضا للديمقراطية، ويعتبرها رجسا من عمل الشيطان الرجيم! فمن رأيه - الذى يتمسك به حتى آخر لحظة فى حياته - أن الديمقراطية شىء، والإسلام شىء آخر! فالديمقراطية - كما يقول الشيخ البدرى - هى نظام وثنى، كما انها ديكتاتورية طبقة،أو جماعة، ضد بقية الطبقات

□□ والرجل يتصوّر انه اوقع بى عندما «اتهمنى» - فى إنذاره الذى أرسله على يد محضر - بأن: «وقتى الثمين لا يتسع لسماع أقوال المشايخ من أمثاله، وإنما يتسع فقط- كما يقول - : لسماع الفنانين والمفكرين والمبدعين حيث اتولى مهمة الدفاع عنهم جميعهم - كما اكد البدرى - كل يوم سبت - بمقالاتى فى أخبار اليوم - من عشرات السنين» !

تعليقي الوحيد على مايقوله الشيخ البدري أنها: «تهمة لا أنكرها، وشرف لا ادعيه».فما أسعدني بهذا الرأي، وبتلك الصفة. وكم كنت أتمنى لو أنني - حقيقة - تفرغت للدفاع عن حريات وحقوق الفنان المصري، والكاتب المصري، والمثقف المصري، والعالم المصري.

لا اتصور أن هناك هدفا للكاتب الصحفي، أشرف، أو أعظم، من أن يُجند قلمه والصحيفة التي يعمل فيها من أجل حماية الفكر والعقل والفن والإبداع، من أنياب وأظافر «خفافيش الليل» الذين لا يطيقون النهار، ولاعمل لهم غير إطفاء وتحطيم الأنوار!

إن الأمانة تقتضى منا جميعا أن نعترف - بكل شجاعة - بأننا تأخرنا كثيرا جدا قبل أن نبدأ المواجهة التي لا مفر منها ضد محاولات «طيور الظلام» للإيقاع بهؤلاء العظام جميعهم، عن طريق إرهاب أهل الفن والفكر والعلم والقلم، توطئة لسحبهم كما قلت - الواحد بعد الآخر. الى المحكمة للتفريق بينهم وبين زوجاتهم بعد اتهامهم بالكفر والردة وعدم احترام الشريعة الإسلامية!

إن مصر - ياسيدنا الشيخ - كانت دائما منارة الحريات في المنطقة، ومنها امتدت خيوط النور والمعرفة لتضيء كل مكان بعيد عنها أو قريب منها. مصر هذه.. ستظل هكذا.. اليوم، وغدا وبعد غد، مادام فيها من هم على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل الحفاظ على حرية الفكر والعلم والفن والإبداع، رغم انف طيور الظلام وغربان الإظلام.

□□□

ونعود الى محتسب العصر والأوان، فنقول: إن من حقه أن ينطق ويتشدق بما يشاء من تخريفات، أو خزعبلات..قد يخدع بها بعض الذين نجح في خداعهم من قبل، ولكن هذه التخاريف ليست مايهمنا الحديث عنه اليوم، فالأهم، بالنسبة لنا، أن سيدنا الشيخ العالم ببواطن الثقافات والأديان والنظريات الفلسفية والسياسية والاستعمارية، لم يستطع أن يصمد لحظة واحدة أمام الرأي العام الذي صعقته،واغضبته، أقوال الشيخ الغريبة، وتصريحاته الأكثر غرابة،التي نشرت في مجلة «المصور» و «أخبار اليوم»، فلم يجد الشيخ «الصادق والشجاع» غير أن يصدر بيانا قام بتوزيعه على وكالات الأنباء ينفي فيه تلك الأقوال، ويتهم المجلة - التي نشرت أقواله - بأنها حرّفت في كلماته، وزوّرت في تصريحاته!

□□□

ولا باس من تراجع، وتقهقر الشيخ يوسف البدري. فالرجل يعرف تماما أن مجلة المصور لم تزوّر كلماته، ولم تنسب إليه مالم يقله - كما يتهمها في بيانه - وأن المحرر الذي أجرى الحديث معه كان يتوقع احتمال أن يتنكر الشيخ البدري لأقواله بعد نشرها، ولذلك كان الزميل حلمي النمنم حريصا كل الحرص على أن يسجل الحديث بالصوت والصورة معا! ليس هذا فقط، بل لقد علمت من الزميل المحرر أن الحديث المسجل يتضمن الكثير من الشتائم والاتهامات التي وزعها الشيخ البدري على شخصيات محترمة عديدة - مثل فضيلة الشيخ المفتي - وحرصا من المسئولين عن المجلة على عدم جرح مشاعر القراء بهذه الألفاظ السوقية التي أطلقها البدري على تلك الشخصيات والرموز الدينية والوطنية والثقافية، قرروا رفعها من الحديث المنشور وإن ظلت محفوظة في شريط التسجيل!

□□□

هذه الحقائق يعلمها جيدا الشيخ يوسف البدري، ولكنه - إنقاذا لنفسه من الهاوية التي سقط فيها - إضطر الى أن يكذب على الرأي العام، بزعم أن الحديث دُس عليه، وأن المجلة نقلت على لسانه مالم ينطق به، لعل وعسى يصدقه السذج وتعود الامور إلى ماكانت عليه قبل هذا الحديث الكارثة، و تصور نفسه الحاكم بامر الله، فتقمص شخصية محتسب العصر والأوان، الذي يامر وينهي، ويحاسب ويحاكم، ويسجن من يشاء من عباد الله المسلمين!

لينفعل الشيخ يوسف البدري كمايحلو له، فيكفينا انه ظهر على حقيقته كرجل يقول اليوم ما يتنكر له غدا، ويهدد بما يسارع بسحبه عند أول اختبار حقيقي لقدراته، ويوزع شتائمه واتهاماته على من هم أكثر علما وثقافة منه، ثم يبادر فينفي تلك الشتائم زاعما لضحاياه أن «الأعداء» هم الذين

يحاولون إحداث الوقيعة بينه وبينهم! رجل هذه صفاته، وتلك مواقفه، لا أعتقد أنه يستحق منّا أكثر مما خصصناه له من ورق ومداد أسود! فليقل - إذن - مايشاء، وليهدد كما يريد، ونعده بعدم الرد عليه أو الالتفات اليه.

□□□

وكان طبيعيا أن يقف الرأى العام الى جانب الحملة التى قامت بها الصحافة المصرية من أجل إنقاذ أهل العلم والفكر والإبداع مما كانت تعده طيور الظلام وتخطط له من أجل الإيقاع بهم جماعات وفرادى! ولحسن الحظ أن الدولة - بتوجيهات من الرئيس محمد حسنى مبارك - قامت بما كان الشعب ينتظره ويتوقعه منها.

لقد وافق نواب الشعب - فى الأسبوع الماضى - على مشروع بقانون تقدمت به الحكومة ويهدف إلى حماية أهل الفكر والقلم والإبداع من سحبهم الى محاكم الأحوال الشخصية وتحقيق هدف وهواية جماعة الشيخ البدرى فى التفريق بينهم وبين زوجاتهم ظلما، وحقدا، وإفتراء. ولن تمضى غير أيام معدودة قادمة حتى يتقدم المستشار فاروق سيف النصر - وزير العدل - الى مجلس الشعب طالبا الموافقة على مشروع بقانون جديد،يكمل الأول ويحقق الحماية للمثقفين والمبدعين..ويمنع غربان الظلام من نهشهم أمام المحاكم الجنائية..تماما كما تم إنقاذهم - أخيرا - من الجرجرة إلى محاكم الأحوال الشخصية.

إبراهيم سعده

للبحوث والتدريب والمعلومات

المصدر: أخبار اليوم

التاريخ: ١٩٩٦

بمناسبة دعاوى الحسبة ونهاية راعيها!

حزب العدالة الاجتماعية يقرر فصل الشيخ يوسف البدرى



يوسف البدرى زعيم الارهاب والتضليل

بعد ان كشف شيخ الارهاب والتضليل عن وجهه القبيح :

حـزب العدالـة الاجتماعيـة يجمد عضويته ويحيله إلى اللجنة التأديبية تمهيداً لفصله

هذا بيان للناس ...

امير دعاوى الحسبه :

- **فاقد المصداقيه .. مدمن شهره .. ابعد مايكون عن الاسلام الصحيح !**
- **اراجوز سياسى يقدم عروض لمن يدفع اكثر !**

عناوين جريدة «الوطن العربى» يصدرها حزب العدالة الاجتماعية عن يوسف البدرى

تسببت الزوابع التى اثارها لابسو عباءات الدين والراغبون فى استغلال الشعارات والمسميات للوصول الى اهدافهم للانقضاض على كراسى السلطة والمواقع القيادية رغبة فى الشهرة لا اكثر وتحقيقا لمغانم واحلام لا توجد إلا فى خيالهم المريض تسببت هذه الزوابع فى اثارة أتربة فكرية وخزعبلات ترجع بمجتمعنا الى الوراء لتصمنا بالردة الحضارية والسياسية والاجتماعية.

وبمناسبة ما أثير مؤخرا من ضجة اعلامية تتعلق بدعاوى الحسبة واستغلال البعض لثغرات القانون لرفع الدعاوى المضللة ضد المبدعين والكتاب واستباحة هؤلاء لانفسهم بالتفتيش داخل ضمائر الناس بما يسىء الى الاسلام والمسلمين داخل الوطن وخارجه وترويع الآمنين بعد ان تحول الفكر الملتوى الضبابى الى سلاح ارهابى من نوع غريب تدفع اصحابه رغبة جامحة نحو الاضواء دون علم او وعى مما أدى الى خدمة المخططات الارهابية ومحاصرة التنوير والعودة الى عصور الظلام ومحاكم التفتيش.

ونظرا لقيام الشيخ يوسف البدرى عضو حزب العدالة الاجتماعية بتنصيب نفسه زعيما رياديا لتطبيق الحسبة دون ادراك لمفهومها التراثى الاسلامى وادعائه انها جزء من كل بحيث لا يصح الاسلام دونها وقيامه بقذف كتابنا بما ليس فيهم وتقديمهم ضحايا امام ساحة المحاكم لتصل قضايا الحسبة الى مايزيد على مائتى قضية.

من اجل ذلك وبسببه قرر الحزب تجميد عضوية الشيخ البدرى من كافة تشكيلات الحزب واحالته للتحقيق تمهيدا لفصله.

وكان الشيخ يوسف قد تقدم بطلب عضوية للحزب بل بدء انتخابات مجلس الشعب (نوفمبر ١٩٩٥) واشترطت عليه قيادة الحزب ضرورة الاقلاع عن الافكار الهدامة التى اعتنقها والالتزام بالتواجد فى خندق المدافعين عن استقرار الديمقراطية والتعددية السياسية ضد خفافيش الظلام وجماعات القتل بالاجر وتأكد ذلك من خلال حوار على لسانه ضمن العديد من الحوارات التى اجريت معه خلال ترشيحه من قبل الحزب فى انتخابات مجلس الشعب الاخيرة وهى الانتخابات التى كشفت زيف اقواله

المصدر : أخبار اليوم

التاريخ : ١٩٩٦

وادعائه واعطته حجمه الحقيقي وسط المد الجماهيري حيث لم يحصل الا على ١٨٠ صوتا في دائرة يصل عدد ناخبيها الى ما يزيد على المائة الف صوت.

ورغم قيام جريدة اخبار اليوم بحملتها المستنيرة والمطالبة باصدار قانون جديد للحسبة لابطال ادعاءات المحتسب المنتظر الذى تطوع دون رجوع الى ولى امر وهما امران لا يجوزان : التطوع والخروج عن طاعة اولى الأمر - فان الشيخ يوسف البدرى ظل فى غيه وعاد سيرته الاولى رغم الانذارات التى تكررت وتتابعت له من قبل القيادة الحزبية ومحاولتها توجيهه الى السلوك السوى اكثر من مرة.

بقلم دكتور:
محمد عبدالعال
رئيس حزب العدالة الإجتماعية

ومازاد الطين بلة ان الشيخ اضاف الى رياحه السموم على الجماهير والكتاب رياحا اخرى بعد صدور قانون الحسبة وبدأ فى صب غضبه الشديد على القانون .. زاعما انه اسوأ ما قرأ من قوانين فى حياته مضيفا انه قد غل وكمم افواه الافراد .. وقصر امر الفصل فى دعاوى الحسبة على النيابة والنائب العام ولما فاض الكيل واستشرى فساد الآراء المتضاربة والمتناقضة التى تناثرت كالشظايا من راعى الحسبة فى ظل ارتياح الشارع المصرى والمبدعين بعد صدور القانون الجديد كان لابد من وقفة من الحزب وقيادته امام تصرفات الشيخ يوسف البدرى وأرائه التى احيلت للتقاعد مع ولادة القانون.

ومن ثم ارتأت القيادة الحزبية وتشكيلاته تحويل الشيخ المذكور للتحقيق معه ثم فصله فى حال ادانته التى لا يشك الرأى العام فى انها واقع وحقيقة.

المصدر: أخبار النجوم

التاريخ: ١٠ فبراير ١٩٩٦

النجوم

فقط

«الحسبة» مشكلة كبرى في طريق الفن

★«الحسبة» هي المشكلة التي تقف الآن في طريق الفن والابداع بكل صوره وألوانه..

حقيقة ان القانون الذي صدر اخيرا قد سد بعض المنافذ التي يلجأ اليها هواة الشهرة والباحثون عن الاضواء عندما يقاضون المبدعين والمفكرين. ولكن لاتزال هناك ثغرات يمكن ان يستغلها هواة الشهرة وهم يحاولون ان يكون لهم دور لمجرد اثبات وجودهم.

و«الحسبة» تتعارض اصلا مع الابداع الفني بكل صوره وألوانه.. ولاعلاقة بينها وبين عمل روائي للاديب والكاتب الكبير نجيب محفوظ على سبيل المثال.. فالاصل في الفن بكل صوره.ان تراه وان تشعر به من اكثر من زاوية وان يختلف احساسك به عن احساس غيرك.. لماذا؟ لانك امام عمل غير عادي.. وهذا العمل نفسه تتغير وجهات النظر والاراء فيه بمرور الوقت.. ولهذا خلدت اعمال كتاب وفنانين ورسامين وتزداد قيمتها يوما بعد يوم.. فهل من الممكن بعد ذلك ان نفسر العمل الادبي.. او الفني بوجهة نظر واحدة تقنع وترضي من يحاول تفسير ابعاد العمل الابداعي كما يريد هو.. لا كما يراه غيره؟!



★يوسف شاهين



★يسرا

المصدر: أخبار اليوم
التاريخ: ١٠ فبراير ١٩٩٦

★اننا بهذا الاسلوب العدوانى نقف فى طريق الابداع سواء فى الادب او المسرح او السينما او الاذاعة والتليفزيون وهى المجالات الفكرية والفنية التى تميز من خلالها الكاتب والمبدع المصرى واصبحت هذه الفنون المصرية علامة مضيئة فى حياة البشرية.
فهل من المعقول بعد ذلك ان يحاول هواة الشهرة والباحثون عن دور الوقوف فى وجه كل هذا الابداع الادبى والفنى.. وكيف يواصل الفنان طريقه وهو يؤدى رسالته فى ظل «الحسبة» التى تهدده، بعد ان تحولت فى الفترة الاخيرة الى سيف فوق رقبته.. يهدده فى اية لحظة.

★حقيقة ان القانون الذى صدر اخيرا قد حد من بعض ماكان يحدث ولكنه لم يفسح الطريق تماما امام الابداع والفن.

★وحقيقة ان بعض القضايا التى رفعها البعض ضد الفن والفنانين قد خسروها امام القضاء ومنها على سبيل المثال قضية فيلم «المهاجر» للمخرج يوسف شاهين ومايزال امام القانون اكثر من



★نبيلة عبيد

قضية من هذا النوع.. ومنها فيلم «هدى ومعالى الوزير» لنبيلة عبيد وفيلم طيور الظلام ليسرا..

★فهل من الممكن بعد كل هذا ان نسد بقايا الطريق امام هواة الشهرة بصدور قانون يقف تماما فى وجه هواة الحسبة من اجل الفكر والابداع والفن فى مصر.

محمد تبارك

رؤية اسلامية في معاني الردة عن الدين وعقوباتها الشرعية

محمد عمارة*

■ «الإيمان»: تصديق بالقلب يبلغ مرتبة اليقين، والتصديق القلبي لا سبيل للاطلاع عليه إلا من قبل علام الغيوب، ولذلك لا يمكن ان يكون ثمرة للإكراه. ولهذه الحقيقة التي تنفي امكان وجود الإيمان بالإكراه، كان التعبير القرآني: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم» (١). وهو تعبير لا يقف فقط عند «النهي» عن إكراه الآخرين على التدين بالدين، بل «ينفي» إمكان حصول التدين عن طريق الإكراه، سواء تعلق هذا التدين بالآخرين أو تعلق بالذات؟ فكما لا يجوز إكراه الآخرين على التدين بالدين، لأن إكراههم لا يثمر تدينا، فكذلك لا يجوز تصور تدين الذات بواسطة الإكراه، فالإكراه يثمر «نفاقا»، وشتان بين «النفاق» وبين «الإيمان»، الذي هو تصديق قلبي يصل إلى مرتبة اليقين.

وإذا كان العقلاء اتفقوا على عدم جواز إكراه «الآخر» على «الإيمان» فإن إكراه «الذات» تحت تأثير القتل حدا للردة، قضية تحتاج - في فكرنا الإسلامي المعاصر - إلى جلاء.

إن الجسم الإنساني تعرض له الجراثيم التي تصيبه بالامراض، والفكر الإنساني قد تعرض له وساوس وشكوك تزعزع إيمانه ويقينه بالمعتقدات، فماذا عن الذي تعرض له الوساوس والشكوك التي تزلزل يقينه الديني، وتنتقل به من الإيمان إلى الكفر والردة والإلحاد؟

إننا لو خيرناه بين القتل - بحد الردة - وبين «التوبة» - التي لا يمتلك يقينها - فكأننا نخيره بين القتل وبين «النفاق»!

وكما ان الموقف حيال الجسد المريض مرضا عضويا، هو طلب شفائه واستشفائه لدى أطباء الصحة الجسدية، فإن الموقف حيال الفكر الذي عرضت له امراض الوساوس والشكوك هو طلب الشفاء له والاستشفاء والهدى والهداية لدى أهل الفكر والعلماء. وإذا كان عارض المرض الجسماني لا يكون جرما يعاقب عليه المريض، وإنما الجرم هو في نشر جراثيم المرض وعدواه وإشاعتها بين الناس، وفي التقصير في طلب سبل الصحة والعلاج، فكذلك العارض الفكري والوساوس والشكوك التي تعرض لايمان المؤمن، لا تمثل جرما في حد ذاتها، يستوجب العقاب، وإنما الجرم هو في التقصير في طلب الشفاء الفكري والهدى الإيماني، وايضا في إشاعة الوساوس والشكوك والإلحاد بين الناس، تقويضا للإيمان الديني، الذي هو واحدة من ركائز الاجتماع الإنساني الرشيد.

ففارق بين وجود المرض وجراثيمه، وبين إشاعتها ونشرها هدما للصحة في المجتمع الذي يعيش فيه المريض، وفارق بين وجود «العورة» وبين كشفها على الملا إيذاء لحياء الناس، وفارق بين حب الفواحش وبين الدعوة إليها. وفارق بين ان يعرض لإنسان ما شعور بالاحتقار لوطنه او الكراهة له، وبين ان يشيع هذا الإنسان بين الناس فكرا يحتقر الوطن ويحط من قدر الوطنية ومحبة الاوطان، وفارق بين حب الاغتصاب للحرمات والاموال وبين حرية الدعوة إليه! إلى آخر الفوارق بين الرأي في الآداب العامة والقيم والاخلاق، التي تعارف عليها المجتمع، كمقومات لوجوده، وبين إباحة الدعوة إلى تقويضها.

فحرية الاعتقاد - حتى اعتقاد المحرم والضار والممنوع - حق طبيعي، والحرمان منها قهر للإنسان على النفاق، لا يمكن ان يثمر إيماناً او اعتقاداً راسخاً. اما «التعبير» عن هذا الاعتقاد، فهو حق تحكمه اعتبارات الصالح العام، ومقتضيات الحفاظ على المقومات الاساسية للاجتماع الإنساني التي تعارف عليها مجتمع من المجتمعات.

فإكراه الذات على اعتقاد ديني لا يصدق به القلب لا يثمر إيمانا حقيقيا، اما منع هذه الذات من اشاعة الكفر والإلحاد وتقويض مقومات الاجتماع الإنساني - وفي المقدمة منها الإيمان الديني - فهو رعاية للمقومات الاجتماعية، لا تحجر على حرية الاعتقاد الذاتي، ولا تتنافى مع حقوق هذا الإنسان ما لا يطاق. ومن هنا، فإن هداية الضالين، وإرشاد الحائرين، واستبدال اليقين بشك الشاكين، وإحلال الإيمان في قلوب الملحدين، هي معركة فكرية تقع مسؤوليتها على عاتق المفكرين والعلماء، وليست مسؤولية أجهزة الدولة العقابية بحال من الاحوال، هذا إذا كنا نريد إيمانا حقا، لا نفاقا هو أخطر على الاجتماع الإسلامي من «الكفر البواح».

تحدث الكثير من آيات القرآن عن «الردة والمرتدين» كظاهرة من ظواهر المجتمع المدني على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فلم يرد في القرآن نص على عقوبة دنيوية لهؤلاء الذين ارتدوا على اعقابهم إلى الكفر بعد الإسلام، أو اولئك الذين كانوا يؤمنون أول النهار ثم يكفرون أخره، ولا الذين تكررت منهم الردة مرات عدة، وذلك لأن ردتهم كانت اعتقادا ذاتيا، ستروه بالنفاق، ولم يكشفوا عنه، فضلا عن أن يسعوا إلى إشاعة فاحشته بين الناس، وعلى رغم معرفة الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالكثيرين منهم - بخبر السماء او بفلتات ألسنتهم - فلم يحدث أن أقام للردة عقوبة دنيوية على احد من هؤلاء المرتدين، وكانوا «زنادقة» ارتدوا عن الإسلام بعد أن دخلوا فيه، لكنهم أسروا الكفر واظهروا الإيمان، وبعبارة الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠م) «فإن الزنديق هو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان». وهذا هو النفاق الذي قال فيه الإمام مالك (٩٣- ١٧٩هـ/ ٧١٢- ٧٩٥م): «إن النفاق في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو الزندقة فينا اليوم» (٢).

ولانهم لم يشيعوا زندقتهم بين الناس، وإنما ستروها في خاصة اعتقادهم، عوملوا - في الدنيا - معاملة المسلمين، وترك حسابهم الاخروي إلى الله، سبحانه وتعالى،

فخلت آيات القرآن التي تحدثت عنهم – مستخدمة مصطلح «الفكر» ومصطلح «الردة» في وصف حالهم – من تقرير عقوبة القتل، وخلت تجربة دولة النبوة في المدينة: من إقامة حد للردة على احد من هؤلاء المرتدين. «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون» (٣)، «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو امر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم» (٤)، فهم قوم يسرون موالاة الأعداء، في الوقت الذي يظهرون موالاة المسلمين، بل «اقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم من المسلمين».

«إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم. ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم» (٥)، فهم يعيشون في إطار الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية – اي لم يفارقوا الجماعة الأمة، ولم يشنوا عليها حربا، ولم ينحازوا إلى عدوها انحيازا عمليا وماديا – لكنهم ارتدوا عن كامل الولاء والموالاة للجماعة والامة الإسلامية، فاطاعوا الأعداء «في بعض الأمر» سراً. وهم ارتدوا عن الطاعة التي أعلنوها للرسول، لكنهم بيتوا هذه الردة واسروها، «ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا» (٦)، «كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين» (٧)، «إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون» (٨)، «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا. بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما» (٩)، «وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» (١٠)

فهذه الآيات القرآنية تصور «ظاهرة الردة والمرتدين» في مجتمع المدينة، وتبين أن هذه الردة سترها اصحابها بالنفاق، عندما اسروها وأظهروا الإسلام، وعندما استمر سلوكهم وانتماؤهم في اطار الجماعة المسلمة، ولذلك جاء الحديث عنهم وعن ردتهم خاليا من تحديد أي عقاب دنيوي.

وحتى في الحالات التي كانت فلتات اللسان تفضح ما يسرون، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ظل حريصا على الا يقتل أحدا منهم، فعن جابر بن عبدالعال، قال: «لما قسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بين الناس، قام رجل من بني تميم فقال: اعدل يا محمد! فقال، صلى الله عليه وسلم: ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل. فقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: يا رسول الله، ألا اقوم فاقتل هذا المنافق؟ فقال صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه» (١١).

وحتى في حالة «راس المنافقين» (عبد الله بن أبي بن سلول) – الذي وصف نفسه وجماعته بـ «الأعز»، ووصف الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحابته بـ «الاذل» – فقال، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل؟ فسمع ذلك عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فاتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: يا عمر، دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل اصحابه» (١٢).

وهكذا خلت تجربة دولة المدينة، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إقامة عقوبة دنيوية على جريمة الردة، لأن أصحابها وقفوا بها عند حدود «الخيار الفكري» ولم يفارقوا الامة أو ينشروا زندقتهم علانية بين الناس، فكان هذا التطبيق النبوي هو «البيان النبوي» لما جاء في «البلاغ القرآني» عن هذا اللون من الردة وهذا الصنف من المرتدين. وعن هذا الحكم القرآني والبيان النبوي يقول الإمام ابن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ/ ٨٣٩ – ٩٢٣م): «لقد جعل الله الاحكام بين عباده على الظاهر، وتولى الحكم في سرائرهم، دون احد من خلقه، فليس لاحد ان يحكم بخلاف ما ظهر، لانه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحد كان أولى الناس به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد حكم للمنافقين بحكم الإسلام بما أظهروا، ووكل سرائرهم إلى الله. وقد كذب الله ظاهرهم في قوله «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» (١٣) ...» (١٤).

فمن ستر في الدنيا ستر الله عليه فيها.

أما التراث الفقهي الذي تحدث علماؤه وائمته وأعلامه عن «حد الردة» – وهو القتل، بعد ثبوتها، واستتابة مقترفها – فنحن نلاحظ فيه أمورا ذات دلالات. منها:

أ – انه ليس هناك اتفاق بين الفقهاء على أن للردة «حدا». والحد في الاصطلاح هو: «العقوبة المقدرة على ذنب. وجبت بتقدير الشارع. حقا لله تعالى». فلقد اتفقوا على ان «الحدود» خمسة : للزنا، والقذف، والسكر، والسرقة، وقطع الطريق. وأضاف المالكية «حد الردة» الذي ظل خارج ما اتفق عليه الفقهاء من الحدود (١٥).

ب – ولأن القرآن الكريم خلا من تحديد عقوبة دنيوية على الردة، وكذلك خلت السنة النبوية العملية، فإن الفقهاء الذين قالوا بحد للردة استندوا إلى حديث نبوي يرويه عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما فيقول: «قام فينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: والذي لا إله غيره، لا يحل دم امرىء مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» (١٦).

وحتى إذا تجاوزنا عن أن هذا الحديث هو «حديث آحاد» يصعب أن تشرع به عقوبة قتل، فإنه يتحدث عن ردة تجاوز أصحابها «الخيار الفكري والاعتقاد الذاتي» إلى حيث الخروج على الامة، إما بالبغي عليها والحرابة لها، أو بالانضمام إلى صفوف الأعداء المحاربين للأمة، فهي ردة وحرابة، وليست مجرد إلحاد وزندقة يسرهما الزنادقة والملحدون في الدين.

ولعلنا نلمح معنى ومغزى لمجيء «باب الردة» في المصنفات الفقهية، عقب «كتاب الحرابة» ودلالة لقول بعض الفقهاء: إن آية الحرابة «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا» (١٧)، إنما «نزلت في النفر الذين ارتدوا، في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، واستاقوا الإبل، فامر بهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقطعت أرجلهم

وأيديهم وسملت أعينهم» (١٨)، جزاء لهم على جريمتهم المركبة: الردة، والحرابة، والسرقة، والقتل، والتمثيل غدراً بالعمال القائمين على رعاية وحراسة إبل الصدقات.

كما نلمح، كذلك، مغزى لقول الثوري (٩٧ - ١٦١هـ/ ٧١٦ - ٧٧٨م) وابي حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٧م) واصحابه، وابن شبرمة (١٤٤هـ/ ٧٦١م) وابن علية (١١٠ - ١٩٣هـ/ ٧٢٨ - ٨٠٩م) وعطاء (٢٧ - ١١٤هـ/ ٦٤٧ - ٧٣٢م) والحسن (٢١-١١٠هـ/ ٦٤٢ - ٧٢٨م) وابن عباس (٣ ق. هـ - ٦٨هـ/ ٦١٩ - ٦٨٧م) وعلي بن ابي طالب (٢٣ ق. هـ ٤٠هـ/ ٦٠٠ - ٦٦١م) قول هؤلاء الائمة بعدم قتل المرأة المرتدة، لعدم تحقق آثار الحرابة في ردتها (١٩).

هكذا يحرر الإسلام الاعتقاد من كل ألوان الإكراه، فلا إكراه «للآخر» ولا إكراه «للذات» على «الإيمان» لأن الإيمان تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، ومحال أن يكون هذا الإيمان ثمرة من ثمرات الإكراه. والعقاب الدنيوي الذي قرره الحديث النبوي للمرتد، هو عقاب على مفارقة الجماعة، ومحاربة الأمة، وخيانة الدولة، وليس عقابا على ضلال الاعتقاد والإلحاد في الدين، إذا وقف ذلك «المرض الفكري» عند صاحبه لا يتعداه إلى حيث يصبح إشاعة للمرض، ونشراً للفحشاء الفكرية، وهدما لاعظم مقومات الاجتماع. أما إذا سعى ذلك الذي عرض له هذا المرض الفكري إلى طلب الصحة الفكرية والعافية لمعتقده لدى العلماء والمفكرين، وجدّ في طلب الحق قدر الوسع والطاقة فهو من الناجين، حتى ولو أدركه الموت قبل تحصيل اليقين، لانه اجتهد طاقته في طلب الشفاء، وبذل وسعه في البحث عن الحق، و«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (٢٠)، ولقد «قال قائلون من أهل السنة: إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج فاي سعة لا ينظر اليها الحرج أكمل من هذه السعة» (٢١) كما يقول الإمام محمد عبده. تلك هي رؤيتنا الى الموقف الإسلامي من حرية الاعتقاد الديني، ومن «ظاهرة التكفير» ومن «الارتداد عن الإسلام» سقناها في هذه المقدمات الأربع، وذلك حتى نتبين، في ضوئها، موقع فكر الدكتور نصر حامد ابو زيد من المعلوم بالفطرة والبداهة والذي لم يختلف فيه أحد - أي المعلوم بالضرورة - من ثوابت عقائد الإسلام، رافضين أي لون من الإكراه الفكري، ومستهدفين فقط السعي كي يتسق «الفكر» مع الثوابت التي لم يختلف عليها أحد من خاصة المسلمين وعامتهم.

الهوامش

١ - البقرة: ٢٥٦.

٢ - القرطبي «الجامع لاحكام القرآن» ج ١ ص ١٩٩. طبعة دار الكتب المصرية.

٣ - البقرة: ٢١٧.

٤ - المائدة: ٥١ - ٥٤.

٥ - محمد: ٢٥، ٢٦.

٦ - النساء: ٨١.

٧ - آل عمران: ٨٦.

٨ - آل عمران: ٩٠.

٩ - النساء: ١٣٧ - ١٣٨.

١٠ - آل عمران: ٧٢.

١١ - رواه الإمام أحمد.

١٢ - رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد.

١٣ - المنافقون: ١

١٤ - «الجامع لأحكام القرآن» ج ١ ص ٢٠٠.

١٥ - «الموسوعة الفقهية» وزارة الأوقاف الكويتية. طبعة الكويت ١٩٩٠م.

١٦ - رواه الإمام أحمد.

١٧ - المائدة: ٣٣.

١٨ - ابن رشد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ج ٢ ص ٤٩٢، ٤٨٨. طبعة القاهرة ١٩٧٤م.

١٩ - الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ ص ٤٨.

٢٠ - البقرة: ٢٨٦.

٢١ - «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده»، ج ٢ ص ٣٠١ دراسة، وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٩٢.

للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
المصدر: أكتوبر
التاريخ: ١١ فبراير ١٩٩٦

أحاديث أكتوبر

الشيخ البدري يدافع عن نفسه :

انتصرت لأنني أدخلت الحسبة لأول مرة في القوانين المصرية !



الشيخ يوسف البدرى

الأهرام للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

المصدر : آخر ساعة

التاريخ : ١٤ فبراير ١٩٩٦

الشيخ

الرجل يقول :

ليس عندى ما أخفيه . وليس لى أية اتصالات سرية . أو تنظيمات تحية . أنا إنسان واضح وصريح . وما أقوله فى مكان لا يختلف عما أقوله فى غيره من الأماكن .

والضجة الإعلامية بمناسبة صدور قانون الحسبة يقول معظم حصادها .. إن الرجل يلوح بسيف الترويع والتفريق بين الأدباء المبدعين وزوجاتهم .. وإن الضجة التى أقامت الدنيا ولم تقعدها بسبب الحسبة قد أنهاها صدور القانون ..

محمد سعد العوضى

محمد الطهلاوى

والحسبة يرجع تاريخها إلى بدايات القرن الثانى الهجرى (١٠٥ - ١٢٥ هـ) .. وتحدد لحظتها مفهومها بأنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولم تبدأ كوظيفة مستقلة إلا فى عصر الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك الذى جعل المحتسب تنظيما ماليا وإداريا عام ٢٧٣٠ م .

وظهرت وظيفة المحتسب فى القرن الرابع الهجرى وتطورت من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى الاشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكاييل ومعاقبة الغشاشين وتنظيف الطرق والأسواق وحفظ أمن الطرق الصحراوية .

معنى ذلك أن وظيفة المحتسب يحل محلها الآن النائب العام والشرطة .

ولا يجوز لمتطوع أن يقوم بعمل المحتسب . كما أنه لا يستطيع مباشرة سلطاته إلا بتفويض من ولى الأمر .

فى لقاء أكتوبر مع الشيخ يوسف البدرى الذى تزعم وقاد الفكرة لتطبيق الحسبة يتضح الكثير .

اللفظ .. والمعنى

□ فى البداية نريد أن نتوقف عند كلمة « الحسبة » لفظًا ومعنى ؟

- الحسبة تساوى الإسلام شكلا ومضمونا . ذلك أن الله تعالى هو أول آمر وناه . يقول تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ . ولو نظرنا إلى أى شريعة لرأيناها حسبة ، أوامر ونواهى . ونضرب مثالاً بشريعة آدم فى الجنة (افعل ولا تفعل) .. (اسكن أنت وزوجك الجنة) (وكلا منها رغدا ..) (ولا تقربا هذه الشجرة ..) والله عندما أراد أن يبشر فى التوراة والإنجيل بالنبى ﷺ وصفه بأنه المستحب ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ . وفى اللغة يقال احتسب عليه أى أنكر ما فعله . والحسبة أصلا فعل الشىء ابتغاء مرضاة الله . وفى الأمة الإسلامية قدمت الحسبة على الإيمان بالله لأهميتها ، لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وتبين سورة العصر أن كل من ترك الحسبة خاسر . وكانت هذه السورة هى العهد الصحابى .

أما السنة فى الحديث الشريف فنراها بوضوح وإيجاز فى قول الرسول الكريم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) . وتاريخ الحسبة يبدأ من عهد النبى ﷺ ، لأن الدعوة حسبة . وقد عين فى حياته بعض الصحابة كعلى بن أبى طالب وغيره بتولى أمر الحسبة . ثم جاء أبو بكر فولى الأمة كلها محتسبة عليه (إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى) . فلما جاء عمر جعلها وظيفة رسمية .

أول وزيرة للحسبة على الإطلاق فى الإسلام هى السيدة الشفاء ، حيث ولاها عمر ولاية الحسبة واتخذت لها أعوانا .. تجول فى الأسواق ، وفى كل مكان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر المرتكب ، وتحيل إلى القضاء كل منكر يحتاج إلى إثبات وشهود ويمين بما لا يسع للمحتسب أن يقوم به ، بعد ذلك رأينا المؤلفات والكتب عن الحسبة . إلى أن جاء الخديو إسماعيل ونظم الحسبة عند تنظيم المحاكم . إلى أن جاء عام ١٩٦٩ فصدر قانون بقصر الحسبة بين أفراد الشعب على مسائل الزواج والطلاق فقط .

حتى جاء عام ١٩٩٦ فغلّ يد الشعب عن كل أنواع الحسبة وأصبح دور الشعب دور المبلغ . أما النيابة فهى التى تقرر تحريك الدعوى أو حفظها .

وفى عام ١٩٨٧ - والكلام لا يزال للشيخ البدرى - كنت محتسبا فى يحيى للرئيس . أى أننى بايعته مشترطا عليه شروط الحسبة فى الإسلام . وكان الرجل صادقا معنا حيث طلبنى للقائه والتقينا فى فبراير ١٩٨٨ ، وتحدثنا ، ضمن ما تحدثنا ، عن الحسبة ، ولما شرحت له الموضوع اقترحت عليه إنشاء وزارة للحسبة ، ووافق ، بشرط ألا تثقل الميزانية . وطمأنته . وأحال الأمر إلى رئيس الوزراء آنذاك د . عاطف صدقى .. وترددت معلومات أن بعض الاجراءات قد بدأت .. ولكنها توقفت .. لا أدرى ! وجددت الطلب فى تعقيبى على بيان الحكومة فى العام التالى .. ولا أزال ..

عباءة الحسبة والسياسة

□ ما قولك فى الاتهامات القائلة بأن أصحاب الدعوة للحسبة يريدون الدخول فى دهاليز السياسة بعباءة الحسبة .. وتحت مظلة دينية ؟

- الأمر هنا يدخل فى محاسبة الضمائر والنوايا ، وهو أمر محرم شرعًا .

□ إذن فما رأيكم فيما قيل عن المبدعين والفنانين والأدباء وما أثير من ضجة كانت الحسبة فيها الطرف الأول ؟

- لو ناقشنا قضايا الحسبة المرفوعة .. نجدها أنها لم تأت إلا فى نوعين .. الأول : فى السينما .. والثانى : الكتابات المرتدة .. وفيما يتعلق بالسينما فإن الحسبة نجحت غالبا فى وقف المنكر ، وذلك مثلما حدث مع فيلم المهاجر الذى حكم فيه القاضى بناء على مشورة الأزهر وعلى ما اقتنع به القاضى واستقر فى ضميره .. وكذلك فى الإعلانات الفاضحة عن الأفلام . وأؤكد أن القضية التى كسبناها لمنع الإعلانات الفاضحة قد نظفت طرق الناس

المصدر : الأسبوع
للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات التاريخ : ١٩ فبراير ١٩٩٦

من تلك المناظر الخليعة ..

أما النوع الخاص بكتابات الردة .. فأى سياسة فيها ؟ .. فالحكم برده د . نصر أبو زيد من كتاباته التى تدرس للأجيال .. أى سياسة فيها ؟ ! وما أثير عن أننا نضع الدولة فى حرج أو نشنع عليها أمام الشعب .. صدقنى ما كان ذلك فى أذهاننا .

□ ما مدى صحة ما قيل أنك تباهيت بالنصر بعد الحكم فى قضية نصر أبو زيد .. وصرحت أنك وإخوانك تعدون ٤٠ ملفا لأربعين شخصية لوضعهم أمام القضاء من خلال قناة الحسبة ؟

– أؤكد لك أن هذا الخبر مكذوب . فلسنا متفرغين للبحث عن سقطات الناس وأخطائهم .. ولم نتعمد رفع قضية أيا كانت الأحداث تفرض علينا ذلك . وأقرب مثال : الزعم أنى سأرفع قضية على الأستاذ نجيب محفوظ .. والأشنع أنها ستكون للتفريق بينه وبين زوجه . فأنا أقرأ لنجيب محفوظ من الخمسينات وإلى اليوم ، ومعجب به ، وأراه قرآنى المذاق .. ولم ولن أفكر فى مقاضاته .

□ ما هو موقفكم بعد صدور القانون الأخير بشأن الحسبة ؟ .

– هذا القانون من أسوأ ما قرأت من قوانين ، لأنه عطل نصوصا شرعية ، وإن كان قد ، زعم ، أن الفرد عليه أن يبلغ .. وعلى النيابة أن تقوم بالباقى .. والقانون الأخير يجعل الرأى النهائى للنائب العام .. وهى وظيفة سياسية قبل أن تكون إدارية .. باختصار أصبح الأمر سياسيا .. والدولة بهذا تعمل بالمثل القائل : الباب اللى يجى لك منه الريح سده واستريح !

ومع ذلك فإنى أرى أن الله تعالى وفقنا فى أن تعترف القوانين المصرية بكلمة الحسبة منذ صياغة القوانين إلى اليوم .. حيث كانت قبل ذلك مفهومة فقط .. واليوم أصبحت معترفا بها كأصل من أصول الشريعة الإسلامية . فإن كان القانون الجديد قد اعترف بالحسبة إلا أنها عطلت حق الفرد المسلم فى مباشرتها بنفسه .. أى أن الفرد قد غلت يده وسلب حقه فى إنكار المنكر كالفساد والتسيب وإهدار المال العام والإضرار بالجماعة وارتكاب الموبقات . فلو أن دعوى الحسبة متاحة لكل مواطن لما رأينا أناسا كانوا مسئولين دخلوا فقراء وخرجوا أثرياء .

□ البعض يقول إن يوسف البدرى يبحث عن دور لا أكثر .. رغم ما نعلمه عنك بأنك ترفض الإرهاب .. وعلى خلاف حاد مع كل الجماعات .. وأنك رجل نظام وتحب النظام الحالى وتدعمه .. وتعلنها صريحة ؟

– أما أننى رجل النظام فتلك تهمة أنفيها بشدة ، لا هذا النظام ، ولا النظام الذى سبق .. وأظن ولا الذى يليه ! وأما الزعم بأننى أبحث عن دور من باب محاسبة النوايا .. وأننى ضد الجماعات التى على الساحة .. فأنا واضح تماما فى ذلك .. لأننى لا أقر حسب فهمى للإسلام أنه لا يجوز نشأة جماعات فى الإسلام .. فهذه الجماعات مضارها أكثر من نفعها .. كما أنها تسبب الفرقة بين المسلمين .. وتهتم بجانب واحد من الإسلام على حساب باقى الجوانب .. وأنا مع الجماعات ما وافقوا الكتاب والسنة وضدهم ما خالفوا الكتاب والسنة . □

المصدر: أكتوبر
التاريخ: ١١ فبراير ١٩٩٦

خواطر مؤرخ



د. عبد العظيم رمضان

المجتمع المصرى وثق البطون !

بعد قرابة نصف قرن فى دراسة التاريخ ، تأكد لى أن التاريخ لا يتحرك عشوائيا ، وإنما يتحرك وفقا لقوانين تنظم حركته . ومع أنى كنت أعرف هذه النظرية عندما بدأت دراسة التاريخ ، إلا أنى أمضيت حياتى العلمية لأتحقق من صحتها ، وقد أثبتت لى عشرات التطبيقات على الأحداث التاريخية صحة هذه النظرية ، وهو ما جعل لدراسة التاريخ معنى آخر ، فلم تعد دراسة التاريخ وسيلة لكشف الماضى ، وإنما أصبحت وسيلة لفهم الحاضر وصنع المستقبل !

وحتى أوضح هذا الكلام ، فإنه فى كثير من الأمراض الاجتماعية والمشاكل السياسية فى حياتنا المعاصرة لا نستطيع ان نفهم أسبابها ونقوم بتشخيصها التشخيص الصحيح إلا فى ضوء فهمنا لقوانين الحركة التاريخية . فهذه القوانين تفترض ، بل وتلزم أن يكون البناء الدستورى والقانونى والفنى والسياسى والاجتماعى وغيره متفقا مع طبيعة الملكية فى المجتمع ، فإذا كانت هذه الملكية إقطاعية أصبح البناء السالف الذكر إقطاعيا ، وإذا كانت رأسمالية ، أصبح هذا البناء رأسماليا ، وإذا كانت ملكية اشتراكية أصبح هذا البناء اشتراكيا .

ومن هنا فإذا تغيرت طبيعة هذه الملكية لزم أن يتغير معها ذلك البناء السالف الذكر بالضرورة ، فإذا لم يتغير ، نشأت المشاكل السياسية والأمراض الاجتماعية ، وإذا تغير على نحو لا يتفق مع طبيعة هذه الملكية نشأت أيضا المشاكل السياسية والأمراض الاجتماعية !

وحتى أوضح هذه القضية بالأمثلة ، فإنه عندما غيرت ثورة يوليو طبيعة الملكية في مصر عن طريق قوانين الإصلاح الزراعي والتأميم ، كان لابد أن يتغير البناء السالف الذكر بالتالي ، ومن هنا كان سقوط دستور عام ١٩٢٣ سقوطا طبيعيا . لأنه لا يتصور أن يبقى دستور ينص في مادته التاسعة على حرمة الملكية . بعد أن فقدت هذه الملكية حرمتها بقوانين الإصلاح الزراعي التي اعتدت على الملكية !

كذلك كان من الطبيعي أن يتغير البناء الاجتماعي القائم على هذه الملكية تغيرا تاما . فقد سقطت طبقة كبار الملاك ، بعد تقلص ملكياتها الزراعية من ألوف الفدادين إلى ٢٥ فدانا ثم إلى ٥ أفدنة فيما بعد ! كما ارتفعت طبقة الفلاحين بعد أن اتسعت مساحة من يملكون منهم من المعدمين ، ونشأت منهم طبقة رأسمالية زراعية صغيرة . واتسعت بالتالي مساحة الطبقة الوسطى في المجتمع المصري .

كذلك كان من الطبيعي أن تسقط الطبقة الصناعية التي بنت صناعات ما قبل ثورة يوليو . بعد أن صادرت ثورة يوليو ثرواتها العقارية التي كانت تشكل نصف ملكياتها ، وفقدت سيطرتها على الحكم بعد أن انتقلت هذه السيطرة لضباط يوليو

كذلك كان من الطبيعي أن يؤدي سقوط الطبقة الصناعية المصرية إلى قوانين التأميم في يولية ١٩٦١ . التي نقلت إلى يد الدولة جميع المصانع والبنوك وغيرها من المتاجر الكبرى ، بعد أن أصبح وجود هذه الطبقة لا يخدم الاقتصاد المصري وتقدم المجتمع المصري !

وهذا الذي حدث في عام ١٩٥٢ ثم في عام ١٩٦١ حدث عكسه بقوانين الانفتاح في عام ١٩٧٤ التي غيرت طبيعة الملكية لتصبح ملكية رأسمالية . فقد حرثت هذه القوانين مجتمع عبد الناصر حرثا ، وقلبته رأسا على عقب !

فقد ارتفعت من جديد الطبقة الرأسمالية بكافة أجنحتها ، وظهرت طبقة صناعية جديدة تحاول أن تجد لها قدما في السوق المصرية .

وفي الوقت نفسه انفتح الباب لظهور طبقة طفيلية من الطبقة الدنيا لا تستند إلى أساس اجتماعي يتيح لها الظهور ، تعيش على حساب المجتمع المصري . ومنها طبقة أصحاب العمارات التي تسقط ! وطبقة أصحاب شركات توظيف الأموال ! وطبقة مستوردي اللحوم الفاسدة والجبن الفاسد والأسمنت المغشوش وقطع الغيار المغشوشة وكل شيء مغشوش وفاسد ! وهذه الطبقة هي طبقة مستفزة بالضرورة لأنها لم تتعب فيما جمعته من مال .

وقد أفرزت هذه الطبقة التي تعيش على حساب المجتمع المصري ، طبقة أخرى تعيش على حساب المجتمع المصري أيضا ، وهي التي تتمثل في جماعات التكفير والإرهاب ، التي حكمت حكما قاسيا على المجتمع المصري من خلال ممارسات الطبقة الفاسدة ، وأغفلت سلوك الجماهير المصرية والطبقة الوسطى المصرية التي لم يتسرب إليها الفساد ، ورأت أن المجتمع المصري لا يصلح إلا بقيام ما أسمته بالحكومة الإسلامية ، وفي تصورها حكومة الخلفاء الراشدين ، وليست حكومة الخلفاء الذين تعاقبوا على التاريخ الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني ، والتي لم يكن لها من الإسلام إلا الاسم !

وهذا هو المجتمع المصري الذي نعيش فيه حاليا : أغلبية شريفة منتجة من الطبقة الرأسمالية الصناعية التي تحاول أن تجد لها موطئ قدم في السوق المصرية والعالمية ، وإلى جوارها الطبقة الوسطى وجماهير العمال والفلاحين التي تحمل على عاتقها العملية الإنتاجية ، وفي المواجهة أقلية فاسدة من الطبقة الرأسمالية الطفيلية تعيش على حساب المجتمع المصري ، وأقلية إرهابية تستند إلى فساد هذه الطبقة الطفيلية في تبرير دعوتها إلى الحكومة الإسلامية وتغيير النظام السياسي بالقوة .

وربما كان هذا هو ما ألهم محمد سلماوي محور مسرحيته « الجنزير » ، عندما هرب أحد الإرهابيين إلى بيت أسرة من الطبقة الوسطى واتخذها رهينة لمساومة الحكومة على الإفراج عن بعض المعتقلين ، فكان في معايشته لهذه الأسرة الصغيرة الطيبة بهمومها ومشاكلها وآمالها ما غير فكرته عن المجتمع الذي يصوره له رؤساء الإرهاب في صورة مجتمع فاسد شرير مستغل لا إصلاح له بغير العنف والقوة وتغيير نظام الحكم وإقامة الحكومة الإسلامية ، فأفاق من غشيته ، ورفض إيذاء هذه الأسرة وإعدام هذا المجتمع الصغير عندما تلقى الأمر بذلك ، وانضم إليه في تلقي الخطر بعد أن كان منشقا عليه .

على كل حال ، فإن الدراسة المتعمقة لمشاكل المجتمع المصري في عصر مبارك تثبت أنها نابعة من التقاعس في تغيير قوانين المجتمع وفقا لما طرأ على طبيعة الملكية فيه من تغير ، الأمر الذي دفع المجتمع المصري ثمنه غاليا .

فكما أنه كان من الطبيعي في عصر عبد الناصر أن تصدر القوانين التي تقيد حركة رأس المال ، والتي تذهب إلى حد تأميمه ومصادرته ، وفقا للمذهب الاقتصادي الذي اختاره

النظام الناصرى ، فقد كان من الطبيعى فى عصر مبارك أن تصدر القوانين التى تطلق حركة رأس المال فى الاستثمار مادام أن التجربة الناصرية والاشتراكية فى العالم أثبتت أن تقييد حركة رأس المال لا تعود على المجتمع بالفائدة المرجوة .

على أن مصر تأخرت كثيرا فى إصدار هذه القوانين ، الأمر الذى أدى إلى أن أصبح إطلاق حركة رأس المال فى مصر إطلاقا صوريا ، إذ لم يعد أن يكون بمثابة إطلاق سراح سجين من السجن مع إبقاء القيود فى قدميه ويديه ! وقد تطلب الأمر سنوات طويلة وجهودا جبارة من الرئيس مبارك - شخصيا - لإصدار هذه القوانين . فى الوقت الذى كانت دول أخرى ، مثل الصين ، التى بدأ الانفتاح فيها بعدنا بكثير ، تقفز فى مضمار التقدم ، لمجرد أنها تعرف قوانين الحركة التاريخية ، وتعرف أن أول خطوة فى إحداث التغيير الاقتصادى المطلوب هو تغيير القوانين بما يلائم التغيير المطلوب .

ولقد استمعت مؤخرا إلى حديث للدكتور سمير سرحان أدلى به لإذاعة الشرق الأوسط وقت الإفطار فى رمضان ، يثبت تخلف القوانين فى بلدنا عن مواكبة فلسفة النظام السياسى أو التعبير عنه ! فقد قرر أن القوانين فى مصر تضع قيودا على تصدير الكتاب المصرى . مع أن الكتاب المصرى - كسلعة - يمكن أن يدر على مصر من الأرباح ما تدره سلع أخرى مثل السياحة ، ويفوق بكثير ما يدره تصدير الكتاب اللبنانى !

وقد تعجبت ، ولم أستطع أبدا أن أفهم هذا اللغز . فالمفروض أن التصدير هو هدف كل دولة تصنع . وبدونه تتعرض للإفلاس . إذ تتراكم السلع فى مخازنها . ويتجمد رأس المال الذى أنفق فى صنعها ، وتتعطل دورته، وينتهى الأمر بالإفلاس . فكيف تصنع مصر كتبا وتضع الحكومة فى وجهها العقبات للتصدير إلى الخارج ، اللهم إلا إذا كانت هذه الحكومة لا تعرف ألف باء التصدير بل لا تعرف ألف باء الاقتصاد !

والغريب فى هذا الأمر أنه لا يوجد مبرر واحد له ! لأن الدولة رفعت بالفعل الرقابة فى الداخل على الكتب . وهى التى فرضها نظام عبد الناصر لحماية الجماهير من الفكر المضاد لفلسفة الدولة . فهل تريد الحكومة حماية الشعوب الأخرى من الفكر المصرى لدرجة حرمان الاقتصاد المصرى من عائد تصدير الكتب إلى الخارج ؟

إن استمرار إدارة رقابة البريد بمبنى البريد بالعتبة الخضراء ، لتحكم فئة قليلة من الموظفين محدودى الثقافة والعلم . هو أنموذج صارخ لتخلف القوانين فى مصر عن مسايرة حركة التغيير الاقتصادى الذى حدث فى عصر مبارك ، ومثال لما يمكن أن يلحقه هذا التخلف فى إصدار القوانين بالاقتصاد المصرى من ضرر . مع أن الإصلاح فى هذه الحالة لا يتطلب أكثر من إصدار قانون من سطرين يلغى إدارة رقابة البريد ، وإطلاق الحرية للكتاب المصرى للانطلاق إلى الخارج بما يعود على الاقتصاد المصرى بالفائدة . فهل تحتاج كتابة هذين السطرين إلى ما تحتاج إليه سطور أخرى فى كل مرة من تدخل رئيس الدولة شخصيا لكى تساير حركة القوانين حركة التغيير الاقتصادى ؟

أليس هذا الأمر مما يخالف ما عرفه التاريخ ؟ فلم يحدث فى طول التاريخ وعرضه أن توقفت حركة القوانين عن حركة التغيير الاقتصادى . فعندما انتقل المجتمع البشرى من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية تغير البناء القانونى رأسا على عقب ، فلم تعد قوانين المجتمع الرأسمالى هى نفسها قوانين المجتمع الإقطاعى ، بل تغيرت بالضرورة وبشكل حتمى ، والا لتوقف التغيير أصلا !

بل تطلب ذلك تغير العقلية القانونية الإقطاعية بعقلية قانونية رأسمالية ، فاختفت طبقة القانونيين الإقطاعيين تماما من



سمير سرحان



محمد سلماوى

المجتمع الرأسمالي بعد أن أصبح وجودها معطلا لحركة تغيير المجتمع ، وحلت محلها طبقة أخرى من القانونيين الرأسماليين الذين يفهمون متطلبات المجتمع الرأسمالي من قوانين ، فسارت عجلة التغيير بدون عائق لتمهد لعصر الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر .

وهو ما حدث تماما في عصر عبد الناصر ، وترتب عليه ما عرف باسم « مذبحة القضاء » . عندما عجزت طبقة القانونيين الليبراليين عن فهم متطلبات التغيير الاشتراكي الذى هو ضد الحرية الفردية بالضرورة . وأصرت على حماية الحرية الفردية . فعزلها عبد الناصر من وظائفها . وأتى بقانونيين آخرين يفهمون متطلبات حركة التغيير الاشتراكي .

وكان مفروضا بعد أن انتصر الفكر الليبرالي نتيجة انتصار الفكر الرأسمالي في عصر مبارك . أن يكون هذا هو العصر الذهبي للقانونيين الليبراليين . فيكون على أيديهم حماية الحرية الفردية وحماية حرية الفكر إلى أبعد مدى . ولكنا رأينا الأمر ينقلب في كثير من الحالات . إذ كانت الدولة أكثر حرصا على حماية الفكر الحر من بعض القانونيين !

فبسبب الفساد الذى أحدثته الطبقة الطفيلية الجديدة التى أفرزها عصر الانفتاح . وبسبب الصراع السياسي في عصر السادات بينه وبين اليساريين والناصريين ، أطلق السادات الحرية للتيار الإسلامي للانطلاق من العقال الذى فرضه عليه عبد الناصر ، وكانت احدى نتائج هذا الانطلاق ظهور طبقة جديدة من القانونيين المصريين الذين ينتمون لتيار الإسلام السياسي الذى يرى أن الإسلام هو الحل لجميع مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وقد استطاع هذا الفريق الكبير من القانونيين أن يبرهن على اتساع حجمه وقوته بالوصول إلى نقابة المحامين وتكوين أغلبية نقابة المحامين .

وقد كان هذا الفريق أكبر سند لتيار الإسلام السياسي في محاولاته لفرض سيطرته على النظام السياسي والمجتمع المصرى . ولما كان هذا الفريق لا يؤمن أصلا بالفكر الليبرالي الذى ينادى بأن الدين لله والوطن للجميع ، فقد لجأ إلى استغلال الثغرات الموجودة في القوانين المصرية لمطاردة المفكرين الليبراليين وإرهابهم وإخراجهم من سوق الفكر المصرى حتى يخلو له الأمر وحده ، وكان سلاحه البتار هو سلاح التكفير !

فقد تفتقت عبقرية هذا الفريق عن حيلة « الحسبة » ، التى أعادها إلى الوجود القانوني بعد أن كان المشرع المصرى قد ألغى النص الذى كان يجيزها عندما ألغى المحاكم الشرعية سنة ١٩٥٥ وأدمجها ضمن النظام القضائي العادى . وقد استند هذا الفريق في إعادة دعوى الحسبة إلى زعم أن الحسبة جزء من الشريعة الإسلامية التى هى مصدر أساسى في التشريع ، استنادا إلى الآية الكريمة : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .

وهو تخصيص للآية في مجال التعميم . فلم تكن الآية الكريمة تعنى الحسبة . وإلا لنشأت وظيفة الحسبة في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو ما لم يقل به أحد من مؤرخي التاريخ الإسلامي . ولم تقصد الآية الكريمة أن تكون الأمة الإسلامية وحدها هى التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، اللهم إلا إذا كانت الأديان السماوية التى ظهرت قبل الإسلام تدعو إلى المنكر وتنهى عن المعروف ! وهو أمر غير معقول . لأن جميع الأديان السماوية أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . بل إن الأديان الوضعية أيضا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . وإنما كانت الآية الكريمة تأكيدا لمعنى موجود في جميع الأديان بدون استثناء . وهو ما فهمه المسلمون في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . وما حدث بالفعل ، فلم ترد أية إشارة إلى أن الرسول عليه السلام عين محتسبا أو ظهرت كلمة الحسبة في عهده عليه السلام .

فلما اتسعت الدولة الإسلامية بعد انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، ظهرت وظيفة الحسبة كوظيفة من وظائف الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الله (١٠٥ - ١٢٥) لحماية المسلمين من المستغلين في الأسواق . وانتقلت إلى مصر بعد سقوط الدولة الطولونية . ولكنها لم تترك لعامة الناس ، بل كان يعين لها محتسب من قبل ولى الأمر ، لممارسة ما تمارسه أية دولة مدنية من مراقبة الأسواق وحماية المسلمين من غش التجار وضبط الموازين والمكاييل . واتسعت أعماله لما تتسع له حاليا وظائف البلدية ووزارة التموين من تنظيف الطرق والأسواق وتأمين الطرق واصلاح القناطر ومراقبة النقود المضروبة من الذهب والفضة وضبط الزائف منها وغير ذلك .

وقد اتفقت جميع المصادر الإسلامية على أن عمل المحتسب يقتصر على المخالفات الظاهرة ولا يمتد إلى ما هو غير ذلك مما يحتاج إلى تحقيق وجمع أدلة واستنباط وغير ذلك مما يتصل بعمل القضاء . وكان يعين من قبل ولى الأمر ثم يقوم هو بعد ذلك باختيار أعوانه ومساعديه !

هذا هو حال الحسبة في التاريخ الإسلامي ، ولم يحدث أبدا أن كان مشاعا بين المسلمين يتطوع فيه من يتطوع كما يحدث حاليا ! كما لم يحدث أبدا أن دخلت وظيفة الحسبة في عقائد المسلمين وضمائرهم ، أو متابعة كتاباتهم بالفحص والتأويل لاستكشاف إيمانهم من كفرهم ، وإسلامهم من ارتدادهم ، ثم تطليقهم من زوجاتهم !

المصدر : أكتوبر
التاريخ : ١١ فبراير ١٩٩٦

ولكن هكذا تفتقت حيلة القانونين الإسلامين للتجارة بالقوانين لكسب سيطرتهم على المجتمع المصرى ، واخلائه من المفكرين الليبراليين بحجة الارتداد عن الدين ، مع أن التاريخ الإسلامى كله لا يحفظ لنا مثل هذا الذى يحدث حاليا ! كما أنه لم يحدث فى عصر الرسول عليه السلام ! فقد منع رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد من ضرب عنق رجل ، بقوله : « لعله يصلى » ! وعندما رد خالد بن الوليد قائلا : « كم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه يا رسول الله » رد الرسول عليه السلام قائلا : « إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » . (مختصر من حديث متفق عليه) .

ولكن القانونين الإسلامين فى مصر ينقبون عن قلوب الناس ، ويشقون بطونهم تحت سمع الدولة وبصرها ، دون أن يدخل فى حساب الدولة تجنيد قانونيها لمواجهة القانونين الإسلامين بالتشريع اللازم الذى يحمى المجتمع المصرى من الإرهاب المتلفع بعباءة الدين ! بل إنها لا تستطيع فرز من يتفقون منهم مع الدين الصحيح وحرية الفكر ممن ينتمون إلى تيار التكفير ، الأمر الذى يؤدى إلى إصدار تشريعات قاصرة بالضرورة عن خدمة الفلسفة الاقتصادية التى تتبناها الدولة ، ويظهر مصر فى عين العالم الخارجى فى مظهر الدولة المتخلفة التى لا يجد مفكروها فيها الحماية والأمن وحرية الفكر ، فيضطرون إلى الهجرة منها إلى حيث يوجد الأمن وحرية الفكر !

والآن ، وبعد صدور مشروع القانون بشأن تنظيم إجراءات مباشرة دعوى الحسبة فى مسائل الأحوال الشخصية – دون المدنية والجنائية – فإن الحاجة أصبحت ماسة لاستكمال هذا القانون عن طريق تعديل المادة الثالثة من قانون العقوبات التى تنص على انه « لا دعوى بغير مصلحة » بإضافة نص صريح إليها يعاقب من يسيء استخدامها عقوبة مغلظة ، لأن النص الحالى يفسح السبيل لكل من يشاء لجرجرة من يشاء إلى المحاكم المدنية والجنائية ، وتكليفه مصاريف باهظة ومتاعب نفسية هائلة ، وهو فى أمن من كل عقاب !

وبمعنى آخر أن على نظامنا السياسى أن يدافع عن نفسه وعن شعبه وعن المؤمنين به ، ولا يسلمهم لنظام سياسى تدل التجارب فى الدول المحيطة بنا أنه نكبة قطعية على الديموقراطية وحرية الفكر ! ☐

..وعـين

الاسـلام الاخـر!

الواقع ان صورة الاسلام الجديد او الاسلام الآخر الذى تدعو اليه الجماعة الاسلامية والجهاد وطلائعه هو.. اسلام من نوع جديد.. اسلام موديل ١٩٩٦ حيث لا يعلو صوت على صوت الجريمة المنظمة، ولا ترتفع راية إلا راية الاستحلال بقعقعة السلاح ونغمات الجنازير وضربات السيوف.وهذا الدين الجديد الذى يدعون اليه مجهول الأصل والهوية، لا نبى له ولا رسول.. ولا قواعد له ولا أصول.. وهو لا ينتمى الى المنطقة العربية، وان كان يستخدم شعاراتها يخدع بها الجماهير، فهذا الدين لا يتحدث إلا بلغة الدولار والاسترليني والمارك، ولا يتعامل إلا بالرصاص والقنابل والمتفجرات.. وقيادة هذا الدين الجديد تقتل بالثمن ولذا فأنصارها من المرتزقة الذين يؤجرون لقتل الابرياء.. فقياداتهم تأخذ على كل شهيد أكثر من ٢٠ الف دولار.. وكلما امعن في القتل حصل على نصيب أكبر.. وهذا الدين الجديد لا وطن ينتسب اليه ولذا لا يؤمن بالوطنية ولا بالقومية.. معدوم الانتماء.. تحت رداء العالمية الذى يرتديه يقتل أبناء هذا الوطن وأبناء الأوطان الأخرى مقابل اثارة الفزع والرعب ليدفع أصحاب البلاد لشراء السلاح للدفاع عن أنفسهم فتنتعش سوق السلاح وتعمل مصانع السلاح.. ولكى يغيب وعى الناس لا مانع عنده من الدخول فى حومة المخدرات.. ثم لا مانع من المضاربة والمتاجرة فى كل المواد والمهن.. والحرف المحرمة.. ما دمت بلا وطن فافعل ما شئت.. وأصحاب الاسلام الآخر الذى ينطق به الاخوان أيضا يلوكون الكذب كما يلوكون قطع اللبان الأمريكاني.. فهم يزعمون - كذباً - انهم اى الأخوان المسلمين الجناح المسالم وأنهم لم يقتلوا أحداً أو يمارسوا الارهاب.. والواقع يكذبهم، فقبل ثورة يوليو اغتالوا اثنين من رؤساء الوزارات أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا ثم اغتالوا وزير المالية صبرى أبو علم.. ودمروا وهدموا واستباحوا.. وبعد الثورة فعلوا نفس الشئ واكثر.. وقد أشارت صحفهم التى تنطق باسمهم، اشارت بالفخر ان ٤٦٠ شخصا من قوات الشرطة قتلوا في المصادمات مع الجماعات الاسلامية خلال الفترة من ٩٢ الى ١٩٩٥ منهم ٦٣ ضابطاً منهم ٤ لواءات و٦ عمداء وعقيدان و١١ مقدماً و٨ رواد و ١٤ نقيباً و١٨ ملازماً.. ويقول المرشد الجديد للاخوان اننا - أى الاخوان - لم نمارس العنف إلا ضد اليهود والانجليز..!! وينكر الاخوان أصحاب «الاسلام هو الحل».. وهو الدين الجديد الذين يرفعون رايته.. ينكرون اية علاقة لهم بالجماعة الاسلامية أو بالجهاد وطليعته - والواقع يكذبهم.. ففى القضية الأولى للاخوان التى قدم فيها ٤٩ متهماً من الاخوان ثبت اتصالهم بالجهاد والجماعة الاسلامية ففى مدينة السويس اكتشفت الجهات الأمنية مركز الاتصال بين جماعة الاخوان وقيادات تنظيم الجهاد الهاربة فى الخارج.. ورصدت هذه الأجهزة الاتصالات بين القيادى الاخوانى بتنظيم السويس والارهابى ياسر توفيق السرى المحكوم عليه بالاعدام فى محاولة اغتيال رئيس الوزراء ورصدت أجهزة الأمن اتصالات بالصوت والصورة بين الاخوانى شرف الدين مهندس وصاحب ومدير الشركة الأوروبية للتوكيلات الملاحية بالسويس وأمين نقابة المهندسين الفرعية بالسويس وقيادة الجهاد فى لندن ورئيس المكتب الاعلامى بها وكانت بعض الاتصالات تجرى عبر جهاز فاكس رقم ,٣٢٠١٥١ ومن ابرز أدلة الاتصالات بين الجماعتين اوراق القضية رقم ٨٧ لسنة ٩٢ حصر أمن دولة حيث تم ضبط أجهزة تؤكد اتصال العناصر الاخوانية بقيادات التنظيمات الارهابية بالخارج وهو ما يعرف بقضية شركة سلسبيل للكمبيوتر والقضية رقم ٧٢٢ لسنة ١٩٩٥ والقضية رقم ٣٥٢ لسنة ١٩٩٥ امن دولة حيث اعترف اثنان من قيادات الإخوان بانضمام عناصر شبابية مذكورة بالاسم ومعترفة بالمواجهة لانضمام هذه العناصر للجماعة الاسلامية لتلقى تدريبات على السلاح والقنابل.. وهناك قضايا أخرى لم يكشف الستار عنها بعد.. فهل هؤلاء الذين يدفعون الشباب للقتل ويؤجرونهم لقتل ابناء وطنهم يدينون بالاسلام حقاً.. أم هم رواد الدين الجديد.. او الاسلام الآخر الذى ينادى به سيادة المرشد العام للاخوان المسلمين..؟!

جمال سليم

المصدر: المصور

التاريخ: ٢٦ يناير ١٩٩٦

تقارير اخبارية

«المصور» والشيخ البدرى

☐ حين ذهبت إلى منزل يوسف البدرى بالمعادى فى الثامنة من مساء الثلاثاء ١٦ يناير لاجراء الحوار معه ، كان همه الأول أن يتأكد أننى حملت له معى بعض مطبوعات دار الهلال ، وبعض أعداد سمير وميكى لابنته الصغيرة «نهلة» ، وقد امتن كثيرا لتنوع مجموعة الاصدارات التى قدمتها إليه.

قبل أن يبدأ الحوار حرصت على أن أتأمل أدراج مكتبته، وكانت دهشتى الأولى أن مجموعة الكتب التى لديه لاتكفى لأن تقدم مثقفا ، بالمعنى العام للكلمة ، ولاهى مكتبة متخصصة يمكن أن تعد باحثا فى علم ما أو متخصصا فى جانب محدود من جوانب المعرفة، فقط رأيت عددا من كتب التفاسير وآخر من كتب الأحاديث النبوية وبعض كتب الفقه من تلك التى تطبعها أو تصورها دور نشر كتب التراث وتنتشر بين طلاب الجامعات الذين يسعون إلى التدين ، لكنها أيضا ـ فيما أتصور ـ لاتصنع فقيها أو مفتيا .

ودار الحوار وامتد وفى خلاله بين حين وآخر سيدة تطلب الفتوى منه تليفونيا فى أمر زواج ، وزميل صحفى من جريدة الحياة فاعتذر لأن لديه بعض الصحفيين وذكر اسمى واسم زميلى فاروق عبد الحميد بل أعطانى السماعة لأتحدث مع الزميل محرر الحياة ، ليتأكد ذلك الزميل من صدق كلام «الشيخ» !!

وظهر عدد «المصور» يوم الأربعاء ، ولم يبد البدرى أى استنكار أو تعليق ، ثم قام الأستاذ ابراهيم سعده رئيس تحرير أخبار اليوم بالتعليق على الحوار فى مقاله الأسبوعى «الموقف السياسى» وأعاد نشر الحوار فى أخبار اليوم ، وتحرك مجلس الشعب ليصدر قانون تنظيم الحسبة ، هنا بدأ البدرى يعلق ، ويهدد ، قال إنه سيقاضى المحرر ، وأن الحوار مكذوب أصلاً وأنه لم ير محرر المصور ، ثم تراجع قليلا ليقول أن الحوار محرف ومزور ، وأنه سيلجأ إلى القضاء ، ثم تراجع ثالثا وقال أنما أغضبه أن المحرر كشف عن سوء نية تجاهه فى مقدمة الحوار ، فى نفس الفترة حاولت الاتصال بالبدرى تليفونيا لمعرفة رأيه بعد صدور القانون ، لكن فى كل مرة لم يكن موجوداً بالمنزل ، ولاحاول هو الاتصال رغم أن رقم تليفونى معه وعقب اصدار القانون اتصل بنا محام ، قال أنه من طرف الشيخ يوسف البدرى ، وأنه سوف يصلنا خلال أيام رد منه على الحوار ، وانتظرنا الرد لكن ولم يصلنا أى رد حتى الآن .

والحقيقة أن البدرى لم يذكر الحقيقة فى كل التعليقات التى أبداها على الحوار.

ـ الحوار مسجل بكامله على شريط ، وحين قلنا أننا نقدم الحديث بالصوت والصورة ، فإننا كنا نعنيها تماما ، فلدينا غير الشريط الكاسيت فيلم كامل بالصور .

المصدر : المصور

التاريخ : ١٢ فبراير ١٩٩٦

- لم يكن هدفنا على الإطلاق من الحوار شخص البدرى ، كان هدفنا فقط كشف وتعرية ظاهرة مرضية تفشت بيننا وهى فوضى الحسبة التى يمارسها هواة الشهرة ومحترفو إرهاب المبدعين والكتاب، ولو أننا كنا نستهدف البدرى شخصيا لنشرنا ما قاله - ومسجل لدينا بصوته أيضا - عن عدد من كبار الشخصيات المصرية ولو نشر مثل هذا الكلام لتعرض قائله لملاحقات قضائية عديدة .

بعد هوجة المحتسبين الجدد عدت إلى كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى موسوعة أبو حامد الغزالى إحياء علوم الدين فوجدت حجة الإسلام يقرر أن الحسبة لا تكون إلا فى «المنكر بغير اجتهاد» أى المتفق عليه بين كل الأمة ولم يذكر أن الحسبة تقام على الخلاف السياسى أو تعدد الآراء فى الأعمال الأدبية ويضع آدابا ثلاثة للمحتسب وهى العلم والورع وحسن الخلق .

ترى هل يتفق أى شىء من قول الغزالى مع أفعال وسلوك المحتسبين الجدد؟!!، الأمر المؤكد ..لا ..!

حلمى النمنم

المصدر: الشعب
التاريخ: ١٤ فبراير ١٩٩٦

تاريخية معانى وأحكام القرآن الكريم

فى الجزء الأول من الحلقة الأخيرة من دراسته العلمية الرصينة والموضوعية حول المنهج المادى الجدلى الماركسى الذى استخدمه الدكتور نصر حامد أبو زيد فى رؤيته بعض القضايا الخاصة بالقرآن الكريم..

فضح المفكر الكبير الدكتور محمد عمارة خطايا استخدام الدكتور نصر أبو زيد المنهج المادى والجدلى، وكيف أنه ينفى عن معانى القرآن ودلالاتها الأصلية أى ثبات أو استمرارية أو خلود ويقول بتاريخية النصوص الدينية.. ليخالف بذلك إيمان كل علماء المسلمين عبر كل العصور بأنه لا «مرحلية» ولا «تاريخية» فى فهم القرآن الكريم وتفسيره؛ لأن المرحلية والتاريخية تتنافيان مع خلود القرآن لخلود الشريعة التى جاء بها.

و.. اليوم يواصل د. محمد عمارة تفنيد أفكار د. نصر أبو زيد.

بقلم:

د. محمد عمارة

ولا ينسى الدكتور نصر أن يضرب لنا أمثلة -هي بمنزله «وسائل إيضاح»- لتطبيقات هذا المنهج، الذى يدعو إلى تجاوز المعنى الذى دل عليه اللفظ القرآنى في عصر النزول، والبحث عن المغزى من وراء الأحكام والعقائد والقصص - والذى يتجدد ويتعدد بتجدد القراءات وتعدد القراء..

فإذا كان «المعنى القرآنى قد أعطى للأنثى نصيبا محدداً في الميراث- بعد أن لم تكن ترث أصلاً- فيجب ألا نقف عند هذا المعنى -النصيب الذى تحدد لها في القرآن- وإنما يجب تجاوز هذا «المعنى» إلى «المغزى» -الإنصاف بعد الظلم- لنسير على درب الإنصاف إلى ما لا نهاية.. «فالمعانى الواردة في النصوص عن المرأة- بما في ذلك توريثها نصف نصيب الذكر- ذات مغزى يتحدد بقياس طبيعة الحركة التى أحدثها النص.. وهى حركة تتجاوز الوضع المتردى للمرأة وتسير في اتجاه المساواة المضمرة والمدلول عليها في نفس الوقت.. وليس من المقبول أن يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحي وإلا انهارت دعوى الصلاحية لكل زمان ومكان من أساسها».

ولست أدرى كيف إذا لم نقف عند المدى الذى وقف عنده الوحي، وتحللنا من معناه ومنطوقه ودلالته، يكون -مع ذلك- صالحا لكل زمان ومكان؟! بينما يكون في بقاء معانيه والتزام أحكامه انهيار صلاحيته لكل زمان ومكان من الأساس؟! ثم أليس في تجاوز المعانى والدلالات والأحكام القطع بأن صلاحيتها إنما هى خاصة فقط بزمان النزول دون الأزمنة الأخرى؟!

وإذا كانت «حالة» ميراث الأنثى هى مجرد مثال ضربه الدكتور نصر «للمغزى»- المضمر والمسكوت عنه- الذى نتجاوز به المعنى «فلا يقف اجتهادنا عند حدود المدى الذى وقف عنده الوحي» فلقد أفصحت نصوصه عن أن مقصده هو تجاوز كثير من أحكام التشريع الإسلامى، وإسقاطها، فقال: «وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص -البنية التى تتضمن المسكوت عنه- وفي السياق الاجتماعى المنتج للأحكام والقوانين- فربما قادتنا القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام، بوصفها أحكاما تاريخية، كانت تصف واقعا أكثر مما تصنع تشريعاً..» فالنص شكله الواقع.. والأحكام والقوانين أنتجها السياق الاجتماعى. ولا شيء من عند الله!

وإذا كان الدكتور نصر قد دعا إلى عدم قصر «التاريخية» على النصوص التشريعية، دون نصوص العقائد والقصص» فلقد وجدناه -بسبب هذا التعميم- يعيب على الدكتور طه حسين (١٣٠٦-١٣٩٣هـ ١٨٨٩-١٩٧٣م) تراجعه عن التشكيك -الذى ذكره في كتاب (في الشعر الجاهلي)- في القصص القرآنى عن إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، والرحلة الحجازية لإبراهيم، ورفعهما القواعد من البيت الحرام.. فتراجع طه حسين عن هذا التشكيك في القصص القرآنى، هو -بنظر الدكتور نصر- «تردد» يمس «التلفيق» النابع من «نقص وعى الطبقة- (التى ينتسب إليها طه حسين)- الناتج من طبيعة تكوينها الهش والجنينى». وهو «التردد» الذى جعل طه حسين لا يصر على تعميم «التاريخية» في القصص القرآن.. التاريخية التى قال الدكتور نصر: «إنها تحرك دلالة النصوص وتنقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز..»!

فيصبح القصص القرآنى «مجازا فنيا» لا علاقة له بصدق الحقيقة

المصدر: الشعب

التاريخ: ١٦ فبراير ١٩٩٦

المحروسة للبحوث والتدريب والمعلومات

ولا بواقع التاريخ!.

وغير تطبيق هذه «التاريخية» -التي تتجاوز «المعنى» إلى «المغزى»، المضمر والمسكوت عنه- والتي تنتقل بالنصوص «من الحقيقة إلى المجاز»- غير تطبيقها على النصوص التشريعية، والقصص القرآني، يدعو الدكتور نصر إلى تطبيقها كذلك على عقائد الإسلام.

ولست أدري.. ماذا ستكون عليه تصوراتنا للعقائد الإسلامية إذا نحن لم نقف عند حدود المعاني التي حددها الوحي الإلهي، وذهبنا، متجاوزين «المعنى»، إلى البحث عن «المغزى»، ومتجاوزين «الحقيقة» إلى «المجاز».. إن عالم الغيب، والجنة والنار، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بل والألوهية، والتوحيد والخلق، والملائكة.. إلخ.. إلخ.. ستتحول جميعاً إلى «مجازات» وتصورات متحررة تماما من المعاني التي حددتها لها آيات القرآن.

والدكتور نصر، وإن لم يضرب لنا «الأمثلة التوضيحية» للصور المجازية التي ستكون لهذه العقائد في «المغزى»، المتجاوز «للمعنى».. إلا أنه قد حدثنا عن أن العقائد هي تصورات مرتهنة بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر.. وأن النصوص الدينية قد اعتمدت في صياغة عقائدها على كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب..»

وهكذا تحول «التاريخية» -عند الدكتور نصر- الحقيقة إلى مجاز.. وتتجاوز المعنى إلى المغزى.. وتطوى صفحة الدلالات الواضحة لتستبدل بها «المضمر والمسكوت عنه» الذي تكتشفه «القراءة غير البريئة»! فتسقط أكثر الأحكام التشريعية.. ويصبح القصص القرآني «فنا» لا علاقة له بالحقيقة.. وتصبح العقائد الإسلامية صياغة متطورة للتصورات الأسطورية في وعي الجماهير.

وإذا كانت هذه التاريخية التي تسير مع «المغزى» دون الوقوف عند «المنطوق» و«المعنى» قد تجاوزت -في نصوص الدكتور نصر- تمييز الأنثى عن الذكر في الميراث إلى مساواتها به.. أفلا يسوغ لنا- والمنطوق القرآني قد وحد المعبود -بعد أن كان متعددا- أن نتجاوز - مع «المغزى»- هذه الوحدانية، إلى حيث تقول: إنه «لا إله والحياة مادة، وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر!!

فنواصل السير على طريق «المغزى»، دون وقوف عند معاني القرآن الكريم؟!

إنه نفس «منطق» المادية الجدلية الذي استلهمه الدكتور نصر أبو زيد في تطبيقه لتاريخية النصوص على القرآن.

xxxx

وإذا كان القول «بتاريخية النصوص الدينية-[القرآن .. والحديث]-» قد جعل الدكتور نصر يقول: «إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية.. ونقل دلالاتها من الحقيقة إلى المجاز.. فالقرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا.. له إطلاقية المطلق.. وليس ثمة عناصر ثابتة في النصوص الدينية، بل لكل قراءة -بالمعنى التاريخي الاجتماعي- جوهرها الذي تكشفه في النص»

وإذا كان قد طبق هذه «التاريخية» على نصوص «العقائد» و«القصص القرآني»، وليس فقط، على النصوص التشريعية.. لأن العقائد قد تأسست على التصورات الأسطورية في وعي الجماعة» فالغى الثوابت.. وقطع صلات الدين بمصدره الإلهي- عندما «أنسنه» الوحي والنبوة والعقيدة والشريعة.. إذا كان قد صنع هذا الذى سقنا فيه نصوصه العديدة.. فيبدو أن «جعبة» التاريخية عنده لا يزال فيها المزيد! ففى كتاب الدكتور نصر [نقد الخطاب الديني] نشر دراسة إضافية في نقد المشروع الفكرى للدكتور حسن حنفي -مشروع اليسار الإسلامي- والذى قام فيه الدكتور حسن -تحت شعار «التجديد»- هو الآخر- «بانسنة» الدين، وتفريغ الإسلام من محتواه الديني..

فحول «الإله» إلى «الكفاح المسلح» أو «الإصلاح الزراعي» وما وراء الطبيعة إلى الطبيعة -الميتافيزيقى إلى فيزيقي-، والوحي إلى علم إنساني ..إلخ.. إلخ.. ، لكن الدكتور نصر لم يقنع بمستوى «الكارثة» التى صاغها الدكتور حسن حنفي «مشروعا فكريا» لأن هذا المشروع لم يلغ «القديم»، وإنما أدى تجديده «إلى تجاور بين القديم والجديد، ووقع في التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل»! غير أن «الموضعية» دعت الدكتور نصر إلى الحديث عن «إنجازات» حسن حنفي، بعد حديثه عن «الإخفاقات» التى وقع فيها، فكانت الصفحات التى كشفت في «تاريخية النصوص» -عند الدكتور نصر- عن أبعد وأغرب مما أشرنا إليه فيما تقدم من صفحات! فهو لا يكتفي بتحويل حسن حنفي الألوهية إلى اختراع من اختراعات الإنسان المحبط، أضفى عليها صفات الكمال التى لم يستطع تحقيقها في واقعه، ونفى عنها صفات السلب والنقص التى ملأت عليه حياته.. ولايكتفي بتحويل حسن حنفي الوحي إلى فكر إنساني، وخبرة بشرية مقطوعة الصلة بالألوهية.. وتحويل الحقائق الدينية إلى مجازات، لا يكتفي بذلك، ويراه مجرد «اقتراب» من الهدف.. لأن الهدف -عند الدكتور نصر- هو «إلغاء الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء»، فلا داعي لاستمرار هذه العقائد حتى ولو كانت في صورة «فكر إنساني وخبرة بشرية»!

فحسن حنفي -بنظر الدكتور نصر- «متردد» ولا فائدة مشروعه تتمثل في خلخلة بنية الفكر الديني»، ولكنه لم يحظ «بشرف» إلغاء الصورة الإنسانية والمجازية لعقائد التوحيد والبعث والجزاء؟!.. وحتى لا يرتاب القارىء في دقة هذا الذى نقول، فإننا نقدم نصوص الدكتور نصر، التى تحدث فيها عن «إخفاقات وإنجازات» مشروع الدكتور حسن حنفي، والتى يقول فيها: في هذا المشروع -لليسار الإسلامي- «تحول هدف إعادة البناء» -[للعلوم الإسلامية] -إلى «إعادة طلاء»

وتحول التجديد إلى تجاوز القديم والجديد، ووقع المشروع كله في التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل، لكن هذا الإخفاق الواضح على جميع المستويات لا يمثل الحقيقة كلها، فقد حقق المشروع إنجازات لا سبيل إلى تجاهلها.

فهناك جهد واضح لمحاولة تأويل العقائد، وعقيدة الألوهية بخاصة، على أساس أنها محاولات من الإنسان لتجاوز اغترابه عن العالم، فيخلق في الشعور كائنا من ذاته -على [illegible]ارها- بعد أن يضفى

عليه كل صفات الكمال والقوة في صورتها المثالية، وبعد أن ينفي عنه كذلك كل صفات الضعف التي يأنف منها.. إنها محاولة مشروعة لتحويل الألوهية إلى أنثروبولوجيا، والإلهيات إلى إنسانيات.

وهناك الإصرار على تاريخية واقعة «الوحي» أي تحويل الوحي إلى خبرة بشرية.. وتحويل العلم الإلهي إلى علم إنساني.

وهكذا يقارب «اليسار الإسلامي» تخوم حل ثنائية «النقل -العقل» حلا جدليا.. وهكذا يكاد الخطاب اليساري أن يحول الوحي إلى الطبيعة، ويرد الميتافيزيقي إلى الفيزيقي، ويبلور فهما تنويريا للعقيدة والوحي.. فالوحي «اسم يطلق على النشاط الذهني للإنسان في كل زمان ومكان.»

ثم يمضي الدكتور نصر، معبراً عن عدم رضائه عن هذه «الإنجازات»، فهي «قاربت» مقاصد الدكتور نصر، ولم تبلغها و«كادت» تحل المشكلة لكنها لم تحلها.. فيقول:

«لقد احترزنا بالقول: إن اليسار الإسلامي قارب تخوم حل ثنائية النقل -العقل حلا جدليا، دون أن نقرر أنه حلها فعلاً.. فثمة سؤال جوهري يطرح نفسه.

ألا تتعارض مسألة استمرارية الوحي -ولو بالمعنى المجازي- مع تاريخيته المطروحة قبل ذلك؟ وبعبارة أخرى: ما الهدف والغاية من استمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء؟ إن الإصرار على استمرارية الوحي -بالمعنى المجازي- الوحي الطبيعي- إصرار يكشف عن الطابع المتردد الذي يحاول أن يلوذ بالتأويل عن طريق التحويل الدلالي، فيقع في التلوين، وفي هذا التلوين يفقد مفهوم الوحي بعده التاريخي، ويتحول إلى مبادىء ونظريات عامة ذات طابع يقيني مطلق خارج الزمان والمكان، أي خارج التاريخ.

لكن هذا التردد.. على ما يؤدى إليه من نتائج ضارة على المستوى المعرفى الخالص، لا يخلو من فائدة، تتمثل فيما يحدثه من خلخلة فى بنية الفكر الدينى المسيطر والمستقر»؟!

تلك هى مقاصد الدكتور نصر أبو زيد.. التاريخية، التى تلغى الوحى، حتى ولو كان بالمعنى المجازى والطبيعى، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء.

xxxx

فهل تتسق أفكار د. نصر فى هذه القضايا التى عرضناها مع إعلانه فى بيانه إلى الناس.. «أنا مسلم وفخور بأننى مسلم أؤمن بالله وبالرسول وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»؟..

إن المؤمنين بالإسلام لا يختلفون على:

* ألوهية القرآن الكريم وقدسيته، لأنه كلام الله القدوس.
* ومفارقة ظاهرتى النبوة والوحى للواقع والطبيعة وقوانينهما.
* والوضع الإلهى للعقيدة والشريعة -لأنها جماع الدين- والوحى بهما إلى من اصطفاه الله نبيا ورسولا.
* وخلود المبادىء والقواعد والمقاصد والأحكام التى جاء بها النص القرآنى -بحكم كونه الوحى الخاتم للشريعة الخاتمة -فلا وحى بعد القرآن، ولا نبوة بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، ولا شريعة بعد شريعة الإسلام.. الأمر الذى يجعل تاريخية أحكام النص القرآنى هى وختم النبوه والرسالة وخلود الدين على طرفى نقيض -ناهيك عن كارثة القول بتاريخية العقيدة- عقيدة الألوهية- أيضاً؟!

وإذا كان الإسلام قد نزع من مطلق البشر سلطان الحكم على ما فى الضمائر والقلوب فإننا مع د. نصر أبو زيد، بإزاء كتابات أوردنا نصوصها الكاملة، والحد الأدنى لما يجب قوله إزاءها: هو أن المطلوب مراجعة هذه الكتابات لتتسق مع العقائد المعلومة بالضرورة من دين الإسلام، والتى لم يختلف فيها ولا عليها أحد من خاصة المؤمنين بهذا الدين وعامتهم.

وعسى أن يكون هذا الذى قدمناه- حول القرآن.. والنبوة والوحى.. والعقيدة.. والشريعة وتاريخية النصوص الدينية- مبرراً كى يراجع الدكتور نصر آراءه فى هذه المعتقدات الإسلامية.. فلقد قال -فى بيانه إلى الناس-: «وأنا فخور باجتهاداتى العلمية وأبحاثى، ولن أتنازل عن أى اجتهاد فيها إلا إذا ثبت لى بالبرهان والحجة أننى مخطىء».

وهى روح علمية طيبة، نرجو أن تثمر ثمارها الطيبة إن شاء الله.. تثمر ثمارها فى حل هذا التناقض الصارخ والبادى للعيان بين أفكار وكتابات الدكتور نصر وكتاباته -التى أوردناها- وبيانه إلى الناس!

تجديد فكر «الاسلام السياسي»: الخروج من دوائر الأوهام المغلقة

نبيل عبد الفتاح *

■ يُطرح السؤال عن إمكان تجديد فكر الاسلام السياسي في اتجاه ديموقراطي، في إطار السجال السياسي والايديولوجي في اكثر من بلد عربي.

وسؤال التجديد، ليس من قبيل الاسئلة المحدثة هنا، وانما هو جزء لا يتجزأ من منظومة المفردات التي ارتبطت بالمراحل التاريخية لمشروع النهضة الحديثة، أو بتعبير اكثر دقة بمحاولات بناء نهضة حديثة في المنطقة. وهو يرتبط بسؤال مركزي، لايزال موضوعاً لاعادة الانتاج، عن كيفية تجاوز حالة التدهور والتخلف واللحاق بمسار التقدم، والتحديث والعصرية، وما بعدها؟

لكن هل لايزال سؤال التجديد مشروعا، وصالحا كسؤال حتى يمكننا كل من موقعه تقديم اجابة عنه؟. إن سؤال التجديد قديم منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر عندما اثير بصدد مشروع علي بك الكبير، كما يذهب انور عبد الملك. ثم ثارت بعد ذلك اسئلة - تحمل المضامين والغايات نفسها - مثل كيف التقدم، كيف النهضة، كيف التحديث؟ كيف الثورة؟ كيف الانفتاح؟ ثم شاع بعد ذلك سؤال التنوير؟ وها نحن نعود القهقرى متسائلين كيف التجديد؟

إن دراسة حقل الاسئلة من الأهمية بمكان، لاسيما أنه ليس حقل اسئلة مغلقة حتى وإن كانت تبدو كذلك في الظاهر. لا يمكن لباحث أو مفكر يتسم بالدقة العلمية والمسؤولية ان يعزل هذه الاسئلة. والأخطر هو عزلها في معزل اكاديمي لفحصها، وتفكيكها على الرغم من أهمية ذلك تحليلياً.

إن اسئلة التجديد، وما يرتبط به، هي أسئلة كان يطرحها واقع محدد في زمن وسياقات تاريخية محددة، وبلورها مفكرون وكتاب وباحثون ورجال دولة احيانا. لكنها ظلت، وإجاباتها، مجرد بلاغة في لغة الخطاب السائد في كل مرحلة، وقليلة هي محاولات الاجابة عند العمق. وحتى هذه المحاولات ظلت في معظمها ذات طابع ريادي، أي مقدمات اولية لوضع الاسئلة، وتقديم الاجابات كما ظلت في الغالب محاولات فردية، لم تستطع أن تشكل تيارات تعمل، وتحفز وتحلل عند الاعماق سواء في الموروث القومي أو الديني، أو في المرجعيات الوافدة.

إن اسئلة، واجابات، الحاضر الآتي - بما يحمله من تاريخ كل سؤال واجابة - يطرحها الدعاة، ورجال الإعلام، ورجال الامن، ورجال السياسة العملية. واسئلتهم، واجاباتهم، لحظية، آنية، تتعامل مع واقع مشتعل تحقيقاً لمصالح محددة، ووقائع سريعة، وليس لدى معظم هؤلاء، واولئك، لا الوقت، ولا المصلحة، ولا الادراك لتاريخية الاسئلة، ولا ينتابهم احساس عميق بالخوف من طرح اجاباتهم البسيطة المغلقة، ولا لديهم الوقت للتعاطي مع اسئلة واجابات الآخرين وتفكيكها بالسماحة، والتسامح، والنزاهة الفكرية. وانما هي اسئلة واجابات حرب باردة بالكلمات والمصطلحات والقيم من ناحية، وحرب ساخنة بالرصاص والدم من ناحية أخرى قد تصل الى شبه حرب أهلية معلنة كما في حالة الجزائر مثلا؟ كل ذلك في ظل تهميش للفكر والمجتمعات في عالمنا العربي عن العالم ما بعد الحديث الذي ينشأ الآن؟

إذن بيئة حروب الأفكار والرصاص تجري في ظل فجوة بين السياق المحلي والسياق العالمي بكل محمولاتهما، وأخطرها أزمة الحس السياسي والفكري بما يحدث خارجيا، ومعها ازمة الخيال السياسي الخلاق.

وهناك ايضا أزمة علاقة الذات الفكرية والسياسية لكل تيار بالآخر، إنها علاقة صراعية، وسجالية، إذ الكل لا يعرف الآخر، ولا مصادره، وهو ما يؤدي الى سجالات انطباعية لا الى حوار عميق.

فكل تيار يختزل غيره في مجموعة من المقولات العامة - البالغة العمومية - والعلاقات الجزئية، ويسيّدها، ويشيعها، ويصبح بعد ذلك أسيرا لها في معرفة الطرف الآخر، وفي صرا ـه اليومي معه.

ومن خلال آلية التعميم، والتجزئة، وانتشارها وإعادة انتاجها، يرى كل طرف الآخر عبر صور نمطية. وهذا يؤدي الى نتيجة مهمة، وخطرة معا، وهي أن المجال السياسي ذو طابع تكراري يعيد انتاج ذاته بما يؤدي الى تآكل القدرة على كسر هذه الحلقة المغلقة، الا في حالات جد محدودة.

وترتب على سيادة الصورة النمطية انتاج اطراف السجال السياسي والايديولوجي لأوهام عدة - أو فلنقل أساطير - آمنوا بها وصدقوها ونشروها بين الناس. وغدت مع التكرار، والجزم، ولغة اليقين، وكأنها حقائق يتعين علينا التسليم والقبول بها، بلا نقاش، أو تشكيك أو تفكيك لها!.

ويمكن الحديث هنا عن أوهام حول حركات الاسلام السياسي من ناحية، وعن اوهام هذه الحركات نفسها. فعلى صعيد الاوهام حول هذه الحركات، يمكن الاشارة الى وهمين منتشرين:

الوهم الاول: يتأسس على أن هذه الحركات كل واحد، وأن الاختلافات بينها، هي محض اختلافات جزئية. وهذا الوهم يرتبط بضرورات الصراع الفكري والسياسي التي تتطلب صناعة صور بسيطة، ومختزلة حول الخصم، وإلصاق مجموعة من الخصائص والسمات به، حتى تسهل إنزال الهزيمة الايديولوجية به أمام الجمهور. وهذه الوظيفة وآلياتها مع الاستمرارية وإعادة الانتاج تؤدي الى استبعاد كل طرف للآخر، وشيوع يقينيات وهمية.

بداية جماعات الاسلام السياسي متعددة، وهناك تنوعات، وتناقضات كبيرة بينها، وليست كل جماعة متجانسة، وموحدة، وهناك خلافات وصراعات داخلية، لا يراها البعض لأن ذلك هواه. لكن لا يراها آخرون لأسباب خارجة عنهم: اولها أن اقساماً

واسعة من تيار الاسلام السياسي الراديكالي هي مجموعات حركية سرية، وانتاجها الايديولوجي ليس موضوعا للتداول وحجم ما ينشر عنها محدود جدا وعبر قنوات أمنية، أو قضائية، أو اعلامية هجائية تحت عنوان عريض هو الإرهاب والارهابين.

فالإنتاج الايديولوجي لهذه الجماعات يتم في ظروف تتطلب تلبية أسئلة محددة ولأهداف خاصة، على رأسها هجاء الدولة والقوى السياسية الأخرى، وتكفيرهم، ولأهداف خاصة بالتجنيد والإنتاج، وكآلية للتماسك الايديولوجي الداخلي، ولإبراز التميز السياسي عن الجماعات الأخرى بما يؤدي اليه ذلك من تزمت، واستبعاد الآخرين كنقيض، والغلو بحثاً عن نقاء مستحيل التحقق.

وطبيعة الصراع السياسي مع الدولة، والقوى السياسية والايديولوجية الأخرى، تفرض على هذه الجماعات التعاضد، والتماسك، والغلو في الإنتاج والتفسير. ولا يظن الخلاف بينهما عادة، إلا مرتبطا بالسياسات، والحركة، ويتم اللجوء الى بنية التفسيرات التاريخية لمساندة كل طرف لرأيه على الطرف الآخر. ومثال ذلك: ولاية الضرير، أو العذر بالجهل كموضوع للخلاف بين حركتي الجماعة الاسلامية والجهاد في مصر.

والصور عن الاسلام السياسي، تتعامل مع الظاهرة، وكأنها هابطة من عوالم أخرى. أي انها ليست تعبيرات ايديولوجية وحركية عن حركة اجتماعية لها مطالبها ومصالحها، وتعبيراتها السياسية الخاصة، وأن عنفها المرفوض له دواعيه، وأهدافه السياسية.

والتباينات بين مجموعات داخل كل جماعة، وبين الجماعات والأخرى، تبدو، وكأنها خارج المعرفة، وخارج النقاش.

إذن هناك وهم شائع في النظر الى التيار الاسلامي السياسي ككيان جماعي واحد، يتسم بسمات ذات طابع عام. وهذا أمر غير صحيح يعكس عدم المعرفة بالتمايزات، والتناقضات، ويؤدي الى خلل في الرؤي عن الآخر السياسي، وبساطة وجزم في الأحكام حوله بعيدا عن واقعه في ذاته، وفي المجتمع، وبما يؤدي الى المزيد من التشدد في الأحكام من ناحية أخرى.

أما الوهم الثاني فهو وهم الجمود الفكري، والعنف الحركي. وهو ناتج آخر من نواتج صناعة الصور النمطية، والتعميم، والاختزال، فلا يستطيع المرء أن يتغافل أن هذا الوهم مبعثه النزعة للانتصار على الخصم، وهي نزعة سيكولوجية تهدف الى إسعاد الذات وطمأنتها. وهي نزعة تتأسس على فكرة أن جماعات الاسلام السياسي هي كيانات متحجرة، وجامدة، ومن ثم إغفال انها حركات سياسية وفكرية، واجتماعية، وانها بهذا الوصف تتصارع، وتتفاعل، وتطرح اسئلة، وتقدم اجابات أيا كان رأينا فيها.

ومن هنا لا نستطيع الانسياق وراء هذه الأوهام، فلا يستطيع المرء أن يجمع في سلة واحدة بين عمر عبد الرحمن، وعلي بلحاج، وحسن الترابي، وعباسي مدني، وراشد الغنوشي، وعبدالله العلايلي، واحمد كمال ابو المجد، وعبدالله فهد النفيسي، وابو القاسم حاج حمد، وطارق البشري، وسليم العوا، كل هؤلاء في سلة واحدة.

ومن ناحية أخرى هناك ملاحظة واقعية وتحليلية مفادها أن بعض مراكز الحركة الاسلامية اصابه بالفعل نوع من الجمود الفكري. ولكن هناك اطرافاً تتسم بالديناميكية الفكرية (حالة تونس مثلا).

كما أن الجمود الفكري لدى البعض صاحبته مع ذلك تطويرات حركية مذهلة (حالات السودان - الجزائر - مصر).

أما اوهام حركات الاسلام السياسي عن نفسها وعن غيرها، فهي كثيرة، وفي مقدمها:

(١) وهم تأميم الأصول الاسلامية واحتكارها، وتوظيفها:

فبعض قادة وتابعي الحركة الاسلامية يعتقدون أن الإسلام حكر عليهم فقط ما يتيح لهم احتكار المعرفة به واصدار الأحكام على الآخرين، وهو ما يؤكد صحة بعض ما يحمله نقد الآخرين لهم من انهم يسعون فقط للحكم. وهذا وهم اقرب الى وهم اصطناع البعض لفكرة وراثة رجال الدين، وشكل من أشكال البحث عن عصمة لم تُعط إلا للانبياء. وما يزكي هذا الاعتقاد، وهذا الوهم معا، نزوع البعض الى محاولة النطق باسم مطلق النص المقدس، فضلا عن كونها محاولة للتماهي بين تفسير بشري، ومطلق النص الديني، والتداخل بينهما. إنها محاولة لفرض سياجات وأسوار حول رحابة النص الديني وامكانية استيعابه للاجتهادات البشرية. إذن هي محاولة لإغلاق دائرة مفتوحة عن سعة ورحمة بالاسلام والمسلمين معا.

والاسلام كقاعدة لا يأخذ بمفهوم الاكليروس أو المجامع المقدسة، وليس في الاسلام وصحيحه طبقة رجال دين تحتكر التفسيرات، والنصوص، وتأمر فيخر الآخرون من ورائهم خاضعين. وعلى الرغم من ان ملاحظة البعض أن تطور المجتمعات الاسلامية قد أنتج هذه الطبقة، فإن الاسلام لا يعرف عصمة للبشر عن الانبياء، ولا تأميم لنصوص الدين، أو الشريعة، ولا سد لرحمة الله تعالى على الناس. فكل ذلك خارج سماحة، ورحمة، واتساع الدين الاسلامي الحنيف.

(٢) وهم ضعف الآخر:

ذلك أن الآخر السياسي والثقافي يُقدم في النص الاسلامي السياسي السائد على انه ضعيف عدديا، وفكريا، وأن الوصول الى سدة السلطة أو أريكة الحكم هو مسألة وقت في الأجل المتوسط على اقصى تقدير. وهو وهم يعبر عن تقدير غير دقيق عن قوة الذات الجماعية للاسلام السياسي، وقادته بالتحديد، ويقوم على قراءة مغلوطة لوزن وقوة الخصوم السياسيين. وهي قراءة تنظر الى المجتمع من خلال ايمان العوام، وضعف رموز وتعبيرات القوى السياسية الأخرى على الساحة الحزبية. ويغفل صانعو هذا الوهم لا مبالاة الاغلبية بالسياسة وحركاتها والاعيبها، وابتعاد العناصر ذات الثقل الفكري والعلمي عن ساحة الهجاءات المتبادلة. والواقع انه ليس من هم خارج دائرة الاسلام السياسي محدودي العدد.

ولا الدولة (وما ادراك ما الدولة في بلد مثل مصر، على الرغم من الفساد السياسي، والتفكك البنائي)، ولا أغلظ الانتقادات التي توجه لها هي على درجة من الضعف بحيث يمكن إنزال هزيمة سهلة بها. ولكن أوهام القوة تؤدي الى تهميش اطراف المعادلة السياسية والاجتماعية والامنية والفكرية، وتعطي أوهام القوة والانتصار.

(٣) وهم أن العلماني كافر وخارج عن الدين:

ثمة اتجاه لدى جماعات الاسلام السياسي الى تجسيد الآخر في صورة العلماني بإطلاق، وذلك لنقل الصراع من مجال السياسة والثقافة والاجتماع الى مجال الدين. وهذا الاختزال يهدف الى تقليص دائرة الحوار واجندته حتى يستطيع ان يفرض اسئلته مقدما، ومن ثم اجاباته واحكامه، استسهالا وتبسيطا ورغبة

في الحصول على انتصار سريع وحاسم، ولكنه استسهال الضعيف وليس القوي، العقل المبسط لا العقل المركب. فليس الامر كذلك في واقعه الموضوعي، ولكنها ألعاب السياسة الصغيرة في مجتمع يتلاعب فيه وبه وعليه فاعلون صغار لايدركون مخاطر

المحنة والدراما القاسية التي يمر بها مجتمعهم ودولتهم وشعبهم.

فالجميع من الاسلام السياسي، او غالبهم، ينظرون للجميع من خارجهم على انهم كائن واحد، او كيان مصمت متجانس بلا جغرافيا فكرية، واجتماعية وسياسية، وتضاريس متعددة، وان الاخرين هم علمانيون فقط دونما إدراك من هو الليبرالي؟ ولا الماركسي؟ ولا الناصري؟ ولا غير ذلك.

انها تضاريس وازمات معقدة لدى هؤلاء الذين يوضعون وراء المصطلح.

ان العلمانية ليست دينا - وان تحولت لدى بعضهم الى ذلك. ويطرحها البعض كمذمة وكهجاء، دون معرفة لا بالمصطلح ولا بتطوراته، ولا بهؤلاء الذين يقولون عن انفسهم علمانيين. هل هم يستطيعون الجمع بين الصفة علماني والصفة مؤمن معا، ثمة علمانيون كثر هم متدينون ويمارسون فرائض الدين ونواهيه، بعيدا عن طقوس الاستعراض التي يمارسها بعض الذين يكفرون الناس. وهم يرون ان الدولة باعتبارها شخصية معنوية تكفل للناس ان يمارسوا ايمانهم وتقاليدهم وطقوسهم في امن، وسكينة، بما يحول دون ان يسيطر البعض باسم الدين على حريات الناس المدنية والدينية...

وتمثل عملية اختزال الآخر في صورة العلماني غير المؤمن دعوة فتنة واشعال حرائق مثلها مثل الدعوة لاستبعاد القوى الاسلامية المعتدلة من الساحة السياسية.

ما سبق هو بعض الاوهام الشائعة، رصدناها تحليليا بإيجاز شديد كمدخل للاجابة عن السؤال حول تجديد فكر الاسلام السياسي. وهذه الاجابة لا نعتقد بسهولة الوصول اليها. لكن بدايةً نرصد التناقض في مواقف بعض الجماعات الاسلامية السياسية والراديكالية تحديدا، والمتمثل في تقديم مجموعة من التصورات حول الانسان، وحقوقه، وحرياته ترتكز على فهم خاص يدور حول مجموعة من الالتزامات والضوابط إن لم نقل صراحة القيود، بما يؤدي الى غياب مجال الخصوصية الفردية والإنسانية باعتباره مجال حرية، وارادة انسانية فاعلة. وهذا التصور يتناقض فلسفيا مع نظام حقوق الانسان، ومع ذلك فثمة تناقض آخر مبعثه اهتمام هذه الجماعات الاسلامية السياسية بانشطة حركات حقوق الانسان المحلية، والاقليمية، والدولية، وبياناتها في كل الاعوام عن انتهاكات اجهزة الدولة، والامن لقواعد حقوق الانسان. ومن ناحية أخرى فإن بعضها يقوم بممارسة انتهاكات لهذه الحقوق ازاء بعض المواطنين او المغايرين دينيا. وهذا التناقض لايجد حتى هذه اللحظة حلا منطقيا، ولا سميا ان الاجتهادات التي تقدم هنا لاتزال عند حدود عدم اقتحام القضايا الاساسية.

كما نرصد تناقضا موازيا للقوى الليبرالية والعلمانية في سكوت بعضهم ازاء انتهاكات موجهة للاسلاميين.

ولا يمكن لاي فكر سياسي واجتماعي ان يتطور او يتخلف بعيداً عن السياقات الاجتماعية والسياسية، ومن ثم فإن سيادة ثقافة عسكرة السياسة واجتياحها - كحالة الجزائر - لا تؤدي سوى الى انتاج نظائرها على الجوانب الأخرى للقوى المتصارعة. ويمكن ان نقول ان لدينا السياسي - العسكري، والمثقف العسكري بتعبير ادونيس، والواعظ والفقيه العسكري، والاخير كنظائره يدور حول فقه الاوامر والنواهي، من دون السعي الى بحث ابواب التسامح والرحمة للمسلمين.

والسؤال هنا هو: تجديد فكر من؟ هذا هو السؤال! فليس الجميع سواسية.

وبدايةً نستطيع القول بإطمئنان ان هناك علامات على الطريق تتطلب النظر اليها بإمعان شديد على طريق تقديم اجابات - ايا كانت - عن اسئلة معاصرة. اولها: اجتهادات راشد الغنوشي (تونس) تحديدا، وبعض اجتهادات فتحي يكن (لبنان)، وابو القاسم حاج حمد (السودان)، وعبدالله فهد النفيسي (الكويت)، وسليم العوا وطارق البشري (مصر). وهناك بعض بيانات الاخوان المسلمين الاخيرة، اقول انها اجتهادات، يختلف المرء، او يتفق معها في التأصيل، والمضمون والاتجاهات، لكنها تظل تمثل محاولات على الطريق. وان كان ذلك لايمنعنا من القول ان «اطراف» الحركة الاسلامية اكثر حيوية على صعيد انتاج الافكار من «مركز» الحركة الاخوانية في مصر.

كما ان القبول بفكرة النظام الديموقراطي البرلماني وتداول السلطة يعني وبوضوح نبذ العنف نبذا قاطعا في التعامل السياسي وفي الحركة الاجتماعية، وفي القبول وبوضوح بقيم الديموقراطية المدنية، واسسها الفلسفية. وهذا يعني نزع القداسة عن الحركة التي تطرح الاسلام السياسي كمشروع، واعتبارها حركة سياسية مدنية تتعامل وفق قواعد واصول مدنية. واعتقد ان تحقيق ذلك سيساهم في ادخال القطاعات الاسلامية السياسية المعتدلة في دوائر تفاعل مع القوى الأخرى، تؤدي الى تطبيع هذه المجموعات المعتدلة، بما سيؤثر على بنية افكارها، من خلال ما يطرحه العمل السياسي والبرلماني المدني من اسئلة ومعضلات واجابات.

وربما يؤدي تطبيع القوى الاسلامية المعتدلة في اطار الشرعية القانونية الى انعكاس التفاعلات الناتجة عن المسرح السياسي على الجماعات الراديكالية، وتفاعلاتها الداخلية، بما يقود الى بروز اتجاهات جديدة فيها، وتعبيرها العلني عن مواقفها. وهذا التعبير عن المواقف ليس امرا تنظيميا او حركيا فقط، وإنما له تعبيراته وبلاغته السياسية والفكرية بما يساهم في تطوير فكر الجماعات المعتدلة.

لكن تظل هناك تحديات عديدة تطرح نفسها على حركة الاسلام السياسي - وعلى غيرها من القوى الاخرى -، وتطرح نفسها كواقع عملي لا نستطيع إغفاله، منها ازمة الدولة القومية، ومشاكل الاقليات اللغوية والدينية والعرقية والجنسية، ومشا[illegible] تطوير الانظمة القانونية الحد[illegible] وتعقيداتها، وهي مشاكل ومعض[illegible] فكرية وفلسفية لا تجد صدى كافيا [illegible] الانتاج الفكري للاسلام السياسي حتى هذه اللحظة، وان كانت هناك مبادىء عامة مبسطة. وهذا لم يكن يكفي في الماضي، ومن باب اولى لا يكفي الآن، إذ يتطلب الوضع في المرحلة الراهنة حركة اجتهادية أصيلة لمواكبة التحولات الفلسفية، والنظرية، والسياسية، والتقنية التي تجتاح عالمنا كله.

---

* رئيس «وحدة البحوث الاجتماعية والقانونية» في «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» في «الاهرام».

المصدر: الأهرام
التاريخ: ٢٠ [illegible] ١٩٩٦

من فقه المصاطب والمقاهى!

هذه فتوى جديرة بأن نطيل النظر فيها، ونخضعها للتحليل والمناقشة، ليس فقط لأن موضوعها هو الصوم الذى يعد أحد أركان الدين، ولكن أيضا لأنها تقدم نصا نموذجيا يصنف ضمن خطاب «الابداع والتنوير».

الفتوى نشرتها إحدى صحف المعارضة وأبرزتها يوم ٧ فبراير الحالى تحت عنوان كبير بحسبانها «اجتهادا» غير مسبوق. وكان العنوان هو: الصيام فريضة المجتمع المعسكر. وهى حلقة من سلسلة «اجتهادات» مماثلة، احتفت بها مطبوعات اليسار وغيرها من مجلات الاثارة التى تصدر فى مصر. وما برحت تطنطن لها وتقدمها بحسبانها من تجليات «التنوير» المنشود.

ولانه ليس رأيا عارضا، ولكنه لغة فى الخطاب تعبر عن مدرسة متعددة المنابر والأوراق، فقد وجدت أن الأمر لابد له من وقفة، تتجاوز تمحيص الخطاب ومراجعة اجتهاداته، إلى محاولة تبيان وزنه العلمى من ناحية، والوجهة التى يدفعنا إليها من ناحية ثانية.

مناسبة الفتوى وموضوعها هى علة فرض الصيام فى وقت متأخر نسبيا، بعد سنتين من الهجرة من مكة إلى المدينة. حيث ارتأى صاحبها أن كل الكلام الذى قيل فى شأن تلك العلة ليس مقنعا له، سواء فى تفسيراته النفسية والروحية والصحية، واعتبر أن تلك التفسيرات ليست سوى «توهمات وشطحات». من ثم فإنه قدح ذهنه وأعمل فكره، حتى اكتشف العلة التى غابت عن الأولين والآخرين. أما ما هو الاكتشاف المثير الذى وضع يده عليه، بعد أن قلب الأمر وظل يفكر ويفكر، فذلك ما زفته إلينا الفتوى المدهشة، التى خرج بها علينا قبل العشرة الأواخر من شهر رمضان، حتى تهدأ نفوس المؤمنين ويشبع رغبتهم فى الفهم واليقين.

قرأت النص أكثر من مرة، ووجدته يستحق المناقشة من زوايا ثلاث هى: العلة الفريدة التى أوردها لتفسير فرض الصيام ـ والاستشهادات التى لجأ إليها وهو يبسط «اجتهاده» ـ ثم اللغة التى استخدمها فى معالجته للموضوع. اليك بيان ذلك ببعض التفصيل..

افتراء على الصيام وحكمته

■ ■ فى العلة قال مفتى جريدة المعارضة ما نصه: عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تغيرت الصورة جذريا. ولم يعد المسلمون مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس، بل شرعوا فى انشاء دولة هى حصرا «دولة قريش» ـ أخذت تطلق السرايا وتشن الغزوات للسيطرة على جزيرة العرب، وذلك عبر أسلمة القبائل. (حيث) جاءت الأوامر حاسمة قاطعة كحد السيف (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد).

أضاف: من أجل هذا كان مجتمع المدينة بمثابة معسكر حرب تخرج منه كل شهر ونصف غزوة أو سرية... والمجتمع المعسكرله موجباته الخاصة، منها أن يتمرن أفراده المدنيون على تحمل آلام الجوع والعطش، إذا ما أحاط بهم عدو.. (لذلك) فإن الصوم بحالته التى نراها اليوم كان جزءا من خطة رسمها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لتأهيل مجتمع المدينة عامة، وجنود الغزوات

فهمى هويـدى

والسرايا والبعوث، وفرق المهمات الخاصة، لما قد يستقبلهم من أهوال وبلايا (!)

إذا حاولنا أن نختبر مدى صحة ذلك التأويل فسنجد ما يلى:

● أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التى تعرضت لموضوع الصيام تناولته بصورة مغايرة تماما، فى حكمته وخلفيته. فقد نزل التكليف فى الآية التى تقول: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم، لعلكم تتقون) (البقرة - ١٨٣). وهى تدل على أمرين مهمين فى السياق الذى نحن بصدده هما:

- أن الصيام ليس اختراعا اسلاميا ولا هو فريضة انفرد بها المسلمون لكى يستعينوا بها فى المعسكر الذى أقاموه فى المدينة، كما زعم صاحبنا المجتهد، لمواجهة مرحلة الحرب واحتمالات الحصار. ولكنه عبادة روحية كتبت على الذين سبقوا المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى وقد اتفق المفسرون على أن المقصود بالاشارة هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

- إن الحكمة من فرض الصيام هى أن يكون ذلك بابا لتقوى الله وطاعته. وهو أيضا ما اتفق عليه أهل العلم المعتبرون. قال صاحب «المنار» أن عبارة «لعلكم تتقون» تعليل لفرض الصيام وبيان فائدته الكبرى وحكمته العليا. وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتسابا للأجر عنده.

- يؤيد القول بأن الصوم باب لتقوى الله وقربة اليه، أن آيات سورة البقرة التى تحدثت عنه وبينت بعض أحكامه قالت:(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان). (١٨٦)، فى اشارة قوية إلى أن الأمر لا علاقة له بالحرب أو الغزو أو الحصار، وأن رمضان هو شهر التوجه إلى الله وتطهير الروح والجسد. وهو معنى أكدته أحاديث نبوية عدة، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. وقوله: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. وقوله فى الحديث القدسى عن الله سبحانه وتعالى: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لى، وأنا أجزى به.

● إن الادعاء بأن الصيام فرض لكى يتمرن أهل المدينة على تحمل آلام الجوع والعطش يفاجئ أى باحث مبتدئ فى الموضوع، لديه أدنى المام بآداب الصيام والضوابط الحاكمة له. لأن التعاليم النبوية حذرت المسلمين من هذه النقطة بالذات، أى من الوقوع فى محظور اختزال الصيام فى مجرد الجوع والعطش. ففى الأحاديث: ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث (الفحش فى القول). وفيها أيضا: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه. ومنها: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر.

هزل فى موضع الجد

●● إن تفريغ الصيام من مضمونه العبادى والروحى، وحصر علته فى مجرد تأهيل المسلمين للحرب، من شأنه أن يؤدى إلى تسييس الفرائض الروحية. الأمر الذى يضع الباحث فى تناقض لا يخلو من مفارقة. ذلك أن صاحبنا يقف مع الجوقة التى تحارب منذ سنوات ما يسمونه بالاتجاه إلى تسييس الدين، والاكتفاء بدوره العقيدى والروحى والاخلاقى. لكن صاحبنا حين أراد أن «يجتهد» فى مسألة الصيام الذى هو من أبعد التكاليف عن السياسة، فإنه لم يجد علة تبرره سوى الانغماس فى عالم السياسة الذى يدعو إلى مفاصلته مع الدين! الأمر الذى أوقعه دون أن يدرى فى «المحظور» الذى أخذه على الآخرين!

هكذا فإننا لانكاد نجد سندا من النقل أو من العقل يدعم ما ذهب إليه مفتى الصحيفة اليسارية . بل أن مختلف الأسانيد تكذب ادعاءه، وتهدم من الأساس فكرته فى التفسير العسكرى أو الأمنى للصيام، الذى اعتبره مناط التكليف به على حد تعبيره، الأمر الذى قد يفتح الباب أمام زعم آخر يدعو إلى إبطال فريضة الصيام كلية. وهو ما لم يقل به صاحبنا حقا، لكن «اجتهاده» مؤد إليه، لانه إذا كانت «العسكرة» هى مناط التكليف بالصيام كما ذكر، فإننا إذا طبقنا قاعدة أن الحكم الشرعى يدور مع علته وجودا وعدما، فمقتضى ذلك أن تسقط الفريضة، لأن مبررها لم يعد قائما. إذ ذهب زمن المدينة المعسكر، ولم تعد هناك غزوات أو سرايا.

إذا أحسنا الظن بالرجل فقد نقول إنه لجأ إلى ذلك التأويل المفتعل والمتعسف ، لكى يفسر الحكمة من تأخير فريضة الصيام إلى العام الثانى بعد الهجرة النبوية. ورغم أننا لانرى فائدة تذكر فى الانشغال بتقصى الحكمة الالهية فى مواعيد انزال التكاليف، ونذهب إلى أن الحوار البناء ينبغى أن يدور حول وضع التكاليف فى موضعها الصحيح حتى تؤدى وظائفها العبادية والاجتماعية. أقول رغم ذلك، فإننا نزعم بأن التأخير له منطقه الذى يمكن أن يدركه أى عقل سوى. ذلك أن فرض الصيام بعد الهجرة له مايبرره فى أسلوب التدرج فى التكاليف الشرعية الذى اتبعه القرآن فى امور أخرى. خصوصا أنه لم يكن الفريضة الوحيدة التى تأخرت إلى ما بعد الهجرة، إذ من الطبيعى أن تركز المرحلة المكية، التى هى مرحلة التأسيس والدعوة، على تثبيت مفهوم التوحيد وإقامة الواجب الأول فى الاسلام المتمثل فى الصلاة، التى تصفها الأحاديث النبوية بأنها «عماد الدين».

ومن المنطقى أن يتتابع نزول الفرائض الأخرى فى المرحلة المدنية، التى هى مرحلة بناء المجتمع والدولة. ولم يكن الصيام وحده هو الذى فرض فى تلك المرحلة، ولكن كان ذلك شأن الزكاة والحج أيضا. ولم نفهم لماذا ركز صاحبنا على الصيام وحده.

إن الادعاء بأن الصيام هو فريضة المجتمع المعسكر، كلام ليس له أى أساس من العلم. بل هو هزل فى موضع الجد، والجد هنا ليس أمرا عاديا، ولكنه شأن متعلق بأحد أركان الدين ودعائمه. الأمر الذى نتصور فيمن يخوض فيه حدا من المعرفة وقدرا ضروريا من المسئولية. ومن أسف أن الفتوى التى نحن بصددها تفتقد الاثنين. الأمر الذى يخرجها من نطاق الاجتهاد، ويضعها فى خانة

«تخاريف الصيام، أو فقه المصاطب والمقاهى الذى يتغذى بالثرثرة والشائعات الكاذبة!

جهل أم تجاهل أم ماذا؟

■■ الاستشهادات التى استخدمها صاحبنا جانبها التوفيق الى حد كبير. آية ذلك أنه حين أراد أن يقنعنا بادعائه بفكرة مجتمع المدينة المعسكر، قال إن الأوامر جاءت حاسمة قاطعة كحد السيف (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم، واقعدوا لهم كل مرصد)، الأمر الذى بنى عليه ادعاء آخر بأن الدخول فى الاسلام كان هو الوسيلة الوحيدة لكى تأمن القبيلة من القتل. بعد أن سرب «المفتى» هذه المعلومة قرر أنه «لذلك عد اعتناق الاسلام هوية التابعية لدولة قريش فى المدينة».

هذا الكلام كله حافل بالتغليط الذى يصل إلى حد الافتراء. «فالأوامر» التى جاءت حاسمة داعية إلى قتل المشركين لم تصدر من فراغ. والآية التى ورد فيها ذلك المعنى انتزعت من سياقها، وتلك نقطة واجبة التحرير.

ذلك أن هذا التوجيه الالهى - الذى وصفه المفتى بأنه أوامر مجهولة المصدر - ورد فى مستهل سورة «التوبة»، التى أعلنت البراءة من المشركين الذين نكثوا عما تعهدوا به. وكان النبى عليه الصلاة والسلام قد عقد مع المشركين صلح الحديبية الذى أوقفت بمقتضاه حالة الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنوات. ولكن المشركين نقضوا عهدهم بعد حين وعادوا إلى سيرتهم الأولى فى العداوة للمسلمين، فنزلت سورة التوبة التى أعلنت أنه مادام الأمر كذلك فقد أصبح المسلمون فى حل مما تعهدوا به، وتساهلوا فيه كثيرا مع المشركين. الأمر الذى لم يعد هناك مفر إزاءه من العودة إلى حالة الحرب مرة أخرى، وكان التوجيهات الالهى واضحا ودقيقا، فى تبيان أن المحاربة مقصورة على من خانوا عهدهم، وقرر: (إلا الذين عاهدتم من المشركين، ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا، فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، ان الله يحب المتقين) (التوبة - ٤).

بعد ذلك مباشرة وردت الآية التى استشهد بها مفتى لجريدة وهو يؤسس اجتهاده الفذ. ومثلما أغفل السياق الذى جاءت فيه، فإنه أغفل أيضا تكملة التوجيه التى ذكرت فى الآية التالية التى تقول - بعد الأمر بمقاتلة من نقضوا عهدهم - وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه).

الصورة على هذا النحو تناقض تماما الانطباع الذى تتركه الفتوى لدى قارئها. فلسنا بصدد حملة عسكرية أباحت دم المشركين واستهدفت ابادتهم إذا لم يدخلوا فى دين الاسلام. ولكننا بإزاء توجيه يدعو إلى التصدى للمشركين الذين نقضوا اتفاق السلام مع المسلمين. أما اقرانهم الذين حافظوا على عهدهم فمسالمتهم واجبة طبقا لأمر الله تعالى، إلى أبعد من ذلك ذهب الخطاب القرآنى، حين قرر أن الذين يطلبون الحماية والأمان من بين المشركين المحاربين الأولين، يجب أن يستجيب المسلمون لهم، فيسمعونهم كلام الله ثم يحملونهم إلى المكان الآمن الذى يريدون.

هذا الخطاب الراقى والمتحضر لم يستوقف صاحبنا، ولكن كل الذى حرص على ابرازه هو أن ثمة أمرا قد صدر بقتال المشركين وإباحة دمائهم. وذلك فإنه أسقط من اعتباره كل الاشارات التى تضع الموقف القرآنى فى إطاره الصحيح. فاغفل سياق الآية التى استشهد بها، كما أنه أغفل المبادئ القرآنية الحاكمة لمثل هذا الموقف، ومنها مثلا قوله تعالى:(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم - أى الذين يبدأونكم بالقتال ويحتكمون إلى السلاح) ولا تعتدوا، إن الله لايحب المعتدين) (البقرة - ١٩٠)

ثمة تغليط آخر وقع فيه الرجل. حين قرر أن الدخول فى الاسلام كان شرط تأمين الآخرين. وأن اعتناق الاسلام عد شرطا لاكتساب هوية التابعية لدولة المدينة.

ينكشف ذلك التغليط ويتعرى تماما حين نطالع نص «الصحيفة»، التى هى أول وثيقة دستورية نظمت علاقة المسلمين بغيرهم بعد الهجرة من مكة إلى المدينة. وهى تبين بوضوح أن الدخول فى الاسلام لم يكن شرط تأمين «الآخرين»، ولااكتسابهم هوية الدولة، ولكن مسالمة المسلمين والتعايش معهم على أساس من الاحترام المتبادل كانت الشرط الوحيد المطلوب فى هذه الحالة.

دليل ذلك أن الوثيقة نصت على أن اليهود أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. إلا من ظلم واثم - بل انها شملت مشركى المدينة أيضا وادخلتهم فى نطاق الأمان والتابعية، حين نصت على أنه لايجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

لقد ألقى المفتى الكلام على عواهنه، ولم يحاول أن يتثبت من صحة ما يقول، الأمر الذى ورطه فى مثل هذه السقطات البائسة.

هل هو مشروع للسيطرة؟

■■ نأتى الآن إلى الزاوية الثالثة للمناقشة، المتعلقة بلغة الخطاب والمعانى الكامنة وراء الصياغات التى استخدمها فى التعبير عن افكاره.

فهو حين يحدثنا مثلا عن التجربة الاسلامية الأولى لايرى لها وصفا سوى أنها «دولة قريش»، وحين يتحدث عن الدولة يقرر أنها أخذت تطلق السرايا وتشن الغزوات «للسيطرة على جزيرة العرب»، ويشير فى موضع آخر إلى أن مجتمع النبوة فى المدينة كان شغله الشاغل اخضاع شبه الجزيرة العربية لسطوة دولته . بل حين تحدث عن الصيام ذكر أنه «كان جزءا من خطة رسمها رسول الله لتأهيل المجتمع.. لما قد يستقبلهم من أهوال وبلايا .

هكذا. فإن دين الاسلام الذى جاء رحمة للعالمين ودعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، تحول فى خطاب المفكر الاسلامى الكبير - والصحيفة تتحمل أمام الله والتاريخ مسئولية اضفاء هذه الصفة عليه - إلى مشروع قرشى لا شاغل له إلا السيطرة على قبائل شبه الجزيرة واخضاعها لسطوته.

بل إن الصيام الذى فرضه الله على المسلمين صار جزءا من «خطة» رسمها النبى فى إطار الاعداد لمشروعه التوسعى!

قرأنا هذه اللغة فى كتابات غلاة المستشرقين، وفيما كتبه «مبدع» آخر، زاعما بأن الاسلام ليس دينا ولا يحزنون، ولكنه مشروع ابتكره زعماء بنى هاشم لتستمر سطوتهم وسيادتهم على جزيرة العرب. من ثم فهو ليس أكثر من حزب لبنى هاشم احتكروا به صدارة الأمة العربية على مر الزمان!

ماذا بوسعنا أن نقول؟

اترك الأمر بين يدى القارئ، مذكرا باننا ينبغى أن نحتفى بكل فكر مستنير ومبدع، ولكن إذا صارت تلك المصطلحات مجرد واجهات للترويج لكلام من تلك القبيل، فمن حقنا أن نقول: لكم دينكم ولنا ديننا، والله يفصل بيننا. ومن حقنا أن نسأل أيضا: أليس هذا بدوره تطرفا حريا بالملاحظة والمواجهة؟ أخيرا لا أستطيع أن أحبس كلمة واحدة بليغة يطلقها اخواننا السوريون فى مثل هذا الموقف ٨ ي: عمى!

كل سنة وأنتم طيبون.

المدروسة
للبحوث والتدريب والمعلومات

المصدر: الشعب

التاريخ: ٢١ فبراير ١٩٩١

إلى المثقفين في عيدهم: معرض الكتاب

يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟!

جفت الاقلام..
وجفت الدموع ايضا..
ورفعت الصحف..
ورفعت العقول ايضا..

فها هي ذي الهزيمة الشاملة الكاملة لاتترك ركنا من اركان الوطن الكبير إلا وصمته بعارها، ولافئة من فئات الامة إلا وسمتها بشنارها، ومع ذلك فهي هزيمة يتيمة لايعترف احد من الحكام ولا من المفكرين والمثقفين بانه ابوها، او حتى يمت بصلة القرابة إليها، فهي إذن هزيمة ابنة سفاح لمرة الخطايا التى ارتكبناها في حق وطننا وامتنا، لمن المتعة الحرام بالحكم، والعلاقة غير الشرعية بين الحاكم والمحكوم، والاغتصاب..!!

تعلمون يامعشر المثقفين ان فقهاء علم الإجرام يقولون: إن لكل مجتمع جرائمه التي يستحقها، ولعلكم ترون ان بعض هذه الجرائم تولد من المجتمع كما يبرز الرمز في عمل ادبي عظيم، اكثر شفافية وصدقا وإيحاء من الواقع، ومن هذا المنطلق، يا إخوتي واساتذتي وابنائي، ارتجت نفسي وزلزل قلبي إزاء جريمة مصر الجديدة، والتي ظل فيها ذلك المضيف الجوى، ولمدة عشر سنوات، ذلك الديوث يستمتع باصطياد الرجال ليرغم زوجته على إتيان الفاحشة معهم، وامام عينيه.

كنت احاور صديقي محاولا ربط الرمز بالواقع، وفجاة وجدته يقول: «لم يخل عصر من خيانة بعض النخبة لأممهم، لكنهم كانوا دائما يخجلون من خياناتهم، يشعرون ببعض تانيب الضمير، ويستترون، إلا في هذا الزمن، إنهم يمارسون الخيانة باستمتاع، ويفخرون بذلك».

كففت عن خيالى فطمتني عنه مرارة الصبار في الواقع، وتقت إلى طهر المكاشفة والاعتراف، ولكم وددت حينئذ ان يقف احد الحكام ليعترف، ليقول: إنه مسئول، إنه اب للهزيمة، وإنه اخطا، وإنه يتنحى، ووددت مثلا ان يقف حافظ الأسد ليواجه الامة كلها لا الشعب السورى فحسب، وليسجل في التاريخ نائيا عمن عداه انه قد عجز عن إكمال ما بدا، وان اخلاق الفارس تمنعه من المضى لإنجاز عكسه.

ووددت ايضا ان يقف احد الكتاب، او حتى الكتبة، ممن يفترض انهم لا نخبة مصر فحسب، بل صفوة العالم العربي والإسلامي، ليقول: إنه مسئول، إنه يمت للهزيمة بنسب، ورحت اتخيل ثروت اباظة، جريمتنا،

وعلى الرغم من ذلك لم يكف عن التجرم علينا، وقد وقف، وقد طهرته الماساة ليعترف باكتساح الهزيمة الكاملة الشاملة لعالم ظللنا نحلم به القرون تلو القرون، عالم يسود فيه الصدق لا الكذب، ويعلو العلم لا الجهل والهمجية والغوغائية وعبادة الأوثان، وتسمو مكارم الأخلاق لا الدنايا، عالم لايعذب فيه الإنسان اخاه الإنسان ولا يزور صوته، ولا يتفشى فيه التلوث الأخلاقي كالوباء.

ذلك ما وددته، فما وجدته ايها المثقفون، الذين قد يسمح لهم، وقد لايسمح، بنيل الحظوة بلقاء فخامة الرئيس والتشرف بمعيته، وهو شرف لايملك بعضكم سواه، ولقد تعودتم على ذلك وتعودنا كل عام، لكن في هذا العام بالذات تغير موعد المعرض، واختصرت مدته، وعتموا على اخباره، ربما لأن هناك من يخجل او يخاف، من العواقب بعد الممارسات الاخيرة، من الانتخابات إلى القوانين وماحدث فيها من إهدار لفرصنا الاخيرة، لا في الانتصار، بل في منع الهزيمة الشاملة من ان تكون نهائية ايضا. لذلك، لا اكتب هذا العام للرئيس، بل اكتب اليكم انتم، واتوسل إليكم، بل اتسول منكم ان تدركوا معي وان تفهموا ان مانعيشه من مذلة وتردد وهوان وياس وبؤس وخيبة، وتداع للامم علينا، كل ذلك كان لا يمكن ان يتم لو كنتم مثقفين حقا. لو استطعتم ان تتفقوا على الحد الادنى الذى ينبغى على المثقف الا ينزل دونه، لكن بعضكم قنع بان يكون سوأة كل عهد ووصمته وعاره بدلا من أن يكون نياشين نظام الحكم وشارات فخاره، والتزم الباقون صمت القبور، بينما راح كل واحد من الآخرين يمارس الاستمتاع بالخيانة، ويسفح شرف الكلمة، او يتركها تسفح امامه، وهو يسمع ويرى.

كان يمكن لوجودكم مع سيادة الرئيس في معرض الكتاب كل عام أن يكون عيدا للمثل العليا ومهرجانا للحق والعدل والخير والجمال، تجددون فيه الولاء للضمير الحر الشريف لا لنظام الحكم، وفرصة تنتهزون فيها اجتماعكم للبحث عن الحقيقة لا لإخفائها، حين يقول جلكم ما لا يؤمن هو نفسه به، وتنفصم العرى بين الكلمات ومعانيها، فلا يفهمكم احد ولا يابه بكم احد، ولا يسفر جمعكم إلا عن زبد يذهب جفاء.

لكن هذا كان يستلزم من البداية ان تكون لكم الرؤية اولا، لا ان يتقدم الصفوف من

لا رؤية له؛ ليبرر كل ما يحدث، ويصمت من يملك الحكمة والرأى معا، إما عن خوف من السلطة، او عن ياس منها، كان يمكن للقائكم بالرئيس ان يكون نقطة تعدل فيه الأمة مسارها، بكلمة حرة شجاعة، او بموقف ابى شريف.

ترى هل خطر ببال احدكم ان يرسل إلى الرئيس خطاب اعتذار عن الحضور، هذا العام، او فى اى عام آخر، احتجاجا على استمرار التعذيب الحيوانى الهمجي البشع المجنون المجرم، وكلكم يعرف الحقيقة، وجلكم شيطان أخرس قرأ ما كتبه سواى وما كتبته، موثقا بحيثيات أحكام القضاء التى لم تجد وصفا لما يحدث سوى أنه إجرام فى إجرام، ولم يكن من اطلق هذا التعبير إرهابيا ولا معارضا للحكم، بل واحدا من سدنته وهو المستشار محمد سعيد العشماوى، وهو من تعرفون، وليس مؤيدا للنظام فقط بل للتطبيع مع العدو الصهيوني أيضا.

ترى هل خطر ببال احدكم أن يرسل إلى الرئيس خطاب اعتذار عن الحضور احتجاجا على تزوير الانتخابات، التى زورت، وتعلم الامة وتعلمون انها زورت، حتى ولو أقسم من يقسم برب الكعبة انها لم تزور، هل خطر ببالكم ان تصرخوا، انكم تشعرون بالعار امام العالم وامام امتكم، من تلك الانتخابات التى تسفر عن شبه إجماع.

وهل خطر ببال أحد المدعوين ذات يوم - او حتى ببال من لم يدعوا- ان يرسل إلى الرئيس برقية اعتذار عن الحضور احتجاجا على استمرار النهج البوليسى فى حكم الدولة، وعلى اقتصار منصب الرئيس طيلة نصف قرن على العسكريين، وعدد كبير من المناصب الحكومية العليا على لواءات الجيش والشرطة؟

إننى أحمل للعسكريين كل مودة واحترام، بل انظر إليهم بنظرة حالمة يختلط فيها الإعجاب بالتبجيل لمن نذروا أنفسهم طوعا او حتى كرها لحماية الوطن، إلا اننى يجب ان اقرر، فى زمن أصبحت فيه البديهيات تحتاج إلى إقرار، والمسلمات إلى برهان، أن المودة والاحترام ليست صفات مطلقة سرمدية، وإلا كانت عبادة أوثان، وان واجب الجيش هو حماية الوطن وإعلاء شأنه والتفوق فى موازين القوى على أعدائه، كما ان واجبه ان ينأى بنفسه عن معترك السياسة. فهو جيش الأمة لا حرس الحاكم، وان مدى الاحترام والإجلال يرتبط بنجاحه فى اداء مهامه، وان ذلك لا يمنع ان يكون منه أفذاذ وعباقرة يستحقون ان يحكموا الوطن بعد تنافس حر مع فئات الأمة، لا كاحتكار، فهل فكر احد منكم يا ايها المثقفون ان يعرض على سيادة الرئيس شيئا كهذا؟!

هل فكر منكم احد ان يقول للرئيس: إننا لا نستطيع ان ندخل القرن الحادى والعشرين بانتخابات تزور، وحقوق الإنسان تهدر، وقرارات وقوانين تجمد كل إبداع خلاق للأمة، وتدفع كل شىء للانهيار، وتدفعنا لا لدخول القرن الحادى والعشرين بل للخروج من التاريخ بكل قرونه.

هل خطر ببال احد منكم ان يقوم ليصرخ قائلاً: إن التطرف الحقيقى هو تزوير الانتخابات، وان الإرهاب الحقيقى هو مايحدث فى المعتقلات، وان من يقامر بمستقبل الأمة، ويقامر به، هم الذين يسودون منطق الكذب والغوغائية والجهل.

سكتم عن الحق فتحولتم شراذم مثقفين، يسكت بعضهم عن الحق، وينطق بعضهم بالباطل، وعجز الجل عن السعي؛ لتكريس ثقافة جمعية تلم شمل الأمة بعد أن عجزتم أن تقولوا للحاكم لا.. وثمة حكمة اثبتت صوابها فى كل مكان وزمان، وهى ان من لا يستطيع معارضة مثالب السلطان لا يستطيع مقاومة غواية الشيطان.

لقد انهزمتم فانهزمت الأمة...

لم تستطيعوا رغم كل ضجيجكم وعجيجكم ان تتفقوا على نقطتين فقط: انتخابات حرة وإنسان لا يمتهن، مهما كانت الانتماءات أو الاتجاهات وتباين الرؤى، حتى ذلك الموقف النبيل الذى اتخذه الصحفيون احتجاجاً على ما يراد بهم، كان أشبه باستنفار قبلى، فكم اغتصبت حقوق الأمة قبل ذلك، لكنهم لم يجتمعوا على قلب رجل واحد، إلا بعد ان مسهم الضر.

فلماذا عجزتم ايها المثقفون عن الانتصار للقيم المجردة التى تقاس الامور عليها؟ عجزتم حتى ان تكونوا كبعض شيوخ الأزهر فى مواقفهم الصلبة لحماية الأمة من طغيان المماليك، فى ذلك الزمن، الذى تتخذونه مثلاً وعبرة، للهمجية، والتخلف، والاستبداد، عجزتم، وبدلاً من ان ترسم الثقافة للسياسة المعايير والقيم والمثل الأعلى، راحت السياسة، ويا ليتها سياسة سوية ترسم للثقافة معاييرها ومثلها وقيمها الدنيا.

الحق أقول: إن المثقفين فى مسيس الحاجة للدفاع لا عن فكرهم فقط، بل وعن شرفهم ايضا. فإننى، واعتقد اننى لست وحدى، انظر فى ذهول إلى تطورهم الفكرى، حتى بت لا أملك فى وصفهم إلا ماأملكه فى وصف النخبة الحاكمة فى معظم أرجاء العالم الإسلامى، لا أملك إلا أن استعير من مسرحية الاغتصاب لسعد الله ونوس قوله: «هل تظن أن هذه الفئات تمثلنا او تشغلها قضية الصراع مع إسرائيل، لا، إن مشكلتنا مزدوجة، وإن للصهيونية الآن امتدادها فى النظام العربى الراهن، الذين استسلموا والذين يستعدون للاستسلام، الذين يقمعون شعوبهم ويدوسونها، الذين يبددون ثروات بلادهم وينهبونها، هؤلاء جميعاً هم بعض امتداد الصهيونية فى الجسد العربى، إن الورطة عندنا معقدة، وإن الخروج منها يقتضى نضالاً مركباً وصعباً».

أجل، يا معشر المثقفين، بعضكم، كبعض النخب الحاكمة ليس سوى امتداد للصهيونية فى عالمنا العربى والإسلامى، ويا له من عار ان ينتقل بعض المثقفين من العداء المطلق لجبروت ووحشية الحضارة الغربية تحت لواء ماركس ولينين إلى العداء المطلق للحضارة الإسلامية تحت لواء كلينتون ورابين. تماما كالجوارى الذين ينقلون كل ولائهم ووفائهم من المغلوب إلى الغالب رافعين لواء العداوة المستعرة للاتجاه الإسلامى، دامغين كل فصائله بالإرهاب، ومنكرين ايضا حتى آراء المستنيرين حقاً فى أن الإرهاب ليس إلا محصلة طبيعية للفساد السياسى والخلل الاجتماعى، وعجز السلطة، لا عن القمع، بل عن الفهم، إنهم يتجاهلون مثلاً آراء نجيب محفوظ ومحمد حسنين هيكل، لينظروا إلى الأمة، بأعين امريكا وإسرائيل. ليشاركوا فى هدم الوطن، وحصار قلاعه الشريفة التى مازالت صامدة للحصار رافعة لواء المقاومة. كما يتجاهلون حتى دراسات بعض كبارهم، والتى رأت أن النخبة الحاكمة فى العالم العربى كانت تعمل لصالحها، وضد مصالح أوطانها، طيلة القرون الخمسة الأخيرة على الأقل.

فترى، هل ما يلم بكم الآن يا مثقفين مجرد انهيار عارض، ستنهضون بعده لتواصلوا نضالكم، ولتعيدوا لفكركم القديم بعض شرفه، أم انكم انهرتم إلى الأبد، وما شرف فكركم القديم سوى أكذوبة ولت، انكشفت وانهارت كما انهار عالمكم. إننى على وجه من الوجوه ادرك ماساوية وضع بعضكم، لقد تخيلوا الأصنام آلهة، وفجأة ماتت آلهتهم، فلا هم بقادرين على مواصلة عبادتها ولا هم قادرون على الإيمان بإله جديد، ولعل دستويفسكى كان يصف امثالهم حين قال: «إذا لم يكن الله موجوداً... فكل شىء مباح...!!!».

كل شىء مباح، تزوير الانتخابات مباح، التعذيب مباح، الاستسلام مباح، قتل روح الأمة وسلب هويتها مباح، مادام يصب فى اتجاه قمع الاتجاه الإسلامى. الصيغة الوحيدة الموجودة الآن فى العالم، التى وإن لم تكن

المصدر: الشعب
التاريخ: ٢٢ فبراير ١٩٩٦

قادرة الآن، فهي التي ستقدر ذات يوم حتما -بإذن الله- على مواجهة وحشية واستغلال حضارة الغرب.

لماذا ايها المثقفون، يا من كان المفروض ان تمثلوا ضمير الأمة، لماذا انفصلتم عن الأمة انفصال النخب الحاكمة عنها، وهل لى ان امل والوضع ذاك، ان انتظر من احدكم ان يقول للرئيس: إن اسوا ماحدث فى الحقب الأخيرة ليس ضعضعة الوطن امام اعدائه، ولا الاستسلام الرافع زوراً راية السلام، ولا الاشتراك فى سحق العراق، ولا انهيار الاقتصاد، وإنما هو ذلك التلوث الأخلاقى المذهل، افتقاد المعايير والقيم، وغيبة الخجل مما يشين.

يا معشر المثقفين: هل خطر ببال احدكم ان يصارح الرئيس بخطورة ما حدث فى الانتخابات الأخيرة، حين ايقظوا الوحش الكامن فى النفوس، ليستخرجوا من النفوس ابشع ما فيها واشدها شراسة؟ هل خطر ببال احدكم ان يقول للرئيس: إن هذا هو الإرهاب غرسه وبذوره ومنها ستنمو وتترعرع ادغاله كى يسقط علينا حميمه؟ هل خطر ببال احدكم ان يقول له: إنه استمع إليه فى ليلة القدر، وانه اندهش حين تحدث سيادته عن المتخلفين الذين تحجرت قلوبهم، وانه تخيل لوهلة انه سيستطرد للحديث عن المجرمين الذين تحجرت قلوبهم فزوروا الانتخابات، وعن المجرمين الذين تحجرت قلوبهم فراحوا يمارسون التعذيب دون وازع لا من سلطة ولا من ضمير ولا من دين، وعن المجرمين الذين تحجرت قلوبهم، فقتلوا الابرياء وهم فى جوار الدولة فى السجون، او استبقوهم فيها، رغم احكام القضاء.

حتى لو كان استمرار الرئيس فى الحكم هو المسالة فهل كان ذلك يستدعي أن نفعل بالامة هذا؟؟!

لكن الاسي المذهل يصفعنا ان ماحدث لم يكن من اجل استواء الرئيس على الحكم، بل كان من اجل إسقاط قطع غالية من قلب الوطن، ومزق من اشلاء ضميره، وتكريس عدم التغيير، بثبات الوجوه، او ماتعبر عنه الوجوه، فيما يدفع بنا إلى الهاوية.

فى حوار مع الأصدقاء، كانوا يقولون: ان النظام قد ادار العملية الانتخابية بالحماقة كلها، وانه، بدلاً من ان يسعى إلى شق صفوف المعارضة، قد وحدها ضده، وكنت احاورهم، فازعم ان النظام ليس غبياً، وانه يعرف مايفعل، وانه يدرك جيداً، انه مقدم على قرارات لا تحتمل وجود اى معارضة، او فضح للنوايا، وكشف للمخاطر، وانه لذلك ضحي بما كان يمكن ان يحصل عليه من مكاسب، بشق صفوف المعارضة.

وكنت اسائل نفسي: لماذا كل هذا العنف والجبروت والظلم والتزوير والكذب، ولماذا كل هذا التاييد من المثقفين الذين يستكتبون فى الصحف؟ هل الامر صراع داخلى على الحكم؟ ام مقايضة مع النظام العالمى عليه؟

عم تدافعون يا مؤيدى النظم الحاكمة فى العالم العربي والإسلامي؟

عم تدافعون، حين يتنكر حرب بعضكم للدين خلف ستار مقاومة الإرهاب، وليس ذلك كان كما تدعون لكى تسود الدولة المدنية، لكنكم إذ تفعلون ماتفعلون، تفعلونه لصالح الدولة الفاشية، لصالح التزوير والكذب والتعذيب والتلوث الأخلاقى.

دعكم ايها المثقفون من اى اختلاف سياسى، تعالوا فقط إلى قيم مجردة، ولنطبقها بإخلاص حتى لو كانت ضد اهوائنا، دعكم من نظام الحكم الذى نود ان نحكم به، دعكم من الخلاف بين الدينية والدنيوية، لنفترض اننا سنوافقكم، سنتخلى تماماً عن المطالبة بما تشتمون منه للإسلام رائحة، واننا نريد ان نكون كاوربا او امريكا او حتى إسرائيل، فهل يتم ذلك بتزوير الانتخابات وإهدار حقوق الإنسان؟

هبوا الجماعات الإسلامية خوارج، ولنتفق معكم ان نرفض الثيوقراطية، ولكن مايسوغ لنا ولكم ذلك، مايجعلنا منطقيين مع انفسنا، ان يكن ذلك الرفض وتلك الحرب فى سبيل حماية الدولة العلمانية او المدنية منهم، الدولة العلمانية وليست الدولة البوليسية الباطشة التي تزور الانتخابات وتفترس بنيها. دولة الحكم فيها لمن غلب، بغض النظر عن شرعية حكمه عن وسائل تغلبه.

ثم إنكم تصرون على تجاهل ان الإسلام ليس طقوس عبادات، بل منهجاً كاملاً للحياة، وبطاقة هوية للحضارة، كما تتجاهلون الفروق الهائلة فى النظريات المختلفة للتيار الإسلامي، والتي تتسع لآفاق من الفكر لا اول لها ولا آخر، تعاملونه كما يعامله الصهاينة والغرب، ومع ذلك، فإن وسائل إعلام الصهاينة والغرب. اكثر إنصافاً منكم، لأنها تتبع منهج العقل والتحليل، لا منهج القتل والتضليل. ثم أنكم فى نفاق الحكام، وعداء الإسلام، تنسون ان مصر ليست مبارك، والسودان ليس البشير، والعراق ليس صدام، والسعودية ليست آل سعود، والدولة الإسلامية لم تكن يزيد ولا السفاح ولا سليم الأول، والسادات عندما هرول إلى إسرائيل لم يكن يمثلني ولم يكن يمثل الأمة وماملل إلا نفسه وبضعة من الحاشية حوله، نفس الشيء ينطبق على من سبقوه، وحتى الصحابي معاوية لم يكن يمثل المسلمين فى عهده ولا الخليفة المجاهد هارون الرشيد الذى قرانا تاريخه بعيون اعدائنا لم يكن هو الآخر يمثل المسلمين فى عهده، إنما كان كل واحد منهم مجرد واحد من الأمة لا يملك ان يسهم العهد بسماته إلا امام تاريخ كذوب، تاريخ الملوك لا تاريخ الأمم، ومع ذلك، ففرق بين وضع الحاكم كإنسان يمكن ان يرفض كليا وبين وضعه كرمز لوحدة البلاد يجب -إن تهدد وحدتها الخطر- ان يقبل، ومن هذا المنطلق، فنحن لسنا ضد استمرار مبارك، لكننا ضد التعذيب، والتزوير والفساد. فهل يسيئكم هذا، إلى الحد الذى تندفعون فيه إلى حصارنا حصاراً كحصار الصحيفة، بدلاً من تعضيدنا.

إنكم يا معشر المثقفين، يا دعاة التنوير تنظرون إلى الوحدة الاوربية كمظهر حضارة ورقي، لكنكم ياذوى المعايير المزدوجة تنظرون إلى دعاة وحدة العالم الإسلامي او حتى العربي كعلامة تخلف ومظهر إرهاب، ثم تهطل دراساتكم الخئون عن الاختلافات بين الشعوب، وعن اكذوبة ان العرب امة. وهي دعاوى إن صحت -لا صحت- لا تسوغ عدم وحدة العالم الإسلامي فقط، بل تسوغ ايضاً تقسيم دوله وشرذمة بلاده، فبنفس منطقهم الضال المضل، يجب تقسيم مصر لتستقل الصعيد والنوبة، لكن ذلك سياتي بعد تقسيم السودان.

فقدتم القدرة على النظرة الشاملة، وغرقتم فى اختلافات ضيقة، فيكفي ان تكونوا على عداء سياسي مع البشير او رافسانجاني او صدام مثلاً، بغض النظر عن مدى نبل او خسة دوافع هذا العداء، كى تسعوا بمنتهى الحماقة إلى هدم الوطن وإلى تقسيمه، ولعلكم

تنكرون بالحناجر العالية ما أقول، لكنكم بتصرفاتكم وكتاباتكم تكرسونه.

لكم وددت من أعماقي أن تناشدوا الرئيس كي يأمر مندوب مصر في الأمم المتحدة بأن يقف في نبل وبعد نظر لكي يرفض حصار السودان حتى لو صحت اتهاماته في الاشتراك في المحاولة الآثمة لاغتيال مبارك، فذلك جرح فينا، نرتقه نحن، لأنه حتى لو صح الادعاء لكان كلمة حق يراد بها باطل، وتهمة مصنوعة في دوائر استخبارات الغرب لضرب السودان وتقسيمه تمهيداً لضرب مصر، فالأمر ليس أمر مبارك ولا البشير وإنما هو المرحلة الأخيرة للهزيمة الكاملة الشاملة النهائية لحضارة أمة محمد.

إنكم يا معشر المثقفين لم تفقدوا النظرة الكلية والشاملة فقط، بل فقدتم القدرة أيضاً على إرساء معايير محترمة حتى لأبسط أموركم، وياله من عار -على سبيل المثال- أن برامج المعرض الذي تتشرفون فيه بلقاء الرئيس -حيث لا يملك البعض منكم من الشرف سواه- قد تغيرت كي لا تسمح لقيمة فكرية كبرى وعقل فذ مثل محمد حسنين هيكل من الحضور في ندوة، لأنه يملك النظرة الشاملة الكلية التي أختلف معه في الكثير من أساسياتها، لكنه يملك مايقول، ولأنه من خلال تلك النظرة، في الأعوام الماضية قد دأب بطريقة الاستربتيز على تعرية الفشل والبطش والطغيان والعماء قطعة فقطعة ورداء فرداء، وفي العام الفائت لم يترك لهم سوى خرقة تستر السوأة لكن حتى هذه الخرقة سقطت في عنف الانتخابات فلم يحاولوا ستر سوأتهم وتبديل أرديتهم بل لجأوا إلى تقنين يمنعه، كما لو كان في ندواته يرتكب الفعل الفاضح في معرض عام، لكنه لم يكن يرتكبه بل كان يفضحه.

ياله من عار يا معشر المثقفين أيضاً، أن جلكم، أو حتى بعضكم، قد أيد بمنتهى الحماسة، هدم النقابات، وإغلاق بعض الصحف، وتكميم بعض الأفواه، وسحق الديمقراطية في مظهرها الأول وهو صندوق الانتخاب، وماذلك إلا لأنكم عجزتم عن تبعات الديمقراطية، التي كانت تحتم عليكم، اللجوء إلى إذكاء الفكر، كي تستطيعوا عبر صندوق الانتخابات أن تصوغوا رؤاكم، وأن تحققوا أهدافكم، وأن تنتصروا لفكركم، وياله من عار، أن أعداءكم، الذين تتهمونهم بالإرهاب، هم الذين يطالبون بالديمقراطية وبالاحتكام إلى صندوق الانتخاب، وأنكم أنتم الذين تنادون بعكس ذلك. بل لقد بلغ الشطط ببعضكم، أن ادعى أن ضحايا التعذيب في المعتقلات والسجون، هم الذين يلحقون الإصابات بأنفسهم، رغم أنني وغيري، قد كتبت لكم قائمة بالمثقفين، الذين نالتهم يد البطش، وسحقتهم يد التعذيب، كما يبلغ الشطط ببعضكم الآخر أن يدق الطبول الآن، تمهيداً، وتبريراً لإغلاق هذه الصحيفة، التي أشهد لها، وأحسب أن التاريخ أيضاً سيشهد، أنها كانت قلعة الصمود الأخيرة، التي امتلكت فكراً شاملاً، وعقلاً صافياً، لتدارك ما يحدث للأمة، من انهيارات ومن هزائم، بعضكم أيها المثقفون يفعل ذلك، ويمهد له، وينادي به، مدركاً أو غير مدرك، أنه يتخذ نفس موقف مضيف مصر الجديدة، موقف الديوث، وزواج المحلل، والزنا بالمحارم.

هل تستطيعون أيها المثقفون أن تصرخوا، صرخة غيلان الدمشقي، حتى لو اعتقلتم وصلبتم وعذبتم حتى الموت مثله، إن سبب انكسار العالم العربي والإسلامي يقع بالدرجة الأولى في حكامه. وهل تستطيعون أن تناشدوهم؟! أن تستثيروا عواطفهم وتؤثروا في عقولهم، أن تقولوا لهم: إنه لا يصح ولا يليق أن يكونوا هم بأشخاصهم، العقبة الكئود أمام تقدم شعوبهم، أن يكونوا هم بذواتهم، الامتداد المحطم للأعداء فينا. هل يمكن لكم أن تقولوا لهم: إن الأمة وهي ماعليه الآن من ضعف وهوان لا تتمنى حتى استبدالهم؟ بل ترجو منهم أن يقتربوا منها قليلاً قليلاً، ألا ينعدم الظلم والبطش والجبروت والنهب والتزوير والتعذيب تماماً، بل أن تكون الاستثناء لا القاعدة.

أيها المثقفون: يعلم الله -وتشهد النفس الكسيرة- أنني يئست من جلكم، لكن الغريق يتشبث بقشة، ولولا ومضات خاطفة لكنها ساطعة تنطلق من بعضكم شارات في ديجور الليل لانصرفت عنكم كما انصرفت عمن سواكم. فمن رحمة الله بنا أن ضمائركم لم تمت كلها، وقد بقيت فيكم نفوس حرة وإن قلت، وأرواح أبية وإن كلت، وقلوب مازالت تهفو رغم الصواعق والأعاصير والشهب إلى محاولة إنقاذ البلاد. ثم إنني مدين لكم يا معشر المثقفين -نيابة عن قيم مجردة- بشكر واجب أداؤه ولازب إبداؤه على موقفكم منذ عام تجاه اعتقال عادل حسين، وهو موقف لا أنكركم لم أتوقعه منكم، لكنكم فيه شفيتم بعضاً من لواعج قلب الأمة، وانتصرتم للمثل العليا، لكن ذلك بعد الشكر يغريني اليوم أن أناشدكم، وأن أقول لكم: إن من حقكم، ومن حق الأمة عليكم أن تسألوا الرئيس إن منحكم شرف لقائه، عن قضية عادل حسين، تلك التي حبسوه فيها في مرحاض تحت الأرض، حين رفض فخامته مناشدتكم بالتدخل، مقرراً أنه لا تدخل في القضاء، نفس الموقف الذي اتخذه من بطل نصرنا اليتيم الدامي سعد الدين الشاذلي، وكان وعي الأمة لايزال يذكر إفراجهم عن ذلك الإسرائيلي الذي بال على المحكمة، رغم حكم القضاء وضده، رفض فخامته مناشدتكم بالتدخل للإفراج عن عادل حسين بحجة أن القضية أمام النيابة والقضاء، لكنهم إزاء أمر غامض لا نعرفه هرولوا للإفراج عنه دونما أمر من النيابة ولا القضاء، فمن حقكم إذن أن تسألوه بل أن تسائلوه: فيم كان السجن؟ ولماذا كان الإفراج ومامصير القضية التي تحدث عنها؟ وفيم كان أيضاً ضرب جمال بدوي؟ وأين الجناة، ومن حقكم أن تسألوه أيضاً عن ذلك القانون الذي قيل: إنه يمكن أن ينام، من أيقظه؟!

لقد كان منطق الفلوكلور الشعبي الساخر عبقرياً حين أقنع جحا الناس أن الدنانير تلد دراهم فلما اقتنعوا أخبرهم أن الدنانير ماتت، فيا معشر المثقفين، يا من سمعتم أن القوانين يمكن أن تنام أيقنوا إذن بأنها يمكن أن تجن وأن تموت، وسط طوفان تأييدكم وتبريركم وموافقاتكم، التي دفعتني لتخيل أن كلمة: موافقون، هي هي كلمة: منافقون!!

يا معشر المثقفين: هل أستطيع سؤالكم عن تصوركم للقيم الشاملة المجردة التي ينبغي أن ينبني الوطن عليها؟

وهل تملكون تلك النظرة التي تتخلص من تخلف نفي الآخر؟

هل تملكون أن تقدموا للأمة تصوركم عما يجب الاتفاق عليه ومايجوز الخلاف فيه؟

وهل تملكون الشجاعة لكي تقولوا للرئيس ماتقولونه في مجالسكم الخاصة؟

بل هل تملكون الشجاعة لكي تعترفوا أن تخلفكم هو سر تخلف الأمة: حكاماً ومحكومين، وأن عجزكم عن المواجهة والتضحية هو سبب انهزامها؟

يا معشر المثقفين: دعوني أصارحكم أن ممارساتكم في الوطن وممارسات الوطن فيكم تجعل الخيال الجامح يعبث بي فأخال أننا سنفاجأ ذات يوم بعناوين الصحف ومقدمات نشرات الأخبار تعلن لنا أن ماحدث لم يحدث فعلاً، وإنما كل ماجرى ومايجرى ليس إلا مداعبة من مداعبات الكاميرا الخفية، وأنه لا تعذيب ولا تزوير ولا فساد ولا تفريط ولا استسلام ولا تدمير للعراق ولا حصار للسودان. يجمح بي الخيال أيضاً فاعزي نفسي بكلمة تعلنت، وهي أن جموع المثقفين بخير وأن السوء فيهم لا يعدو القشور، كالسمك الميت

بقلم: د. محمد عباس

الذى يطفو على الماء فيظهر، لكن الواقع يـردنى كسيفا: جموع المثقفين بخير، وجموع القضـــاة بخير وجموع الطلبة بخير وجموع الأمة بخير، فمن اين يـاتى كل هذا الشر إذن؟! وهـل يمكـن، مهما كانـت بـراءة الأفـراد أن يكون الجزء سليماً إذا كان الكل فاسداً؟

فى ٦٧ قالوا لنا جموع الجيش بخير..

وفى حرب الخليج قالوا لنا سنحل قضية فلسطين..

وعند غزو الكويت ارتعدت فرائص وتشنجت ملامح وشاهت وجـوه وعند غزو حنيش سيطـر عليهم صمت القبور. ترى هل صادفت حنيش نخوة نائمة، نخوة لم توقظها تعليمات امريكيـة؟ ولماذا لا تتحرك بعض قطع الأسطول الـرابضة فى الخليـج لتهدد؟! ولماذا لم يـذهب الجيـش المصرى كما ذهب إلى حفـر الباطـن؟! ولماذا لم يفرض النظام العالمى حصاره على إريتريا؟، لماذا؟ انا لا افهم فهـل تفهمون انتم؟، وإن كنتم لا تفهمـون مثلى فهل تستطيعون سؤال الرئيس؟؟!!

يا معشر المثقفين: عـار عليكم الا تكون مصر بـرؤاكم قائدة العالم العـربى وحاميته. يـا معشر المثقفين: ماذا فعلتم بامتكم؟؟!!

عندمـا كنت اقرا كتاب محمـد عودة: «فاروق بـداية ونهاية»، كان كبـدى يتفتت، وانا اقارن بين عجـز الملك العـربيد، وجيـوش إمبراطوريـة لم تكـن تغرب عنهـا الشمس، عـن النيل مـن روح الأمة، وعـن نجاح نظـام الحكم الـوطنى، فى السحق الكـامل لهذه الـروح، وكنت اتساءل تسـاؤل الذبيح، قبـل ان تبلغ روحـه الحلقوم: ماذا فعلتـم ايها المثقفون، لتمنعوا ذلـك، او على الأحرى لتكرسوه؟

لماذا لا تقترحون على الحكام مايخرجنا من القاع الذى صرنا إليـه؟ بل لماذا لا تفـرضون عليهـم ذلك حتـى لو تلقفتكم سجونهم ومشانقهم؟

لماذا لا تطلبون منهم أن يتحدوا ليقاوموا فإن عجزوا فليذهبوا؟

الآن يـا معشر المثقفين، وانتم تتاهبـون لنيل الشرف الـذى لا يملـك بعضكـم سـواه، وتستعـدون إن شـاء الـرئيس لقـاءكـم، فتنتقون افخـر ثيـابكـم، من حلـل إنجليـزية، واربطـة عنـق ألمانية وسـاعـات فرنسيـة واحذية إيطالية واطقم ازرار سويدية وملابس داخلية فرنسيـة -فلعل جهـازاً على باب صـالة اللقـاء يصور ماركات ملابسكم الـداخلية- ولعل أحدكم لا ينسين ان يضع فى اطراف جيبه منديلاً إسرائيلياً اجتلاباً للحظوة والشهرة والمجد، وأنتم تمسكون قلماً امريكياً وعوينات دانماركيـة وتذهبـون إلى اللقـاء فى سيـارات يابـانيـة يقودها سائق فلبينى، الآن وانتم تتاهبون لنيل الشرف الـذى لا يملك بعضكـم سواه، هـل أعددتـم فكرة؟ هـل محصتـم امراً؟ وهـل قـرر احـدكم ان ينـازل الشهـداء منـازلهم بقول كلمـة حق؟؟!! بـل هـل يختلف شتـات افكاركم عن كرنفال ملابسكم؟

لو كنتم بخير لكانت الأمة بخير.

كـان يمكـن -يـا ايها المثقفـون- أن تكـونـوا ضمير الوطـن، الذى يعيـد من ينحـرف إلى الصراط المستقيم، وأن ينتصـف مـن الظالم حتـى ولـو كـان قيصر، وأن تضعوا المعايير والقيم، التى لا ينبغى حتى لكسرى أن يتجاوزها، وكان يمكن أن تكونوا ميزان العدل، وصمام الأمـان الذى يحمـى الأمـة من الانفجـار والـوطن مـن التفتت، كان يمكنكم أن تقولوا للرئيس: ليس بين الأمة وبينه مايستحـق كل هذه الجفوة، كل هـذا الترصد، كل هذه الدماء التى سالـت فى الانتخابات فى عهده والتى لم يسل مثلهـا تحت حكـم إسماعيل صـدقـى ولا محمـد محمود وقد كانا من طغـاة يحكمون لحساب ملك فاجر فى ظل احتلال اجنبى.

يا معشر المثقفين: إن الإحن تجر للمحن، وقـد أصابنا نباب امـركم، ولقد اسـاتم سمعاً فاسـاتم إجابـة، وأنا حذيـركم وقـد تطايـر الشر اخول اخـول فلا تـوبسوا الثرى بين الأمة وبينكم فامس الدابر لايعود، وما الدنيا إلا لماظة ايام، وقولوا الحق مـرة، فمن الخـواطىء سهم صائب!! قولـوه فلن يرحمكم التاريـخ حين تقرأ الأمور بعين صـدق ليرى الأحفاد ان مجمـل رؤاكم قـد حولـت بلادكـم من الصخـرة العتيدة التـى تحطمت عليهـا جحافـل الغزاة إلى حصان طروادة التى ينفـذ منـه الغـــزاة إلى العــالم العربـى والإسلامـى. قولـوه فيالها مـن مهانة ان تبلـغ بنا الإهانة ان الغـرب لم يعد يرى فينا سوى سـلاح يستطيع به ان يحطم من يحطم وان يهاجم مـن يهاجـم وان يحاصر مـن يحاصر. قـولـوه ففـى خـلال أعوام قليلـة تم حصار بلـدين عربيين وهاهم أولئك على وشك محاصرة الثالث، ولايـوجد فى كل بلاد الـدنيا بلاد تحاصر سوى بـلاد العرب، ولا دم حلل النظـام العالمى سفكه سـوى دماء المسلمين، وعما قليل يحاصرون الجميـع لكن أمـراء الطوائف وكتـاب الطوائف قد أعماهم الحرص على منصـب زائل، قولوه، بل اصرخوا هل يستحق استمرار حاكم فى الحكم كل هذا الخراب؟! قولوه فقـد كان يمكن أن نحتمل وكـان يمكن للتاريخ ان يحتمل ان يقوم بهذا الدور غير مصر فتعيده إلى جادة الصواب مصر.

كفاكم صمتاً، وكفاكم كذبـاً، وكفاكم تصديقاً للكذب، حرام عليكم، اضعتمونا.

حرام عليكم، بعتم انفسكم، وتـدعون انكم على حق، إن نجحتم فى المكـر بنا فما تفعلون حين يمكر اللـه بكم، ادمـت مناكبنـا مناقبكـم، حـرام عليكم، فى خـلافاتكـم وتخلفكم ضعنا، حـرام عليكم، بكم اغتربنا، عـن الدين والـوطـن، عـن المدن والقـرى والشـوارع، حتـى عـن اصحابنا وندمـائنا، مزقتم هويتنا، وشـوهتم عقولنا، معظم ماتقولونه كذب، فإن قلتم حقاً فما يراد به سوى بـاطل، يـا عبدة النظـام الجديـد نحن نعبـد الله، أمـا نظامكم فليس سوى طبعة جديدة من محاكم التفتيش، فهـل ستنبهـرون به إلى الابـد، فلنفترض انهم فى الأمـم المتحدة -بعـد ان اكملوا حصار بـلادنا بلـداً وراء بلد- اصدروا قـراراً بان الإسلام ديـن إرهابى، ولقـد رفعوا الاتهام بالعنصرية عن الصهيونية فماذا لو صوتوا غداً على الإسلام والمسلمين، لو قالوا لنا: إنه لم يعد يصلح. انه لا يتوافق مع النظام الجديد، وان على المستغربين أن يحاربوه فينا، فإن عجزوا فأن يخربوه.

تـرى، أهذا هـو مـاتفعلونـه الـآن، حين تدعـون أن الإسلام إسلامكم وان الآخرين خوارج او كفرة؟

حتى جمال الغيطـانى، صـاحب التجليـات وشطح المدينة ورسالة الصبابـة والوجد وارض -ارض، حتى هو يطلق سهامه على ضمير من ضمائر الأمة، على فهمى هويدى، لماذا؟ لمصلحة من؟ لقد اخذت اقلب الصحيفة فى يـدى، قلـت لنفسـى لعلهم عـزلـوا جمال الغيطـانـى، واخذت احـد البصر فى كاتـب المقال، قلـت لنفسى لعـل كاتب المقال إبراهيـم سعدة، اختلطت الحروف واختلت الكلمات، وهتفت والألم يفـرى فى حشاى: كـان يمكن ان اتوقعهـا من جمال سعدة!! اما مـن إبراهيم الغيطـانى فكلا!!!

لماذا يـــا معشر المثقفين لا تجرؤن على قــول كلمــة صدق؟ لماذا تقـولون مـاتعتقدون فى صـوابه ولـو كان خطأ؟، ولماذا تعتقدون أن الولاء للنظـام لن تكذبوا على انفسكم وعليه؟!

نحن نعرف الكذب، سمعناه كثيراً وسمعنا عنه كثيراً ودرسناه كثيراً كي نفهم اكثر مايجرى حولنا، لكن مانراه ليس كذباً مما عرفناه وخبرناه، فالكذاب يكذب كي يصدقه الناس كل الناس لكل الوقت، او كل الناس لبعض الوقت، او بعض الناس لكل الوقت، او بعض الناس لبعض الوقت، او حتى يظل يكذب على امل ان يصدقه الناس فلا يصدقه فيصدق هو نفسه، تلك هي انواع الكذب التي نقلها التاريخ إلينا، اما ان يكذب احد وهو واثق انه لا احد قط، لا احد حتى هو نفسه سيصدق مايقول، فذلك ليس كذباً، لعله فيروس جديد كفيروس الإيدز، فيروس لم نكتشف بعد علاجه، لا نستطيع إلا ان نشخصه ونرصده.

اصدقوا مع انفسكم ومعنا يرحمكم ويرحمنا الله،

اصدقوا ثم قولوا ماتشاءون.

قولوا لنا حتى ان الإسلام لا يصلح، اجهروا بالسوء حتى وانطقوا كلمة الكفر.

إنني يمكن ان اتخيل صدقكم في اى اتجاه تتخذونه واى رأى تؤيدونه، فمن الجائز ان يكون كلكم او بعضكم مقتنعاً فعلاً بسلامة توجهاته وانه -من وجهة نظركم- لا بديل فعلاً عن التخلي عن تراثنا واللهاث حتى السعار خلف الحضارة الغربية للحاق بها، يمكن إن اصدق ان هذه وجهة نظركم التي اوصلكم إليها اجتهاد خاطيء قد تستحقون عليه اجراً، وقد يتطلب هذا منا جهداً إضافياً كي نزيل العماء عن ابصاركم وبصائركم، كنا على استعداد لكل هذا القدر من حسن الظن لو انكم ساعدوتمونا عليه بالإصرار على انتخابات نزيهة وصحافة حرة وديمقراطية حقيقية، لاننا والأمر كذلك لا نملك إلا ان نحكم ان كل حكومة اياً كانت، تقوم بغير ذلك، بعكسه، ليست حكومة وإنما عصابة من القراصنة استولت على الحكم رغماً عن الأمة وان مقاومتها فرض على الجميع، فرض، لا من فروض الدين فقط، بل بمنطوق حضارة الغرب ايضاً!!

لكنني على الرغم من ذلك كله يا معشر المثقفين سابتعد عن كل مايمكن ان يشكل بيننا وبين جلكم خلافاً، لا نطالب بان يكون الإسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع، ولا نطالب بعداء إسرائيل ولا امريكا، ولا نطالب لأحد غير حكامنا وملوكنا بالحكم، فقط نطالب جمعكم ان يعد مرسوماً بقرار جمهورى تقدمونه إلى سيادة الرئيس كي يشرفكم بتوقيعه فيحقن دم الأمة المهدر، وينقذ مستقبلها المهدد، وتقدمونه ايضاً يا ابناء مصر، ام الدنيا، إلى كل حكام امتنا بما ترونه من صيغ يختلف فيها المقال باختلاف المقام، مرسوم حتى لا يبدأ -إن اعترض منكم معترض- ببسم الله الرحمن الرحيم، مرسوم يقول:

رئيس الجمهورية:

مادة ١- قرار جمهورى بمنع التعذيب نهائياً، ويعاقب جميع من تورطوا فيه او تستروا عليه ببنود القانون الموجودة فعلاً دون استحداث قوانين جديدة، وأمام محاكم مدنية، مع إلغاء جميع المحاكم الاستثنائية، وضمان الا يحاكم إنسان إلا امام قاضيه الطبيعي، وتلغى كل الاحكام التي صدرت بالمخالفة لذلك.

مادة ٢- قرار جمهورى بإلغاء نتائج كل الانتخابات والاستفتاءات التي تمت بالتزوير، ومحاسبة من قاموا بها، وإعادتها تحت إشراف كامل من القضاء، ويندرج تحت ذلك إلغاء تعيين العمداء والعمد.

مادة ٣- قرار جمهورى بإلغاء جميع قوانين الطوارىء وإطلاق حرية تكوين الاحزاب وإصدار الصحف، دون اى حظر على اى اتجاه مادام هناك من يعطيه في صندوق الانتخابات صوته، ويمنح الحصانة للمفكرين ما لم يخونوا، على الا يترك تقدير الخيانة لفقهاء الحكام ولا لجندهم، ولا حتى للحاكم نفسه.

مادة ٤- قرار جمهورى باعتبار الكذب جريمة مخلة بالشرف تمنع مرتكبها من تولى المناصب العامة، خاصة وظائف الإعلام والصحافة.

مادة ٥- قرار جمهورى بإصدار اللائحة التنفيذية لقانون محاكمة الوزراء، وباثر رجعي.

مادة ٦- قرار جمهورى بتكليف القوات المسلحة وهيئة الطاقة الذرية بالبدء فوراً في تصنيع السلاح الذرى مادامت إسرائيل ترفض التنازل عنه.

مادة ٧- قرار جمهورى بزيادة عدد الجيش وقوته ليقوم بوظيفته في الاستجابة للتحديات التي يواجهها والتصدى لواجباته في حماية امننا القومي، وفي منع مزيد من التقسيم لبلادنا.

مادة ٨- قرار جمهورى بتطبيق قانون من اين لك هذا، على الحاكم والمحكوم، وابنائهم.

مادة ٩- قرار جمهورى بإعادة الأخلاق إلى عرشها الذى اطيح بها من عليه، وان تكون هي النبراس الذى يشحذ عزيمة الامة، ويقودها لدخول القرن الحادى والعشرين.

مادة ١٠- ينفذ هذا المرسوم بمسودته ودون انتظار لنشره في الجريدة الرسمية.

يا معشر المثقفين: هل يمكن ان تقدموا مثل هذا المرسوم لسيادة الرئيس بعد ان تتفقوا على مضمونه؟ هل يمكنكم؟ بل هل تستطيعوا ان تحترموا انفسكم وان تناموا قريرى الاعين دون ان تقدموا مثله، وتصروا عليه، حتى لو اتهمتم بعدها بانكم متطرفون إرهابيون متحجرو القلب متخلفون؟

فافعلوها، وقولوا للرئيس: إنه إن استجاب فقد استبرا لدينه ولامته ولاهله ولسد الثغرة التي تمتد منها خناجر اعدائنا ومخالبهم، فإن هذه الثغرة، ليست في جسد الأمة بل في سدة الحكم.

يا معشر المثقفين: كيف لا تفعلون؟؟!!

احياناً ايها المثقفون اشعر بالكراهية لكم ولنفسي، وبالإدانة، واحياناً اخرى، ترق نفسي، وتجيش في المشاعر، فاجدني والدموع تغرورق في عيني معبرة عن اشواق مبهمة مجهولة لقيم مجردة لا تتحقق، ونفس مثخنة بالجراح تحت وطأة تاريخ ثقيل، مضمخ بالدم، مستعيداً بؤس الإنسان، وحماقته التي لا تفوق ضروبها سوى عذابه، اجدني اتخيل المعجزة، انكم تفعلونها وان الرئيس يستجيب، وأنكم تستحضرون قدرة الله عليكم، إذ ولاكم، واجدني اسأل كل واحد منكم، واسأل -من خلالكم- الرئيس الذى لا يسمعني ولا يقرأ لي:

يا ايها الإنسان ماغرك بربك الكريم..

الذى خلقك فسواك فعدلك..

في اى صورة ماشاء ركبك..

المحروسة
للبحوث والتدريب والمعلومات

المصدر : الأهـــــرام

التاريـخ : ٢٤ فبراير ١٩٩٦

وظيفة جديدة للدين!

حســن دوح

مــا أظلم الذين يوظفــون الدين لاهوائهم الشخصية، أو ميولهم السياسية، ويعملون على تمريغ الدين الســماوى فى أوســاخ الارض، وتلطيخه بأقذار نفوسهم والاخطر من هذا العمل على صناعة «دين جديد» له مواصفات خاصة، يستجيب لما تصفه نفوسهم الملوثة، لقد صدق ربنا وهو يفضح هؤلاء، ويكشف عن طبيعتهم «أرأيت من اتخذ الهه هواه، واضله الله على علم..» ثم نبه الناس الى ضلالهم: يجادلونك فى الحق بعد ما تبين، كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون» وقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» وياليتهم عاشوا فى ضلالهم، وانكفأوا على انفسهم، ولكنهم عاثوا عيثهم فى الارض وباسم الدين، معلنين انهم يعملون لحساب الاسلام، ويجاهدون فى سبيله، واستخدم دعاة الفتنة كل ادوات الاسلام ، فالتقطوا من ايات القرآن، ومن احاديث وسيرة رسول الله ما يتفق مع النزعة الاجرامية فى نفسه، فمثلا صور المجتمع كله وكانه مجتمع جاهلي، وصور الرؤساء والحكام وكانهم «ابو جهل وأبو لهب» وأنتزع من ايات القرآن الكريم ما يعينه على قتال هذا المجتمع الكافر، ونصب نفسه «رسولا» يقضى ويحكم بالقرآن، ثم فتش عن مواقف للرسول ليتخذها قدوة له، فوجد مبررا للاغتيالات فى مقتل كعب بن الاشرف، فاعتبر هذا الحادث وكانه سنة ملزمة، فى حين ان الامر بخلاف ذلك.. هذا هو البلاء الذى رمتنا به الايام السوداء، والتى لا ندرى الى متى سنظل نعانى من «ارباب» هذا الدين الجديد.

لقد آن الآوان لندرك ان الخطر كبير وجسيم، وان مواجهته تقع على كل المواطنين، وان مجاهدته فى حكم الفريضة الملزمة، وان كل تهاون أو تكاسل سوف يمنحه الجرأة فى إجرامه، وسيلحق بنا المزيد من الخسائر.

● لقد صار ديننا فى خطر. لان الدين الجديد «يجاهد» لاثبات وجوده وقوته، وقدرته على البقاء.

● ولقد صار أمننا الخارجى والداخلى فى خطر لان العدو يتظاهر بالتدين، ويتظاهر بالوطنية، ويوهم نفسه وغيره انه المخلص والمنقذ، والهادى الى سواء السبيل!!

● ولقد صارت أرزاقنا وأقواتنا فى خطر وغدت كل معالم حضارتنا مهددة بالضياع والخراب والدمار.

فماذا نفعل.

اقول بكل صراحة ان الارهاب مازال يطل برأسه ولم تحسم قضيتنا معه بعد وشاهد على هذا أنه لم يمض عام على مؤامرة أديس ابابا إلا ويفزعنا الارهاب فى اسلام اباد.. ولم يكف عن مناوشتنا فى الداخل، يهاجم قطارات السكة الحديد ، ويباغت مراكز الشرطة، ويستورد اسلحة من الخارج استعدادا لمعارك اعد لها من قبل والسبب اننا لم نكتشف خبايا وخفايا هذا الارهاب ، ولم نقدر حجمه، ولم نفهم فكره. وعجزت عن تفسير مخططه.. فالسفارة المصرية التى باغتها وهدمها على من فيها، هل هذا العمل الخطير جاء من فراغ!!لا والف لا!! والصحيح أن نقول أن القنابل شحنت بالدين الجديد وغذيت بشرعية قتال «المجتمع الجاهلي».. وسلطت على الحكومة باعتبارها حكومات كافرة ضالة تعادى الاسلام، ثم شحنت بأمل ان يقوم بناء «الدين الجديد على اسس جديدة بعد هدم الطواغيت القديمة لاحلال خلفاء يحكمون بالاسلام..

هذا هو مكمن الخطر فكيف نواجهه؟؟

أولا : لقد تبين لنا أن الشباب الذين يسخر للعمليات الاجرامية يتراوح عمره بين السابعة عشرة الى العشرين، وهذا يعنى انه تم تعبئته وتجنيده وهو فى المرحلة المتوسطة من الدراسة ومثل هذا الشباب يمكن علاجه، وتحصينه من هذا البلاء، ولكن الأهم ان نبدأ مشوارنا مبكرا مع طلبة المدارس نغذيهم بالدين الصحيح، ونبغضهم فى الدين المصطنع ، ولا أرى بأسا من تضمين دراسة اللغة العربية والدين كتيبا يبين للطلبة أساليب الخداع التى قد توقعهم فى مصيدة الارهاب، وتكشف لهم عن المفاهيم الخاطئة التى يروجها دعاة الفتنة وتثير فيهم النزعة الوطنية، ثم تحذرهم من العقوبة التى يمكن ان توقع عليهم اذا شاركوا هذه الجماعات الارهابية فى اعمالها الاجرامية، كما تحذرهم من غضب الله فى الدنيا والآخرة..

هذه هى الخطوة الاولى، والتى ان افلحنا فى ادائها على الوجه الاكمل فإننا سنضمن جيلا طاهرا مباركا .

لاشك أن الاعلام بكل صوره يستطيع ان يوقظ الوعى العام ويعد الاعلام الدينى فى مقدمة وسائل الاعلام، ونحن عندنا قمم من رجال الدين يحسدنا عليها العالم، كشيخ الازهر والشعراوى والغزالى وطنطاوى هؤلاء بمقدورهم لو اجتمعوا أن يقودوا حملة قوية لاستثارة المواطنين ليقوموا بدور ايجابى لحماية دينهم وحماية وطنهم وانفسهم، ويحذروهم من التراخى

والسكوت عن اداء واجب دينى وهو النهى عن المنكر، وهل يوجد منكر اشد خطورة من سفك الدماء، وتخريب الديار، واهم من هذا كله الإساءة الى الاسلام.. يلى الاعلام الدينى ، الاعلام الوطنى، اى تسخير الاعلام لحماية الوطن، والمصريون بفطرتهم يحبون مصرهم، وهذا الاعلام لا نتركه لاجهزة الاعلام الحكومى، ولكنه واجب يجب ان يتحمله كل قادر على مخاطبة الجماهير، مخاطبتهم بالصحافة او بالاذاعة او بالتليفزيون والسينما والمسرح، أو بالمؤتمرات العامة وأرشح لهذه الرسالة رؤساء تحرير الصحف الحكومية والمعارضة والمحايدة ورؤساء أجهزة الإعلام الاخرى وكبار الكتاب فلم لا يدعون الى عقد مؤتمر إعلامى كبير ، ويرسمون لنا سياسة إعلامية تلتزم بهياكل أجهزة الاعلام.

● المؤسسات التشريعية والرقابية، واعنى بها مجلسى الشعب والشورى والمجالس المحلية، ان هذه المجالس بمقدروها ان تقوم بدور كبير لحمايتنا من هذا البلاء، فاعضاء هذه المجالس جاءوا عن طريق الانتخاب، وهذا يعنى انهم سعوا الى المواطنين ليكتسبوا ثقتهم، والمفروض انهم يعرفون ابناء دائرهم الانتخابية ويعرفون دخائل المواطنين فكيف بهم يجهلون وجود اوكار ارهابية بهذا الحجم الكبير وبهذه الخطورة، ولا يقومون بدور ايجابى للتصدى لهذا الاجرام؟! وليكن حساب الناخبين لممثليهم يتوقف على جدية هؤلاء الممثلين فى التصدى لارهاب.. ولنا مآخذ على موقف مؤسسات الدولة، ولو تفادتها هذه المؤسسات فإنها ستقيم حاجزا بين المتامرين وضحاياهم من الشباب.. اذكر بعضا منها:

هناك شعور لدى الشباب المتدين ان هناك من يقرن بين التدين والارهاب فإذا اضفنا لها حالة البطالة والتى يترتب عليها وجود فراغ عند الشباب فإن وجد الشباب من يملأ عليهم هذا الفراغ ويعينهم على كسب عيشهم ايا كان مصدر هذا الكسب فإنه لا يتوانى عن الاستجابة لمن يدعوه لايجاد حل لمشاكله الحياتية فيتحول الارهاب الى وظيفة ومصدر رزق!!

من أجل هذا نقول بضرورة أن تقترب الدولة من هذا الشباب ، وتفتح صدرها له، وتيسر له العمل الذى يملأ عليه فراغه، وتمكنه من ممارسة حياة عادية، وبذلك تستطيع الدولة أن تحاصر الارهاب، وتجفف منابعه، وتحمى الشباب من دعاة الفتنة والمتامرين.. ارجو ان تعمل الدولة بمؤسساتها ، والاعلام بقدراته ورجال العلم والدين بفقههم، والشباب بدينهم ووطنيتهم على وقاية ديننا واوطاننا من هذا البلاء الخطير.

صحوة اسلامية ام عنف ديني؟

مصطفى الفقي *

■ يتميز هذا العصر بانه - بحق - عصر خلط الأوراق، فالعلاقات الانسانية المركبة، والارتباطات الدولية المعقدة، في وقت تتقدم البشرية بمعدلات هائلة، تجعل سكان الكون يلهثون وراء الاكتشافات المتتالية والاختراعات الجديدة بشكل غير [illegible] والذي لا يتجاوز - في ظني - ان يكون قشرة رقيقة من العمر الحقيقي للكون.

وواقع الامر ان هناك تداخلاً ملحوظاً بين الاطراف المختلفة على ساحة الفكر المعاصر بحيث اصبح الخيط الرفيع الذي يفصل بين الحرية والفوضى او بين حماية حقوق الانسان والتدخل في شؤون الآخرين لا يختلف كثيراً عن ذلك الخيط الرفيع الذي يبدو فاصلاً بين الصحوة الاسلامية والعنف الديني.

ولكي أقدم مفهومي بوضوح وحتى تكون الرسالة التي يتضمنها هذا المقال مباشرة بغير لبس او غموض، فإنني أقرر انني ممن يعتقدون بأن ظاهرة العنف الديني التي شهدها عالمنا المعاصر في العقدين الأخيرين اثرت سلباً في ارهاصات الصحوة الاسلامية التي كان يمكن ان يتواكب ظهورها مع الفترة نفسها. فواقع الامر ان الارهاب المتسربل بعباءة الدين، او العنف الذي تغطى بعمامة الاسلام، لعب دوراً مباشراً في تقويض مظاهر الصحوة وإثارة الشكوك حولها، فلقد كنا على اعتاب مرحلة يمكن انْ تضع المسلمين في أتون العصر وتدفع بهم نحو حقائق الحاضر، وتهيئ حياتهم لطريق المستقبل.

ولو حاولنا رصد الظواهر التي تعزز قولنا وتؤكد ما ذهبنا اليه فإننا نسوق الملاحظات التالية:

أولاً: ان الذي نعنيه تحديداً بالاشارة الى «المسلمين» لا يتوقف عند الجانب الروحي للكلمة وحده، ولكنه يتجاوز ذلك الى مفهوم اوسع يحتوي كل «شركاء الحضارة العربية الاسلامية» والتي اسهم [illegible] المدلول المعاصر مرتبطاً بتراث حضاري وامتداد تاريخي وواقع سكاني. فنحن حين نتحدث عن المسلمين في هذا المقام فإننا نعتمد على معيار ثقافي ينضوي تحت لوائه كل اولئك الذين عاشوا في مناطق تسكنها اغلبية مسلمة او يسود فيها تيار فكري مسلم مع اسلوب حياتي مستمد من التاريخ العريض للدولة الاسلامية. وفي كل الحالات نجد لغير المسلمين ايضاً وجوداً واضحاً يستمدونه من اسهامهم المستمر في صنع تراث تلك المناطق وقبول الاسلام ثقافة حتى وإن تحفظوا عليه ديانة.

ثانياً: ان اوضاع المسلمين - ومن يعيشون معهم تحت مظلة الثقافة العربية الاسلامية من غير المسلمين ايضاً - تدعو الى القلق في العقدين الاخيرين على نحو خاص، لا سيما مع انحسار موجة التحرر الوطني مع منتصف السبعينات وخفوت صوت «العالم الثالث» الذي كان عالياً في فترة الحرب الباردة اذ يأتي تصنيف من نشير اليهم بالمسلمين في اطار تلك القوى الصاعدة سواء كانت حركة التحرر الوطني او مجموعة دول العالم الثالث. ولكي نرى واقع الصورة يكفي ان نلقي نظرة على المعارك الدامية - التي تقترب احياناً من اشكال الحروب الأهلية - على الأرض الاسلامية بدءاً من كشمير وافغانستان وصولاً الى البلقان والشيشان مروراً بالصومال والسودان. وقد يقول قائل ان الحروب الموضعية تنتشر بطول الأرض وعرضها، فلماذا يزعجنا ما يحدث في الدول الاسلامية وحدها؟ ويكون الرد على ذلك ان الدول الاسلامية تكاد تكون كلها تقريباً [illegible] لا تبدو لها نهاية في المستقبل القريب، بل ان ثلاثاً منها تخضع لحصار دولي سياسي واقتصادي بينما تبدو في الأفق دولة رابعة مرشحة للحاق بها، وذلك يعني ان ازمة العالم الاسلامي تتجاوز الحجم النسبي لوجوده الحقيقي على خريطة العصر.

ثالثاً: انني أزعم ان التطرف الديني المرتبط بالعنف والذي يتمسح بالاسلام - عن غير حق - حرم المسلمين امكانات الحركة الايجابية وأضعف من تأثيرهم في كثير من جوانب الحياة المعاصرة فاصبحوا امام موقف صعب يدفعون فيه ثمن المأساة مرتين: الاولى بمحاولات النيل من استقرارهم السياسي ونموهم الاقتصادي داخل اقطارهم، والثانية بتشويه صورتهم مع الآخر وتحملهم الآثار السلبية للارهاب الممتد الى دول اخرى، حتى أصبحت تلك «الفاتورة المزدوجة» ظاهرة جديدة ترتبط بكل حادث ارهابي تشير فيه اصابع الاتهام الى احدى الجماعات الاسلامية.

رابعاً: لعله ليس خافياً على الخبير المدقق ان سقوط التطبيقات الماركسية وأفول نجم الاحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفياتي السابق ودول شرق أوروبا

اعطيا انطباعاً مبدئياً بأن مردودهما سوف يكون ايجابياً على المعتقدات الروحية وممارسات شعائر الديانات وفي مقدمها الاسلام، ولكن النظرة الفاحصة لما جرى سوف توحي بغير ذلك، فسقوط الغطاء الايديولوجي الذي كان مسيطرا لم يصبح بالضرورة اضافة ايجابية للمشاعر الدينية، فقد استعاد الاتحاد الروسي الجديد صورته القديمة واسترد شخصيته القيصرية بديلاً عن واجهته العقائدية، بل ان تياراً عنصرياً ينظر بحساسية الى تاريخ الاسلام وروح العروبة بدأ يتصاعد تأثيره بقيادة سياسي روسي متطرف هو غرينوفيسكي متواكباً في مواقفه، ومتلائماً في تصرفاته، مع موقف روسي رسمي يبدو مناهضاً للرؤية [illegible] الاشتعال الاخرى في العالم الاسلامي. ولعل مذابح الشيشان التي قادها بضراوة - وحتى من فراش مرضه - الرئيس الروسي يلتسن هي خير شاهد على ذلك التناغم بين مواقف القوى الحاكمة والقوى الصاعدة في موسكو حالياً.

خامساً: كان هناك أمل عند انهيار الاتحاد السوفياتي السابق وانفراط عقده بأن تكون الجمهوريات الاسلامية هي الأخرى اضافة جديدة لتيار معتدل يعبر عن مد اسلامي رشيد باعتبار ان تلك الجمهوريات كانت دائماً نقاط تماس حضاري بين مسلمي آسيا في الصين وإيران ومسلمي أوروبا في انحاء الاتحاد السوفياتي السابق وتركيا والبلقان. ولكن تطور الاحداث اثبت حتى الآن ان تياراً اسلامياً عربياً لم يتمكن من التأثير في تلك الدول التي تشعر بحاجة ماسة الى كل دعم لهويتها وإبراز لكيانها بعد سنوات طويلة من طغيان المركزية الروسية في ظل نظام ماركسي شديد الوطأة على شعوبه وجيرانه على حد سواء.

سادساً: سوف يظل هناك سؤال مطروح منذ سنوات: هل كانت الثورة الاسلامية في ايران قوة اضافية للصحوة الاسلامية الواعية ام كانت خصماً من رصيدها وعامل تعويق لها؟ وليس من شك في ان الاجابة على هذا السؤال تتباين تماماً بين مؤيد ومعارض لتلك الثورة التي خلقت اوضاعاً وتداعيات تركت بصمات قوية على نظرة الغرب الى الاسلام السياسي وضربت ذلك التحالف التقليدي الذي كان سائداً لفترات طويلة بين قوى اليمين المتعاطف مع الغرب والتيارات الاسلامية الرسمية في حرب غير معلنة ومواجهة دائمة مع الحركة الشيوعية، حتى كانت افغانستان هي المحطة الأخيرة لمثل ذلك النوع من التحالف الذي لم يعد له وجود.

سابعاً: لا يبدو مستغرباً ذلك التأثير [illegible] نجمت عنه تحولات اخلاقية واجتماعية ملموسة أدت الى خلط واضح بين التدين والتطرف، بين الصحوة الاسلامية والارهاب السياسي، واستثمر الكثيرون ذلك الخلط - عن عمد أو عن جهل - للاساءة الى تيار عام من الاسلام المعتدل، حتى بدا غريباً ان بعض الآباء اصبح ينزعج من تدين ابنائه ويخشى سقوطهم فريسة التطرف والعنف. وبذلك اصبحنا في مواجهة اوضاع غير مسبوقة جعلت المسلمين في تناقض حقيقي بين ما يؤمنون به وبين ما يراهم العالم من خلاله بما انعكس على فكرهم السياسي ونشاطهم الاقتصادي ورؤيتهم الثقافية.

* * *

فإذا كانت تلك هي بعض العوامل المتصلة بمشروع الصحوة الاسلامية التي تنطلق من الواقع، وتوائم بين الدين والدنيا، وترفض التناقض المصطنع بين جوهر الاسلام وروح العصر، فإننا نجد في التراث الفكري للدعوة الاسلامية نماذج باهرة كان يمكن ان يؤدي تكرار ظهورها الى موقف مختلف تماماً عما نراه اليوم، اذ يكفي ان نستعيد المظاهر الحديثة لحركة الاصلاح الديني التي حمل لواءها الامام محمد عبده منذ أكثر من قرن كامل من الزمان داعماً جهود استاذه جمال الدين الافغاني وموجهاً لتلاميذه من امثال محمد رشيد رضا - بتوافق في الرؤية وتباين في الاجتهاد - من اجل محاولة جادة للوقوف امام من يحاولون الربط بين الاسلام والتخلف من بقايا عصور الجهل والظلام، والذين اغفلوا معطاة تاريخية لا سبيل للإقلال من قيمتها وهي تلك التي تربط بين الاسلام والمعارف والعلوم، والتي أبرزت صورته المشرفة في عصوره الزاهية كدعوة حضارية مستنيرة، وثورة فكرية رائدة، نقل عنها الغرب عبر نقاط التماس الشهيرة - مكاناً وزماناً - سواء في الأندلس او صقلية او حروب الفرنجة (المسماة خطأ بالحروب [illegible] الاسلامي التي جعلت له تأثيراً واضحاً، وبصمات غير منكورة على عصر النهضة الأوروبية الذي اقترن بالثورة الصناعية والنضوج السياسي لمؤسسات الدولة الحديثة.

لقد أردت من هذا المقال الموجز التعبير عن شعور يخامر الكثيرين، وخاطر يلح على معظمنا يدفعنا لكي ندعو كل من سلك طريق العنف باسم الاسلام - وهو بين المجادلة بالتي هي احسن - ويطالب كل المساهدين تاريخياً في بناء الحضارة العربية الاسلامية وتراثها الشامخ، ان يراجعوا مواقفهم وان يدركوا مغبة الارهاب الذي يمثل جريمة جرائم العصر والتي يتلـ[ـقى] منها الاسلام الحنيف قسطاً وافراً [مـ]ن التجني والعدوان.

ومرحباً بصحوة اسلامية ترى ان الجهاد الحقيقي هو التقدم العلمي الكاسح والاسهام الحضاري الشامخ، ومرحباً بصحوة اسلامية قوامها اصلاح الاوضاع وعمادها التسامح مع الآخر وهدفها تعزيز مكانة انسان العصر.

---

* سياسي وديبلوماسي مصري.

المصدر: الأهرام
التاريخ: ١ مارس ١٩٩٦

حوار مع الكاتب الإسلامى الكبير فهمى هويدى

نحن محتاجون إلى مشروع قومى لتربية جيل يعرف الفضائل العامة

الحرية مطلب أساسى ولكنه مقيد بالنظام العام لقيم الأمة وثوابتها

الخطاب فى برامج ومسلسلات التليفزيون يعطى انطباعا خاطئا بأن الدولة ضد التدين

من الضرورى إتاحة فرصة التعبير للجميع فى وسائل الإعلام

حوار:

حسام سليمان
محيى الدين سعيد

كل هذه الأمور غير محسومة، خذ مثلا بإسرائيل.. فنحن نقول ان اكتوبر كانت آخر الحروب وقمنا بعمل اتفاقية سلام معها ولكنها لا تتوقف عن تجهيز نفسها عسكريا. فما هى حدود علاقتنا بالضبط مع إسرائيل؟

نحن نعتبر أن السودان وإيران أعداء لنا، فكيف هذا ونحن على الطرف الآخر نتصالح مع إسرائيل ونتغاضى عن الكثير من قضايانا معها؟ ثم إلى أين وصلت قضية الأسرى؟ لا ندرى أو قضية الأسلحة النووية تسامحنا فيها.. كل هذا ونحن لا نستطيع أن نحل مشاكلنا مع جيراننا فى السودان.

فالخلاصة أن القضية الأساسية وهى الهوية لم نتفق عليها فى الأساس وبالتالي فهذا يؤثر على المسيرة العامة، ولا نستطيع أن نحدد شيئا الآن يتفق عليه الإجماع الوطنى.

والحل فى رأيى أنه يجب أن نترك الفرصة للناس لكى يقرروا ويختاروا سياسة دولهم ويحاسبوا حكامهم، وهذا جزء من الحل وليس كله بمعنى أن الشعب يجب أن تعطى له صلاحيات سحب الثقة من مسئول ليست له رؤية وطنية واضحة ومقصر فى عمله وذلك بأن أترك له أولا حرية اختيار هذا المسئول ثم حق محاسبته وسحب الثقة منه فى أى وقت، وهنا عندما يتعثر الشعب يكون هو المسئول لأنه هو الذى اختار، أما بهذا الوضع الذى نعيشه الآن فإننا نتحمل أخطاء ناس لم نخترهم، ويظلون للنهاية يتمتعون بالسلطة والشعب هو الذى يدفع الثمن.

فالنهضة ليست قرارا وإنما هى بناء وتربية وقيم تبدأ بان يكون هناك قدر من الحرية والديمقراطية.

■ حوار التيارات

* هناك بعض التيارات فى الأمة مثل القوميين والإسلاميين فما هو مستقبل العلاقة بين هذه التيارات وكيف يتم إيجاد حوار بينها؟

- أحيانا لابد أن تكون هناك مسافة بين الطرح العملى والنظرى، فالقوميون والإسلاميون هم الذين يمثلون الهوية الحقيقية لهذه الأمة فنحن ديننا وهويتنا الإسلامية وجنسنا العروبة، ولابد من الحوار ولكن نحن نريد أن نجتمع -وأنا عضو بالمؤتمر القومى الإسلامى- ولا يوجد مكان نجتمع فيه على أرضنا فهل نجتمع فى قبرص؟!!

فهناك تيارات حقيقية أصيلة ولكن فرص الحوار بينها منعدمة، وهناك تيارات مصطنعة لا تمثل أحدا، ولو كان هناك أحزاب حقيقية فى مصر لما استطاعت الحكومة أن تفعل ما فعلته فى الانتخابات الأخيرة.

■ أزمة الحكومات العربية

* إذا كانت الحرية والديمقراطية حلا لأزمة الثقة بين الشعوب والحكومات فما هو حل وسبب أزمة الثقة بين الحكومات العربية؟

- هذه الحكومات لا تمثل أحدا ولم يخترها أحد فالحكام فى الغرب اختارهم الشعب لذلك أصبحت مصالح الشعب فى المقام الأول من اهتمامات هؤلاء الحكام.

أما الحكومات العربية فهى تمثل نفسها ولقد كتبت أيام جنازة رئيس الوزراء الإسرائيلى رابين ان الذين ذهبوا الى هناك وتباكوا عليه لا يمثلوننا كشعوب عربية لأننا فرحون بموت هذا الرجل.

■ حجم التيار الإسلامى

* يتهم التيار الإسلامى بأنه تيار فارغ المضمون وتيار شعارات ما تعليقكم؟؟

- التيار الإسلامى كلمة واسعة جدا فهناك ناس ومؤسسات ومعتدلون ومتطرفون، ولكن بسبب غياب القنوات الشرعية للتعبير فالكل موضوع فى سلة واحدة، والموجود خارج الصورة من الصعب عليه معرفة المعتدل من المتطرف.

كذلك ففى غياب المعايير الحقيقية لقياس حجم التواجد لفئة معينة فى المجتمع، من الصعب معرفة الحجم الحقيقى للتيار الإسلامى أوأى تيار آخر فى هذا المجتمع، كذلك فإنه فى غياب القنوات الشرعية للتعبير فإنه من الصعب التميز بين فصائل التيار الإسلامى لدرجة تجعل الناس تتصور أن هذا التيار كل أفراد المتعصبين والمتطرفين، ولو كان صحيحا فإنه يسىء لهذا البلد، فالبلد الذى لا يخرج معتدلا لابد أن يكون فيه شىء خاطئ فى الأساس، فلو كانت عند تربة لا تنبت إلا شوكا فلابد أن يكون الخلل فى مكونات هذه التربة، ولا يمكن أن يخرج هذا البلد كل نبته شوكا فهناك عقلاء ومعتدلون يريدون أن تكون علاقتهم بالناس وبالله وحتى الحكومة جيدة، ولكن الإعلام يبرز الصورة الفجة فلا يمكن مثلا تعميد كل الحوادث الفردية لرجال الشرطة على كل جهاز الشرطة فى الدولة، ولكن فى التيار الإسلامى يتم التعميم على أن الجميع أشرار من عجينة الشيطان، وهذا كلام غوغائى لأن المؤسسات البحثية فى الخارج ترانا أكثر من الداخل، وتعرف المعتدل من متطرف، والتيار الإسلامى عنده أدبيات اليوم لم تحدث من قبل فى تاريخ الدعوة الإسلامية فالتغيير السلمى والشورى والتسامح هى من أدبيات هذا التيار وشعوبنا ليست حمقاء لتتبنى كل ما يروج لها.

المصدر: الأهـــــرام
التاريـخ: ٤ مارس ١٩٩٦

مفكرو الإسلام المفترى عليهم!

د. محمد على أبوريان

ماكنت أحسب فى نهايات القرن العشرين أن أحدا يتنكر لما قدمه العرب لأوروبا من زاد معرفى عريض تبوأ مكانة مرموقة واستمر احتفاء الغرب به إلى القرن الثامن عشر الميلادى، ولهذا فإننى عجبت من محاولة تهميش هذا التراث وإهداره بصورة لايقبلها أى عقل مستنير.

وسنحاول فى هذه العجالة التدليل على مدى تأثر الغرب الحديث بأفكار فلاسفة الإسلام ومفكريهم:

فنحن مثلا على الرغم من أن هناك اختلافا فى السياق وفى البنية الأساسية للمذهب عند كل من إفلاطون وبرجسون، إلا أن جمهرة المفكرين يؤكدون فى مقارنتهم بين الفيلسوفين أن ثمة تشابها بينهما فى بنية المذهب مع أن البعد الزمنى بينهما أوسع مما هو بين الإسلاميين ومفكرى الغرب الحديث، فلقد انبثت الأفكار الإسلامية فى الفكر الغربى الحديث من أول مذهب فرنسيس بيكون إلى كانط، وهناك أبحاث كثيرة حول هذا الموضوع.

١ – وقد كان لى شرف القيام بمقارنة بين آراء الغزالى وديكارت فى الشك المنهجى واطلعت بعد ذلك اثناء رحلتى لطلب العلم إلى السوربون أن هناك نصا لاتينيا المنقذ من الضلال فى مكتبة الاب مرسين أستاذ ديكارت وكان ديكارت يتردد على مكتبة استاذه للاطلاع فيها.

٢ – وهناك دراسات كثيرة ومقارنات يحاول أصحابها اثبات أن وحدة الوجود عند اسبينوزا قد خضعت لتأثير ابن عربى ومذهبه.

٣ – ليس هناك شك فى أن المشتغلين بالفلسفة يعرفون تماما كيف أن موقف كل من ليبينتز ومالبرانش انما يرجعان فى نسقهما العام إلى مذهب الأشاعرة الإسلامى.

٤ – وهناك احد تلامذتى من اساتذة الفلسفة فى ليبيا له ابحاث من بينها أطروحته الدكتوراه فى ألمانيا أرجع فيها أكثر أفكار كانط إلى الغزالى.

وقد ظل كتاب القانون لابن سينا والذى نزمع تحقيقه فى مركز التراث القومى والمخطوطات، دستورا للاطباء إلى القرن الثامن عشر، بل هناك مدرج من أفخر مدرجات السوربون سمى مدرج ابن سينا، وعليه صورة تقريبية لهذا الفيلسوف العظيم. وبالطبع فإن معظم الأطباء الإسلاميين كانوا يعتبرون صناعة الطب من الوظائف التى يقوم بها الفيلسوف، هذا بالإضافة الى ان أوروبا عرفت ابن سينا، وابن رشد منذ القرن الحادى عشر الميلادى، وكان الجدل العنيف يمتد فى جامعة باريس فى أول نشأتها بين اتباع ابن سينا وابن رشد رغم أنهم كانوا يقولون إن كليهما فى النار فكيف مع هذا كله نهمل تراثنا ونضعه فى زوايا الإغفال والنسيان؟ ويلاحظ أن مفكرى الغرب ظلوا منذ القرون الوسطى مؤمنين بالتراث العلمى العربى ومعه الفلسفة. إلا أنهم اضطروا إلى اسقاط اسماء المفكرين العرب من كتبهم تحت ضغط موجة من التعصب الدينى كانت بدايتها محاكم التفتيش واستمرت إلى مطالع العصر الحديث فى بعض البلدان، على الرغم من أن المفكرين كانوا يعلمون بأهمية المصدر الإسلامى للثقافة الغربية.

وعلى اية حال فلسنا نحن الذين نشيد بمفكرينا وبتأثيرهم على الغرب فحسب فالجميع يعرفون ماكتبه رينان عن ابن رشد، وماكتبه مفكرو الغرب عن فلاسفة الإسلام ومفكريهم، فلسنا بحاجة اذن إلى القول بأن الغرب يجهل أو أن أحدا لم يسمع بالمفكر العربى فهذا نوع من التجنى على الحقائق الدامغة.

الحسبة.. سفينة النجاة

□ تناول خطباء الجمعة في مساجد العالم الاسلامي عددا من القضايا ذات الأهمية بالنسبة للأمة، حيث برزت قضايا، من أهمها قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «الحسبة».. والسمع والطاعة كركيزتين أساسيتين لنظام الحكم في الإسلام، ومحاكاة الكفار في عاداتهم وتقاليدهم، والأسباب التي أدت إلى تفكك الأمة وتسلط الأعداء عليها، والتحذير من الشيطان وكيده، ومراقبة الله والدوام عليها، وحقيقة التوكل، وهو تفويض الأمر إلى الله مع الأخذ بالأسباب.

ففي **مكة المكرمة** أوضح **الشيخ سعود الشريم** إمام وخطيب المسجد الحرام أن المسلم المحاكي لأهل الكفر والشرك إنما هو أذن وعين ولسان وقلم لنهجهم وفكرهم. وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء في عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وأكد إمام وخطيب المسجد الحرام أن المسلمين هم أهدى الناس طريقا وأقوامهم سبيلا وأرشدهم سلوكا في هذه الحياة حيث أقامهم الله سبحانه وتعالى مقام الشهادة على الأمم كلها. وأشار الشيخ الشريم إلى أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قال: لقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرب الإسلام.

وقال في ختام خطبته: إن القيود التي يفرضها الدين على الإنسان لا يريد بها عذابهم ولا حرمانهم، إنما يريد بها أن يرتفع بها من الحيوانية الهابطة إلى الإنسانية الصاعدة.

> **المدينة المنورة: بعد المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم أدى إلى تفكك أمرهم**

الفرق بين الدنيا والآخرة

وفى المدينة المنورة بين الشيخ عبد الله الزاحم إمام وخطيب المسجد النبوى الشريف أن انجراف المسلمين خلف أعدائهم ودعاياتهم والاقتداء بهم فى عاداتهم، وبعد المسلمين عن الله وعن كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، هو الذى أدى بهم الى التأخير وتسلط الأعداء عليهم وتفكك أمرهم. وأوضح أنه لا مقارنة بين الدنيا والآخرة، فالدنيا زائلة وليس فيها مما فى الآخرة إلا مجرد الأسماء. أما الآخرة فهى باقية إلى الأبد، فما فيها باق، وفيها النعيم الحقيقى، فلا توافق بين ما أعطى الله الكافرين فى هذه الدنيا، وما أعد للمتقين فى الآخرة. وأشار إلى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والمؤمن يتطلع إلى الآخرة وما فيها من نعيم مقيم. وبين أن الإسلام لا يدعو إلى ترك الدنيا للاعداء، ولا يحث على ترك المتاع للكفرة، وإنما يدعو إلى الاعتزاز بالإسلام، فالدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب. أما الآخرة فلا يعطيها الله الا من يحب؛ لأن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

خطر الشيطان

وفى مدينة الرياض حذر الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ خطيب وإمام الجامع الكبير من خطر الشيطان ومكائده فقال: إن عداوة إبليس ليست عداوة لنا فقط، بل هو عدو لأبينا آدم من قبلنا، فعندما خلق الله سبحانه وتعالى أبانا آدم خلقه من تراب، وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته تكريما له فسجدوا بأمر الله طاعة لله، وأبى عدو الله إبليس السجود لأبينا آدم واستكبر وقال:«أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين».
وأضاف الشيخ آل الشيخ أن إبليس ـ عليه لعنة الله ـ عدو لجميع بنى آدم ابتلاء وامتحانا، ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من عداوته وبين لنا شره فقال جل جلاله «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير».

وطالب الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المسلمين بأن يحذروا من الشيطان، وأن يستعينوا بالله منه ومن شره وأضراره وأن يعملوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام.

دفاع عن «الحسبة»

وفى القاهرة تناول الشيخ محمد عبدالمقصود. إمام وخطيب مسجد النفق موضوع «الحسبة» فقال:

العبودية لله ـ عز وجل ـ وينبغى أن تفهم على أنها استسلام مطلق لأوامر الله، ونواهيه، بغيرمناقشة، ولا سؤال، لأنه ـ عز وجل ـ لا يسأل عما يفعل، وغيره يسأل، فإذا حكم فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه. هذاهوفهم المسلم الصحيح للعبودية، كما أراده الله سبحانه وتعالى.

وفى هذا الإطار يأتى موضوع «الحسبة» الذى اثير حديثا والذى هون فيه البعض من شأن الفقهاء قائلين: إن الحسبة لا توجد فى كتاب الله عز وجل، ولا فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنما هى أمر اخترعه الفقهاء، كأن هؤلاء الفقهاء يأتون بالأحكام الشرعية من بيوتهم!

إن الحسبة فى الشرع لها أدلة موجودة فى الكتاب والسنة. فى قول الله عزو وجل: «**كنتم خير أمة أخرجت للناس، تامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله**». وفى قوله تعالى: «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر**». وبين الله عز وجل أن هذا الأمر إذا اختفى بين الناس فإنه يستوجب اللعن منه عز وجل لهم. قال تعالى: «**لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون**».

وأخرج الترمذى بسند منقطع عن عبدالله بن مسعود ـرضى الله عنه- أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أن الرجل كان يمر على الرجل وهو يعمل المعصية فيقول له:يا فلان لا تفعل هذا. إن هذا لا يحل لك. فإذا كان من غده كان أكيله وجليسه، وشريبه بينما هو قائم على معصيته. فضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم».

وفى سورة التوبة «براءة»: «**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف**». «**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**»، فالمنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، والمؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

هذه الشعيرة ـ شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو الحسبة ـ بها قيام الأمةالاسلامية، وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل لنا فى ذلك بركاب السفينة فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه الذى أخرجه الإمام البخارى. قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم فى أعلاها، وبعضهم فى اسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا أن يستقوا الماء مروا على من فوقهم. فقالوا: لو أننا خرقنا أو ثقبنا فى نصيبنا لنستقى منه، ولا نؤذى من فوقنا. فلو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجونا جميعا، ولو تركوهم وما أرادوا لهلكوا جميعا».

كما روى أبو داود فى سند صحيح عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

و أضاف: كن نصيرا لله.. إن اهل الباطل لا يستحون من إظهار باطلهم، ويتبجحون به؛ فعليك أن تكون نصيرا للحق، قامعا للباطل، ولا تحقرن من المعروف شيئا. اجهر بكلمة الحق ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ومن ثم.. فالحسبة ينبغى ان تتخلل حياتنا، وأن تكون فى كل أمورها. فى المنزل والشارع والعمل والسوق، لأنه لا حياة ولا رفعة ولا سؤدد لنا إلا بها

الرباط:

السمع والطاعة ركيزتان أساسيتان لنظام الحكم في الإسلام

السمع والطاعة فى المعروف

وفى الرباط قال الشيخ مصطفى البخارى إمام وخطيب مسجد ساحة الشهداء إن الاسلام شرع أحكاما وسن قوانين، ووضع معالم منيرة فى طريق المسلم يستهدى بها فى مساره الإيمانى والتعبدى والأخلاقى، وهذه الأحكام والقوانين والمعالم هى شاملة وعامة ومكتملة، تشمل جانبى الدين والدنيا حيث يقول تعالى: «**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**»..

كما أن ديننا الاسلامى ترك لنا شيئين أساسيين، كما جاء فى الحديث الشريف إذا تمسكنا بهما فلن نضل أبدا وهما كتاب الله وسنة رسوله، وكذا الحديث الشريف «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»

ومن ضمن هذه الأحكام والقوانين نظام الحكم فى الإسلام. والرابطة القوية التى تربط بين الحاكم والمحكوم، والراعى والرعية، وهذا النظام مبنى على ركيزتين أساسيتين مستمدتين من الشرع الإسلامى وهما:

البيعة الشرعية التى لها جذور راسخة فى التاريخ الإسلامى يقول تعالى: «**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**». والسمع والطاعة فى المعروف يقول الله تعالى: «**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**».

الخوف من الله

وفى عمان ركز الشيخ محمد عبدالرحمن إمام وخطيب مسجد حى الشعيلة فى خطبته على مخافة الله وقال: إن الخوف من الله ليس هو الخوف لمجرد الخوف وكفى، ولا أن الخوف يعنى أن يظل المؤمن فى رعب دائم. إن الجواب كلا بالطبع. فالخوف من الله يعنى الخوف من عذابه، وأن الخوف يعنى الابتعاد عن المعاصى والذنوب.

وأوضح الشيخ محمد عبدالرحمن أن ضرورة الخوف من الله واتقاء غضبه وردت فى كثير من المواضع فى كتاب الله عز وجل، فبعضها يصف النار وسعيرها، وبعضها يصف ماء الشرب وحرارته، وبعضها يصف العذاب وأشكاله وألوانه، كما أن الأحاديث النبوية قد تطرقت إلى هذا الأمر، فعن النعمان بن البشير رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة الرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه، ما يرى أن أحدا اشد منه عذابا»، وقال الشيخ محمد عبد الرحمن إن الآيات كثيرة، وكذلك الأحاديث كلها تحث على الخوف من الله واتقاء غضبه. وفى الجانب الآخر فإن الآيات كثيرة أيضا عن رحمة الله ولطفه بعباده، وهذا يدل على أن الخوف من الله ما فرض ولا طلب ولا حث عليه لمجرد الخوف، بل من أجل تجنب المحاذير والوصول الى الرحمة ومفتاح إلى الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين.

مراقبة الله

وفى الشارقة دعا الشيخ إبراهيم الحمادى إمام وخطيب مسجد الصحابة، المؤمنين الى مراقبة الله فى السر والعلن. وقال إن رقابة الله والدوام، عليها من علم ويقين، هى مفتاح الوصول إلى جنة الله وصلاح الدين والدنيا.

وأشار الى وجوب حرص المسلم على التدرب على أن يرى الله فى كل عمل يقوم به، ويطبق قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقارن بين وضع الأمة اليوم وحال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتيقنهم من مراقبة الله لهم، وقال إن خليفة رسول الله أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يسأل خادمه عن مصدر الطعام فى كل مرة قدم له.

وحذر الشيخ الحمادى من الخوف من غير الله تعالى، وقال إن الله أحق بالخشية والمراقبة وهو القائم فوق كل عباده

التوكل على الله

وفى باكستان بين الشيخ محمد عبدالقدير مولوى إمام مسجد «بهار» معنى التوكل على الله فقال: التوكل على الله هو أن يفوض المؤمن أمره إلى الله تعالى، والثقة به مع الأخذ بالأسباب، فالتوكل على الله محله القلب، ولا يفترق عن العمل لقوله صلى الله عليه وسلم للأعرابى «اعقلها وتوكل»

وأضاف الشيخ مولوى أن علينا أن نعلم أن الرزق بيد الله، ولكن يجب علينا السعى المتواصل من أجل تحصيل الرزق، فالله سبحانه وتعالى يقول «**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**» فالنصر من عند الله، ومع ذلك فلا بد من أخذ الحيطة والحذر، اقتداء برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذى كان يأخذ بالأسباب فى الحرب وإعداد العدة■

الكاتب الإسلامى الكبير فهمى هويدى ينتمى إلى طراز المفكرين الذين يحملون فى داخلهم هموم الأمة ويعبرون عنها فى صراحة وجراة، وبنفس الصراحة والجراة ناقش فى هذا الحوار عددا من القضايا المثارة على الساحة الإسلامية والوطنية، وقد بدأ حديثه بالتعليق على المواد الإعلامية التى بثها التليفزيون والإذاعة خلال شهر رمضان فقال:

- الشعب المصرى لابد أن أن يعتذر له أحد عما فعله التليفزيون وفعلته الإذاعة فى رمضان لأن التليفزيون حول شهر الصيام إلى شهر للعبث والتسلية، أما قضية العبادة التى هى جوهر شهر رمضان فقد غابت تماما من التليفزيون، بالعكس كانت برامجه تشجع على انصراف الناس عما ينبغى أن يقوموا به فى شهر رمضان، وهذا شىء محزن ويستحق الاعتذار.

* فى الفترة الأخيرة كان هناك هجوم على الرموز الإسلامية وعلى الظاهرة الإسلامية. فهل يدخل هذا الهجوم فى باب حرية الرأى والحق المشروع للتعبير؟

- الحرية مطلب أساسى ومقيد بما يمكن أن يسمى النظام العام للدستور، والذى هو جزء من النظام العام لقيم الأمة وثوابتها، ومن هنا فليس هناك ما يسمى بالحرية المطلقة وإنما هناك حرية مسئولة، إذن فالحرية مطلوبة ولكن فى الحدود التى تحترم النظام العام وقيم المجتمع وهذا هو التعريف المتفق عليه حتى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

والعناصر التى تهاجم الإسلام يمكن إجمالها فى ثلاثة عناصر: فهناك عناصر كارهة للإسلام، وعناصر خائفة منه، وعناصر تملك نقدا حقيقيا ولكن لا تملك الفرصة لتحصل على إجابة عن تساؤلاتها، فهذه المجموعة الأخيرة ترى أن الإسلاميين يريدون مصادرة الحريات ويرفضون التعددية، وللأسف لا توجد فرص حوار مسئول توضح لهؤلاء وجهة نظر الإسلاميين فى هذه الأمور، ومن يتكلم فى هذه الأمور أو من تتاح لهم فرصة الكلام حاليا يقولون كلاما تافها مسطحا خذ عندك مثلا مقالا منشورا فى إحدى الصحف يقول ان الصيام عقيدة المجتمع العسكرى وأن المسلمين صاموا لأنهم كانوا محاصرين فى المدينة من جانب الكفار.

مثل هذا الكلام سخيف ويجرد الصيام من كل بعد روحى وصحى، وليس له أساس من الصحة أو العلم أو المنطق أو حتى التاريخ.

فهناك من يريدون الاستفادة من جو الاشتباك الحالى مع الظاهرة الإسلامية بشكل عام، وباسم مواجهة التطرف يدخلون فى تصفية التدين نفسه.

أما أسباب الهجوم فهى إما محاولة من جانب البعض لتصفية حساباتهم مع الإسلاميين، وإما انتهاز فرصة الاشتباك الراهن، وكذلك من الأسباب غياب المنابر الرشيدة التى تدير حوارا مسئولا، وأنا أظن أن الدولة تتحمل جانبا كبيرا من المسئولية فى هذا الموضوع لأن منابر الحوار فى يدها بدرجة كبيرة. ولكن الدولة الآن تحت وطأة التخوف من التطرف أصبحت مترددة حتى فى الدفاع عن الاعتدال. فكانت هذه ثغرة نفذ منها كل هؤلاء الناس لمهاجمة مشاعر المتدينين ورموز الإسلام فى البلد.

* هل المطلوب هو أن تسوق الدولة المتقفين لعمل الحوارات المطلوبة أم أن هذا يأتى بمبادرة منهم لحل هذه القضايا الخلافية؟

- الدولة لا تسوق، ولكن تعطى منابر الحوار وتتيح الفرص المتكافئة للجميع فى وسائل الإعلام التى تملكها للتعبير عن آرائهم. وليس هذا هو الحال الآن ومثال لذلك البرامج التى كانت تذاع بعد الإفطار فى رمضان فى الإذاعة لا يمكن أن نجد فيها واحدا يمثل وجهة نظر إسلامية رشيدة،

فلماذا تضع الدولة هؤلاء فى القائمة السوداء؟ وحتى الذين تتاح لهم الفرصة فى منابر الحوار ويحتكرونها حاليا فهم عناصر لها نفس الموقف المتوتر إزاء الموضوع الإسلامى، أما الأغلبية التى هى مؤمنة ولها مشاعر معتدلة فلا تتاح لها فرصة التعبير عن وجهات نظرها، فالمطلوب فتح المنابر الأساسية والمؤثرة فى الناس، والمتمثلة فى الصحف القومية والإعلام الرسمى أمام دعاة الفكر الإسلامى الرشيد، لأن الخطاب فى برامج ومسلسلات التليفزيون كله غير متوازن وهذا يضر بالاستقرار، ويعطى انطباعا خاطئا بأن الدولة ضد التدين رغم وجود المؤسسات الرسمية التى تعمل لخدمة الدين.

■ نحن والغرب

■ ما هى -من وجهة نظركم- أسباب الفجوة الحضارية بيننا وبين الغرب؟

- أهم الأسباب أننا لا نملك مشروعا واضح الملامح، فكل أمة من المفترض أن يكون لها مشروع قومى وهدف واضح، أما نحن فما الذى نريد أن نربى أولادنا عليه؟

هل نحن مقتنعون بأننا نريد تربية جيل له انتماء عربى وإسلامى؟ ما يقدمه التليفزيون وما نقرأه فى الصحف والمجلات الحكومية يجيب بلا.

ونحن فى موضوع الأخلاق العامة والخاصة بدأنا نقول ان الدين فى المساجد فقط ولا شأن له بالحياة العامة، أى نعمل بفكرة الفصل بين الدين والسياسة، وبين الدين والواقع، فبدأ هذا يتسرب الى الناس.. فيقول الإنسان لنفسه: أنا أدفع الزكاة لأن الله سيحاسبنى عليها أما الضرائب فلا، وامتد هذا الى أداء العمل على الوجه المطلوب.

فغياب المشروع والهدف جعل الناس لا تعرف ماذا تريد، كذلك غياب المثل والنموذج والقدوة.. فكيف أطلب من الموظف أن ينضبط فى حضوره وانصرافه وعمله ورئيسه غير منضبط؟ فكل هذه الأمور توضح أن هناك خطأ فى التربية، ولهذا فأنا أقول اننا محتاجون للتربية من جديد، تربية جيل يعرف الفضائل العامة وتتوفر له القدوة من قمة المجتمع الى قاعدته.

فنحن محتاجون للاتفاق على أن هناك أشياء مختلة فى المجتمع، وكل ما هو أخلاق عامة عندنا متدهور وكل واحد مشغول بالذات والمكاسب، ولا أحد مشغول بتربية المجتمع، فالسلطة مشغولة بنفسها وباستمرارها، ومشغولة بالقضايا الأمنية التى تحافظ على بقائها أما كيف نربى شعبا منتجا فهذا ما لا يوجد أحد مشغول به الآن.

■ القضايا المعلقة

* لكل مجتمع يريد أن ينهض قضايا معلقة لابد أن ينتهى منها أولا.. فما هى القضايا المعلقة فى مجتمعنا؟

- أظن أن مجتمعنا مختلف حول ثوابته، فهل الإسلام جزء من هذه الثوابت؟ هل نحن عرب أم شرق أوسطيون؟ هل نحن مع القطاع العام أم الخاص؟ مع الديمقراطية أم ضدها؟ اسرائيل هل هى عدو لنا أم صديق؟

المصدر : الأهـــــــرام

التاريـــخ : ١١ مارس ١٩٩٦

المفتى : الحسبة لاتكون الا للنيابة العامة التى تتقصى الحقائق

التبرع بالأعضاء البشرية جائز شرعا والعبرة برأى الأطباء

المنصورة ـ من عطية عبدالحميد:

أكد الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية. ان كل من يعمل من اجل المصلحة العامة ويؤيد الفضائل يعتبر محتسبا فى الشريعة الاسلامية، فالاجهزة العامة والنيابة العامة ومفتش الادوية والتموين وغيرهم ينطبق عليهم لفظ المحتسب، وانه تم عرض قانون الحسبة على دار الافتاء ومراجعته وتعديله قبل اصداره وان الحسبة لاتكون الا للنيابة العامة التى تقوم بالتقصى عن الحقائق ورفع القضايا المتصلة بها للهيئات القضائية للفصل فيها. جاء ذلك خلال اللقاء الفكرى الذى عقد بجامعة المنصورة وشهده الدكتور احمد حمزه رئيس الجامعة والدكتور عبدالعظيم وزير عميد كلية الحقوق.

وقال المفتى ان التبرع بالاعضاء البشرية جائزة شرعا وان العبرة فى ذلك برأى الاطباء من بحيث تاكيد الفائد المحققة للشخص المنقول اليه بنسبه لاتقل عن ٩٠٪ وعدم الاضرار بالشخص المنقول منه العضو بنسبة لاتزيد على ٥٪ وان التبرع بالقرنية هو امر جائز شرعا طالما اكد الاطباء أن فى ذلك منفعة لانسان مريض

وأضاف ان الزوجة الحاضنة لابد ان يهيئ لها مطلقها مسكنا مناسبا بغض النظر عن ثرائها الا اذا تنازلت هى برضاها عن مسكن الزوجية.

وقال انه تقرر عقد ندوة فى القريب العاجل لرؤساء البنوك التجارية القومية والاسلامية فى مصر تحت رعاية دار الافتاء لتوضيح مفهوم المعاملات المصرفية فى الاسلام.

وأعلن الدكتور احمد حمزة ان الجامعة ستقوم بعقد مؤتمر يشارك فيه اساتذة الطب والقانون ورجال الدين لوضع مشروع قانون لنقل الاعضاء البشرية فى مصر يتم تقديمه للجهات المختصة لاقراره.

المصدر: الخرطوم

التاريخ: ١٢ مارس ١٩٩٦

د: محمد سيد طنطاوى:

مبارك حريص على أن تكون كل القوانين.. مطابقة للشريعة
وزارة العدل عرضت قانون الحسبة على دار الافتاء قبل صدوره

كتب - محيى الدين السيد:

اكد فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ان الرئيس محمد حسنى مبارك حريص على الا يصدر فى مصر قانون مخالف للشريعة الاسلامية، قال: ان وزارة العدل عرضت على دار الافتاء قانون الحسبة قبل صدوره وقامت الدار بمراجعته وتعديل بعض بنوده لتتوافق مع الشريعة الاسلامية.

اوضح المفتى انه يؤيد ان تكون الدعاوى القضائية فى قضايا الحسبة من اختصاص النيابة العامة.

اشار الى انه سيدعو خلال الشهر القادم رؤساء البنوك وخبراء الجهاز المصرفى المصرى لتوضيح مفهوم المعاملات المصرفية فى الاسلام من خلال مؤتمر تفتتحه الدكتورة نوال التطاوى وزيرة الاقتصاد.

اضاف المفتى: انه مازال عند رأيه بأن عائد البنوك السنوى ليس حراما، لكنه يؤكد ان كل قرض جر نفعا فهو ربا، ويجب ان تحسم مسألة عوائد البنوك حماية للاقتصاد القومى المصرى.



د. محمد سيد طنطاوى



د. نوال التطاوى

المصدر: روز اليوسف
التاريخ: ١٨ مارس ١٩٩٦

تأجيل قضية روز اليوسف

بعد استماعها إلى مرافعة الدفاع في الاستئناف المقدم من محمود التهامي رئيس تحرير روز اليوسف في الحكم الصادر ضده من محكمة اول درجة بالحبس سنتين قررت محكمة جنح استئناف قصر النيل حجز القضية للحكم بجلسة ٢٤ ابريل المقبل.

وقد عقدت المحكمة جلستها يوم الاربعاء الماضي برئاسة المستشار سالم مدبولي رئيس المحكمة وعضوية المستشارين ايمن يحيى الرفاعي وطارق محجوب ، وبحضور سامح عبد الحكيم .. وكيل اول النيابة .

وكان الشيخ يوسف البدري ومجموعة من المحامين قد اقاموا الدعوى ضد روز اليوسف يتهمونها بالسب والقذف في حقهم بسبب مقال يتحدث عن سوء استخدام حق التقاضي ، ويطالب بسد الثغرات القانونية .

ترافع عن محمود التهامي المحامي القدير الاستاذ/ احمد شوقي الخطيب وقدم لهيئة المحكمة المستندات والادلة التي تؤكد انعدام صفة المدعين بالحق المدني في إقامة الدعوى ، وخاصة المدعي الاول ونفي تهمة السب والقذف ■

للحسبة أيضاً وجهان

أخر كلام

يكتبه هذا الاسبوع:



سليمان فياض

اللهم إنا نعوذ بك من عنف السلطة، وعنف الإرهاب، معاً، وأعنا على أن نشجب هذا وذاك، فليس فى وسعنا الشجب، والكلمة، حتى ولو كان الثمن غالياً: حرماناً من الرزق، أو حرماناً من الحياة، فى وطن أصبحت الحياة فيه لا تطاق.

المدونة
للبحوث و التدريب و المعلومات

المصدر: الأهالي

التاريخ: ٢٧ مارس ١٩٩٦

في الأعوام القليلة الأخيرة، أطلت دعوى الحسبة بوجهها العقائدي أما الوجة الآخر للحسبة، وجه رعاية الدولة لمصالح العباد، في معاملاتهم، ومرافقهم، فقد جرى إخفاؤه، أو الصمت عنه، إلا على ألسنة المثقفين والدارسين، والمنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان، مسلماً، كان أو غير مسلم.

المصدر: الأهالي

التاريخ: ٢٧ مارس ١٩٩٦

والوجه العقائدى لدعوى الحسبة، وجه سياسى متعصب، أشهر أسلحته فى ساحات المحاكم الإرهابيون، فى صفوف الجماعات الإسلامية والإخوان المسلمين.

وتقدمت الدولة ممثلة فى السلطة، لتنزع هذه الأسلحة من أيدى الإرهابيين، فلا تصل إلى ساحات القضاء، إلا عبر النيابة العامة، بل والنائب العام، ربما لتستخدمه السلطة لحماية المثقفين ومفكرين ، وربما لتستغله لضرب مثقفين ومفكرين، وربما لتشهره ضد جماعات الإرهاب ذاتها، وربما لتميت دعوى الحسبة كلها، وتجمدها فى ثلاجات النيابات. وربما من أجل هذا كله، وفق هوى السلطة، كان هذا القانون العجيب، الذى يقر ويسمح برفع دعاوى الحسبة، لاتهام الناس فى عقائدهم، وإقامة دعاوى التكفير ضد التفكير، ودعاوى التفريق بين الذكر والأنثى، وقد أفضى بعضهم إلى بعض، بالعقل وبالجسد، بالحب وبالعشرة، وبالبنين والبنات.

وجهان للحسبة، فى تاريخ المسلمين، عبر خمسة عشر قرناً من الزمان، وجه غايته مصالح العباد. ووجه غايته عقل العباد. وكلاهما يرتكز إلى الآية القرآنية الكريمة: "ولتكن منكم أمة (أى جماعة) يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر" بين من يرى أن آية الأمر بالمعروف. والنهى عن المنكر هذه، تعنى وتستهدف رعاية مصالح العباد. فى المعاملات، والمرافق، ومن يرى أن هذه الآية تستهدف المعروف العقائدى والمنكر العقائدى، حتى مما لم يخالف فيه العقل والفكر معلوماً من الدين بالضرورة، من أركان الإسلام الخمسة، والإيمان بالغيب.

وبين الفهمين، والتفسيرين، والتأويلين، جرت قضية الحسبة على محورين : محور الحكم متمثلاً فى الحاكمين، ومحور المعارضين للحكم والحاكمين، لأغراض سياسية، من الفرق والمذاهب الإسلامية، دعاة وأتباعاً، وبدعاوى دينية. أما الرعايا، فقد تمزقوا بين المحورين، وأهملوا من الاثنين، فلا ناقة لهم ولا جمل فى صراعات الفريقين: هذا للبقاء فى الحكم، وذاك للقفز إلى الحكم.

فى البدء، ومع تكون النواة الأولى للدولة الإسلامية، فى مدينة يثرب، كان عمر بن الخطاب مشرفاً على سوق المدينة. يحاسب التجار على الأسعار، وجودة السلع، وسلامة المكاييل والموازين، ويمنع الاحتكار، وغلاء الأسعار، وغش السلع، والعبث بالكيل والوزن، رعاية لمصالح المستهلكين، وحماية لهم من عبث التجار.

وكلما نمت الدولة الإسلامية، كان ثمة مشرفون على الأسواق، فى المدن والقرى، من قبل الدولة بل وعلى مرافقها من آبار وأنهار وشوارع وطرقات.

وكان هذا الإشراف هو أحد وجهى الفهم لآية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، تحقيقاً للعدل، ودفعاً للظلم، اجتماعياً واقتصادياً، ولكافة رعايا الدولة من مسلمين وغير مسلمين. وقد استمر هذا الإشراف إلى عهد الخليفة المهدى العباسى، ولكنه لم يكن قد حمل بعد اسم الحسبة.

الوجه الآخر لفهم الآية، كان يقوم به الدعاة إلى الدين، بالوعظ والإرشاد، فى المساجد والبيوت، لهداية الناس إلى أركان الإسلام، وعناصر الإيمان.

لكن هذا الوجه الآخر لفهم الآية، تسلح به فجأة الخوارج، وحملوا لواءه، حين عدوا أنفسهم، وحدهم، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، ورفعوا تهمة التكفير، فى وجه الخليفة على بن أبى طالب، وخلفاء بنى أمية الملوك، ومن جاءوا بعدهم من خلفاء بنى العباس، بل ووجهوا هذه التهمة إلى كل من سواهم من علماء والناس، وعامة الناس. تهمة : التكفير.

وتلقف هذا الفهم، وتلك التهمة، كل من جاء بعدهم من الفرق الإسلامية، من السنيين والشيعيين على السواء، ومن غير السنيين والشيعيين، مثل المعتزلة، وهى الفرقة التى تدعو إلى العقل، وإلى التفكير. فلا حاكم إلا وهو كافر، ولا فرقة أخرى سوى فرقتهم وحدها، إلا وهى كافرة، ولا رعية تسكت على الحاكم، وتتركه فى حكمه، ولا تسير معهم وحدهم، ولا تساندهم فى الوصول إلى الحكم، إلا وهى كافرة. وكل فرقة تصل إلى الحكم فى ممالك أمراء الأطراف، تبدأ فى إبادة سواها بدعوى الكفر، علماء، ورعايا، إلا أن يلقوا إليها بعصا الطاعة.

فعلت ذلك كل الفرق الإسلامية، وكل دول الفرق الإسلامية، من أفغانستان، إلى الأندلس.

ومع ذلك، ظل الوجه الأول لفهم آية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجه رعاية مصالح العباد، إشرافاً بلا اسم فى البداية من قبل الدولة، وإشرافاً يحمل اسم الحسبة، فى دار اسمها : دار الحسبة، على يد رجل موظف بالدولة، اسمه : المحتسب، منذ عهد الخليفة المهدى العباسى، وكان الخوارج ينقرضون، وكانت فرق إسلامية أخرى، تولد، وتتكاثر، وتنشق، وتتوالد، حتى زاد عددها على سبعين فرقة، وكلها ترفع شعار الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فى مجال العقائد.

فماذا فعل الخليفة المهدى فى وجه هذه الفرق؟

لقد اكتفى المهدى بالحوار الفكرى مع قادة ومفكرى هذه الفرق، حين جند العلماء والفقهاء والكتاب فى زمانه للرد على دعاوى هذه الفرق. فحارب التفكير والتكفير معاً بالتفكير فقط.

وأشهر المهدى جيوشه ضد جيوش هذه الفرق، وشرطته ضد تنظيمات هذه الفرق التى تمارس العنف، تقابل العنف بالعنف، فلا عنف يقابل بالفكر وحده، ولا فكر يقابل بالعنف.

وتلك قصة أخرى، لا جدوى من الخوض فيها،

فقد أصبحت تاريخاً من التاريخ، وتاريخاً لا يشرف أتباع دين، ولا يبيح لأحد فى عصرنا أن يشهر دعاواه من جديد، فى وجه مسلم أوذمى، أو حاكم، أو مفكر، أو رعية.

القضية حقاً فى مسألة الحسبة، هى قضية مصالح العباد، فى آية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فالخير المقصود فى الآية الكريمة هو خير العباد فى الدنيا، ومصالح العباد فى المجتمع. والخير الآخر العقائدى والأخروى فى قلوب الأفراد، وله دعاته من الأئمة والوعاظ والفقهاء، والعلماء من رجال الدين. أو هكذا ينبغى للأمر أن يكون. فالدعوة إلى سبيل الله لا تكون إلا بالتى هى أحسن، ولا إكره فى الدين، ولا يعلم القلوب إلا الله، وباب الاجتهاد، بل والتأويل، لما فيه خير العباد، مفتوح إلى أن يشاء الله، وحقوق العباد مقدمة على حقوق الله. ومن كفر مسلماً فقد كفر، وليس من حق أحد أن يقول: هذا رجل مشكوك فى دينه، وليس من حق أحد أن يتهم أحداً لم يجاهر بالكفر، لا باللسان، ولا فى ساحة القضاء، ولا بالقلم.

ودعاة الحسبة، فى العقد الأخير من القرن العشرين، يستندون فى فتواهم بالفهم العقائدى للحسبة، إلى مقولة تراثية، أو فتوى، نسبت إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، ولم يقلها أبو حنيفة بنفسه، وإنما رواها عنه الفقيه المحدث الجامع المدون لفتاوى أهل العراق جميعاً، على اختلاف مذاهبهم، وتعارض فتاواهم فى المسألة الواحدة: محمد بن الحسن بن واقد (ابن فرقد فى دائرة المعارف الإسلامية) الشيبانى بالولاء لا بالانتساب. ولم ينقلها أو ينسبها إلى أبى حنيفة أحد سواه من تلاميذ أبى حنيفه وبينهم كان قاضى القضاة: أبو يوسف، وعبد الله بن المبارك، وابن الربيع، وزفر بن ذهيل، على طول صحبتهم لأبى حنيفة.

ومحمد بن الحسن لم يتتلمذ على يد أبى حنيفة، إلا فى السنوات الأربع الأخيرة من حياة أبى حنيفة. وكان حين جلس إليه بمسجد الكوفة فى الرابعة عشرة من عمره.

و محمد بن الحسن كان شيعياً من المرجئة، وفارسى الأصل من خراسان، ولقد طمح إلى أن يلى قضاء بالعراق، لكن الخليفة العباسى هارون الرشيد، لم يحقق له طموحه، بالرغم من وساطة أبى يوسف من أ جله. ولقد عرض عليه أبو يوسف قضاء من أقضية الشام، أو مصر، أى من أقضية الأطراف. بعيداً عن قلب الدولة الإسلامية، الذى يغص بالفرق الإسلامية، وبالصراعات المذهبية، لكن محمداً بن الحسن رفض هذا العرض.

ولم يسمح الرشيد لمحمد بن الحسن أن يكون قاضياً بالعراق، إلا بعد أن جاوز محمد الستين من عمره وصار قاضياً لمدينة الرقة فى أقصى الشمال الشرقى من العراق لمدة أربع سنوات فقط.

ويبدو أن الرشيد قد ظل من محمد بن الحسن على حذر. أو أنه قد صدر منه كقاضى ما لا يطمئن قلباً، أو يحق عدلاً ، فكانت النتيجة أن عزله الرشيد وهو بالرقة، وصحبه معه إلى حرب فى فارس، فمات ابن الحسن فى العام الذى عزل فيه، ودفن بقرية "رنبوبه" بالقرب من مدينة الرى الفارسية.

فهل تكفى مقولة لرواية فقهيه لرجل واحد، ومنسوبة إلى إمام عظيم، كان شعاره :

لا تكفير المسلم، وإن عصى، وارتكب الكبائر. فالكبائر يحاسب عليها بالحدود، والعقائد أمرها موكول إلى الله، والمجاهرة بالكفر عقابها فى يد ولى الأمر، والرأى يقارع بالرأى، والفتوى اجتهاد، والمفتى يقول برأيه فمن شاء أخذ به ومن شاء لم يأخذ، من الحاكمين والمحكومين؟

وبذلك تبقى قضية الحسبة محصورة، أو هكذا ينبغى أن تكون، فى رعاية مصالح العباد، ويبقى الفهم الآخر للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فى عنق ولى الأمر، وأعناق الفقهاء والعلماء، والوعاظ، ومن يكتبون فى الدين.

والحسبة فى إطار المعاملات ، كانت من النظم الإدارية فى التاريخ الإسلامى، وتعنى : حسن التدبير لأمور الرعية، على مر العصور الإسلامية.

وفيما مضى، قبل أن توجد الدولة الإسلامية المدنية الحديثة، كانت الحسبة تعنى مهام وظيفية للمحتسب، للمحافظة على النظام العام، والفصل الفورى فى المنازعات، من الأمور التى لا تدخل فى اختصاص القاضى، ولا فى اختصاص أصحاب الشرطة، المنفذين لأحكام القضاء.

وكان المحتسب فى دار الحسبة، متعدد الاختصاصات، يجمع بين المتابعة، والتحقيق والفصل، والتنفيذ. وكان له أعوان ونواب فى المدن، والقرى، لمراقبة ما يجرى مما يخالف القوانين الإدارية للدولة.

وكانت اختصاصات المحتسب تنحصر تقريباً فى المحافظة على الآداب فى الأماكن العامة كالأسواق، والحمامات، والكتاتيب، ومراقبة المكاييل والموازين، وأسعار الحاجيات فى الأسواق، والصحة العامة بمراقبة الخبازين،

والجزارين، وباعة الأطعمة، ومياه الشرب التى يحملها السقاءون من الآبار والأنهار، وتسجيل المواليد والوفيات، والنظر فى استحقاقات الورثة، وأصحاب التركات، والفصل فى المنازعات العاجلة، التى لا تحتاج إلى العرض على القاضي، بل والإشراف على الشئون الخاصة بتموين الجيش. وللأسف كان من بين هذه الاختصاصات عدم السماح لمبانى الذميين أن تعلو على مبانى المسلمين.

وإذن فالحسبة، أو الاحتساب، كانت فى القرون الماضية نظاماً إدارياً إسلامياً، يمكن فكها وتركيبها، وتوزيع اختصاصاتها، فهى مجرد تنظيم إدارى، يتغير بتغير الأزمان والأماكن والبلدان، وفق مصالح المسلمين، والسعى الإدارى إلى الأفضل، وليست فرضاً من فروض الدين، فهى أمر دنيوى، يأخذ به المسلمون، وغير المسلمين.

واختصاصات الحسبة هذه تجمع بين عدة اختصاصات عصرية فى زماننا، تتبعها الدولة العصرية مسلمة كانت أو غير مسلمة. وهذه الاختصاصات هى "النيابة العامة، والقضاء المستعجل. ووزارة الصحة، والتموين، وإدارة مرفق المياه، والمجالس البلدية (المحلية الآن)، وسلطات المحافظين، والسجل المدنى، وشرطة الآداب، والتموين والضرائب التى تملك الضبط القضائي.

وليس من شك فى أن جمع هذه الاختصاصات كلها فى يد إدارة واحدة، ورجل واحد كان نظاماً بدائياً متخلفاً بالنسبة لعصرنا، وعبئاً ثقيلاً على قدرات وطاقات رجل واحد، مهما بلغ عدد أعوانه. ولا تضمن معه أمانته، ولا أمانة أعدائه، ولا وقوعهم فى أخطار النفس الأمارة بالسوء، بالرشا، والبذول، والبراطيل، وتعطيل الحقوق، ومجاملة الأغنياء والأقوياء، والبطش بالفقراء والمستضعفين. وهى أمور وقع فيها معظم المحتسبين، فى التاريخ الإسلامي، وبينهم كان قضاة، وفقهاء، ومحدثون، بل وشعراء فكانوا مثل كثيرين من شيوع تكايا المتصوفين، وعوقبوا على جرائمهم أشد العقاب، أو نجوا بالهرب من البلاد، أو بالموت قبل تنفيذ العقاب، أو اكتفى بعزلهم وتجريسهم.

ولا شك أن استبعاد هذه الاختصاصات الدنيوية، من الاتكاء على مبدأ ديني، أو الاعتماد على ضمير رجل واحد، أو مؤسسة واحدة، ذات سلطة دينية، فيه حماية للناس من بطش السلطة، وولى الحسبة، معاً. فباسم الدين يمكن أن ترتكب المظالم، ضد الدين وضد الناس.

إن علينا أن نقوم الآن بموقف حكيم لفض هذا الاشتباك المليس، والمربك للسلطة وللعلماء، وللناس، بين الشريعة الإسلامية، والفقه الإسلامي، ورفع وصاية الفقهاء وخوارج العصر الحديث على شئون الدنيا، فنحن أعلم بشئون دنيانا، كما علمنا رسول الإسلام.

فالشريعة مبادئ أساسية فى العقائد والمعاملات والأخلاق أو الآداب، ولا تتمثل إلا فى القرآن والسنة الصحيحة المقطوع بصحتها، تولية كانت هذه السنة أو تقد برية أو فعلية.

والفقه : اجتهاد، هو : وجه نظر، أو مشروع قانون، أو توجيه، من فقيه مجتهد، مؤهل للفتوي، هو رجل قانون فى عصره، وبلده، وآراؤه غير ملزمة لأحد، حاكماً أو محكوماً، ومن شاء أخذ بها، ومن شاء لم يأخذ. وكيف يكون ثمة إلزام لأحد، والفقهاء مختلفون والفتاوى مختلفة فى المسألة الواحدة والأزمة متغيرة، والبلاد متعددة، والظروف متباينة.

وحتى لو كانت الفتوى فى فهم اجتهادى بعينه لآية من القرآن الكريم، أو لنص حديث شريف فهو فهم غيرملزم، إلا بقدر ما يكون معيناً لتحقيق مصالح العباد، والتيسير على الناس، فى دينهم ودنياهم، فى زمان معين، ومكان معين، فثمة أفهام ومفاهيم فقهية أخري، ليس بعضها أولى من بعض، إلا بقدر ما فيه المصلحة العامة.

وفى رأيي أن فقهاء العصر الوسيط، وتابعوهم إلى يومنا، ليسوا بأفضل فى مجال التقنين من رجال القانون المحدثين، الدارسين للقرآن الكريم والسنة الصحيحة، والعارفين بظروف العصر، وأحوال الناس. وأولئك وهؤلاء رجال قانون.

وفى رأيي أن المثقفين قد آزروا السلطة حين استجارت بهم لتوعية الرأى العام ضد إرهاب الجنزير والخنجر، والقنبلة والرشاش، فتمكنت السلطة بالرأى العام الذى أوجده المثقفون ورجال الإعلام، بين الناس، من ضرب الإرهاب، بفضل هذه المؤازرة، لكن السلطة استدارت بسرعة لتنزع سلاح الحسبة بمعناها العقائدى المثير للاستغراب من ايدي الارهاب ، لا لتدفنه ، وانما لتشرعه ، مثل قوانينها المثيرة للاستغراب فى وجه المفكرين والمثقفين : لتحمي نفسها؟ ربما لتواجه به مثقفين؟ ربما لترده إلى نحور دعاة الإرهاب؟ ربما . لتصبح هى التى تمارس الإرهاب الفكري؟ ربما. الله وحده يعلم.

اللهم إنا نعوذ بك من عنف السلطة، وعنف الإرهاب، معاً، وأعنا على أن نشجب هذا وذاك، فليس في وسعنا الشجب، والكلمة، حتى ولو كان الثمن غالياً: حرمانا من الرزق، أو حرماناً من الحياة، في وطن أصبحت الحياة فيه لا تطاق.

قضيـــة الموســم:

هل ارتـد روجيه جارودى عن الإسـلام؟

المفكر والفيلسوف الماركسى الكبير بعد أن أسلم بعشر سنوات يعلن فى

حوار غريب:

■ انتهيت إلى الإسلام دون التخلى عن اعتقاداتى الخاصة وقناعاتى الفكرية

■ الرسول مبلغ وليس مشرعاً وإذا احدث وشرع شيئا فيكون صالحا لعصره فقط

■ الذين يرددون قال أبو حنيفة .. قال الشافعى .. علماء جهلة!

المصدر: الدستور

التاريخ: ٢٧ مارس ١٩٩٦

■ الصلاة عددها فى القرآن ثلاث فقط، وصلاة الخمس حركات رياضية

■ صيام الامتناع عن الأكل والشرب صالح فقط للبلاد العربية

ونحن نعقب ونفند ونرد:

يجب ألا نفرح ونهلل بكل من يعتنق الإسلام فى الغرب كاتبا أو ملاكما أو راقصة.. قبل أن نفكر كيف يرى الإسلام ■ أبو حنيفة والشافعى أئمة عظام.. لكن الفقه لم ينته عندهم ■ على المسلمين أن يقدموا الإسلام الحقيقى.. ويخاطبوا بعقل العقل الغربى ■ الفارق ضخم ومذهل بين تنقية الاحاديث المكذوبة والمزورة وبين أفكار السنة ■ الصلاة علاقة بين العبد وربه.. وفلسفة.. وحركات رياضية وخمس صلوات! ■ الصيام قرار سيادى من الله علينا أن ننفذه.. والخمر محرمة محرمة ■ لابد من فتح باب الاجتهاد على الآخر وادخال الفقه روح العصر

إبراهيم عيسى

هل تتذكر روجيه جارودى، اذا كنت تتذكره فهذا شئ جميل يختصر المساحة، واذا كنت لا تتذكره اذكرك به، إنه مفكر فرنسى ذائع الشهرة عالى المكانة رفيع المستوى، كان على مدى اربعين عاما فيلسوف الحزب الشيوعى الفرنسى وأمينه العام «وهو من الاحزاب الشيوعية الهامة فى أوروبا»، وعن عمر يناهز السبعين وفى منتصف الثمانينيات - من حوالى ١٠ سنوات - أعلن اسلامه.

وعاديك على الذى حصل عندنا.

استقبل المسلمون هذا الرجل استقبال الفاتحين ورفعوه على الاكتاف وأقاموا له الاحتفالات المهيبة واجروا معه الحوارات وعقدوا له الندوات والمؤتمرات وأشهروه سلاحا ضد الغرب ولفوا به وداروا فى كل كون. بل وصل الامر الى ان فرح القائمين على الحياة الدينية فى الوطن العربى به وباسلامه ان منحوه جائزة فيصل لخدمة الاسلام «نفس الجائزة التى حصل عليها العام الماضى شيخ الازهر رحمه الله» ووضعوه عضوا فى المجلس الاعلى للمساجد، هذا فضلا عن استقباله فى الازهر وفى السعودية والمغرب العربى وكل قطر مهللين مكبرين سعداء أيما تكون السعادة باسلامه وقد كان ذلك فصلا من فصول الاحتفاء بكل من يسلم فى الغرب كأنه انتصار للاسلام على الغرب، إن مشكلتنا هى التهليل والتكبير للصغير والكبير اذا اعلن اسلامه كأننا فى حالة حرب مع الغرب كلما اخترقناه واقتحمناه وكسبنا منه فردا كأننا انتصرنا فى هذه الحرب، كأن المؤلفة قلوبهم عادوا مرة أخرى فى ظل الفتح والغزو، بل ان اسلام اى راقصة أو ملاكم فى أمريكا وأوروبا يكون بمثابة الوهج للمسلمين فى العالم العربى، وهو احساس نراه شعورا بالدونية والحاجة الى انتصار اى انتصار ولو صغير ولو شخص نكرة تافه يأتى يثبت لنا أننا على حق وأن الاسلام سيغزو العالم عن قريب بإذن الله، إن المشكلة النفسية الاصيلة داخلنا، فبدلا من أن نطور من أحوالنا ونحسن معيشتنا ونتقدم باجتهادنا وعلمنا ونعطى للاسلام صورته ومكانته، نجرى ونشعر بالزهو والفخر لان أحدا من الغرب «دون ان نبذل اى جهد» قد أسلم فكأنما أسلم العالم كله «...».

وفى فرحنا المزهو بهذا الذى أسلم، لاتفكر قليلا فى حسن اسلامه أو أسبابه أو ماذا أعطى وماذا سوى أو كيف وصل له الاسلام، بل هو فرح وهوس وخلاص..».

لايعرف كثير منا ان معظم الذين يسلمون فى الغرب قد وصل لهم الاسلام قشورا أو فى وسائط تفسد احيانا كما تصلح احيانا، بل إن الاسلام الحقيقى بات من الصعب ان يصل للناس هناك على جسر التعصب والتطرف والحماقة التى نقدمها صورة ونموذجا عن الاسلام والمسلمين، بل ان هناك جماعات اسلامية امريكية وغربية لاعلاقة لها بالاسلام الا بالاسم، بل ان هناك عشرات النصابين رأوا فى اعتناقهم الاسلام مغنما ومالا وأموالا وتأييدا ومنحا وعطايا فاسرعوا الى الاسلام سعيا ليس للإسلام فى شئ..

وها نحن نحصد ما نزرعه..

فبعد عشر سنوات من اسلامه خرج علينا روجيه جارودى المحتفى به والمحتفل باسلامه باغرب ما يمكن ان يكون فكرا، خرج علينا باسلام لانعرفه ولا نفهمه ولا نراه..

فى مجلة «المجلة» السعودية فى عدد ١٦ مارس الحالى اجرى الصحفى مصطفى اليحياوى حوارا مع روجيه جارودى يقطر غرابة «وأحيانا وجاهة» وعقب على هذه الاراء الشيخان جاد الحق رحمه الله قبل أيام من وفاته والشيخ القرضاوى.. وقبل ان نعلق وننقد ونحاسب الرجل وانفسنا على ما فعلنا، تعالوا نقرأ بعضا مما جاء فى هذا الحوار، يقول جارودى:

□ أنا جئت الى الاسلام كما ذكرت نتيجة اقتناع شخصى وتجربة ذاتية وبعد مسيرة طويلة تنقلت فيها بين الفلسفة المحضة والمسيحية والماركسية وانتهيت الى الاسلام من دون التخلى عن اعتقاداتى الخاصة وقناعاتى الفكرية، لان انتقالى الى الاسلام لايعتبر انقطاعا عن ماضى بل هو تواصل لذلك الماضى الطويل الذى عشت فيه تجارب كثيرة. والدين الذى أنا عليه اليوم هو توفيق بين الاسلام وما سبقه من ديانات.

■ أنت على أى دين إذن؟

□ على دين ابراهيم. ولما لم يكن ابراهيم يهوديا ولا مسيحيا ولا بوذيا ولا مسلما بالمعنى التاريخى للكلمة، فأنا كذلك: مسلم بالمعنى العام وليس الخاص لهذه الكلمة. وكونى اصبحت مسلما فهذا لايعنى انى تخليت عن اعتقاداتى الدينية والفلسفية السابقة. والاسلام بهذا المعنى يجمع بين اتباع كل الرسل منذ عهد ابراهيم، اى الذين نادوا بدين التوحيد، لذلك فأنا عندما انشأت متحف قرطبة للحضارة الاسلامية قبل ست سنوات، فى اسبانيا قمت فى هذه المناسبة بعقد «مؤتمر دينى ابراهيمى» اسندت رئاسته بالتساوى الى ثلاث شخصيات اسلامية ومسيحية ويهودية وهى: السنجالى مختار امبو مدير عام اليونسكو السابق، والبرازيلى الاسقف البير كامرا ويهودى مينوهين عازف الكمنجة العالمى المعروف.

■ هل الهدف من هذا المسعى دمج الديانات السابقة فى الاسلام، أم الجمع بينه وبين هذه الديانات فيما يمكن ان يسمى بدين جديد ستقوم بالدعوة اليه؟

□ الاسلام كما هو معروف «دين توفيقى» لانه يجمع بين الديانات السابقة ويمكن ان يكون معها عقيدة توحيد توحد ليس فقط بين المسلمين ولكن بين جميع الناس الذين اعطوا مدلولا خاصا لحياتهم فاصبحت ذات معنى، والذين لديهم شعور قوى بوجوب التضامن مع الاخرين،

والتعاون معهم. والاسلام عندى اعم واشمل مما يقول المسلمون. لكن ما نلاحظه اليوم هو أن الاسلام لايلعب هذا الدور الكبير المطلوب منه، فبدل ان يكون عنصر تقارب وتوحيد بين المسلمين وغير المسلمين، نجده يمثل عامل تفرقة. لماذا؟ لسبب هام جدا فى نظرى وهو قيام المسلمين بالخلط بين مبادئ الشريعة وبين الفقه الاسلامى فى حين لايوجد هناك مبرر ولا داعى لذلك.

■ ماذا تعنى بذلك؟

□ الشريعة هى مجموع الاحكام السماوية «قانون الرب» التى نزلت بها الكتب المقدسة وقام الانبياء بتبليغها الى اقوامهم، وتدعو الى التوحيد المطلق للذات الالهية. ويمكن تلخيص هذه الاحكام فى ثلاثة مبادئ اساسية: ١ - الرب يملك والانسان يتصرف. ٢ - الرب يحكم والانسان يطيع. ٣ - الرب يعلم والانسان يجتهد فى حدود معارفه ومقتضيات عصره. هذه المبادئ الثلاثة موجودة حرفا ومعنى فى التوراة والانجيل والقرآن. لذلك فهى تمثل مصدر التشريع فى كل الاديان وفى كل العصور، وهى ثابتة لاتتغير وما عداها متغير ومتجدد. ويستطيع كل انسان منا الرجوع بنفسه الى مصدر التشريع الاساسى الذى هو الكتاب السماوى، سواء أكان التوراة أو الانجيل أو القرآن ويستنبط منه القوانين والاحكام التى توافق عصره ولا تكون صالحة لعصور أخرى لاحقة.

■ حسب ما تقول هنا، فان دور الانبياء يتمثل فقط فى تبليغ رسالاتهم السماوية؟

□ نعم. الرسول، اى رسول. هو مبلغ وليس مشرعا، واذا حدث ان شرع شيئا فيكون صالحا لعصره، وكذلك الفقهاء لاتكون احكامهم صالحة الا لعصورهم فقط.

■ هذا ما قادك الى القول بوجوب سن احكام فقهية جديدة؟ وهل يعنى ذلك التخلى عن كل ما سبق بما فى ذلك السنة؟

□ نعم وبالتأكيد، السنة كانت صالحة لوقتها ولم تعد صالحة لعصرنا. وكذلك الفقه الاسلامى. فما كان يفعله الرسول محمد ويحكم فيه كان معالجة لقضايا عرضت عليه فى حياته، والشافعى وأبو حنيفة اصدرا احكاما مناسبة جدا لمشاكل عصرهما لكنها لم تعد تمثل حلولا صالحة لمشاكل عصرنا. وانا لا افهم ما يقوله هؤلاء العلماء الجهلة الذين يرددون: قال أبو حنيفة.. قال الشافعى، مثل هؤلاء العلماء ما اكثرهم فى العالم الاسلامى، يمثلون العقبة الرئيسية فى طريق التجديد والاجتهاد وصوغ فقه صالح لزماننا. وفقه القرن الحادى والعشرين الذى يجمع المسلمين وكل الناس المؤمنين فى صف واحد من أجل مواجهة وثنية القرن العشرين المتمثلة فى سيطرة رأس المال والمضاربة البنكية والهيمنة الامريكية على العالم.

■ هل تقدر خطورة ما تقول بشأن المطالبة بالتخلى عن السنة المحمدية والفقه الاسلامى؟ وهل تعتقد انه يوجد مسلم واحد يتجاوب مع ما تدعو اليه؟

- ثق انى واع تماما لما أقول. لكننى كمسلم مجدد اعرف ان ذلك امر غير هين. وقد لخصت مجمل افكارى هذه فى بيان من ست صفحات وارسلته الى اصدقائى فى العالم العربى وبالذات فى مصر والسودان وسوريا والاردن ومنهم من يعتبر من كبار الشخصيات الاسلامية. فمنهم من وافقنى من حيث المبدأ ومنهم من عارضنى لكن الصلات معهم لم تنقطع. الترابى قال لى: لو قلت هذا الكلام فى الشارع لرجمك الناس.

■ وهل جاءتك منهم ردود مكتوبة؟

□ أنا فى نقاش مع العلماء «المسلمين المتفتحين» لأن علماء الجمود والانغلاق من اتباع أبى حنيفة والشافعى وابن تيمية لايهموننى، وليس مع هؤلاء يمكن تجديد الاسلام واعداد فقه القرن الحادى والعشرين.

■ قلت سابقا أنك ترى وجود فارق كبير بين الشرع والفقه وان الاول ثابت والثانى متغير. فهل يعنى ذلك انك تفصل العبادات عن المعاملات؟

□ اصل الدين ثابت - والتطبيقات سواء منها المتعلق بالعبادات أو المعاملات قابلة للتطور والتغيير من اجل التأقلم مع الازمنة وظروف حياة الناس فى كل عصر من العصور.

■ هذا قد يقودك ايضا الى الشك فى شرعية الاركان الاساسية للدين الاسلامى مثل الصلاة والزكاة والصوم الى جانب الفرائض والحدود. فهل تقول أيضا بضرورة تغيير ذلك ضمن التجديد الذى تتحدث عنه؟

□ استطيع هنا أيضا ان اشرح رأيى فى كل ذلك: الصلاة مثلا ركن اساسى فى كل الاديان، وعددها فى القرآن ثلاث صلوات، وعامة المسلمين يصلون خمس صلوات فى أوقات معينة فى كل يوم. أما انا فانى لا اصلى خمس مرات فى اليوم بل عشرين مرة لان الصلاة واجبة فى كل وقت ليلا ونهارا، اربع وعشرين ساعة على اربع وعشرين. والصلاة عندى ليست حركات رياضية لكنها تفكير عميق فى الذات الالهية. وكلما تذكرت الله وامعنت فى التفكير فى ذاته، فانا اصلى. هذه هى الصلاة الحقيقية التى ادعو اليها وليس صلاة الخمس مرات التى هى حركات رياضية أكثر مما هى شئ أخر.

■ وصيام شهر رمضان؟

□ ما يهمنى ليس صيام الامتناع عن الاكل والشراب ولكن معانى الصيام واهدافه. فالنوع الاول من الصيام صالح فقط فى البلدان العربية وسواها الواقعة على مستوى جغرافى معين حيث يتساوى الليل والنهار تقريبا. فى هذه البلدان يمكن الصيام منذ طلوع الفجر الى غروب الشمس. اما فى البلدان التى يطول نهارها ويقصر ليلها، أى القريبة من القطبين الشمالى والجنوبى، فإن القياس الزمنى للصيام لايمكن تطبيقه والعمل به. مثل هذه الامور لم يهتم بها الفقه الاسلامى التقليدى فى حين يجب اخذها فى الاعتبار اليوم.

■ وكيف تتم معاقبة السارق ويجرى العمل بتوزيع الميراث بين اصحاب الحق، علما ان ذلك تم تقريره بالنص القرآني فضلا عن السنة والفقه؟

□ أؤكد ان كل شئ قابل للتجديد والتطوير فى نظرى، فقطع يد السارق مثلا لم يعد ممكنا اليوم لان السرقات لم تعد تقترف بالجوارح بل بالعقول والحاسبات الالكترونية، وتتمثل فى التحايل على نقل مبالغ مالية ضخمة من بنك الى آخر. اذا يجب التخلى عن قطع يد السارق. أما الميراث فأمره بسيط عندى: ذلك انه لو كنت انا قاضيا وجاءنى اخ واخته يتنازعان فى قضية ميراث لاعطيت البنت ضعف ما اعطى الولد خصوصا اذا كانت ام اطفال مسئولة عن اعالتهم. ففى مثل هذه الحالة انا لا اقضى برأى ابى حنيفة بل اقضى برأيى. وأدعو كل مسلم الى القضاء برأيه حسب ظروف البلد الذى يعيش فيه.

■ اذا قضى كل انسان برأيه كما تقول: وحسب ظروف بلده، فهذا يقود حتما الى الفوضى ويملأ العالم بالفقهاء، ويضيع الدين. وهذا عبث أليس كذلك؟

□ لكن ذلك يمثل خطرا اقل من خطر التمسك بأحكام فقهية قديمة مرت عليها مئات السنين ولم تعد صالحة لزمننا الحاضر، بل انها تعتبر عقبة فى طريق التجديد واستحداث فقه معاصر.

■ وكيف سيكون مصير الحلال والحرام فى هذا الفقه الجديد؟

□ لا اظن ان هناك حراما مطلقا والامور كلها نسبية. فما هو حرام فى بلد معين، يمكن ان يكون حلالا فى بلد آخر. خذ الخمر مثلا: لم يتم تحريمها مطلقا فى الاسلام لأن القرآن حرم مضار الخمر فقط. ومثلما نقول اليوم عن التدخين من انه مضر بالصحة دون تحريمه فهذا الامر يمكن ان ينطبق على الخمر، وهكذا دواليك.. فنقول: الاسراف فى الخمر مضر بالصحة.

■ من اجل استحداث الفقه الجديد الذى تتحدث عنه هل تفضل التعاون مع علماء الاسلام أم مع المفكرين المسلمين؟

□ لاتحدثنى عن علماء الاسلام. فقد عملت معهم عندما كنت عضوا فى «المجلس العالمى للمساجد» واكتشفت انهم اناس جهلة بل انهم من اجهل الناس اطلاقا. فهم لايتكلمون اللغات الاجنبية ولا يعرفون شيئا عن عطاء الديانات والحضارات الاخرى ويرددون بطرق آلية الاحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التى حفظوها عن ظهر قلب. ولا اعتقد ان لدى استعدادا للتعاون مع هؤلاء بشأن اى موضوع كان، بسبب الانطباعات السيئة التى تركوها فى ذاكرتى. واذكر من ذلك مثلا صداما كلاميا جرى بينى وبين الشيخ القرضاوى، فقد كنت احاضر ذات مرة فى مدينة بسكرة فى الجزائر لمناسبة «أسبوع الفكر الاسلامى». وكان موضوع مداخلتى «حب الرب» فقام القرضاوى وقال لى: إنك تتحدث لغة لايفهمها المسلمون. فقلت له: ما هى العلاقة التى تربط الرب بمخلوقاته اذا لم تكن رابطة الحب؟ فرد على قائلا: هى علاقة خالق بمخلوقه وعبد بمعبوده. فقلت له: إنك ياشيخ تدافع عن علاقة استعباد وليس عبادة. فغضب من كلامى وانصرف فارتحت كثيرا بسبب مغادرته قاعة المحاضرات «نفى الشيخ القرضاوى هذه الواقعة ثم اتضح ان بطلها هو الشيخ جاد الحق رحمه الله حيث أكد هذا الموقف فى تعقيبه على الحوار بمجلة المجلة بنفس العدد» وهناك مثل آخر وهو ما جرى مع الشيخ جاد الحق عميد الازهر، والذى زار أوروبا ذات مرة وتحدث فى التليفزيون الفرنسى عن ضرورة اقامة الحدود الاسلامية بما فيها حد السرقة كوسيلة لمقاومة انتشار الجريمة. وبعد وقت قصير ذهبت لزيارة مصر، واستقبلنى وزير الاوقاف وعرض على مساعدة وزارته قائلا: ماذا نستطيع ان نفعل لمساعدتكم انتم الذين تدافعون عن الاسلام فى بلاد الغرب؟ فقلت له: إن أكبر خدمة يمكنكم ان تقدموها لنا هى منع جاد الحق وغيره من علماء التقليد من زيارة الغرب والحديث فى تليفزيوناته.

إن ما اعدنا نشره من هذا الحوار يفتح بابا وراء باب فى التعقيب والتفنيد، ويفتح كذلك نوافذ من الوجع والالم على ما آل اليه حال علمائنا ومفكرينا الذين جعلوا صورة الاسلام عند هذا المفكر الاسلامى «.....» على هذا النحو من التشوه والتشتت!

أولا: إن معظم ما ردده جارودى هو نثر من كلام ينتشر ويتناثر منذ سنوات طويلة تكاد تكون منذ سنوات الاسلام الاولى حين دخله أبناء حضارات أخرى اختلط عليهم الامر وتشابهت عليهم الاشياء وشارك علماء ورجال دين ضيقوا الافق والصدر فى ازكاء هذه الخزعبلات والخرافات، فضلا عن فترات الانحطاط الفكرى جعلت بعض هذه الاراء ينمو ويذيع لان الرد عليه لم يكن مقنعا ولا جريئا ولا شجاعا، واحيانا مترفعا متعاليا ولم يؤد دوره ولم يحسن رسالته.

ثانيا: إن معظم هذه الافكار هى خليط ما يصل للمسلم الغربى والامريكى ومن هنا فإن دور المسلمين اذا ارادوا فعلا رفعة للاسلام ان يسعوا الى تقديم الاسلام على صورته الحقيقية وليس على صور مختلطة مخلوطة.

ثالثا: قد تكون الدعوة الى علاقة حضارية منتظمة وصافية بين الاديان الثلاثة، دعوة ذات نية حسنة، بل ان أتيان الموحدين فى الارض تستدعى فعلا التعارف. إن أكرمنا عن الله اتقانا وان التوحيد والعبادة لله حرة من كل منافسة أو تحاقد أو تباغض لكن منا نفهمه من سعى جارودى الى هذه الدعوة ليس على هذا الغرض، بل تكاد تكون دعوة الى علاقة غريبة فيها من الخلط الكثير.. شكرا له على كرم الدعوة وعلى اعلاء التوحيد ـ لكن أكثر من التحاب فى الله فلا يزيد.. ولا تعرف ما وراءه.

رابعا: أفهم أيضا الدعوة الى تنقية الاحاديث النبوية والسنة الشريفة من آلاف الاحاديث التى دخلت عليها اقحاما وغرضا ومرضا وزيفا وتزويرا وكذبا، وأفهم ايضا الدعوة الى الاجتهاد العصرى وفق معطيات ومستحدثات ومشاكل جديدة ومتجددة تستدعى الاجتهاد والادراك لابعاد قضايانا والتحدى الحقيقى للاجتهاد هو تقديم رؤى وفقها معاصرا صالحا لعلاج ما طرأ وما اضيف على ساحتنا وزماننا، وأفهم كذلك ان

الفقهاء والائمة الاربعة رجال ونحن رجال، وان اراءهم جاء فيها ما يمكن الاخذ به ومالا يمكن الاخذ به عصريا، وأن ظهور ائمة الفقه الاربعة «أو حتى التسعة» لايعنى أن باب الاجتهاد قد أغلق وأقفل وانتهى، بل ان داء ووباء مجتمعنا الاسلامى هو تصور ان الاجتهاد انتهى، أو ان القياس لم يعد أساسا، وأن ما جاء به الاولون الراحلون هو نهاية المطاف وآخر ما يمكن تقديمه من فقه الاسلام، وأن حصارنا ومحاصرتنا بآراء صلبة جامدة جاءت فى سياق عصرها ولم تعد قادرة على الاستمرار والصلاح والفلاح فى عصر آخر أمر معطل لكل رقى وتقدم فى ظل جمود وتبلد لكن اظن ان مراجعة المكذوب والمزور والمنسوب زيفا للنبى صلى الله عليه وسلم شئ وافكار السنة جملة وتفصيلا أو انهاء التعامل معها قطعيا كمصدر تشريعى أمر آخر لا علاقة له البتة بما سبق من روح النظر العقلى النقدى، بل هو انكار لاينظر لقدرة العقل والكشف والعلم على تنقية الكتب المعبأة بروايات كاذبة عن النبى «صلى الله عليه وسلم»، لا ينظر لقدرة العقل على ذلك، بل يوقفه ويشله ويقعده ويرتاح الى حل أسهل وأيسر من إعمال العلم وهو الانكار جملة وتفصيلا، وهو منزلق خطر..

خامسا: القرن الحادى والعشرون فى حاجة الى فقه اسلامى مجدد، حسنا، لكن ليس منقطع الصلة منبت الصلات بعطاء فقهى سابق نعم نحن ضد الجمود والخمود عند زمن معين كأن الفقه انتهى عنده، لكن ايضا نحن ضد تجاوز عطاء السابقين هكذا دون دراسة وروية ونقد وتمحيص واعادة نظر واستفادة بمجمل انجازهم الفكرى والفقهى والتشريعى، لكن يظل المطلوب هنا هو السعى الحثيث للاجتهاد فى كل شئون العبادة، جديدها وقديمها.

سادسا: أما ما قاله جارودى عن العبادات فهو فهم فى حاجة فعلا الى ابداع جديد منا فى تقديم رؤى للمسلم القادم من الغرب فيما قد يفهمه طقوسا فلكلورية وليس شعائر دينية، فالكلام عن الصلاة فى حدود انها حركات رياضية كلام غريب لامحل له من الاعراب، من الذى قدم الصلاة لهذا الرجل ولغيره على انها مجرد حركات منزوعة الصلة بالتفكير العميق فى الله، دعك من حكاية أنها ثلاث وليست خمس لكن خطورة ما يقوله إنه تعال وترفع من مفكر على أصل من أصول الدين وركن اساسى فيه، الصلاة فضلا عن انها - كالصيام - قرار سيادى من الله علينا ان ننفذه ونطيعه حتى بدون أن نجد الاجابة الشافية، إلا أن هذا لايمنع من لايجد الاجابة الشافية أن يبحث عنها، الصلاة - يا الله من صورها للناس على انها هذا الشكل فقط - احساس واتصال وتفكير عميق بالله، وعندى ان العمل والعلم والدعوة والكتابة والتأمل فى ملكوت الله واختراع الادوية واكتشاف العالم وقيادة الطائرة وقيادة الاتوبيس وصعود القمر وحقن ابرة لمريض، والسهر على حراسة حدود وحرمات كل هذا صلاة وعبادة فعلا وحقا، ولكن لا تنفى ولا تنكر الصلاة الشعائرية.

سابعا: نحن فعلا - علماؤنا وشيوخنا - مطالبون بالاجابة عن اسئلة عصرية صعبة، حول السرقة للأموال بالحاسبات الالكترونية ونقل الحسابات من بنك لاخر وكل انواع السرقة هذه، هل هناك لديهم اجابات عن سؤال قطع يد السارق لهؤلاء وهل يمكن فعلا فى ظل التطور العلمى الخارق ان تستنبط احكام واجتهادات جديدة، لايصلح معها هذا الفقه المتجمد ولا الحلول التقليدية ولا حتى القياسات على مجتمع وعصر لم يتمتع بواحد فى المليون من هذا التقدم العلمى التكنولوجى، إن سيدنا عمر بن الخطاب لم يتورع فى فترة ما عن اسقاط حد أو حكم وكان نصيره وحافزه هنا هو علمه وفقهه واجتهاده واحسب ان ما فعله هو مثل يحتذى فى المقاربة والمقارنة وإعمال العقل وروح العصر وسياق الحكم، وهو ما يجعلنا بمناسبة ما ردده روجيه جارودى ان نجدد بحثنا ويحفزنا الى اعادة الرؤية واحكام التصور فهذا تحد جديد يظهر مع كل جديد فى عصورنا، ولا يصلح معه هذا الركون الى السكون بل يصح ويصلح ان ننفض عنا غبار اجتهادنا ويظهر لدينا مجددون ومفكرون جادون وشجعان... «متى يظهرون؟!».

ثامنا: فعلا ياليت شيوخنا الذين يسافرون للغرب، وياليت رجال الدين الذين لايحسنون ولا يجيدون التواصل مع الحضارة ومشاكلها والذين لايستطيعون الدفاع عن ديننا بالعقل وبالمنطق وبالثقافة، ليتهم يبتعدون قليلا ليتركوا جددا مجددين ليظهروا ويقدموا للاسلام ما لا يستطيع هؤلاء ان يقدموه.

واخيرا ان ما اثاره روجيه جارودى قد يراه البعض ردة وارتدادا وقد يراه الآخرون جنون فلسفة، شطحات مفكر وقد يراه البعض الثالث تخريفا وتحريفا وقد يراه البعض الرابع كلاما تافها شأنها لايودى ولا يجيب، لكننى أراه خليطا من كل هذا لكن بعد وقبل كل هذا تحديا لعقولنا وأفكارنا واجتهادنا تحديا يلزمنا على المواجهه الجديدة لهذه الافكار والاسئلة والاراء والمذاهب، مواجهة حضارية عقلية نقدية مستوعبة وفاهمة، عارفة وعالمة بظروف عصرها وجدة دينها وأهمية اجتهادها.

المصدر: الدستور

التاريخ: ٢٧ مارس ١٩٩٦

تحد يلزمنا بالعقل وبالعلم ونلتزم بهذا الالزام هذا اذا كنا نريد ان ننهض من غفوتنا ونقوم من كبوتنا ونفلت من عثرتنا.

وتقبل الله منا ومنكم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم! ■

التصدى للتيارات الادبية المنحرفة .. فريضة دينية

الشاعر الاسلامي د. ابراهيم صبرى

في حواره الشامل مع « اللواء الاسلامي » اكد الدكتور ابراهيم صبرى الشاعر الاسلامي الكبير . ان التصدى للتيارات الادبية المنحرفة يعتبر واجبا اسلاميا يقع على عاتق الشاعر المسلم الملتزم بدينه في المقام الاول . وكذلك الامر بالنسبة للدفاع عن الشعر العربى والذى يعد من أهم مقومات اللغة العربية التى يريد أعداؤنا القضاء عليها من اجل هدم الاسلام لان اللغة العربية هى همزة الوصل بيننا وبين الاسلام . وبالتالى فإن جميع هذه التيارات والاتجاهات العلمانية والتغريبية في مجال الادب هدفها هدم قواعد الدين مهما تعددت مسمياتها

واضاف د . صبرى . شعر التفعيلة وقصيدة النثر كلها قوالب تخريبية هدفها الانفلات من قواعد الشعر العربى الاصيل لكى يكون مجرد أثر ادبى مثل المقامة - فيسهل بعد ذلك الانسلاخ من اللغة العربية بهجر الشعر الاصيل فهذا الشعر يحمل تقاليدنا وتراثنا وقيمنا وعاداتنا .

للبحوث و التدريب و المعلومات

المصدر: اللـواء الاسلامي

التاريخ: ٢٨ مارس ١٩٩٦

حوار اجراه:
احمد عبدالرحمن

* في البداية نود التعرف على نشاة د. ابراهيم صبري الانسان ومدى تاثير البيئة الدينية على شعره وابداعه؟

ـ لقد تربيت ونشات في بيئة دينية قوامها رجلان من خريجي الازهر الشريف وهما والدي وجدي. وكان كل منهما يشغل منصب عمدة القرية. فكان الجو العام مشبع بالتمسك بالدين والخلق القويم وقد التحقت بالتعليم العام ثم دخلت كلية الحقوق عن اقتناع فقد كنت ارى ان دراسة الحقوق لا تتعارض مع الميول الادبية بل تغذي الجانب الثقافي عندي فهناك كبار الشعراء مثل احمد شوقي وعزيز اباظة وغيرهم تخرجوا من كلية الحقوق. وقد كانت دراستي في مرحلة الدراسات العليا منصبة حول المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية، وعملت بالمحاماه الى جانب ذلك عملت بوزارة الخارجية حتى وصلت لمنصب وكيل وزارة.

الشعر الاصيل رسالتي

يضيف د. ابراهيم صبري. اما الشعر فكان اهتمامي به منذ الحادية عشر من عمري حتى الان، وطوال السنوات الماضية لم تنقطع صلتي بالشعر رغم كل مشاغلي واعمالي ـ حتى بلغت سن المعاش العام الماضي. وقد كان للنشاة الدينية اثر كبير على في بداية اهتمامي بالشعر، حيث كانت اول قصيدة اكتبها هي معارضة ورد على قصيدة ابي العلاء المعري الشهيرة بـ «الدالية» والتي يرى فيها ان الحياة عبث لا فائدة منها ولا معنى للوجود فيها حيث يقول مطلعها:

تعب كلها الحياة
فما اعجب الا من راغب في ازدياد

وقد لاحظت ان مضمون هذه القصيدة يتعارض مع قوله تعالى «افحسبتم انما خلقناكم عبثا، وانكم الينا لا ترجعون» لدرجة ان هذه القصيدة تسببت في رسوبي عام كامل من الدراسة نتيجة التفكير العميق، فما كان من والدي الرجل الازهري الا ان وجهني الى الفهم الصحيح للحياة وفق المنهج الاسلامي وبين لي ان هذا الشاعر كانت له ظروفه ومعاناته الخاصة فانشرح صدري مرة اخرى وبدات اكتب في القصيدة التي رددت بها على ابي العلاء رد قوي مبني على قيم الاسلام واذكر فيها بيت يرد على مطلع ابي العلاء اقول فيه:

تعب كلها الحياة لكن
كل جهد يهون عند الحصاد
تعب يثمر الحياة
فما اعجب الا راغب في الرقاد

المسيرة الادبية

وماذا عن مسيرة شاعرنا الكبير في عالم الابداع الادبي التي اصبحت موضوعا لكثير من الدراسات الاكاديمية ـ آخر رسالة ماجيستير بجامعة الازهر عن الشاعر ابراهيم صبري؟

ـ لقد دفعني هذا الاتجاه ـ العبثي ـ الى الاهتمام بعيون الشعر العربي الاصيل وتاريخه والبحث عن القصائد ذات المعاني غير السوية عن الحياة ومن حيث تناول الموضوعات الخاصة بالنظرة إلى الوجود في الدنيا. فكان تركيزي منصب على توصيل معنى ان الله خلقنا لهدف اسمى وغاية كبرى وهي العبادة بمفهومها الشامل.. وان الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثا وان لنا وظيفة في الحياة وسرت على هذا المنهج في جميع قصائدي فكانت لي وقفات ومعارضات شعرية مع كبار الشعراء القدامى مثل المتنبي الذي كان يرى في إحدى قصائده ان الموت هو اغلى امانيه، فعارضته بقصيدة ترد على هذه الفكرة بالدعوة الى التفاؤل والاقبال على الحياة.

الاتجاه الديني

ويضيف د. ابراهيم صبري.. لقد قادني الاتجاه الديني في شعري الى قراءة قصائد الامام البوصيري صاحب «بردة المديح» وهو قمة من قمم الشعر في القديم، وهو احد الصوفيين المشهورين.. وقد وقفت عند البيت الذي يقول فيه ـ مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم ـ

كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ما طاولتها سماء

فحبه الشديد للرسول الكريم جعله يندفع الى هذا التعبير الذي فيه مغالاة شديدة، فهو يتنكر ان يصل احد من الانبياء لمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم.. ومع ان نبينا العظيم هو خاتم الانبياء والمرسلين وإمامهم.. إلا ان الشاعر ـ البوصيري ـ اصطدم بحقيقة ان الرسول بشر وان جميع الانبياء اخوة. فهذه المقارنة غير المنطقية التي تقلل من شان الانبياء يجب الا تقال في حقهم نهائيا.

ومهما كانت مكانة الانبياء فهم جميعا يحملون رسالة واحدة ولهم نفس القدر من التعظيم والتشريف ولكنهم ليسوا في تنافس مع رسولنا ورسالة الاسلام التي جاء بها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهي الرسالة الجامعة لكل الرسالات السابقة.

الهدف.. هدم الاسلام

□ هناك تيارات ادبية انتشرت مؤخرا على الساحة خاصة تيار الحداثة.. فما رايكم في هذه الظاهرة؟

ـ لقد تبين لي منذ بداية اتصالي بالمجال الادبي ان التيارات والاتجاهات الادبية الحديثة مثل الحداثة وقصيدة النثر وغيرها ما هي إلا محاولات لهدم ديوان العرب ـ الشعر ـ، لانهم يريدون بذلك هدم الاسلام عن طريق القضاء على اللغة العربية والتي يعتبر الشعر من اهم مقوماتها فالشعر العربي الاصيل ـ الى جانب القران والسنة ـ من اهم دعائم الاسلام.. لان هذا الشعر يحمل قيمنا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا وتراثنا.. والذي يريد ضرب الامة العربية والاسلامية يتخذ هدم اللغة العربية

والشعر الاصيل طريقا لهدم الدين .. واذا اصبح لساننا اعجمى لا نعرف لغتنا الصحيحة سهل على اعدائنا ان يفصلوا بيننا وبين الاسلام وكتابه الكريم ، فاللغة العربية هى همزة الوصل بيننا .

التخلى عن الوزن والقافية

□ بهذه المناسبة .. هل يمكن ان نعرف راى د . ابراهيم صبرى - كشاعر - فى الشعر الحر - التفعيلة ؟ خاصة ان كثير من الشعراء الاسلاميين يعترضون عليه ؟

- الشعر الحر المقصود به الانفلات من القالب العمودى الملتزم بالوزن والقافية ، وذلك بحجة ان القالب العمودى يعد قيدا على الشاعر فلا يستطيع ان يعبر عما يجيش فى صدره من معان تعبيرا كاملا ..

مواجهة التخريب

□ اذا كيف نواجه هذا التخريب المتعمد للغتنا وثقافتنا الادبية ؟

- أول خطوة فى طريق المواجهة هى تمسك واصرار اصحاب الشعر الاصيل - خاصة الشعر الاسلامى بالقيم والمبادىء الادبية الاصيلة وبالشعر العمودى والوزن والقافية ، فاصحاب وانصار الشعر الاسلامى عليهم يقع عبء المواجهة والتصدى للتخريب لديوان العرب وتراث الامة .

واذا كان العلمانيون ودعاة التغريب ينتصرون لمذهبهم فى الادب والثقافة بفرض قصيدة النثر وغيرها من الالوان الادبية التخريبية ونشرها والعمل على ان تسود فى الاوساط الثقافية .. فإن الشاعر المسلم مطالب بالدفاع عن اللغة العربية وقواعدها واصولها ، وعن الشعر الاصيل - احد مقومات هذه : اللغة - وهنا اقول ان الدفاع عن الشعر العربى الاصيل والتصدى للحداثة والتغريب فريضة اسلامية ، ومن اجل هذا الامر انشىء نادى القصيد الذى اتشرف برئاسته .

نادى القصيد

□ وما هى اهم اهداف نادى القصيد .. وكيف يقوم بدوره فى حماية الادب الاصيل ونشر الكلمة الطيبة ؟

- لقد انشىء نادى القصيد عام ١٩٧٨ وبذلك يكون اقدم هيئة ادبية بعد رابطة الادب الحديث وكان تجمعا للشعراء المتمسكين بالقيم الاصيلة للشعر العربى ، واصحاب المبادىء الاسلامية ، وهذا التجمع يضم كبار الشعراء المعاصرين واساتذة الادب العربى فى الجامعات المصرية .. وهدف هذه المجموعة احياء قواعد الشعر العربى الاصيل ونشره على اوسع نطاق من خلال الندوات والمحاضرات والامسيات الشعرية واجراء المسابقات الادبية بين الشعراء الشبان - كل عام - كما تقوم بتقديم الجوائز التشجيعية للفائزين ،

د. ابراهيم صبري في سطور

- من مواليد ١٩٣٥
- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ثم حصل على الماجستير والدكتوراه وعمل بالمحاماة. ثم عمل بوزارة الخارجية وتدرج في المناصب حتى بلغ سن المعاش وهو على درجة وكيل وزارة.
- له عدة دواوين كان اخرها ديوان «دعوة العمر» عام ١٩٩٤، وله عشرات، القصائد المنشورة بالصحف المصرية وعدة ابحاث ادبية وقانونية.
- فاز بجائزة دولية من احدى الهيئات الادبية بنيويورك لبراعته الادبية
- رئيس نادى القصيد حاليا، امين عام اتحاد الحقوقيين
- من اشهر شعراء المعارضات في الوقت الحالي، كما ان قصائده تناولت جميع اغراض الشعر.

المصدر: الشعب

التاريخ: ٢٩ مارس ١٩٩٦

الشيخ محمد الغزالى..

المشروع الفكرى والموقع الفكرى



بقلم: د.

محمد عمارة

قد تخرج شيخنا المغفور له الشيخ الغزالى (١٣٣٥ -١٤١٦هـ ، ١٩١٧ - ١٩٩٦م) فى كلية أصول الدين، جامعة الأزهر الشريف، فى سنة ١٩٤١م.. فهو منى بمنزلة الأستاذ من التلميذ... فلقد دخلت الأزهر، ملتحقا بالسنة الأولى بمعهد دسوق الابتدائى فى سنة ١٩٤٥ وكان الشيخ الغزالى -يومئذ- شيخا وأستاذا وداعية وكاتبا مرموقاً فى صحافة جماعة الإخوان المسلمين.

ومنذ سنة ١٩٤٧ -أى منذ نصف قرن- بدأ الشيخ الغزالى إصدار سلسلة الكتب -التى قاربت الستين كتابا- والتى كونت معالم «المشروع الفكرى» الذى تقدم به إلى الناس.. وكان كتابه (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) هو الأول فى هذا المشروع الفكرى، الذى اتخذ فيه كتابه (نحو تفسير موضوعى للقرآن الكريم) الختام والتتويج لهذا المشروع.

المصدر: الشعب

للبحوث و التدريب و المعلومات

التاريخ: ٢٩ مارس ١٩٩٢

ولقد أدركت -وأنا الذى سبق ودرست الآثار الفكرية لاكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي- وكتبت عنهم الكتب والدراسات -أدركت أننى حيال الشيخ الغزالى، لست بإزاء مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أومؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام؛ لتتجدد به حياة المسلمين.. أدركت أننى بإزاء جميع ذلك، وأكثر منه... وأهم... فالرجل صاحب رسالة، جعل من حياته -ومن ثمراتها: وفكره وقلمه- مشروعا فكريا متكاملا، هو عطاء مواهبه الفذة، الذى قدمه فى ميدان تجديد الإسلام وإنهاض المسلمين...

* فهو، فى مواجهة الاستبداد المالى والمظالم الاجتماعية، التى شلت قدرات الامة وعطلت ملكاتها المادية والمعنوية، خصوصاً أولى معاركه، وأرسى فى صرح مشروعه الفكرى عددا من اللبنات، التى تمثلت فى كتبه:(الإسلام والأوضاع الاقتصادية) و (الإسلام والمناهج الاشتراكية) و (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين) و (الإسلام فى وجه الزحف الأحمر)...

* وهو فى مواجهة الاستبداد السياسى، الذى حرم الامة من ثمرات الشورى الإسلامية، فأعجزها عن مواجهة تبعات رسالتها، ومجابهة تحديات أعدائها، نراه يقدم فى معالم مشروعه الفكرى كتبه: (الإسلام والإستبداد السياسى) و (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الامم المتحدة) وغيرهما من الكتب، والدراسات التى ضمتها كتب أخرى.

* وهو فى مواجهة تحديات الحضارة الغربية، التى حاولت وتحاول طمس التميز الحضارى للإسلام، ونسخ هوية أمته، ومسخ الروح الإسلامية المتميزة فى علوم حضارتنا ونظمها، قدم العديد من الأعمال الفكرية، التى مثلت كتائب فى معاركنا الفكرية ضد التغريب والاستلاب الحضارى...

فكتابه (من هنا نعلم) مواجهة مع محاولات «علمنة الإسلام» ليكون مسيحية تدع ماللقيصر لقيصر ومالله لله!... وكتابه (حقيقة القومية العربية) مواجهة للمفاهيم الغربية فى القومية، تلك التى استعارها فريق منا، فكانت عدوانا على عالمية الإسلام، وانتقاصا من وحدة الأمة... أما كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين) فإنه نزال مع المستشرق المجرى جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١) الذى أراد فى كتابه (العقيدة والشريعة) تقديم الإسلام كاستعارات ملفقة من عقائد الآخرين وشرائعهم!...

وكذلك تأتى فى هذا المقام إسهامات كتب الشيخ الغزالى (الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا) و (مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه)، وغيرها من الكتب والدراسات..

* وفى مواجهةالغلو العلمانى -وهو الامتداد السرطانى للمشروع الغربى فى عقل أمتنا وواقعها- قدم الشيخ الغزالى مئات المقالات والمحاضرات والندوات والشهادات والمواقف التى ملأت سنوات حياته الأخيرة، وشغلت الدنيا عندما تناقلتها مختلف وسائل الإعلام.

* وهو فى مواجهة «الذات الإسلامية» التى تشوهت بالتخلف الموروث والاستلاب التغريبى ما قدم العديد من الكتب والدراسات التى سعت؛ لتجديد «الذات الإسلامية» بالغذاء الإسلامى الصالح والصحيح... تجديد العقل وتصفية رؤيته، وتجديد القلب وترقيق مشاعره، وإقامة علاقة التكامل -التى امتاز بها الإسلام- بينهما.. ولقد كان هذا الميدان هو أغنى ميادين المشروع الفكرى للشيخ الغزالى بالكتب والدراسات.. فهو ميدان القوة الإسلامية الضاربة، التى يتوقف على صلاحها إحراز النصر الإسلامى على كل الجبهات، وفى مواجهة كل التحديات...

فمن: (خلق المسلم) إلى (عقيدة المسلم) و (التعصب والتسامح) و (جدد حياتك) و (فى موكب الدعوة) و (فقه السيرة) و (ليس من الإسلام) و (هذا ديننا) و (من معالم الحق) و (كيف نفهم الإسلام) و (نظرات فى القرآن) و(نحو تفسير موضوعى للقرآن الكريم) و (مع الله –دراسات فى الدعوة والدعاة) و (معركة المصحف) و (كفاح دين) و (الإسلام والطاقات المعطلة) و (الجانب العاطفى من الإسلام) و (سر تأخر العرب والمسلمين) و (تراثنا الفكرى فى ميزان العقل والشرع) و (قضايا المرأة)... وغيرها... وغيرها... كثير من الكتب والدراسات التى استهدفت تزكية الذات والنفس الإسلامية بالإسلام..

* وفى مواجهة الجمود، والحرفية النصوصية، و «الظاهرية البدوية»!..

التى تغض من شان ملكة العقل، فتفل عزم المسلمين فى مواجهة التحديات المعاصرة، وتكرس التخلف الموروث... فى مواجهة هذا الجناح من أجنحة التحدى الحضارى الذى يواجه الامة الإسلامية، قدم المشروع الفكرى للشيخ الغزالى العديد من الإسهامات فصولا فى كتب –كما فى (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين)– وكتبا أفردها لهذه المهمة، يأتى فى مقدمتها كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) والذى أثار ولايزال يثير معركة فكرية خصبة فى صفوف الإسلاميين، على امتداد وطن الإسلام!..

فهو إذن «مشروع فكرى» يستجيب به صاحبه –استجابة إيجابية وفاعلة –للتحديات التى تواجه محاولات الأمة للنهوض والتقدم والانعتاق.. وليس مجرد إسهام فكرى، تتناثر كتبه دون رؤية شاملة، وموقف واع، وتخطيط وتدبير وإحكام.. وفى هذا «المشروع الفكرى» –الذى بلغت كتبه حتى الآن قرابة الستين كتابا– تتكامل المعالم والسمات التى ضربنا لبعضها النماذج والأمثال!...

لقد واجه الرجل بمشروعه الفكرى هذا، وأيضا بممارساته الحياتية، التى أرادها زرعا ورعاية لهذه البذور فى عقول الأمة وقلوبها... التحديات العاتية التى تواجه الإسلام والمسلمين فى عصرنا الراهن.. ووفق عبارته: «فإن تحديات الدعوة الإسلامية تجىء –قبل أى زحف خارجي– من داخل أرض الإسلام... على أن التحدى الأعظم للإسلام كله هو فى يقظة كل القوى المعادية له، وتبييتها النية على اغتياله!.. لقد صحت اليهودية والنصرانية والشيوعية والوثنية، وتملكتها رغبة مجنونة للقضاء على هذا الدين وانتهاز ما يسود بلاده من غفلة وفرقة لتوجيه الضربة الأخيرة!..»

وفى مواجهة هذه التحديات العاتية لم يكن «الداعية» الشيخ محمد الغزالى مجرد «واعظ»، كما يحسب الناس أن الوعظ هو مهمة «الدعاة»!.. ففى رأيه «أن الوعظ هو أخف الواجبات التى يتطلبها الإسلام فى عصرنا!.. فالجهد الأول –المطلوب هو: تحريك قافلة الإسلام، التى توقفت فى وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر!!.. وسوف تتلاشى هذه التحديات كلها يوم يعتنق المسلمون الإسلام، ويدخلون فيه أفواجا، حكاما وشعوبا!!..».

وفى هذا السبيل كان العطاء الذى قدمه الشيخ الغزالى فى «مشروعه الفكرى» الكبير.

جاد الحق فى حوار صادرته الرقابة ولم ينشر فى مصر:

الأمة الإسلامية اليوم تعانى التمزق وتنشد الوحدة

موجة العنف الراهنة فى عالمنا الإسلامى سببها حالة التغريب والتشويه للإسلام

للأزهر الشريف فى مصر مكانة إسلامية مرموقة وذلك عبر التاريخ الإسلامى القديم والحديث، وظل الأزهر يلعب دورا تجديديا وثقافيا وتوحيديا بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم. وكان لدوره الوطنى داخل مصر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى والإنجليزى وجور الحكام أثره الكبير فى دفع النضال السياسى داخل الدول الإسلامية خطوات للأمام، وكان قادة هذا النضال فى الغالب من أهل الأزهر وخريجيه.

والأزهر ظل تاريخيا منارة للعلم والتعلم فى شتى فروع الفقه والدراسات الإسلامية، منذ إنشائه على أيدى الفاطميين، وكان لدوره الثقافى فى التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة أثره الكبير، ولعل الفتوى الشهيرة للشيخ محمود شلتوت (شيخ الأزهر الأسبق) بشأن جواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، تعد نموذجا طيبا لهذا الدور المؤثر للأزهر فى وجدان الأمة الإسلامية مهما اختلفت مذاهبها. ولأن للأزهر هذه المكانة المتميزة فقد قمنا بزيارة الأزهر الشريف.. وكان هذا اللقاء المهم مع فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر.. شيخ الجامع الأزهر، وهو أستاذ فاضل يقترب من القضايا الإسلامية الشائكة بحنكة ودراية متميزة ويتمتع برؤية ثاقبة لواقع المسلمين ومستقبلهم، ويؤمن بالحوار دون مصادرة لحق الاختلاف إذ إنه صاحب أفق واسع وذكاء إنسانى متقد.

حملنا معنا تساؤلات عدة وكنا نخشى أن نثقل على فضيلته بها إلا أنه فاجأنا بأريحيته وسعة صدره، وابتسامته الصافية المشجعة. وكان لنا هذا الحوار الذى أجرى عام ١٩٩٤.. ونشر فى مجلة (النور الإسلامية) بلندن فى العدد رقم ٣٧ بتاريخ يونيو ١٩٩٤، ولم ينشر فى مصر حتى اليوم؛ لأن الرقابة على المطبوعات (المحترمة) صادرت هذا العدد وهذه أول مرة ينشر داخل مصر.

أجرى الحوار:

د. رفعت سيد أحمد

الإسلام لا يقر اللجوء إلى العنف في الصراع السياسي بل يدعو إلى الحوار

***** كيف ينظر فضيلة شيخ الجامع الأزهر لحال الأمة الإسلامية بعد التطورات الكثيرة التي تمر بها؟ وما سبل مواجهة التحديات التي تفرضها هذه الحال؟**

** الأمة الإسلامية اليوم في حال صعبة وتنتابها الفرقة والشتات ويتناهشها الأعداء من كل صوب، وهذه الحال بحاجة إلى تقص وفهم لأسبابها، ومن ثم بناء صحيح لسبل العلاج، فالأسباب تكمن في الفرقة وعدم الحوار، وعدم التسامح، والصراعات الضيقة ومحاولات فرض الآراء والمذاهب بالقوة على الآخرين، وتكمن أيضا في حالة الافتراس التي تتعرض لها الأمة من قبل أعداء كثيرين خارج حدودها ومن ثم فسبل المواجهة لهذه التحديات تبدأ بالبحث عن النقاط المشتركة للالتقاء والتفاهم على الأصول الإسلامية الصحيحة، القرآن والسنة وعلى مصالح المسلمين، وأن ينبذ الحكام وكذا الشعوب الخلافات المفرقة وأن يتجهوا إلى الوحدة المحتكمة إلى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).

فالأمة الإسلامية تعاني التمزق وتنشد الوحدة، وهذا هو الواقع الفعلي لنا اليوم.

***** كان للأزهر دور تاريخي ريادي في نشر دعوة الإسلام وفي إيضاح معالمه للجميع، كيف ترون فضيلتكم حال الأزهر اليوم بشأن رسالته التنويرية الإسلامية؟**

** لا يزال الأزهر يقوم بدوره الثقافي الإسلامي مثلما كان في الماضي.. فالأزهر اليوم فيه طلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي تقريبا، وهو يدرس غالبية المذاهب الإسلامية المعروفة دون حساسية أو حرج، الأزهر يدرس طلابه ثمانية مذاهب إسلامية منها مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، والأزهر يصل بعلمائه وبرسالته إلى كل البلدان الإسلامية وكل التجمعات الإسلامية في العالم المعاصر محاولا تقديم الصورة الإسلامية المتسامحة والجامعة للمسلمين دون تفرقة. من هنا فنحن من الأزهر نقوم بدور إسلامي جامع وموحد وهادف لتأكيد رسالة الإسلام وعالميته في آن واحد، وهو دور قديم لكنه اليوم يكتسب جدة وإضافات تتفق والمتغيرات الحاصلة من حولنا وداخل مجتمعاتنا الإسلامية.

***** تجتاح العالم الإسلامي اليوم موجات عنف وتشدد تأخذ من الدين راية ترفعها، ما تشخيص فضيلتكم لهذه الموجات وكيف ترون السبيل الإسلامي الصحيح لعلاجها؟**

** بداية أقول: إن الإسلام دين لا يقر العنف كأسلوب لتحقيق رسالته، فالإسلام دين تسامح وأقول: إن مبدأ الإسلام سواء في نشر دعوته أو في التعايش بين الناس جميعا هو قوله سبحانه وتعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»، فإذا كان بعض شباب المسلمين الآن يستخدم العنف باسم الدين فإن هذا السلوك خاطىء، ويعد مخالفا لمبدأ الإسلام في الدعوة بالحسنى ولكن هذا يستدعي بالمقابل أن ينظر المسئولون في البلاد الإسلامية جميعا إلى أسباب هذا العنف لدرئها والتغلب عليها، فهذا واجبهم من الناحية الاجتماعية والشرعية، فإذا كان منشأ العنف لدى هؤلاء الشباب هو ظهور مخالفات لأحكام الإسلام فليتولى المسئولون مقاومة هذه الظواهر المخالفة للإسلام بوصفهم يحملون المسئولية وعليهم أيضا واجب إيضاح معالم الدين وتعاليمه الصحيحة وأيضا باعتبارهم مسئولين عن إقرار الأمن، وعلى المسئولين النظر بتفحص إلى حالة التغريب في عالمنا الإسلامي والتي تكمن خلفها حالات رد الفعل العنيف التي تتصور أنها بهذا تدافع عن الإسلام.

إن هذه الموجات من العنف الملتحف بالدين تعكس صورا واضحة لمشكلة اجتماعية ودينية معقدة بحاجة إلى تفحص وعلاج دقيق رصين. وأحسب أيضا أن من بين أسباب انتشاره هذا التمزق بين أصحاب المذاهب المختلفة، ومحاولة بعض أصحاب المذاهب فرض مذهبهم بالقوة على الآخرين ونشر هذا المذهب دون تقدير لظروف وخصوصيات البلاد الأخرى. هنا أجد أنه خير للمسلمين أن يتعاونوا لا أن يتفرقوا ويفرضوا بالقوة آراءهم على بعضهم البعض. إنني أدعو إلى التعاون بين المسلمين فيما هو متفق عليه بينهم وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه أو عليه، وأن يكفوا عن استخدام

الدين مطية بينهم فى الاختلاف أو الخلاف. وأن تترك الخلافات بين المذاهب الدينية لأربابها من العلماء يتدارسونها بوصفها علما حتى لا يصل بسببها الخلاف إلى حد إشعال الحروب واستثارة الفتن الكامنة والتى يستغلها الآخرون من أعداء الإسلام والذين لا يرجون استقرارًا للمسلمين على أرضهم.

* *إن هذا التحليل يأخذنا إلى قضية مهمة وهى أن التقارب بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية الرشيدة والأصيلة كان هدفا ثابتا لرجال الأزهر الشريف منذ بدايات هذا القرن إلى درجة إصدار شيخه الأسبق الشيخ محمود شلتوت عليه رحمة الله لفتواه الشهيرة بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية.. كما سبق وأشرتم كيف ترون فلسفة هذا التقارب اليوم وما السبيل إلى تطويره إيجابيا بما يخدم مصالح أمة الإسلام؟*

* * أعتقد أن السبيل إلى هذا التقارب هو أن يتعاون المسلمون فيما اتفقوا عليه وأن يعذر بعضهم بعضا فى ما اختلفوا فيه أو عليه كما سبق وقلت. وأرى أن يقوم كل طرف من أصحاب تلك المذاهب بالاجتهاد نحو مسألة التقريب تلك. فإذا كان الإمام الأكبر الراحل محمود شلتوت قد قدم فتواه السابقة منذ الستينيات، فإن على الآخرين من المذاهب الأخرى أن يقدموا هم فتاواهم بهذا الصدد أيضا وأن يقربوا ما استطاعوا بين المذاهب المختلفة.

أود هنا أن أؤكد قضية مهمة وهى عدم فرض المذاهب بالقوة؛ لأنه إذا كان الأصل أنه «لا إكراه فى الدين» فكيف يكون هناك إكراه فى المذاهب أى فى الفروع؟

وأنا أدعو المجتمع الإسلامى الموجود فى منظمة المؤتمر الإسلامى وهى من أهم الهيئات الإسلامية التى تمثل أصحاب المذاهب المختلفة إلى أن يجتهد فى هذا الصدد، وأن يقدم الرؤى والفتاوى التى تقرب المسلمين اليوم، استنادا إلى القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

المستقبل مرهون بتخلى أهل العلم والحكم من المسئولين عن خلافاتهم

وللعلم كما سبق وأشرت فإن الأزهر يقوم منذ ١٩٢٠ بتدريس (الفقه المقارن) ويدرس ثمانية مذاهب إسلامية ومن بينها مذهب الجعفرية الإمامية، بدون حساسية أو أى مشكلات، ونحن ندعو الآخرين إلى أن يقابلوا ذلك باجتهادات مماثلة قائمة على أهمية أن يتحد المسلمون لا أن يتفرقوا، وأشير أيضا فى هذا الصدد إلى أهمية أن تكون الاجتهادات ودعوات التقريب فى مجال العبادات تحديدا لأنها مناط فى الاختلاف بين عامة المسلمين كما تعلمون؛ حيث إن المعاملات وغيرها نطاق الاختلاف فيها محدود وإمكانيات التقريب فيها واردة.

ولعلى أشير هنا إلى كيف أننا فى مصر أخذنا عن المذهب الجعفرى مثلا الوصية الواجبة للورثة، ودون إحساس بأننا ننقل عن مذهب مختلف عنا ففى هذا المجال وجدنا أن المذهب الجعفرى كان مجتهدا وملائما أقول هذا على سبيل المثال كى لا يستعلى بعضنا على بعض،

ولكى لا يكره بعضنا بعضا على اتباع مذهب معين، فأساس الإسلام هو الوحدة وهو الدعوة بالحسنى وهو أن يعذر بعضنا بعض فيما اختلفنا فيه.

**** فضيلة شيخ الأزهر.. كيف تنظرون إلى المستقبل؟ مستقبل الأزهر الشريف: الجامع والجامعة ومستقبل الإسلام والمسلمين؟***

* * إن مستقبل الأزهر الشريف -إن شاء الله- طيب ومبشر؛ لأن الأزهر له خط وسط لا يبعد عنه وهو يعمل لجمع الأمة ويعمل لنشر الإسلام، وفى هذا تبشير بدور قوى وطيب.

والأزهر فى واقعه ومستقبله يدعو إلى الحوار وإلى تأكيد أن الخلاف فى الرأى بين المسلمين لا ينبغى أن يفسد قضاياهم الواحدة والود الجامع بينهم.

أما بالنسبة إلى مستقبل المسلمين فإنه إذا استمر الحال على ما هو عليه من شتات وتمزق، فإنه لا أمل ولا مستقبل لهم.. والأمل متوقف على أن يعمل المسئولون من أبناء الأمة الإسلامية سواء من أهل الحكم أو أهل العلم على نبذ خلافاتهم وأن يرتفعوا فوقها وفوق مشاكلهم السياسية الضيقة وأن يعملوا على جمع كلمة الأمة ووحدة صفها فى مواجهة التحديات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يتم غزو الشعوب الإسلامية بها، وأن يعملوا على حفظ هوية الأمة بوصفها إسلامية فى واقعها ومظهرها، وفى استمساكها بالإسلام وفيما جاء به المصدران الأساسيان (القرآن والسنة). وأن يدركوا أن الاختلاف فى الفروع لا ينبغى أن يرتب خلافا على الأصل وأن يتقوا الله وأن يقولوا قولا سديدا.

**** ختاما فضيلة شيخ الأزهر.. هل من كلمة توجيهية تقولونها للمسلمين خارج البلاد الإسلامية؟***

* * أوصى المسلمين خارج البلاد الإسلامية بأن يحافظوا على هويتهم الإسلامية وأن يعلموا أبناءهم من الأجيال الجديدة الإسلام وأن يتوسعوا فى إقامة دور العلم الإسلامية وأن يحافظوا على اللغة العربية فهى لغة الإسلام وأن يتعلموا القرآن والفقه الإسلامى وأن يكون التعليم وفقا للأساليب الإسلامية المتبعة فى بلادهم هو القاعدة بالنسبة إليهم.

ولعلنا بذلك لا نقوم ببدعة حيث إننا بهذا نقلد الأجانب عندما يأتون إلى بلادنا فينشئون مدارس ونظم تعليم خاصة بهم لأبنائهم الموجودين معهم فى بلادنا، نحن بهذا نفعل مثلهم، حفاظا منا -أيضا مثلهم- على هويتنا الإسلامية. وفى الوقت نفسه على المسلم فى تلك البلاد أن يعيش ويتفاعل مع المجتمع ولا ينعزل عنه. فقط عليه أن يحافظ فى أثناء هذا التفاعل على هويته الإسلامية وذاتيته، عليه أن يكون مقتنعا أنه لم يذهب هناك ليذوب وتندثر هويته، بل ليتفاعل ويتعلم ويأخذ الحسن والطيب من هذه المجتمعات وفقا لشروط هويته الإسلامية النقية، والله هو الهادى إلى سواء السبيل.

دفاعا عن جارودي

بعض ما قاله صحيح فهم خطأ، وما أخطأ فيه تجب مناقشته لا محاكمته



فهمي هويدي

هل يسعد المسلمين ان يقرأوا ذات صباح ان جارودي أعلن ردته عن الاسلام؟!

خطر لي هذا السؤال بعدما قرأت الحوار الذي أجري معه على صفحات «المجلة» قبل اسبوعين (العدد 839)، وبدا لي ان كاتبه يدفع بالرجل دفعا الى قفص الاتهام، ويحاكمه مستخدما عبارات وإيحاءات تصنفه في مربع الضلال - وهذه قالها صراحة - والردة، وهذه اشاراتها لاتخطئها عين.

ازعجني مبدأ المحاكمة، وما تمنيت أن يوضع الرجل، لا هو ولا غيره، فيما وضع فيه. ورغم انني لم أكن سعيدا ببعض الآراء التي أبداها جارودي الفيلسوف، إلا انني وجدتها بحاجة الى مناقشة ومراجعة، وليس الى اتهام وادانة وتشهير، قام أساسا على تجريح الاعتقاد والطعن فيه.

لم أفاجأ بالافكار المشوشة أو الالتباسات التي وقع فيها جارودي، إذ تظل في كل أحوالها غير مستغربة من فيلسوف غربي أولا وأخيرا، من الصعب ان نطالبه وهو في عقده الثامن ان ينخلع من ثقافته وتاريخه، لكنني فوجئت حقا بصدى ذلك كله لدى زميلنا الاستاذ مصطفى اليحياوي الذي أجرى الحوار معه، وكان قاسيا ومتعسفا في الحكم عليه.

ليست هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها داخل في الاسلام بمثل ذلك الاسلوب المتعسف والمعاملة القاسية، فبعض المثقفين العرب الذين تحولوا من الماركسية الى الاسلام تعرضوا لاتهامات ومحاكمات مماثلة من قبل نفر من مخالفيهم الاسلاميين. حدث ذلك في مصر على الأقل، حين تم تجريح اولئك البعض في كتابات نشرتها الصحف، لمجرد انهم عبروا عن آراء شابها بعض

الالتباس أو لم تعجب الآخرين، فلم يناقشوا في آرائهم. ولكنهم اتهموا في التزامهم واعتقادهم، ونسب إليهم انهم لايزالون متأثرين بأفكارهم الماركسية.

وقتذاك كتبت في المعنى الذي أوردته في السطر الاول من هذا المقال، وتساءلت: هل يكون هؤلاء الناقدون القساة اكثر رضا وسعادة لو أن أصحابنا اولئك ظلوا على ماركسيتهم؟ وهل يريحهم أن يعودوا إليها مرة أخرى؟

انها محاكمة وليست حوارا

حين قرأت في «المجلة» الحوار الذي أجري مع جارودي استعدت ذلك المشهد القديم، وأدركت أن الرجل مظلوم بأكثر منه ظالما. كيف؟.. تعالوا نتابع وقائع الحوار وملابساته..

في مقدمة الحوار قال الاستاذ اليحياوي ان جارودي يبحث لنفسه عن دور ريادي في العالم الاسلامي ويطمح لأن يكون «الرجل ـ المهدي» الذي يجدد للمسلمين دينهم على رأس الألف سنة الجارية، ثم ذكر انه «أقرب الى العبث والضلال منه الى العلم الصحيح».. وبعد ان غمزه في علاقة أقامها مع إيران (هل يكون مقبولا لو انه أقام علاقته مع اسرائيل؟!)، انتقد الحفاوة البالغة التي قوبل بها الرجل حين دخل الى الاسلام، ثم أشار الى مسألتين غريبتين هما: ان احدا لم يخطر على باله ان يمتحنه أو يناظره في مسائل الدين. وان هناك شكا في صحة دينه وتهاونه في أداء الواجبات الدينية على الوجه الصحيح!

بذلك التمهيد المتميز والقاسي قدم زميلنا حواره. بعد ان دمغ جارودي بتهم عدة تقطع غيبا بضلاله وشكك في التزامه بواجباته الدينية، وأعرب عن أسفه لأنه لم يمتحن حين قرر الدخول في الاسلام؟!

وحين وجه إليه الاستاذ اليحياوي اسئلته. بدا لي وكأنه يحاول القيام بدور الممتحن، لأن الأسئلة كانت على النحو التالي: ماذا يعني الاسلام بالنسبة إليك؟، لماذا بدأت اسلامك من عهد ابراهيم؟. وحين أجاب الرجل عن السؤال الثاني استنكر زميلنا الممتحن اجابته، وعلق عليها قائلا: هذه أفكار فلسفية وليست عقيدة دينية. فهل هذا هو معنى الاسلام عندك؟. وبعد ان رد على السؤال، ووجه جارودي بسؤال آخر يقول: انت على أي دين الآن؟... وهكذا.

في هذه الوجبة من الأسئلة، كرر جارودي حديثه عن ان الاسلام جاء مكملا للديانات الأخرى وملخصا لها، وأن الاسلام بالمعنى اللغوي والمعنى اللاهوتي بدأ مع سيدنا ابراهيم، الذي هو أول المسلمين، طبقا للنص القرآني. ومن ثم ذكر انه حين جاء الى الاسلام، بدأ مشواره معه من عهد ابراهيم، ملتزما بالنص القرآني فقط، وتاركا ما عداه.

قال جارودي أيضا انه جاء الى الاسلام نتيجة اقتناع شخصي وتجربة ذاتية. وبعد مسيرة طويلة تنقل فيها بين الفلسفة المحضة والمسيحية والماركسية، وانتهى بالاسلام. وان مجيئه الى الاسلام لا يعد انقطاعا عن الماضي بل هو تواصل مع ذلك الماضي الطويل الذي عاشه. والدين الذي هو عليه هو توفيق بين الاسلام وبين ما سبقه من الديانات. وكونه صار مسلما لا يعني انه تخلى عن معتقداته الدينية والفلسفية السابقة. وهذه الفقرة الأخيرة ابرزت في عناوين الحوار، التي كان أحدها يقول انه لم يتخل عن المسيحية والنظرية الماركسية، وتلك عبارة حمالة أوجه، تفتح الباب لسوء الظن باعتقاد الرجل، بينما يمكن ان نفهمها على نحو افضل لو سألنا عما لايزال باقيا عنده من المسيحية والماركسية، وهل هو كل أو بعض، وان كان البعض فما هي طبيعته، وهل فيه ما يجرح الاعتقاد أم لا؟

مثل هذه المناقشة الدقيقة ليس مكانها صفحات الصحف ولا المنابر العامة، لأنها تثير قضايا علمية وفلسفية لا مجال لتمحيصها إلا مع أهل العلم والاختصاص وحول طاولة البحث، اذا كان لا بد من حسمها، ولكن اما وقد نشر الكلام وصار بين أيدي الناس. فانني ازعم ان ما قاله جارودي صحيح من الناحية النظرية، لكنه مشوش ومسكون بالالتباس، وفي كل أحواله فانه لا يخرجه من الملة.

هو صحيح لأن سيدنا ابراهيم حقا هو أول المسلمين، ولأن الاسلام في الخطاب القرآني ليس مقصودا به الدين الذي نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وان جرى الاصطلاح على ذلك، وهو ما أثبته الشيخ محمد عبدالله دراز، وهو من اعلام الأزهر، في كتابه «نظرات في القرآن».

لكن الالتباس كامن في ان القول بأن الاسلام جاء مكملا للديانات الأخرى، ينبغي ألا يعني تخليطه مع المسيحية واليهودية، ولا يعفى أحد من التكاليف والالتزام بأركان الدين وأصوله المقررة في القرآن الكريم.

في كل الأحوال فالقدر المتيقن ان الرجل ظل متمسكا بانتمائه الى الاسلام، لكن الطريقة التي فهم بها ذلك الانتماء هي التي تحتاج الى مناقشة وضبط.

جارودي ايضا قال ان من مشكلات زماننا ان المسلمين خلطوا بين الشريعة (المنزلة من الله) وبين الفقه (الذي هو من صنع البشر)، وهذا الكلام صحيح ولا غبار عليه.

قال أيضا ان الرسول مبلغ وليس مشرعا، وانه اذا كان قد شرع شيئا فيكون صالحا لعصره، وكذلك الفقهاء لا تكون احكامهم صالحة إلا لعصورهم فقط.

حينئذ سأله الاستاذ اليحياوي: هذا ما قادك الى القول بوجوب سن أحكام فقهية جديدة، وهل يعني ذلك التخلي عن كل ما سبق، بما في ذلك السنة؟

رد جارودي قائلا: نعم، بالتأكيد، السنة كانت صالحة لوقتها، ولم تعد صالحة لعصرنا، وكذلك الفقه الاسلامي، فما كان يفعل النبي محمد ويحكم فيه كان معالجة لقضايا عرضت عليه في حياته، والشافعي وأبو حنيفة أصدرا احكاما مناسبة جدا لمشاكل عصرهما، لكنها لم تعد تمثل حلولا صالحة لمشاكل عصرنا... إلخ.

هذا الكلام اعتبره زميلنا الصحفي خطيرا، من حيث انه صنفه بحسبانه مطالبة بالتخلي عن السنة النبوية وعن الفقه الاسلامي، لكن لا اتفق مع ذلك الرأي، فلا هو خطير كما قيل، ولا هو دعوة للتخلي عن السنة وعن الفقه، فقط اعتبره كلاما مشوشا اختلط فيه الصواب والخطأ، ويحتاج بدوره الى ضبط.

في السنة تشريع وغير تشريع

فأهل العلم يعتبرون ان النبي عليه الصلاة والسلام كانت له صفات عدة، فهو رسول مبلغ عن الله سبحانه وتعالى، وكان حاكما وقائدا وقاضيا وأبا وزوجا... إلخ، ويقولون بأن السنة فيها تشريع وغير تشريع، والأول هو ما صدر عن النبي باعتباره رسولا ومبلغا عن الله سبحانه وتعالى، ومن ثم فهو ملزم للمسلمين في كل زمان ومكان، أما ما ليس تشريعا عن النبي، فهو ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام بصفاته البشرية الأخرى، ينبغي ان يقدر ويحترم حقا، لكنه لا يعد تشريعا للأمة ولا يلزمها.

والأمر كذلك، فلا غضاضة فيما قاله جارودي اذا كان المقصود به هو التفرقة بين السنة التشريعية وغير التشريعية، وقصر الالزام على الأولى دون الثانية، واي دارس للفقه والأصول يمكن ان يفهم هذا الكلام، ولا يعده تخليا عن السنة النبوية، كما قال زميلنا الصحافي.

الكلام الذي قاله عن الفقه الاسلامي صحيح في أصله، لكنه يحتاج بدوره الى ضبط، فالفقه يظل اجتهادا بشريا لا يلزم احدا، وينبغي ان يتغير من زمان الى زمان، وفقهاؤنا هم من قالوا بتغير الاحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال، مثل هذه الأفكار التي عبر عنها جارودي، قال بمثلها تماما الاستاذ جمال البنا ـ شقيق الامام حسن البنا ـ في كتاب أخير له بعنوان «نحو فقه جديد».

ولو ان جارودي قال اننا بحاجة الى فقه لكل مرحلة في ضوء متغيراتها، ولم يتحدث بخفة عن أئمة المذاهب، ولم يهاجم فقهاءنا المعاصرين ويتهمهم بالجهل، لو انه فعل ذلك لما وجدنا وجها للتحفظ على مقولته.

في كل الأحوال فما قاله يدخل في باب التشويش وتداخل الخطوط، لكنه يظل صحيحا في إطاره العام، ويقينا فإنه لا يعد معيارا للحكم على الرجل بالضلال، ناهيك عن اتهامه بالخروج من الملة، وبقدر من سعة الصدر والسماحة في الفهم والمراجعة، يمكن تصويب الكلام ومن ثم فهمه وقبوله.

وجه زميلنا الى الفيلسوف المسلم سؤالا هذا نصه: قلت سابقا انك ترى وجود فارق كبير بين الشرع والفقه، وان الأول ثابت والثاني متغير، فهل يعني ذلك انك تفصل العبادات عن المعاملات؟

في الرد قال جارودي: صل الدين ثابت، والتطبيقات، سواء منها المتعلق بالعبادات أو المعاملات، قابلة للتطور والتغيير من اجل التأقلم مع الأزمنة وظروف حياة الناس في كل عصر من العصور.

ورأيي أن السؤال مغلوط و لاجابة غير دقيقة، فالتفرقة بين الشرع والمقصود به ما شرعه الله للناس. وبين الفقه الذي هو اجتهاد من بعض الناس، هذه التفرقة صحيحة من الناحية الأصولية. كما سبقت الاشارة. غير ان اعتمادها لا يقود الى النتيجة التي رتبها السائل. وهي التفرقة بين العبادات والمعاملات، لأن الشريعة شملت الدائرتين. كما ان الفقه تعامل معهما أيضا، والفارق الأساسي هو ان الفقه حين تعرض لموضوع العبادات فانه تحرك في حدود الاتباع، باعتبار ان العقائد والعبادات من الثوابت. أما في المعاملات فإن دور الفقه فيها أوسع نطاقا، إذ الاصل فيها هو الابتداع ـ كما قال بعض علمائنا ـ خاصة انها من المتغيرات.

هناك حدود وضوابط للحركة في المجالين. خصوصا اذا كنا بصدد نصوص واحكام قطعية. التي تختلف عن الاحكام الظنية، وهي التي تحتمل أكثر من وجه، إذ ان حرية الحركة في الاحكام القطعية أقل منها في الاحكام الظنية. وعلى المجتهد في الأولى ان ينزل الحكم كما هو اذا ما توافرت شروط تطبيقه، أما في الاحكام الثانية ـ الظنية ـ فحرية حركة المجتهد أوسع. إذ ما دام الحكم يحتمل أكثر من وجه للتأويل، فلا تثريب عليه ان اخذ بوجه دون آخر.

تفرقة بين العبادات والمعاملات

وحين قال جارودي ان أصل الدين ثابت. فانه لم يجانب الصواب، لكنه يحتاج الى مراجعة في اشارته الى ان تطبيقاته المتعلقة بالعبادات والمعاملات قابلة للتغيير والتطوير. فالعبادات غير المعاملات كما نعرف. ولو انه قال ان الأصول في الاسلام ثابتة ولايجوز الخلاف عليها. بينما الفروع متحركة ويجوز الخلاف فيها. لو فعل ذلك لكان أدق وأصوب. ومن ثم أكثر التزاما بالقواعد المقررة في الفقه الاسلامي.

زميلنا الكاتب فهم الاجابة خطأ. فاستنتج ان ذلك قد يقود الى الشك في شرعية الأركان الأساسية للاسلام (علما بأنها من الأصول الثابتة). فسأله ان كان يدعو الى تغيير تلك الاركان في إطار التجديد الذي يدعو إليه؟

في الرد أشار جارودي الى ان الصلوات في القرآن ثلاث. وان عامة المسلمين يصلون خمس صلوات في أوقات معينة كل يوم. أما هو فانه لا يصلي خمس صلوات في اليوم. بل يصلي عشرين مرة لأن الصلاة واجبة في كل وقت ليلا ونهارا. والصلاة الحقيقية هي تفكير عميق في الذات الإلهية: «وكلما تذكرت الله وأمعنت في التفكير في ذاته. فأنا أصلي».

بعض هذا الكلام يقول به المتصوفة. خصوصا في الشق المتعلق بالصلاة طول الوقت. وبعضه بحاجة لأن ينقى من التشويش. فما ذكر عن ان في القرآن ثلاث صلوات حق. لكن السنة المكملة أوصلتها الى خمس بوحي من الله بطبيعة الحال. وخلفية عدد الصلوات لها قصة طويلة لا مجال للخوض فيها الآن. لكن الأمر استقر على الصلوات الخمس كما هو معلوم.

كلامه صحيح في ان التفكير في ذات الله والتوجه إليه سبحانه بالقلب والوجدان هو الصلاة الحقيقية، وتفريغ الصلوات من ذلك المعنى يحيلها حقا الى مجرد حركات رياضية. لكن تكملة الكلام، ان الامر لا يحل بابطال الحركات والطقوس المقررة لاداء الصلاة، والاكتفاء بالتفكير المجرد في الذات الإلهية، وانما الصحيح دينا ان يلتزم الأمر بالشكل المقرر للصلاة من قيام وركوع وسجود. وتلاوة وتسبيح، وان يتم الحفاظ على المضمون الذي تحدث عنه جارودي، وهو التفكير في ذات الله والتوجه إليه بالقلب والوجدان.

التشويش الحاصل في مسألة الصلاة تكرر مع أمور أخرى مثل الصيام والحدود والمواريث، وبدا جارودي في هذه المواضع غير مدرك تماما لحدود الاجتهاد وضوابطه. فارسل كلاما صحيحا، مثل قوله ان الصيام ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب، واختل ميزانه في مواضع أخرى، مثل ادعائه ان القرآن حرم مضار الخمر فقط، حيث كان تحريم المضار مرحلة نص فيها القرآن على ان الخمر رجس من عمل الشيطان واجب الاجتناب.

تحدث جارودي عن نسبية الحلال والحرام. وان ما هو حرام في بلد معين قد يكون حلالا في بلد آخر وهو أمر نفهمه من فيلسوف قد يرى الأمور كلها نسبية، لكنه يحتاج الى مناقشة تبين الاطار الذي ينبغي ان يحكم تلك النسبية، والدور الذي تؤديه النصوص القطعية مقارنا بالنصوص الظنية، وينبغي ان تمتد المناقشة ايضا لتشمل التفرقة بين ما هو محرم بأمر من الله تعالى اذا توافرت له شروطه،

المصدر: المجلة
التاريخ: ٢١ مارس ١٩٩٦

وبين ما يتطوع البعض بتحريمه في ظروف أخرى. والتفرقة بين ما هو محرم بالكلية وما هو مكروه. حيث المكروه هو الذي يمكن ان يخضع للنسبية... وهكذا.

لقد كانت ورقة الأسئلة التي قدمت لاختبار جارودي تدور كلها حول العقائد والعبادات. وهي مساحة دقيقة وشائكة. أوردت السائل والمجيب موردا حفل بالمزالق والهنات. فضلا عن ان المشهد كله بدا وكأنه محاكمة للفيلسوف الكبير سعت الى اثبات ضلاله وتفلته من الدين.

اعترض على فكرة فتح ملفات تحري عقائد الناس، الأمر الذي سرب الى مجتمعاتنا آفة التكفير

كسب يجب الحفاظ عليه

انني اعترض على مبدأ هذه المحاكمة، وعلى فكرة فتح ملفات تحري عقائد الناس. الأمر الذي سرب الى مجتمعاتنا آفة التكفير بكل ما استصحبها من شرور ومفاسد. وهو ما صرف البعض منا عن العمل الصالح والمثمر، وأغرقهم في دوامة جدل عقيم. الضرر فيه أكثر من النفع. قلت من قبل انه اذا كان لا بد من مناقشة هذه الأمور مع فيلسوف كبير بحجم جارودي، فلا ينبغي ان يتم ذلك على صفحات الصحف. انما له مكان آخر والمحاورون فيه ينبغي ان يكونوا من صفوة أهل العلم والنظر، وهو ما أشدد عليه وأكرره مرة أخرى.

ان الحوار لم يقدم الوجه الإيجابي لجارودي كفيلسوف ومفكر ومثقف من طراز نادر. ولم يشر الى مكانته الرفيعة في العالم الغربي. ومن أسف انه شغل بتتبع عقيدة الرجل وباثبات ضلاله. عن كيفية الاستفادة من مكانته وعلمه ووقوفه على أرضية الاسلام. لأجل الدفاع عن الأمة الاسلامية ومشروعها الحضاري المستقل الذي يتعرض للهجوم الشرس في العالم الغربي. وجارودي هو من أبرز ناقدي الحضارة الغربية. ودفاعه في الاسلام يظل كسبا كبيرا ينبغي الحفاظ عليه.

لقد بدا ان الهم الأساسي للحوار هو الحذف وليس الافادة أو الاضافة، وتلك مسألة محزنة حقا، فقد سادت مدارس الحذف والتكفير طويلا في التاريخ الاسلامي، وتركت بصمات سلبية على واقعنا خسرنا بسببها كثيرا ودفعنا عن جرائها ثمنا باهظا، ولكم تمنينا ان نتجاوز ذلك الموقف البائس، وان نسعى الى التفكير بمنطق الاضافة. الذي من شأنه ان يقوي الصف الاسلامي ويعزز قدرته على مواجهة خصومه واعدائه الذين لا يكفون عن الاحتشاد والاستنفار ضده.

ان الحذف، ومن ثم الاقتطاع والهدم أمر ميسور للغاية، حيث لا يحتاج لأكثر من حكم بالاعدام أو معول يدك الموجود. اما الاضافة فهي الصعب حقا، إذ تحتاج الى عزم وجهد والى تنمية دائمة للرصيد مع اجادة لفنون رأب الصدوع وتأليف القلوب، لذلك فانها تتطلب عقلا راجحا وقلبا كبيرا وبصرا نافذا. وتلك أمور نفتقدها بشدة، ولذلك فان حالنا كما ترى! ■

قارئ يفترض أن الضمائر لاتزال موجودة:

قباقيب يوسف البدرى.. والعورة!

السيد المحترم - يوسف البدرى في تعليقه على تساؤل هل تقبل أن تكون امرأة رئيسا للجمهورية؟

قال سيادته إن الشعب الذى لايقبل أن تكون المرأة قاضية لايقبل أن تكون رئيسة!! أود هنا أن أسأل سيادته من الذى أفتى وقال إن الشعب يرفض أن تكون المرأة قاضية؟ هل تم عمل استفتاء شعبى كانت نتيجته هو الرفض!!

أما عن دفاعه عن رأيه الشخصى في رفضه لتولى المرأة رئاسة الجمهورية فهو أن شجرة الدر ضربت بالقباقيب وكأن هذا العمل هو العمل الوحيد الذى أنجز طوال فترة حكمها لمصر مع أن هذه المرأة أخضعت رجالاً أقوياء وأذلتهم، وهذه هى الحالة الوحيدة التى ذكرها فى اعتراضه غافلاً عامدا متعمدا (حتشبسوت، كليوباترا، الملكة بلقيس ملكة سبأ، الملكة زنوبيا ملكة تدمر) هذا في العصر القديم أما حديثاً وأود هنا أن أذكر سيادته أننا على اعتاب القرن الواحد والعشرين (أنديرا غاندى، مارجريت تاتشر، تانسو تشيللر، بى نظير بوتو، جولدا مائير، كورازون



يوسف البدرى

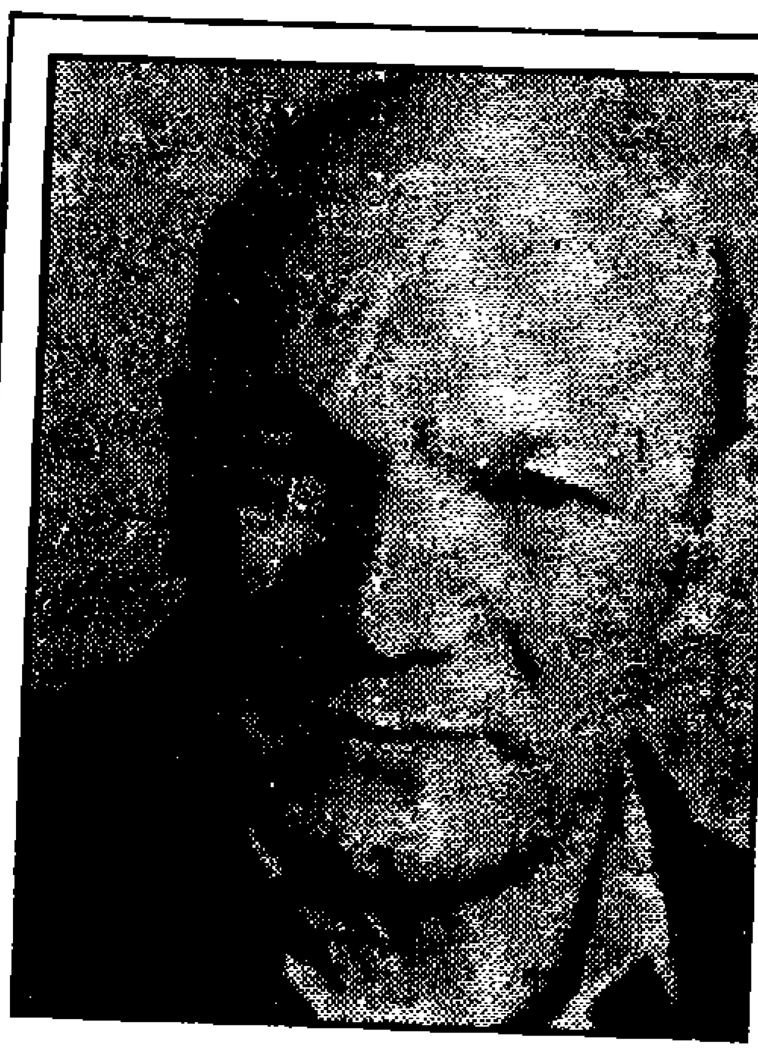
أكينو) وغيرهن كثيرات في النرويج وبنجلاديش وسريلانكا. وكلهن نجحن نجاحا مذهلاً وتعلل سيادته بحجة واهية وهى أنهن ذوات عقل ضيق وعاطفة شديدة مع أن التاريخ والأحداث تثبت عكس ذلك، فهل العقل الضيق اختص الله به المرأة العربية المسلمة فقط!

إننى اعجب من هؤلاء الرجال الذين يسيرون الأمور على هواهم فهم مثلا عندما يتحدثون عن المرأة كأم لانجد أكثر من كلمات الإطراء والاعجاب والتكريم والتبجيل، اما عندما يتحدثون عن المرأة كأنثى فلا نجد أكثر من سهام التجريح والإيلام!! فالمرأة كلها عورة مع أن هذه هى تلك وكأن الله خلق المرأة بوجهين الأول ملاك طاهر وهى أم والآخر شيطان رجيم وهى أنثى وعلينا نحن الرجال الأقوياء القادرين أن ننقبها ونقيدها ونغيبها عن الوجود. وفى نهاية مقاله قال سيادته ان أمريكا كان رئيسها امرأة، سيدى لماذا تناقض نفسك ففى موضع سابق فى نفس مقالك تساءلت كيف تكون المرأة رئيسا للجمهورية وتخالط الرؤساء الكفرة!! وواضح من تفكيرك ومنهجك أن من تنعتهم بالكفرة هم الأوروبيون والامريكان وكل من هو ليس على شاكلتك وأتساءل كيف تتشبه بهم الآن وتقارن فيما بيننا نحن المؤمنين الديكتاتوريين وهؤلاء الكفرة الديمقراطيين!!

أرجو من هؤلاء الكتاب والعلماء والمفكرين أن لايراعوا ضمائرهم ولكن يراعوا الله فيما يكتبون ويروجون لأفكار تحاول ان تهدم هذا الوطن العظيم.

سامح سعد فرح

نحن ننتظر من الأزهر



بقلم:
أحمد عبدالمعطى حجازى

كانت الدولة موفقة غاية التوفيق فى اختيار صاحب الفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخا الأزهر. ونحن من أشد الناس غبطة بهذا الاختيار الموفق، ليس فقط لأننا نأنس بالإمام الجديد ونقدر علمه ونشهد له بالسماحة والشجاعة والإستنارة، بل لأننا فى المقام الأول نجل للأزهر الشريف، ونعتز بتاريخه العلمى والوطنى الحافل، ونعرف أن له فى حياتنا الروحية والعملية رسالة خطيرة تزداد خطورتها فى هذه الأيام. فالأزهر الشريف هو منارة الإسلام. ونحن اليوم أشد ماتكون حاجة إلى الإسلام الذى يظن فريق من الخارجين عل مجتمعنا المدنى أنهم يحملوننا إليه حملا، وهم يزيدوننا عنه بعدا كل يوم، لأن مايتصورون أنه الإسلام ليس إلا ماتخيله لهم الأوهام. سراب يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

وهل من الإسلام أن يغتالوا المفكرين والصحفيين، ويذبحوا النساء، ويدمروا المدارس والمستشفيات فى الجزائر؟ وهل من الإسلام أن يقهروا شعب السودان وينكلوا به ويجوعوه؟ وأن يفجروا محطات المترو فى باريس؟ وأن يشقوا شعب مصر ويجعلوه حربا على نفسه، ويهدموا فى سنوات مابناه فى قرون وقرون؟

وهل من الإسلام تحريم الفن، واضطهاد الفكر، وإنكار العلم، وتحقير المرأة، ومساندة الطغيان، والعدوان على حقوق الإنسان، وإعلان الحرب على الدستور والقانون والديمقراطية؟

لا. ليس هذا من الإسلام فى شىء. والذى يريدون أن يحملونا إليه بحد السيف هو حكم الجاهلية الأولى. وإنما نحن فى أشد الحاجة الى الإسلام الحقيقى الذى نعلم علم اليقين أنه رحمة للناس ومودة وموعظة حسنة، وأنه أمل وبشرى، وثقة فى الحياة وفرح بها، وأنه تمجيد للإنسان الذى خلقه الله على صورته ومنحه العقل والحكمة والجمال، وجعله خليفة له فى الأرض وخلصه من الوحشية والخرافة والعبودية.

نحن فى حاجة إلى هذا الإسلام. وتزداد حاجتنا اليه كلما خاب لنا سعى أو ألمت بنا كارثة. نفزع إليه من اليأس والقنوط، ونستعيد به الثقة فى العقل والأمل فى الغد والتشبث بالحرية، ونتزود من زاده لنستأنف الرحلة ونواصل التقدم نحو مدنية أرقى وإنسانية اشمل.

هذا هو الإسلام الذى نزل به الكتاب الحكيم وبشر به الرسول العظيم، ورفع راياته المسلمون الأولون، ودخل فيه الناس أفواجا يجدون فيه الرفق والأمن، وينعمون بالمساواة والحرية. وهذا هو الإسلام الذى أصبحنا بعيدين عنه بقدر ماحوله الجاهلون اليائسون من حب الى كراهية، ومن أمن الى فتنة، ومن عقيدة الى عصبية، ومن إقبال على الحياة وفرح بها إلى خوف منها وإدبار عنها. وفى هذه المحنة لانجد إلا الأزهر الشريف نهرع اليه ونلتف حوله ونسأله أن يعود بنا الى الإسلام الصحيح.

نحن لانقتنع من الأزهر بأن يكون موقفه صدى لموقف الذين يتحدثون باسم الاسلام زورا وبهتانا، يستنكر أعمالهم حينا، ويسكت عنها حينا، وقد يبررها بعض المنتسبين إليه حينا آخر.

بل نحن نطلب منه أن يسترد رايته التى سرقها هؤلاء، ويؤدى رسالته التى شوهوها.

إذا كان الإسلام هو دين العقل والحرية والتقدم والسماحة والأخوة الإنسانية، وهو بالفعل كذلك، فرسالة الأزهر هى التبشير بهذه القيم، والذود عنها وإحياؤها فى النفوس والعقول. رسالة الأزهر هى الكشف عما فى الإسلام من قدرة هائلة على فهم مطالب الإنسان وتبنى انتصاراته ومباركة خطواته وتذكيره بما لاينبغى أن يحيد عنه أو ينساه. فنحن فى حاجة الى القوة، لكن من أجل الرحمة والسلام. ونحن فى حاجة إلى الثروة بشرط أن نحذر الأنانية والجشع. ونحن فى حاجة إلى النظام الذى يضمن لنا الحرية والى الحرية التى تحيى شعورنا بالمسئولية.

ولقد نجح الإرهابيون والرجعيون المتخلفون فى أن يقدموا الإسلام فى صورة هو منها براء، إذ جعلوه للحرية نقيضا للتقدم، وبهذا برروا خروجهم على المجتمع. فكلما خطونا خطوة الى الأمام ابتعدنا فى رأيهم عن الإسلام، وكلما تخلفوا هم وتقهقروا أصبحوا أصح إسلاما وأنقى عقيدة. وإذن فعودتنا إلى الإسلام تفرض على هؤلاء الإرهابيين أن يعلنوا الحرب على المجتمع ويقوضوا مؤسساته.

هذا هو منطقهم بالضبط. ومع أنه واضح السذاجة والفجاجة فقد وجد من يقبلونه لأنهم سذج أغرار، أو يركبونه لأنهم مطحونون ناقمون على المجتمع، مستعدون للخروج عليه تحت أى شعار.

والأزهر الشريف هو وحده القادر على أن يتصدى لهذا المنطق ويبين فساده وزيفه، ويكشف للناس جميعا عن وجه الإسلام الناصع المشرق، ليدركوا أن الصراع بين الإرهابيين والمجتمع ليس كما زعموا صراعا بين مسلمين وكفار، بل هو صراع بين التقدم والتخلف، بين الحرية والعبودية، بين العقل والخرافة، بين إسلام صحيح جعله امة نورا ورحمة، واسلام زائف دموى متخلف هذه هى رسالة الأزهر التى حملها أمثال الجبرتى، وحسن العطار، ورفاعة رافع الطهطاوى، ومحمد عبده، وطه حسين، ومصطفى المراغى، وعلى عبد الرازق، ومصطفى عبد الرازق، وأحمد أمين.

هؤلاء الرواد العظام هم الذين قادوا حركة النهضة فى مصر والعالم الإسلامى كله، فحاربوا التخلف والجمود والاستعمار والطغيان والخرافة، ودافعوا عن العقل، وجاهدوا فى سبيل العلم، وبشروا بالتقدم والديموقراطية.

هؤلاء لم يقفوا فى وجه تجديد نافع أو ابتكار مفيد، ولم يحملوا السيف على أحد، ولم يكفروا صاحب فكرة، بل قالوا إن القول الذى يحتمل الإيمان من وجه ويحتمل الكفر من مائة

المصدر: الأهـــرام
التاريخ: ٣ / ابريل ١٩٩٦

وجه يحمل على الإيمان ولايحمل على الكفر . وهؤلاء هم الذين زلزلوا عروش الطغاة المستبدين، ورحلوا الى أوروبا لينهلوا من علمها ويقتبسوا حضارتها . وهؤلاء هم الذين ترجموا القوانين الحديثة، وأنشأوا المدارس والجامعات، وطالبوا بإعلان الدستور، وقدسوا الوطن، وبشروا بالديمقراطية .

ولقد أتى علينا حين من الدهر أصبحنا نبحث فيه عن إمتداد لهذا الرعيل العظيم فلا نجد . بل وجدنا أحيانا من يظاهر الإرهابيين ويشجعهم بالتلميح والتصريح، ويغريهم بالمفكرين وبالدولة وبالمجتمع كله ظانا أن السلطة قد أوشكت تسقط فى أيديهم، حتى تولى صاحب الفضيلة الدكتور محمد سيد الطنطاوى منصب الإفتاء متنفسا الصعداء . إذ رأينا عالما رصينا دمثا أنيسا يأتم بالإمام محمد عبده، ويحيى مذهبه فى الاجتهاد، ويصدر فى فتاواه عن إيمان كامل بأن الإسلام لايتناقض مع العلم أو مع المدنية، بل الإسلام فى جوهره الذى يتفق مع جوهر كل عقيدة إنسانية هو العلم والمدنية، وأن كل خطوة أو فكرة تعود على الناس بالخير، وتدفع عنهم الشر هى من صميم الإسلام .

هذا هو الأساس الذى أقام عليه فتاواه فى المسائل التى تعرض لها، واجتهد فيها . وربما كان صوته هو الصوت الوحيد الذى ظل وحده يدفع الثمن عن الإسلام ويعلن براءته من الجرائم التى ترتكب باسمه . ولهذا شعرنا بالإرتياح والغبطة حين اختارت الدولة الدكتور طنطاوى شيخا للأزهر .

وليس العلم وحده هو مايؤهل الإمام الجديد للإضطلاع بأعباء هذا المنصب الخطير، بل الإستنارة وسعة الأفق والإيمان الراسخ بأن حياة الإسلام رهينة بحياة الإنسان، فإن فهم الفكر الإسلامى مطالب الإنسان، وتبنى أشواقه واعتنقها ودافع عنها، ضمن للإسلام حياة متجددة فى الحاضر والمستقبل .

والعلم فى الكتب . وليست فى الإسلام سلطة دينية تقهر مسلما على أن يرى ماتراه . والمسلمون طوائف ومذاهب تتفق وتختلف قليلا وكثيرا . وباستطاعة أى مسلم أن يرى لنفسه، فالإسلام تراث عريض أنتجته قرون وقرون . والذى لايستطيع أن يرى لنفسه يستطيع أن يأخذ عن غيره . وإذن فحاجتنا الأولى إلى الأزهر ليست حاجة إلى أن نعرف مالا نعرفه عن الإسلام، بل هى حاجتنا إلى عقد الصلة التى وهت بين الإسلام والحضارة الحديثة .

ليس معنى ذلك أن الأزهر مطالب بأن يتبنى صيحة كل من يصيح باسم الحضارة أو باسم المدنية، فى أكثر الجرائم التي ترتكب باسم الحضارة والمدنية . وإنما الأزهر مطالب بأن يكون له رأى فى كل شىء، وبأن يبادر الى إعلان هذا الرأى، حتى يحيى وجوده فينا ويسترد مكانته، فيوجهنا ويوجه غيرنا، ويجادلنا ويجادل غيرنا بالتى هى أحسن، دون حرمان ودون تكفير فالحرمان و التكفير ليسن من رسالة الأزهر وليس من رسالة الإسلام .

نحن ننتظر من الأزهر فى عهده الجديد أن يعلن انحيازه الصريح للدولة المدنية، وأن يقف معنا مدافعا عن الديموقراطية وحقوق الإنسان، وحرية التفكير والإبداع والبحث العلمى .

لانطالبه - لاسمح الله - بأن يبتدع بدعة أو ينكر أصلا من الأصول، ولكننا نعلم أن الإسلام إنما نزل لتحقيق السعادة للبشر، فكل مايقربهم من هذه الغاية هو من صميم الإسلام . ونعلم أن الإسلام نصوص ومبادىء يختلف الناس فى فهمها بإختلاف العقول والعصور والبيئات والحاجات، وكل مانطالب به الأزهر أن يساعدنا على أن نفهم هذه النصوص فهما مستنيرا نحتكم فيه لروح الإسلام وللعقل قبل أن نحتكم لأى اعتبار آخر .

وكلنا ثقة أننا لانطلب إلا ماسوف يتحقق .. ونحن مع الإمام الجديد .

المصدر : الأهـــالـــي

التاريخ : ٢ ابريل ١٩٩٦

فـي أعمـاق الوطـن

الأزهر .. الجامع والجامعة

النشـأة مـع الشـيعة والمعـارك بقيـادة السـنة

في عام ١٩٦٩ كانت الندوة الدولية لألفية القاهرة..

كان حدثا تاريخيا شارك فيه الباحثون والشيوخ والطلاب والمسئولون وفي الندوة وقف واحد من المستشرقين الأجانب يتحدث عن دور الأزهر في الحياة الاجتماعية المصرية.. قال المستشرق كلاما كثيرا.. وعندما حاول أن يصف الأزهر في كلمة واحدة، قال عنه إنه الجامع "الكاتدرائي" كان المستشرق واسمه صامويل شتيرن يشغل كرسي الأستاذية بجامعة اكسفورد.. وكان يريد من وصفه للأزهر بالجامع الكاتدرائي أن يضفي عليه صفة الرياسة على جميع مساجد مصر.. لكن الأزهر لم يكن فقط مسجدا بل كان اقرب لكونه جامعة لتعليم ونشر وتاصيل الدراسات الإسلامية العربية في المجالات الدينية واللغوية والأدبية.. كان الأزهر ملتقى علماء الشرق والغرب .. وعرف ظاهرة الأساتذة الزائرين قبل اختراعها في الجامعات .. كما عرف ظاهرة الأساتذة المقيمين لوضع المؤلفات العلمية.. وكان الأزهر منارة للطلاب الباحثين عن العلم والأمان والرعاية .. كان الجامع يقدم المسكن والجراية وفق نظام رتيب.. وكان اول من وضع اللبنة الأولى للإسكان الجامعي في العالم.. والأزهر هو اقدم جامعة على وجه الأرض.. كانت هناك بالطبع جامعات اقدم مثل جامعات منف وهليوبوليس وسايس وغيرها في العصر الفرعوني .. وكانت أكاديمية الإسكندرية ومكتبتها في العصرين البطلمي والروماني.. واقيمت في بعض اقاليم منطقة الشرق مؤسسات علمية ذات مستوى رفيع مثل أكاديمية أثينا وغيرها في العصر الهليني. لكنها كلها انتقلت من مسرح التاريخ إلى كتبه .. أما الأزهر فلا يزال مستمرا. وتعدت سنوات عمره الألف عام.. حتى قيل ان المسلمين لهم قبلتان.. الاولى دينية وتقع في مكة.. والثانية علمية وتوجد بالقاهرة. وعلى فترات تاريخه الحافل خرج الأزهر كثيرا عن النطاق العلمي الذي حرص عليه.. شارك الأزهر في الحياة السياسية العامة.. تصدى للحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨.. ووقف في وجه الحملة البريطانية سنة ١٨٠٧.. ودفع الثمن غاليا من أرواح علمائه وطلابه..

وانضم علماء الأزهر إلى الثورة العرابية.. وعندما كان محمود سامي البارودي رئيس الوزراء يعقد اجتماعات الجهاد في تكنات عابدين كان الشيخ محمد عبده يضع صيغة اليمين ويقوم بتحليف الضباط والجنود والعلماء .. كان علماء الأزهر في قلب الثورة.. وكان شيخ الجامع محمد الانبابي واحدا من زعماء الثورة.. وبعد إجهاض الثورة دفع الأزهر الثمن مرة أخرى .. ويتكرر المشهد في ثورة ١٩١٩ وتسيل دماء ابنائه على أبواب الجامع.. وينجح رجاله في إجهاض الفتنة التي أرادها الانجليز .. فتح الأزهر أبوابه لكل طوائف الأمة.. ووقف الأقباط ورجال الدين على منابره.. الكل يطالب بالاستقلال.. وتضيع محاولات الانجليز للتفرقة بين المسلمين والأقباط..

كانت أياما مجيدة للأزهر ورجاله..

وهي التي بقيت من تاريخ «الجامع الكاتدرائي»..

نتذكرها.. ونعيش بها.. في مواجهة ايام اخرى، قاتمة في لونها مثل الزمن الذي نعيشه...

موعد مع الشيعة

كان الأزهر على موعد مع دخول الفاطميين إلى مصر في اليوم السادس من شهر يوليو ٩٦٩، وفي ذات الليلة وضع جوهر الصقلي حجر الأساس لبناء عاصمة الدولة الجديدة.. لكنه أطلق عليها اسم المنصورية نسبة للخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله ابي الطاهر إسماعيل .. وظلت تلك التسمية أربع سنوات حتى جاء من المغرب المعز لدين الله ابن المنصور ليطلق على العاصمة اسم القاهرة.. تفاؤلا بقهرها للعباسيين.. وتستقر العاصمة الجديدة على ثلاثمائة وأربعين فدانا وتضم وفقا لما يذكره المقريزي عدة أحياء هي الأزهر والجمالية والحسينية وباب الشعرية والموسكي والغورية وباب الخلق ويحيطها جوهر الصقلي بسور كبير جعل أهلها يطلقون على عاصمتهم بعد ذلك المحروسة...

ويبقى بناء جامع الدولة.. ويختار الخليفة الموقع في وسط العاصمة.. ويبدأ العمل في البناء يوم السابع من مايو ١٩٧٠ بعد عام وواحد من فتح مصر.. وينتهي العمل بعد سنتين وثلاثة اشهر في مساحة تعادل ١٢ ألف متر مربع وهي تمثل نصف مساحة الأزهر اليوم..

وعاشت القاهرة عاصمة دائمة بالرغم من تعاقب الدول والغزاة.. وعاش الأزهر كما بناه الفاطميون.. لم يتغير شئ إلا مذهبه وتحوله من الشيعة للسنة.. وبقيت كل الأبنية والقباب والمنارة الوحيدة التي بناها الفاطميون .. لكن اللوحة التذكارية للبناء اندثرت وتاكلت بفعل الزمن وربما الحكام والشيوخ..

ويبدأ الأزهر دوره لكن تحت اسم جامع القاهرة نسبة إلى العاصمة ..

المصدر: الأهالي

للبحوث و التدريب و المعلومات

التاريخ: 3 ابريل 1996

أحمد الحصرى

ويتداول تحت هذا الاسم فى كتابات المؤرخين والباحثين من المسبحى إلى ابن الطوير وابن المأمون حتى كبير مؤرخى مصر الإسلامية المقريزى كان يطلق عليه حينا جامع القاهرة وحينا آخر الجامع الأزهر.. وظل الاسم فى تارجح حتى منتصف القرن الخامس عشر حتى توارى اسمه القديم وبقى اسم الأزهر .. ويعود اسم الأزهر فى رأى فريق من المؤرخين إلى لقب السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول .. وكانت الدولة الفاطمية تنسب إلى السيدة فاطمة الزهراء.. بينما ينسب فريق آخر الاسم إلى ظاهرة اجتماعية وإسكانية تتصل بتخطيط القاهرة فى عصر الخليفة العزيز بالله وبداية إنشاء القصور الفاطمية الرائعة فى بنائها وتنسيقها حتى سميت وقتها بالقصور الزاهرة.

كان الأزهر أول مسجد جامع فى مصر يطلق الدعاء الشيعى منذ اليوم الأول لافتتاحه وكان الدعاء يقول: اللهم صلى على محمد النبى المصطفى وعلى المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، اللهم صلى على الائمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين».. وكان الأذان على منارة الأزهر يقول «حى على خير العمل» بدلا من «حى على الصلاة، حى على الفلاح».. وكان يتضمن بعض العبارات ذات الطابع المذهبى مثل «محمد على خير البشر».. وظل الأذان الفاطمى معمولا به حتى سقطت الدولة الفاطمية وتولى الحكم صلاح الدين الأيوبى وكان سنيا شافعيا فأبطل سائر العبارات الشيعية وعاد المؤذنون إلى أذان أهل مكة..

حلقات ودروس

كان نظام الحلقات الدراسية وقت إنشاء الأزهر معروفا فى مصر وأخذ به فى جامع عمرو وفى جامع ابن طولون.. وكانت الحلقات الدينية واللغوية والأدبية التى تعقد فى جامع عمرو أشهر مراكز الحياة العقلية فى مصر خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة وكان من الطبيعى أن يأخذ الأزهر بالنظام التقليدى حتى تسنح له الفرصة كى يدخل ميدان الدراسات الجامعية.. وكانت أولى الحلقات التى بدأ بها الجامع الأزهر على يد أبو الحسن القيروانى قاضى القضاة وجاء لسماع درسه حشد كبير من العلماء والكبراء .. أما موضوع الدرس الذى اختاره أبو الحسن فكان عن مبادئ الفقه الشيعى وبعدها أملى على الحاضرين فقرات من كتاب يسمى «الاقتصار» وهو مختصر لكتاب فى الفقه الشيعى الإسماعيلى وضعه ابن حيون ويذكر المقريزى أن هذه الحلقة كانت فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هجرية وكان الشهر يقع فى الفترة من ١٠ أكتوبر إلى ٧ نوفمبر سنة ٩٧٥ ميلادية.

وتوالت بعد ذلك الحلقات وتطورت على عهد الخليفة العزيز بالله . وكان بنو النعمان يستأثرون بتصدر معظم الحلقة الدراسية.

وكانت حلقاتهم العامة ذات أهداف دينية وسياسية لكنها جعلت الأزهر يتجه منذ وقت مبكر فى الاتجاه العلمى واستطاع عن طريقها الأزهر أن ينتزع لنفسه زعامة الحركة العقلية فى مصر..

مشروع ابن كلس

وانتقل الأزهر بعد ذلك إلى مرحلة جديدة على يد الوزير أبو الفرج يعقوب الملقب بابن كلس الذى.. عرض على الخليفة العزيز بالله مشروعه العلمى ووافق الخليفة.. وكان المشروع يقوم على اختيار الدولة لجماعة من الطلاب للدرس والقراءة فى الأزهر بصفة دائمة ووفق نظام رتيب .. وكان على هؤلاء الطلاب أن يحضروا المجالس العلمية التى يعقدها ابن كلس فى الأزهر وأن يلازموه علميا.. وكانت هذه المجالس تعقد كل يوم جمعة بعد أداء شعائر صلاة الجمعة حتى العصر.. وحدد ابن كلس فى مشروعه التزامات الدولة تجاه هؤلاء الطلاب .. وكان عليها أن تشملهم برعايتها.. وترتب لهم أرزاقا شهرية وجرايه (عدد معين من ارغفة الخبز) تصرف لهم بانتظام وتعد لهم دار للسكنى على مقربة من الجامع الأزهر واختار ابن كلس لمشروعه ٣٥ طالبا واعتمد الخليفة تعيينهم .. وكان المشروع وطلابه ومسئوله بمثابة البذرة الأولى فى تحول الأزهر من جامع للشئون الدينية والسياسية والإدارية إلى جامعة..

والطريف أن ابن كلس يهوديا من بغداد وهرب منها بعد تراكم الديون عليه وأشهر إسلامه فى مصر وكان ذا ذكاء مفرط جعله مقرباً من الخلفاء حتى اختاره العزيز بالله وزيرا له .. وفى عهده عم الرخاء بالبلاد وكشف ابن كلس عن مواهب متعدده فى إدارة البلاد خاصة إدارة اقتصادها.....

ايوبيون ومماليك

وتأتى الدولة الأيوبية .. وتسقط الدولة الفاطمية.. ليتدهور معها مركز الأزهر .. ويهمل الأيوبيون رعاية الأزهر.. ويقصرون رعايتهم على الكليات التى أقاموها وتحرم الأزهر من موارده المالية وتنكمش الدراسة فى أروقته بعد هجرة معظم شيوخه إلى كليات الأيوبيين بدافع المرتبات المغرية والامتيازات السخية.. وتتضاءل أهمية الأزهر طوال حكم الأيوبيين لكنه سرعان ما يسترد اعتباره بعد سقوط دولة الأيوبيين واستيلاء الظاهر ركن الدين بيبرس على الحكم.. وتعود صلاة الجمعة إلى جامع الأزهر.. ومع استرداد مركزه الدينى يستعيد مركزه العلمى ويضيف إلى دوره بعدا اجتماعيا بعد أن فتح أبوابه للقادمين من الريف والتجار والصناع وغيرهم من أرباب الحرف وفيهم الجند والعوام من الباعة والسوقه.. ويحكى المقريزى إن الأزهر كان ملتقى لكل المعوزين .. وصار أرباب الأموال يقصدون الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس والأطعمة والخبز للمقيمين وبلغ عدد المجاورين ٧٥٠ رجلا .. وكان الجامع مبيتاً لكثير من الناس ما بين تجار وجنود وغيرهم..

ويحكى الجوهرى الصيرفى دور الأزهر فى الأزمات الاقتصادية.. كان ذلك فى ظل الظاهر سيف الدين برقوق (٧٨٤هـ - ١٣٨٢ م) وقتها وقعت أزمة تموينية .. ارتفعت أسعار مواد المعيشة ارتفاعا فاحشا بعد أن اختفى القمح والفول والذرة والشعير وانعدم وجود الخبز فى المخابز والأسواق سبعة أيام متوالية.. ولم يجد الناس سوى الجامع الأزهر . حتى وصلت مراكب الغلال إلى ساحل بولاق..

وينتعش دور الأزهر فى عهد دولة المماليك.. وترتفع زعامته الفكرية.. ويقصده العلماء من الشرق والغرب..

ويجتمع فى وقت واحد عشرات من نوابغ الفكر الإسلامى فى شتى العلوم والفنون .. منهم: أبو العباس القلقشندى .. وتقى الدين المقريزى.. وابن حجر العسقلانى.. وبدر الدين العينى وسراج الدين البلقينى .. وشرف الدين المناوى.. وأبو المحاسن بن تغرى بردى .. وشمس الدين السخاوى.. وجلال الدين السيوطى .. ومحمد بن إياس.. وغيرهم ويأتى إلى الأزهر العلامة المغربى محمد الفاسى.. ومن قبله جاء العلامة والفيلسوف والمؤرخ ابن خلدون وتمتد إقامته ٢٣ سنة حتى تأتيه المنية.. ويتصدر ابن خلدون حلقات الأزهر.. ويتأثر به أعلام الفكر فى مصر .. وتتيح الإقامة فى الأزهر لابن خلدون واشتغاله بالتدريس وقربه من المكتبات لتنقيح وتهذيب مؤلفيه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر..» و المقدمة الشهيرة.

وتتأكد زعامة الأزهر وتستقر فى العالم الإسلامى بعد سقوط بغداد وتصدع الحكم الإسلامى فى الأندلس وينتقل إلى مصر علماء المشرق والمغرب ليعملوا فى رحاب جامعة الأزهر أساتذة زائرين أو أساتذة متفرغين.

عثمانيون وأزهريون

ويأتى الحكم العثمانى .ويقوم

الأزهر بدور جديد يحافظ فيه على التراث العربي والطابع العربي لمصر.. ويتعزز ذلك بالتحام جماهير الشعب المصري مع الأزهر بعد أن أصبح جزيرة عربية في وسط دواوين الحكومة التركية والمناصب القيادية الحكومية العثمانية.. ويحكي الجبرتي عن مظاهر الالتحام بين الأزهر والجماهير فكان الشعب ينظر إلى علماء الأزهر على أنهم الملاذ الأخير إذا ضاقت به السبل وجاوز الحكام الظالمون المدى.. وكان المصريون لايتجهون الا للأزهر ولا يلتمسون تدخل أحد سوى علماء الأزهر.. ومن مآذن الأزهر كان المصريون الثائرون يدقون الطبول وتعلو أصواتهم هاتفة بسقوط الظلم وداعية التجار إلى غلق حوانيتهم.. وفي الأزهر كانت تتعطل الدراسة مشاركة من العلماء والطلبة للجماهير في مشاعرهم.. ومن الأزهر كانت تخرج المواكب الجماهيرية الصاخبة يتقدمها شيخ الجامع والعلماء راكبين البغال ويحف بهم المجاورون من اليمين والشمال ومن الأمام والخلف... هكذا خرجت الزعامة الشعبية من الأزهر بعد أن توطدت زعامته الفكرية.. أما شئون الحكم فقد انتقلت من الأزهر إلى الدواوين وقصور الأمراء والسلاطين...

ورغم الحكم العثماني يحافظ الأزهر على تراث ثلاثة قرون ويخرج منه علماء أفذاذ منهم نور الدين البحيري وشهاب الدين السنباطي وعبد الرحمن المناوي وشمس الدين الشيشيني وشهاب الدين القليوبي .. وشمس الدين العناني .. والاسحاقي وابن أبي السرور البكري.. وعبد الرحمن الاجهوري.. وأحمد الدريري.. ومحمد علي الصبان وخرج من الأزهر شيخ المؤرخين عبد الرحمن الجبرتي...

ويتواصل دور الأزهر.. ويفرض زعامته الشعبية بمقاومة الحملة الفرنسية.. ويقود ثورة القاهرة الأولى والثانية ويظل على موقفه حتى خروج الفرنساوية.. ولا يكتفي الأزهر، ويقف في وجه الوالي خورشيد باشا ويفرض على السلطان العثماني خلعه من الحكم.. ويأتي بمحمد علي ليكون أول حاكم من صنع الشعب.. ويلمع في الاحداث اسم عمر مكرم نقيب الأشراف لكن الأمور تختلف بعد سيطرة محمد علي على شئون الحكم.. ويحل الصدام بعد فترة قصيره.. فلم يكن محمد علي مجرد وال يريد الحكم وإنما كانت له احلامه ومشروعه في تحديث مصر وجيشها .. ويخرج الأزهر من دائرة الضوء .. وتنكمش زعامته الشعبية والعلمية ويتضاءل دوره خاصة مع اعتماد محمد علي في عملية التحديث على المدارس العليا التي قامت بتدريس العلوم الحديثة على النسق الأوروبي..

وتبدأ ازدواجية نظام التعليم في مصر وتتولى المدارس العليا تدريس علوم الهندسة والطب البشري والبيطري والصيدلة والكيمياء والتعدين والزراعة والنظم السياسية والمحاسبة والعلوم العسكرية والبحرية بالإضافة إلى البعثات العلمية في الخارج.. ولا يبقى للأزهر إلا الانكفاء على ذاته والاكتفاء بالعلوم الدينية واللغوية.. وربما كانت تلك الفترة هي بداية تحول في تكوين الأزهر وبداية للجمود والتمحور حول الأفكار السلفية والتشبث بها في مواجهة التعليم الحديث ومدارسه التي انتقصت من دور الأزهر.. والمفارقة التاريخية إن الأزهر يعود مرة أخرى في أحداث الثورة العرابية وثورة ١٩١٩- ويبرز الوجه السياسي والوطني لعلمائه وطلابه .. لكن دوره العلمي السابق لا يعود بعد أن تغير الزمن وتوطدت أركان المدارس العليا بقيام الجامعات الاكاديمية..

■ ويبقى لنا الأزهر «جامعا كاتدرائيا»...

- كل مصادر المعلومات من الأزهر .. جامعا وجامعة جزءان» للدكتور عبد العزيز محمد الشناوي رئيس قسم التاريخ سابقا بجامعة الأزهر.. والصادر عام ١٩٨٤ عن مكتبة الانجلو المصرية......

المصدر: الأهـــــرام
التاريخ: ٦ ابريل ١٩٩٦

رؤية: العمل التطوعى والمفهوم الحضارى للمشاركة فى التنوير والتنمية؟

نحن قوم لا نجيد الدعاية لأعمالنا الطيبة والخيرة والعظيمة بالرغم من تعددها وتنوعها وانتشارها، وقد يرجع ذلك إلى رغبة البعض السادية فى تعذيب الذات وإيلامها تمتعا بالايلام والتعذيب.. أو قد يرجع ذلك إلى عدم الرغبة فى تركيز الأضواء على كل ما يدخل فى نطاق النموذج والمثل الذى يحتذى به على الرغم من أن الأعمال الإنسانية على امتداد العالم وخاصة تلك الأعمال التى تحمل فى طياتها نبل المقصد ونبل العطاء تتحول إلى قصة يدورون حولها بالحديث والكتابة والتعليق - ليل نهار - بغير كلل أو ملل وكأنها الأمر الإنساني الوحيد المقبول فيه أن نصنع من «الحبة قبة» بحكم أن ما تحمله الحبة من قيم ونبل يحتاج إليها وبشدة وجه العالم المظلم وغير المنير.

ومن تقاليدنا أن نسمع عن العنقاء والخل الوفى باعتبارهما من المستحيلات ونتعامل معهما باعتبارهما ضربا من ضروب الأساطير وحتى بطولاتنا التاريخية وفتوحاتنا الكبرى تحولت إلى أساطير شعبية يتداخل فيها الحقيقة والخيال وتحتمل الصدق بقدر ما تحتمل الكذب، وكأن هناك نغمة شريرة تطاردنا جميعا وتدفعنا إلى مجاهيل اللايقين بالأحداث والأشخاص والأشياء.

وتبدأ القصة باسم لانسان لا أعرفه ولا أعتقد أن عشرات الملايين من أبناء مصر يعرفونه على الرغم من أنه عاشق لمصر، أحبها وأراد أن يحول حبه إلى شاهد حى - يستفيد منه أبناء مصر ويتلقون معه رسالة دائمة تقول إن هناك من يحب مصر ويعشقها كأبنائها الذين فهموها وخبروها فعشقوها.. وتحول معهم فهم مصر وعشقها إلى لون من ألوان الحكمة بكل ما فيها من فيض وعطاء على الغير والكون والإنسان، وقد يكون ذلك الفارق الكبير والضخم بين ما يبقى وما لا يبقى من الأعمال .. والاسم موضوع القصة مجرد لافتة على بوابة مدرسة كانت حتى وقت قريب مكانا مهجورا خاليا من الحياة والحركة والنشاط.

والاسم على بوابة المدرسة هو سلطان العويس والمدرسة بناء معمارى فيه من الذوق وفيه من العناية بالبناء والاهتمام بالتفاصيل الكثير والكثير.. والمدرسة فى النهاية بكل ما تضمه من مرافق وخدمات وبكل ما يتصل من وحدة علاجية طبية نموذج على عطاء المحب الذى لا ينتظر كلمة شكر ولا يترقب حتى كلمة مودة وعرفان بالجميل، لأن ما صنعه فى النهاية هو التعبير الكامل عن الشكر والمودة والعرفان، وهى أمور قد تغيب عن الكثيرين وتغفو عيونهم وقلوبهم وعقولهم عنها.. ولكن من يصنع الأعمال الطيبة لابد أن تكون فى كفه وفوق أنامله.

وقد استمعت إلى قصة مدرسة سلطان العويس والتى تكلفت ملايين الدولارات من محمد فريد خميس رئيس اتحاد الصناعات المصرية، وكان فى حديثه رنة اعتذار عن الحكاية، وكأن الحديث عن العطاء من الآخرين وعن الحب فى الآخرين يتطلب دائما استحضار الأعذار والمعاذير.. وكأنه أدرك أنه يقتحم عالما أراد صاحبه أن يبقيه فى طى الهدوء والسكينة بعيدا عن جلبة الأحاديث والأقوال والدعاية والإعلان. ثم امتد الحديث بيننا على استحياء وفى خجل ليشير إلى ذلك المهندس المعمارى المصرى العظيم الذى أخذ على عاتقه مسئولية التخطيط والتنفيذ لهذا الصرح الحضارى النبيل فى مدينة من مدن مصر الجديدة هى العاشر من رمضان.

وخلال الأسبوع الماضى تم الاحتفال بعودة الروح إلى مدرسة سلطان العويس بالصورة التى أرادها وتمناها لمصر بأن تكون مدرسة لتأهيل العمالة الماهرة المصرية فى جميع التخصصات.. وجاءت عودة الروح مع تحويل المدرسة إلى مركز من مراكز التدريب فى إطار مشروع مبارك/ كول الذى يسعى إلى سد النقص الكبير فى العمالة المؤهلة والمدربة الماهرة التى ترتقى إلى أعلى المستويات العالمية والتى تمثل العمود الفقرى لتشغيل الصناعات والخدمات والمرافق، وفى غيابها يفتقر الاقتصاد إلى عصب بالغ الأهمية وبالغ الحساسية يهدد كفاءة التشغيل والإدارة فى الصميم مما يهز النهاية صورة الانسان العامل والصانع والمدير.

ورسالة الحب التى بعثها سلطان العويس إلى مصر من دولة الامارات العربية المتحدة فى هذا الزمن الردىء لا تحمل فقط معانى الحب والعطاء ولكنها تؤكد معدنا نفيسا يتجاوز الحدود والقيود يجذب دائما - ومن جميع الارجاء - الجميع إلى القلب والمركز.. إلى البؤرة ونقطة الاشعاع التى تضم بين جناحيها عالما فسيحا رحبا يمتد عبر ارجاء عالمها العربى والإسلامى بغير قيود وبدون عوائق.. وتثبت أن الحب ليس كلمات تقال ولكنها أفعال تتحول على أرض الواقع إلى صروح زاخرة بالحياة والمعانى الايجابية الطيبة.

وجاءت رسالة الشكر المصرية إلى سلطان العويس بمبادرة من أحد أبناء مصر فى مدينة العاشر من رمضان تبرع فيها بالفيلا التى يملكها لتكون مقرا لإدارة مشروع مبارك كول بالمدينة حتى ينسكب شهر العطاء المتدفق بغير انقطاع.. وهى رسالة شكر لا تحتاج إلى صخب الدعاية، ولكنها تحتاج إلى استثارة الهمم وتحفيزها حتى يقوم كل منا بواجبه نحو بلدة من منطلق عطاء الحب الحريص على اضافة كل ما هو جديد إلى البناء وإلى التعمير والعمران باعتبارها «ضريبة حكمه» تسهم فى حل مشكلات لا حل لها.. وتنزع فتيل قنابل متفجرة يصعب حصر اضرارها وخسائرها إذا ما تركت لتتصاعد وتتفاقم وتنفجر بغير تمييز وبدون وعى.

وقد يكون فى مقدمة الأشياء التى تحتاج إلى عطاء الحب المشاركة الفعالة فى تنوير الافكار المظلمة التى تدفع بالجهل وعدم المعرفة إلى القول بأن مصر دميمة، وأن مصر بكل مشاكلها وبكل الظروف الضاغطة عليها قد شاخت وملأت وجهها التجاعيد وأثقل كاهلها خطوب الزمان وعوادى الدهر ويدفعهم جهلهم وسوء ظنهم بوطنهم وأهلهم إلى الترويج لأفكار مبتذلة تقول إن الروشتات النمطية المستوردة من العالم الخارجى قادرة على تشخيص الداء وتقرير الدواء، وأن مصر يجب أن تقبلها، كما هى وتنزع عقلها من رأسها وتعتصر قلبها من صدرها.. وهو هذيان لا يعرف الخجل أو الحياء ويتنكر بالشرر المستطير من افساح المجال للجهلة والجهلاء فهم كغثاء السيل مصيرهم الحتمى هامش الحياة والاحداث باعتبارهم فقاقيع فى الهواء.

ومن الطبيعى فى فترات التحول والاصلاح واليقظة أن يظهر على السطح هذيان فقاقيع الهواء تسبح بحمد الخارج والخارجين وتدفعهم الصدمة الحضارية إلى الانبهار الكاذب بأحاديث المقاهى والتعامل معها باعتبارها رأس الحكمة وينبوع المعرفة، وأن يؤدى شعورهم بالضآلة والتفاهة إلى التقليل من شأن وطنهم وبلدهم وما يملكه من إمكانات وموارد ومخزون معرفى وبشرى يمثل قاعدة وركيزة للانطلاق والتقدم السريع والعاجل.. وهو ما يؤكد حتمية الاعلام على نطاق واسع بحجم الجهد والعرق الذى يتم على امتداد ربوع الوطن والتعريف الدقيق بما يملكه الوطن من أصول انتاجية ورأسمالية وعلمية ومعرفية ضخمة والاسراع ببحث المشاكل المتراكمة والتى لا يمكن التهوين منها أو التقليل من تأثيراتها السلبية الفادحة، وما تحتاج إليه من جهود شجاعة وجادة على طريق الإصلاح.

يحتاج الاصلاح المصرى إلى قدر أكبر من حب مصر وإلى قدر أكبر من الثقة فى الإمكانات والقدرات المصرية، وإلى [illegible]رار دائم وعميق على أن مصر أعرف بمشاكلها وأعرف بحلولها واليقين بأن مصر على امتداد الزمن وبالرغم من جميع مشاكلها وكل تحدياتها الصعبة والشاقة والعويصة تزداد نضارة وتزداد جمالا وتزداد فتوة.. لأن مصر تقوى وتنهض فى مواجهة التحديات، وهى قادرة دائما على أن تخلق من المحن والنوائب بدايات فجر جديد.. فجر عظيم؟!

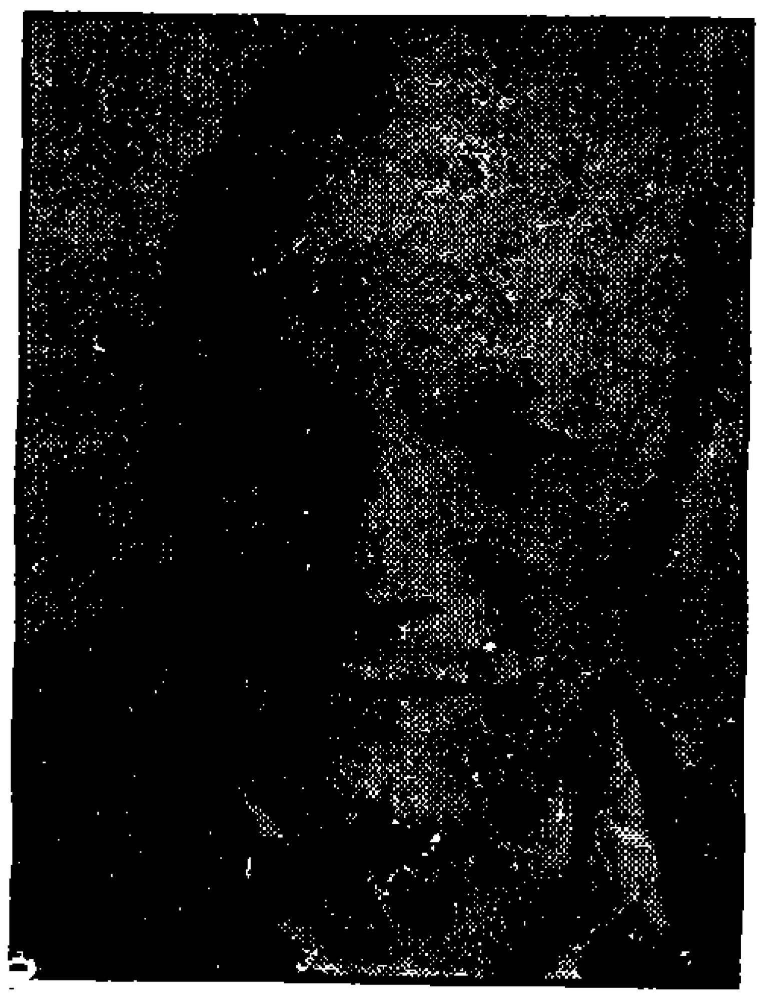
هموم سياسية

ما هو المستحيل في الحق ؟!

الحديث بين كل الناس عن من رحل عن عالمنا وتقبلنا فيه العزاء من العلماء الذين ادى كل منهم دوره كاحسن مايكون الاداء . الحديث لا يكون عن المتفاخرين بانهم سدنة معبد حكم الفرد او خدام النظام - او حملة المباخر للحكومات المتوالية او من اياد بيضاء على فريق من مراكز القوى في كل عقد من الزمان هؤلاء في مزبلة التاريخ لانهم لم يقدموا ما عندهم للناس اما الحديث بالذكر الحسن لامثال خالد محمد خالد- الشيخ جاد الحق علي جاد الحق الدكتور حسين مؤنس - الشيخ محمد الغزالي هؤلاء الذين جهروا بكلمة الحق في وجه حاكم ظالم وعمل كل منهم في مجاله على بيان رسالة الاسلام الشاملة وكشفوا جميعا عن معدن الاسلام الاصيل في صيانة الامة الاسلامية والعالم العربي والنهوض بهما وكانوا جميعا ومعهم من يماثلهم كشفوا عن مبدا وجوب صيانة الامة- وكانوا في مواقعهم يحرصون على الالتزام بالصدق والصراحة والوضوح والوفاء لكتاب الله ولهذا الدين والحفاظ عليه اننا الان ندهش لما يحدث في جريدة الاهرام من تقدير وتابين للشيخ الغزالي في عهد الزميل ابراهيم نافع ونقارن ما حدث في بداية الستينيات عندما اطلق النظام رسام الكاريكاتير المرحوم صلاح جاهين ليسخر من الشيخ يوميا بعشرات الافكار الهدامة وتعرض لقيم الاسلام التي يعبر عنها المرحوم الشيخ الغزالي ارضاء لتحالف اليسار الشيوعي والاشتراكي. نفس الشيخ قديما كان تصور على انه يطان واليوم ينال التقدير والثناء على صفحات الاهرام وتجري مطابع الاهرام ببيان فضله وادبه وعلمه وحرصه على النظام سبحان الله هذه ليست المرة الاولى التي يتحالف الباطل على اهل الايمان الذين ينادون باهمية العقل في خلق عالم به تنوير على ضوء الرسالة المحمدية اننا كلنا نسعى بكل ما نملك باسالة حتى ولو عاش بعضنا صفحات نضال وسجن واعتقال ولكن في خيال كل منا التنوير في ظل القرآن اننا نتحمل جهالة الكثيرين من اجل تاصيل مبدا نظام اسلامي ثقافي عربي موحد في ضوء ما نملكه من معطيات تساعد على اثراء ذلك النظام. الاسلام باخلق هو نظام حياة متكامل للدنيا والاخرة لاتطرف فيه لا مغالاه لا انحلال لا ترخص بل الحضارة تزيد من فاعلياته في ضوء المتغيرات التي نعيشها الان فما احوجنا بالفعل لمثل هذا النظام الثقافي الذي يعيد للعقل العربي مكانته فوق خريطة عقول العالم فنلتزم بما عرف من الدين بالضرورة ونحرص على النقل في مجال الاحكام القطعية الدلالة ونتحرك في مجال المصالح المرسله باسالة الدين يحصن بالفضيلة والاخلاق والعقل يحصن بالقلم والمخترعات واعمال استعمار هذا الوجود والكشف عن مكنون اسراره من اجل الانسان هل فهم هذا الامر يعد صعبا او مستحيلاً . . .

رجب هلال حميدة
امين عام حزب الاحرار

رسالة.. وردها!



بقلــم :
أحمد عبدالمعطى حجازى

نعم. ارفض كل حركة إسلامية تسعى لاقامة حكومة بينية، لان هذه الحركة تفسد الدين وتفسد الحكم معا.

تفسد الدين لأنها تحوله إلى سلطة. وليس فى الاسلام سلطة بينية، ولم تكن فيه هذه السلطة أبدا. فالإسلام علاقة بين المرء وربه. وقد رفض الاسلام أن تنشأ فيه طبقة كهنوتية تنظم للمؤمنين حياتهم الروحية او تكون واسطة بينهم وبين الله، على نحو مانجد فى اليهودية أو فى المسيحية. فالقرآن الكريم صريح فى رفضه لهذه السلطة الدينية «لست عليهم بمسيطر». والرسول صريح فى رفضه لها أيضا. فحين شبهه بعض الصحابة ببعض حكام الأمم الأخرى فزع وقال: لست كأحدهم، إنما أنا رحمة مهداة. وحين عرض عليه عمر بن الخطاب أن يتخذ فراشا لينا حتى لايؤذى جنبه الحصير الذى اضطجع عليه، أجابه قائلا: مهلا ياعمر. أتظنها كسروية؟ إنها نبوة لا ملك!

فإذا كان الإسلام قد رفض منذ البداية أن يتحول إلى ملك أو تظهر فيه طبقة تكون لها ولاية على شئون الدين، فكيف يقبل الآن أن تظهر فيه هذه الطبقة، وأن تكون لها ولاية على شئون الدين والدنيا معا؟

وإذا كانت المجتمعات التى تعترف بوجود السلطة الدينية قد فصلت فى العصور الحديثة بين الدين والدولة، فقصرت عمل رجال الدين على تنظيم الحياة الدينية وحدها، ومنعتهم من التدخل باى صورة من الصور فى شئون الحكم والسياسة، فاولى بالمسلمين الذين لايعرف دينهم سلطة دينية أن يتمسكوا بمبدأ الفصل بين المجالين، ويتجنبوا أن يزجوا بالدين فى أمور السياسة.

فإذا قيل إن المسلمين عرفوا حكومات بينية فى العصور الماضية، قلنا: نعم، كما عرف اليهود والمسيحيون والوثنيون أيضا هذه الحكومات الدينية. فقد كان الطغاة القدماء فى حاجة إلى أساس شرعى يقيمون عليه طغيانهم. والمجتمعات القديمة بما فيها المجتمعات الاسلامية، لم تكن قد تطورت كما تطورت الآن، لتعرف فكرة

الديمقراطية، وحكم الأمة نفسها بنفسها، والفصل بين الدين والدولة، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، إلى آخر هذه المبادىء التى تدين بها المجتمعات الحديثة. بل كانت المجتمعات القديمة، ومنها المجتمعات الإسلامية، تعترف بالرق، وتتالف من أحرار وعبيد. ولهذا كان من السهل أن يتسلط عليها طاغية يزعم أنه من نسل الآلهة، أو انه مفوض من الله، أو أنه ظل الله على الارض، أو انه خليفة الله فى أرضه، اما الآن، فقد تطورت البشرية ولم تعد تسمح لأحد أن يستعبدها تحت أى شعار.

وهل قامت الحكومات الدينية فى الاسلام أو فى غيره على أساس الدين أو نزولا على رغبة المحكومين؟ أم أنها قامت بالسيف؟

لقد خاض الأمويون فى دماء الهاشميين، وخاض العباسيون فى دماء الأمويين، وخاض الفاطميون فى دماء العباسيين، وخاض الأتراك فى دماء المماليك.

وإذا كان التاريخ الاسلامى قد عرف فى فترات خاطفة حكاما عادلين، فعدل هؤلاء يعود أولا إلى صلاحهم، وليس لأنهم يستندون إلى نظام سياسى عادل. فالنظام الذى سمح بظهور عمر بن عبد العزيز مثلا، هو الذى سمح بظهور يزيد بن معاوية، والوليد بن عبد الملك، وأبى جعفر السفاح، وسليم الأول. ونحن فى حاجة دائمة إلى حكام صالحين، لكننا لانستطيع أن نعتمد على الصلاح وحده، فالطريق إلى الكارثة مفروش بالنوايا الحسنة. وإنما نحتاج أولا وقبل كل شىء إلى نظام يسمح لنا باختيار الحكومة، ومراقبة عملها، ونقدها، ومحاسبتها، ومعارضتها. وهذا هو النظام الديمقراطى.

وربما سارع الأستاذ حسن دوح إلى مقاطعتى قائلا: ولكن الإسلام يحض على الشورى، والشورى هى الديمقراطية!

والواقع ان الشورى شىء، والديمقراطية شىء آخر تماما. الشورى هى أن يستأنس الحاكم المطلق برأى من حوله، وله أن يأخذ به أو لا يأخذ، كما تستشير صديقا لك فى أمر يخصك فيشير عليك ويمضى الى حال سبيله دون أن يلزمك برأيه. لكن الديمقراطية تفرض على الحاكم أن ينفذ ماتحكم به الأمة أو نوابها.

والشورى لاتعرف الاقتراع العام الذى تعرفه الديمقراطية، لأن لكل مواطن فى الديمقراطية الحق فى اختيار الحاكم واختيار من ينوب عنه، أى عن المواطن، فى مراقبة الحاكم ومحاسبته. اما الشورى فغاية ماتصل إليه إن وجدت من يحترمها، أن تحصر حق اختيار الحاكم فى فئة محدودة من الزعماء والعلماء. فإذا بايع هؤلاء الحاكم فالحاكم حر بعد ذلك فى أن يستشيرهم او يهملهم، فإذا استشارهم فهو حر فى أن ياخذ برايهم أو يستبد برأيه.

المصدر : الأهـــــرام
التاريخ : ١٥ ابريل ١٩٩٦

الشورى تصلح لمجتمع بدوى يسيره شيوخ القبائل، اما الديمقراطية فهى النظام الذى لايستطيع مجتمع حديث أن يعيش بدونه، وإلا وقع فى الاستبداد والفوضى.

فإذا ظن أحد أن الحكومة الدينية التى قامت فى إيران أو فى السودان قد أخذت بالنظام الديمقراطى، لأنها تجرى انتخابات رئاسية أو برلمانية فهو واهم. لأن الحاكم الذى يدعى أنه يحكم باسم الله لن يقبل محاسبة أو معارضة من عباد الله. بل هو سيتهم المعارضين بالكفر والزندقة، وشق عصا الطاعة، وسيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. لا لأن هذا هو حكم الله فى المعارضين، وإنما هو حكم الطاغية الذى يكذب على الله وعلى الأمة، ويفسد الدين والحكم معا.

ويقول الأستاذ دوح إنه لايجد الآن فى مصر بالذات حركة إسلامية معلنة يستطيع أن ينسب إليها الإرهاب أو التطرف.

وأظن أن الأستاذ يعلم أكثر مما أعلم أن جرائم الإرهاب والتطرف التى نعانى منها منذ سنوات إنما ترتكب باسم الاسلام. لكن الأستاذ دوح يصوغ جمله صياغة مراوغة يتهرب بها من الإقرار بالحقيقة التى لايستطيع نفيها. فهو يشترط فى جملته أن تكون الحركة الاسلامية التى تمارس الإرهاب حركة معلنة حتى يعترف بأنها إرهابية. فإذا قلنا له: وما رأيك فيما يسمى بالجماعة الإسلامية؟ ومايسمى بتنظيم الجهاد؟ أجاب: هذه جماعات سرية!

غير أن سرية هذه الجماعات لاتنفى أنها إرهابية، ولاتنفى أنها تستخدم الاسلام فى تبرير جرائمها. والطريقة الوحيدة لتبرئة الإسلام من هذه الجرائم هى ألا نسمح لأحد بأن يقحمه فى السياسة.

والإرهاب ليس إطلاق رصاص وتفجير قنابل وخطف طائرات وحسب. الإرهاب أيضا إثارة وتحريض. والذين يقولون مثلا إن مصر خرجت من الاسلام لأنها سنت قوانين مدنية، وأنشأت اقتصادا حديثا، وفتحت مدارسها للبنين والبنات يحرضون الناس على الإرهاب والتطرف.

وقد استنكر الأستاذ حسن دوح محاولة اغتيال نجيب محفوظ، وعدها جريمة شنعاء. وتساءل عن الذين دبروا هذه الجريمة واختاروا أن تنفذ فى ذكرى حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل، واستثاروا عليه الذين حاولوا اغتياله بما حدثوهم عما كتبه فى قصة من قصصه. والمقصود رواية «أولاد حارتنا». وأنا لا أعرف الذين دبروا، لكنى أعرف الذين حرضوا، ومنهم المرحوم الشيخ محمد الغزالى الذى يعود الأستاذ دوح فينفى عنه الغلو فى الدين. فاذا كان هذا الشيخ هو أول من طالب بمصادرة الرواية، وهو أحد الذين أحلوا دم فرج فودة، وشهد أمام المحكمة التى نظرت القضية بأنه مرتد جزاؤه القتل، والخطأ الوحيد الذى ارتكبه قاتلوه أنهم نفذوا الحكم بدلا من الحكومة! إذا كان هذا هو ماحدث فكيف لايكون هذا غلوا فى الدين؟!

المصدر: الأهـــــرام
التاريخ: ١٥ ابريل ١٩٩٦

وأخيرا يطالبنى الأستاذ دوح بأن ألح على الحكومة لتفتح لمن يسميهم الدعاة أبواب الشرعية. شرعية أن يكتبوا فى الدين؟ أم شرعية أن يشتغلوا بالسياسة؟ إن كــانت الأولى، فــالأبواب مفتوحة لهم على مصاريعها، أمـا الأخـرى فـانا أحـاربهـا ، وأطالب كل مسلم مستنير بأن يحاربها

عن فتوى شيخ الأزهر



- أيهما نصدق: شيخ الأزهر عندما أكل طعام الأقباط فى كنيستهم أو شيخ الأزهر عندما أفتى بكفرهم
- الفتوى خطر داهم وشرارة قد تشعل حرائق هائلة
- ما تأثير الفتوى على نفسية أبناء المسلمين من أمهات مسيحيات؟
- كيف يكون رد فعل المتطرفين الذين يستخدمون ميكروفونات المساجد لإثارة المواطنين؟

هذه الفتوى وهذا المقال

عندما انتقل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق إلى رحاب الله، اتصل المستشار محمد سعيد العشماوي بـ«الأهالي» يطلب تأجيل نشر مقاله هذا الذى خص به الجريدة فى الأسبوع الأول من مارس الماضى، وذلك احتراما لنبأ رحيل الشيخ الذى لا نملك له إلا الدعاء بالرحمة والمثوى الطيب.

وتنشر «الأهالي» اليوم المقال نظرا لخطورة الفتوى وتداعياتها التى قد تؤثر على مجتمعات إسلامية عديدة، كما ننشرها لأهمية صاحب الفتوى شيخ الأزهر الراحل ولأهمية كاتب المقال الباحث والمفكر الإسلامى المستشار محمد سعيد العشماوى، آملين أن يتنبه شيخ الأزهر الجديد فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى لخطورة هذه الفتوى التى جاءت منشورة فى عدد شوال الماضى من مجلة «الأزهر» الشريف.

الأهالى



المستشار محمد سعيد العشماوى

نشرت مجلة «الأزهر»، عدد شوال ١٤١٦ هـ - فبراير/ مارس ١٩٩٦ م، من صفحة ١٤٤٠ حتى صفحة ١٤٤٨، فتوى لفضيلة شيخ الأزهر (الراحل) عن كفر وشرك اليهود والنصارى (المسيحيين). ونظراً لما لهذه الفتوى من خطر، للملابسات التى أحاطت بها والأحكام التى انتهت إليها، وما سيكون لها من أثر، على المستوى الفردى وفى المجال الدولى، فإنه يكون من الصائب والواجب أن نتعرض لها بالبيان والتحليل.

فقد أرسل الدكتور أحمد محمد على الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى (السعودية)، طلباً إلى فضيلة شيخ الأزهر يتادى فى أن الرابطة تلقت معلومات بشأن مقابلة صحفية أجرتها مجلة «تليراما» الفرنسية، العدد ٢٣٧٠ الصادر بتاريخ ١٩٩٥/٦/١٤، مع عميد مسجد باريس السيد (دليل أبو بكر) ذكر فيها «أن القرآن لم يحرم زواج المسلمة من اليهودى والنصرانى، وإنما فقهاء المسلمين من أجل التوسع فى المنع طلبوا أن يقاس اليهودى والنصرانى على من نزلت فيهم الآية التى تحرم الزواج من الكفار»، كما ورد فى المقابلة الصحفية أن السيد دليل ذكر أن «اليهود والنصارى ليسوا كفاراً، لأنهم سائرون فى طريق الله، ويجب أن ينهوا مسيرتهم حتماً إلى وحدانية «الله القطعية». وأضاف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى يقول: «إن هذه المقابلة سببت مشاكل خطيرة فى كثير من الأسر المسلمة المقيمة فى فرنسا نتيجة للاختلاط بغير المسلمين»، وأنه لا «يخفى ما لهذه التصريحات من أثر خطير على المسلمين، وقد تدفع بالمسلمات للوقوع فى حبائل النصارى واليهود مما يؤدى إلى تقويض المجتمع المسلم المتماسك».

ورداً على طلب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، فقد أصدر فضيلة شيخ الأزهر فتوى بُنيت على بحث فقهى مستفيض، وتأويل لآيات القرآن الكريم، انتهى فيها إلى «أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من الكفار»، سوأنه لا تحل المسلمة زوجا لغير المسلم سواء أكان يهوديا أو نصرانيا، أو من غيرهما، وأن أهل هذين الدينين يصدق عليهما وصف الكفار ووصف المشركين».

ولن نتعرض لموضوع هذه الفتوى، التى قصد بها الإثارة، حتى لا تكون الإثارة هى رد الفعل علينا، وخاصة أننا تعرضنا لهذا الموضوع تفصيلا - فى بعض كتبنا - مستندين إلى الآيات القرآنية والتفسير السليم غير المتناقض لها، وأن فتوى شيخ الأزهر تتضمن اتهام القول بغير ما جاء فيها بأنه «تجاوز فى فهم دلالات القرآن والسنة، وتأويل باطل للقرآن ، وقول فى دين الله - الإسلام - بغير علم»، أى أنها تشهر الحرب والاتهام بالجهل (وربما الكفر) على أى قول معارض ولو بسند، أو مناقض وإن كان بدليل.

أى الشيخين نصدق؟

إنما يعنينا فى هذا الصدد أن نشير إلى نقاط ثلاث:

■ فشيخ الأزهر (الراحل) الشيخ جاد الحق على جاد الحق، حرص لمدة عشر سنوات متتالية على أن يحضر مائدة الإفطار التى يقيمها الأنبا شنودة بطريرك الأرثوذكس فى دار البطريركية بالعباسية ويحضرها كبار رجال الحكومة، رئيس الوزراء والوزراء، وصفوة المجتمع المصرى من رجال القضاء والقانون والصحافة والسياسة وغيرهم. ويلقى شيخ الأزهر فى كل عام - عقب الإفطار - كلمة يذكر فيها الأقباط بكل خير ويثنى على العلاقة الطيبة المستمرة مدى التاريخ بين الأقباط والمسلمين على أرض مصر.

وفى شهر رمضان الماضى، ردد القس الذى كان يقدم المتكلمين - ومنهم شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية - آيتين من القرآن الكريم، كنا قد أشرنا إليهما فى بعض كتاباتنا، فقال: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة البقرة ٢ : ٦٢)، وبتبديل آخر فى سورة المائدة ٥ : ٦٩، «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين» (سورة آل عمران ٣: ١١٣ - ١١٤). واستمع شيخ الأزهر للقس وهو يقرأ هاتين الآيتين فى مناسبة تفصح عن قصده وتشى بغرضه، فلم يبد شيخ الأزهر اعتراضا، ولا قدم تفسيراً مغايراً، ولا انسحب من المجلس احتجاجاً على استعمال خاطئ، فى تقديره ، وحسب فتواه، لآيات القرآن.

شيخ الأزهر كان يأكل طعام النصارى (الأقباط) ويشرب شربهم، ويصلى فى كنيستهم، ويخطب ودهم، ويتحدث عنهم أمام كبار رجال الحكومة وصفوة المجتمع المصرى بالخير والاحترام، ثم بعد ذلك يفتى بأنهم كفار بل ومشركون من الذى نصدق: شيخ الأزهر حين يتكلم أمام الملا من أهل مصر لمدة عشر سنوات، أم شيخ الأزهر يوم يقدم فتوى بناء على طلب أمين عام الرابطة الإسلامية؟!

إن رأى شيخ الأزهر بأن المسيحيين - ومنهم قبط مصر - كفار مشركون لابد أن يتداعى إلى أن يطلق عليهم التفسير الخاطئ للآية «إنما المشركون نجس» (سورة التوبة ٩ : ٢٨)، والآية «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم» (سورة المائدة ٥ : ٥١)، مع أن للآيتين تفسيراً آخر أصح وأضبط، بأن أولاهما مخصصة بأهل مكة الذين وصفهم القرآن دائما بأنهم مشركون، كما أن الآية الثانية تتعلق بواقعة حدثت فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) ولا تتضمن حكما عاما مطلقا. فما الذى يجبر شيخ الأزهر على أن يتصل بالنجس، وأن يتولى غير المؤمنين؟ وهل نصح أولى الأمر فى مصر - والدين النصيحة - بألا يتولوا اليهود والنصارى رؤساء الدول فى مختلف أنحاء العالم؟ أم تراه أحجم عن النصيحة؟! وكيف يتصرف المسلمون فى هذا الجو المبلبل والمضبب والملغم؟ وماذا يفعلون وهم بإزاء أقوال متناقضة وأفعال متعارضة؟!

المتطرفون.. وهذه الفتوى

■ شيخ الأزهر من رجال الدولة المصرية، يعين بقرار يصدر من رئيس جمهورية مصر، ويتقاضى مرتبه من خزانة الدولة التى من أهم مواردها ضرائب يدفعها المصريون جميعا مسلمين وأقباطا، وأول واجباته من ثم أن يحفظ وحدة الوطن من أى فتنة، وأن يدرأ عن مصر أى خطر، مستندا فى ذلك إلى تفسير صحيح للإسلام،

معتمداً فيما يقول على ما فى الإسلام من رحمة وسماحة وعدالة وحقن دم الأبرياء، وعدم الاعتداء على الغير، أو استحلال دماء وأموال وأعراض الناس. ومع هذا فإنه يُصدر فتوى - لم تصدر من قبل خلال أربعة عشر قرناً - بأن المسيحيين (ومنهم قبط مصر) كفار مشركون، وفى مصر - على أقل تقدير - خمسة ملايين من المواطنين الأقباط الذين يتداخلون مع النسيج المصرى فى كل المقاهى والمساكن والمناشط وفى التاريخ والحاضر والمستقبل. فما أثر هذه الفتوى على المتطرفين والإرهابيين الذين يستخدمون «ميكروفونات» المساجد لإثارة العوام والقتلة والمخربين ضد الأبرياء من أبناء مصر الأقباط، فتجرى المذابح والمحارق فى المنيا وأسيوط والشرقية؟! وهل هذه الفتوى تيسر أم تعسر جهود المخلصين من أبناء مصر ومن المسلمين أنفسهم فى الحفاظ على الوحدة الوطنية ودرء أى فتنة دينية لا يستفيد منها إلا أعداء مصر، والذين يسيئون إلى الإسلام، ولو بجهل، فيظهرونه أمام العالم بصورة متعصبة إرهابية جاهلة؟! وما أثر هذه الفتوى فى عمل السلطات الحكومية لاحتواء أى تطرف باسم الدين وإرهاب بدعوى الشريعة، يتجه قصدا إلى أقباط مصر لإحراج الحكومة ولضرب وحدة الوطن ولإشعال نار الفتنة الدينية؟!

لقد أفاض شيخ الأزهر فى شرح عقد الذمة، وحقوق الذميين بناء على هذا العقد، مع أن عقد الذمة لا يكون إلا حيث توجد قسمة للعالم إلى دار سلام (حيث العالم الإسلامى) ودار حرب (فى كل أنحاء العالم الأخرى). وهذه القسمة قد انتهى أمرها وزال أثرها بحكم ما لحق بالعالم من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، ونشوء الدولة الحديثة التى تقوم على حكم القانون، وتنبنى على حقوق الإنسان. وتؤسس على مبدأ المواطنة. فكل المصريين، يستوى فى ذلك المسلمون والأقباط، مواطنون تتقرر من الدستور حقوقهم والتزاماتهم، وينظمها جميعا قوانين تصدر عن الشعب، بمعنى أن حقوق المواطن المصرى - مسلما أو قبطيا - لا تمنح من أحد، ولا تكون نتيجة عقد ذمة، كما أن الالتزامات لا تفرض عليه إلا بمقتضى الدستور والقانون دون غيرهما. والإشارة إلى عقد الذمة، كلام فى غير أوانه، وفى غير مكانه، قد يفيد ضمناً - على المستوى الوطنى - تجاوز الدستور وتخطى القانون، وترك الأمر نهبا لأى متطرف أو إرهابى يزعم أن قبط مصر بلا عهد ذمة، فيكون ذلك مسوغا شرعيا لإيذائهم ومنعهم من الحقوق المدنية والسياسية وخلق فتنة كبيرة وحرب عظمى.

الشيخ والرابطة

■ شيخ الأزهر حاول أن يحل مسألة طرحتها عليه الرابطة الإسلامية، فخلق مشاكل للمسلمين فى مصر وفى كافة أنحاء العالم، سوف تتفاقم مع الأيام وتتداعى بمرور الوقت، حتى تصل إلى نتائج شديدة الخطورة على الإسلام والمسلمين، فى كل مكان، ولآماد طويلة جدا.

فقد قصد بفتواه أن يمنع زواج المسلمة من كتابى، يهودى أو نصرانى، فأسقط على أهل الكتاب وصف الكفر والشرك، وهو وصف يطول كل الأسر - فى شتى أنحاء العالم - التى تزوج فيها رب الأسرة بزوجة كتابية أخذا بحكم القرآن «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» (سورة المائدة ٥ : ٥)، فقد وجد الزوج المسلم نفسه فجأة وقد تزوج بكافرة مشركة، لا عهد لها ولا ذمة، كما وجد كل شخص مسلم من أم كتابية أن أمه كافرة مشركة، وأنه قد يوصف بالكفر والشرك نسبة لأمه وأخواله.

وظهر للمسلمين الذين يقيمون فى كافة أنحاء العالم أنهم يقيمون بين مشركين وكفار، لا يجوز أن يتعاملوا معهم أو أن يتزوجوا منهم، مع أن فى أوروبا ٢٠ مليون مسلم يعيشون بين أغلبية مسيحية (نصرانية)، وفى الولايات المتحدة ٥ ملايين مسلم يعيشون بين أغلبية من المسيحيين فضلا عن اليهود، وفى الهند أكثر من مائة مليون مسلم يعيشون بين أغلبية هندوسية، وفى الصين والفلبين وروسيا وكثير من دول العالم أقليات مسلمة تعيش بين أغلبية كتابية أو غير كتابية (فى نظر الفقهاء). فما الذى سوف يفعله هؤلاء المسلمون فيما بعد مع زوجاتهم وأمهاتهم وأقاربهم وأصدقائهم الكفار المشركين، وقد كانوا يعتقدون أنهم أهل كتاب ليسوا من الكفار أو المشركين؟! هل تنفصم عرى العلاقات الزوجية والأسرية والاجتماعية؟ أم يلتفت الناس عن هذه الفتوى ليستطيعوا العيش فى هدوء وسلام؟

دعاوى عدم سماحة المسلمين

إن فى الفقه الإسلامى رأيا بأنه لا يجوز للمسلم أن يعيش فى غير دار الإسلام (أى فى دار الحرب) إلا مدة عشرة أيام، لأداء سفارة أو لفك أسر مسلم، فهل يمكن أن يُعاد استحياء هذا الرأى بعد زوال، كما استحييت فكرة دار الحرب ودار السلام فى غير أوان؟!

وقد تأكد الآن للمسيحيين (واليهود) فى كل العالم، وقد صدرت فتوى من شيخ الأزهر فى مصر بأنهم كفار مشركون، أن الدعاوى التى تزعم أن المسلمين غير متسامحين وأنهم معادون للغير ولو كانوا أهل كتاب، دعاوى لها أساس وذات سند. وبمجرد نشر مضمون فتوى شيخ الأزهر فى الصحف فى بلاد الغرب أو الشرق، غير الإسلامية، أو إذاعتها فى التليفزيون أو بثها فى الإذاعة، أو التسامع بها بين الناس سوف يثارون ويستفزون، وسوف تبرر الدعاوى العنصرية التى تهاجم الإسلام والمسلمين، ويُفرض على المسلمين الإقامة فى أحياء خاصة (كالجيتو اليهودى فى العصور الماضية) حتى لا يتعاملوا مع غيرهم، ويوطئ هذا لإقامة تجمعات عنصرية تقوم على أساس الفرز الدينى، سواء كانت إسلامية أم مسيحية أم يهودية أم هندوسية أم بوذية أم غيرها، وهو أمر يؤدى لا محالة إلى حروب دينية، ويهدد كل الدعاوى الإنسانية، كما يقوض كل الأسس الوطنية.

فهل إذا رمى الناس المسلمين بالتعصب، أو اتهموهم بالإرهاب، أو طالبوا بتجنبهم، أو عملوا على تهجيرهم من بلاد غير إسلامية، أو فرضوا عليهم قيودا فى الهجرة والحركة، أو سعوا إلى حصر قوتهم وشل فاعليتهم، هل إذا حدث ذلك وغيره وأكثر منه، لا نكون نحن المسلمين قد منحناهم التكأة فى ذلك، وقدمنا لهم الأسباب ومهدنا لهم الطرق؟ ومن الملوم حينئذ: الذى يتهم الغير بالكفر والشرك، فى زمن تغيرت كل عناصره وتبدلت موازين القوى، أو الذى يعتقد أنه لابد وأن يدافع عن نفسه إزاء اتهام خطير يؤدى إلى تصديع الأسر، وتقويض المجتمعات، وتهديم أسس النظام الدولى؟!

إننا نستشعر ما فى هذه الفتوى من خطر داهم، كما لابد أن يرى كل العقلاء. وإذا لم يكن بد من إصدارها فى هذا الوقت الحرج دوليا وإقليميا ومحليا، فقد كان من الممكن قصرها على الحد الأدنى اللازم للإجابة على السؤال - الذى كان إيحائيا - بغير تعميم وبدون إطلاق يمكن أن يكون الشرارة التى تؤدى إلى حرائق هائلة، أو يكون الإشارة التى تخلق فتنا كثيرة، أو يكون العبارة التى

المصدر: الأهــالــي
التاريخ: ١٠ ابريل ١٩٩٦

تسفر عن حروب دينية، أو يكون الإثارة التي تبرر العنصرية.

لذلك، فإننا نرجو من الإنسان في كل أنحاء العالم، مسلما كان أم غير مسلم، أن يركن إلى كثير من العقل وأن يأخذ نفسه بمزيد من الهدوء، حتى يتحقق العدل والأمن والسلام للناس جميعا، دون دعوات تكفيرية أو اتهامات عنصرية أو تصرفات شيطانية.

ومهما يكن من أمر فإن الفتوى صدرت عن رجل بشر أنهاها بقوله: «والله سبحانه وتعالى أعلم».

وفوق كل ذي علم عليم.

خطاب مفتوح إلى شيخ الأزهر

نحييكم بتحية الإسلام : السلام عليكم ورحمة الله

وندعو الله أن يعينكم على تحمل أثقال المشيخة وأن يرزقكم بطانة صالحة تأمركم بالمعروف وتنهاكم عن المنكر وأن يجنبكم بطانة السوء التي لا تألوكم إلا خبالاً ، وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن نبي الله المعصوم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام: (ومن يوقبيطانة السوء فقد وقي).

وأول ما نطلبه منك أن تطرح جانباً لقب (الإمام الأكبر) الذي يدير الرؤوس وينفخ الأوداج ويهز الأعطاف ويلوي الأعناق تكبراً وبطراً : فعهدنا بالإسلام أن لقب الإمام لم يمنح بمرسوم أو فرمان وإنما حظي به من استحقه عن جدارة وكفاية ، وكان ولي الأمر يعطي الألقاب الخاصة بالوظيفة فحسب مثل (قاضي القضاة) الذي أضفاه الرشيد على أبي يوسف، أما ألقاب العلم والفقه فلا، لأنه لا يملك ذلك ، وصفة (الأكبر) تتنافى مع التواضع الذي هو أول سمات العالم وتتعارض مع روح الإسلام ، فإذا كان الله جل جلاله (أكبر) فكيف يجوز أن يكون عبده (الأكبر)!

وعلى حد علمي وهو ضئيل للغاية فإن الوحيد الذي أضيف إلى إمامته أفعل التفضيل هو شيخ الأحناف أبو حنيفة فقيل (الإمام الأعظم) ، ودعني أسألك بصراحة : (الأكبر) ممن؟

اكتف بلقب (شيخ الأزهر) ففيه مقنع وتعبير عن حقيقة الحال.

ونأمل أن نرى فيك سعة الأفق وعمق التفكير ورحابة النظرة المستقبلية لا الجمود والتحجر والإنغلاقية ، لكي تدرك أن الفكر الديني في الديانات السامية الثلاث يمر حالياً بمنعطف في غاية الخطر والخطورة نظراً للثورات المتلاحقة التي حدثت وتحدث كل ساعة في العلوم الطبيعية (التجريبية) والاتصالات والتكنولوجيا حتى لم يعد هناك مجال لمجرد الإشارة إلى المسلمات والثوابت والمغيبات إذ لم تصبح كذلك، وأن (النصوص) جميعها في جميع العقائد الإبراهيمية بلا استثناء في محنة ما بعدها محنة إثر التقدم في الإنسانيات عامة واللغويات خاصة وأنها الآن تتعرض لـ: التفكيك والتجزيئ والتحليل والتحقيب والتزمن والتأقيت ، والهالة التي أحاطتها قروناً طويلة وكانت تبهر البسطاء طفقت تخبو ، والرد على هذه الألسنيات - يا صاحب الفضيلة أو يا فضيلة الصاحب - بالعلوم التقليدية مع بالغ التقدير لها وللدور الذي أدته باقتدار عظيم لم يعد مجدياً بل هو نوع من الهزل كالذي يتسلح بسيف في وجه من يحمل مدفعاً رشاشاً .

... وأن تعي أن من يكتب في (الإسلاميات) مثلي ، وهم كثير بحمد الله تعالى إن في المحروسة أو خارجها بمنهج جديد وأسلوب مختلف وآليات مغايرة وأدوات مستحدثة ولا يلوك الاكلشيهات المحفوظة والعبارات المكررة والآراء المعادة ولا يستخدم المنهج الضيق ، من يفعل ذلك ليس خارجاً عن الملة ولا كارهاً للإسلام أو هازلاً في موضع الجد ولا يجوز بمعيار الشريعة أن تقابل طروحاته بالسخرية والاستهزاء والتهكم والغمز واللمز والسب والقذف مثل الرمي بالجهل والجهالة دون عبارة واحدة فيها رد موضوعي كما فعل معي أحدهم مؤخراً في الجريدة القومية الكبرى في غرة شوال المنصرم.

وأن تعمل جاهداً على أن تحرص (مؤسسة شئون التقديس الرسمية) التي ابتلاك (أختبرك) الله تقدست اسماؤه بالتربع علي كرسي رئاستها - أن تحرص على قطع الطريق على البدعة التي شاعت بين وعاظ المسلمين هذه الايام وهي سهولة تكفير الموحدين لمجرد أنهم عرضوا اجتهادات أو كتابات لم يألفوها وفضيلتك لا ريب تحفظ الأحاديث النبوية الشريفة التي شددت النكير على هذا الصنيع الشنيع.



خليل عبد الكريم

وأن تنأى بنفسك وبالمؤسسة التي غدت مقاليدها بين يديك عن سلاح المصادرة الذي كان يستسهله (مجمع البحوث الإسلامية) ويلزمك أن تطلب قائمة بالكتب التي أفتى هذا المجمع الأريب بمصادرتها لتتيقن أن الأمر تحول إلى داء وبيل ، وأن تهمس في الآذان الموقرة لأعضائه كلي التقديس أن انفضوا عن أنفسكم غبار الكسل العقلي وشمروا عن سواعدكم وابذلوا الجهد في الرد على ما ترونه غير مؤتلف مع أفكاركم المهيبة.

وأعلم يا صاحب الفضيلة أن كثيرا مما أصاب هذا الوطن في حياته الفكرية والثقافية ... من وهن وضمور وهزال هو (من تحت رأس) هذا المجمع العجيب ومن ثم فإنني ألح عليك في ضرورة تنقيته من الأوضار التي ضربته حتى النخاع والا تعين فيه إلا كل كفء جدير.

ولزومية متابعة ما يصدره من مطبوعات وخاصة (سلسلة بحوث) فقد غدت نهباً مستباحاً لـ:الخشداشين والمتزلفين والمداحين والطبالين والزمارين ومن ثم جاءت إصداراتها - إلا أقل القليل - عجفاء

المحروسة
للبحوث و التدريب و المعلومات

المصدر : الأهـــالـــي

التاريخ : ١٠ ابريل ١٩٩٦

، نحيلة ، معروقة ، لا فقه فيها ولا فكر ولا علم ، حتى سلسلة (جمع الجوامع) للسيوطي طيب الله ثراه رفعوا ثمن العدد من ٢٥ قرشاً إلى جنيهين أي ثمانية أضعاف (مرة واحدة) حتى يهيس المشرفون عليها من الرواتب والمكافآت والبدلات (في المعجم الوسيط/ هاس من الشيء: أخذ منه بكثرة . أ.هـ. وتقول العامة: هاص يهيص بالصاد) ، ولتعد إصدارات المجمع كما كانت منذ عشرة أعوام حتى تليق بمكانة المحروسة في العالم.

وأن تعيد النظر في المناهج الدراسية بالمعاهد والكليات الأزهرية وخاصة في مادة الفقه إذ أنها تتناول موضوعات دخلت متحف التاريخ منذ أكثر من عشرة قرون مثل :أحكام ماء التبرؤ وسؤر سباع الطير وعدد ونوع أحجار الاستنجاء أو الاستجمار وضرورة استدبار القبلة عند قضاء الحاجة وهل الاكتحال والحجامة من مكروهات الصيام ، وهل يشترط في من نوى الحج أن يكون ممن يثبت على ظهر الراحلة بدون ضرر كبير ، وهل صيد البر يوجب القيمة أم الدم...

فمن يا شيخ الشيوخ يتوض الآن من البيار في مصر أو يستنجي أو في بيته سباع طير تشرب من آنيته ومن هو الذي يحتجم أو يحرص على معرفة اتجاه القبلة عند قضاء حاجته وهل بناء البيوت يبيح له استدبارها ومن من المصريين يركب راحلة وهو يتوجه لأداء فريضة الحج ومن منهم يصيد في البر وهو محرم وهم ممنوعون من تجاوز حدود مكة والمدينة؟.

وفي نطاق المعاملات مازالوا يدرسون بيوع البخس والملامسة والمنابذة وحبل الحبلة وفي التجارة ! شركات العنان والوجوه ... إلخ إلم يسمع - يا رأس شئون التقديس - أولئك الأكارم أن البيوع تتم الآن عن طريق الفاكس والتلكس وشاشات الحاسوب (الكومبيوتر) والأقمار والبورصات ... وحتام يظلون في هذا (الجيتو الفقهي)؟

وطهر الأزهر من الجناح الذي اتخذ معهداً لما يسمى بـ (الاقتصاد الإسلامي) أخذ يمنح رواتب أسطورية أدارت رؤوس الشرقانين (في المعجم الوسيط / شرقت الأرض : أجدبت واشتد جفافها . أ.هـ).

هذه سبة لا للأزهر فقط بل لمصر كلها ولا نظن أن تلك الدولة تسمح بتأجير حجرة في مدرسة ابتدائية لغيرها من الدول!!!

والغ الاتفاقية التي عقدها سلفك - عفا الله عنه - مع (رابطة العالم الإسلامي) ومقرها مكة المكرمة ولتكلف مدير مكتبك ليرسل خطاباً إلى المخابرات العامة يطلب موافاتكم بتقرير عن العلاقات المشبوهة التي تتشابك هذه الرابطة المريبة عبرها مع جهات عديدة تسعى سعياً حثيثاً لتركيع المحروسة ، وليست هذه هي الاتفاقية الوحيدة بل هناك غيرها ابرمت في العقد الأخير علمنا بعضها وخفى عنا الآخر وأولى مهامك مراجعتها وقطع دابر ما يحيط به الشك منها.

يمم وجهك شطر مجلة الأزهر وجدد شبابها (المجلة) وافتح صفحاتها لمختلف التيارات واجعلها منتدى فكرياً راقياً ولا تحل دونها وأصحاب الأقلام المستنيرة ولتكن بحوثها ودراساتها أعمق .. لكي تغدو المجلة جديرة بمؤسسة المحروسة الدينية الرسمية.

وأخيراً ليكن ولاؤك لوطنك وحده واحذر جوائز الملوك وهدايا الأمراء ونفحات الوزراء معلنة كانت أو خفية ، صريحة أو تحت أسماء أخرى وتذكر ما قاله سلفك الصالح فيمن يمد يده إليهم وفيمن يقف على أبوابهم ويغشى مجالسهم.

وبعد

فهناك الكثير مما أود أن أقوله إليكم ولكنني تجاوزت الحيز المتاح ، وما ذكرته فيه الغناء ولا يسعني إلا أن أذكركم بقول الشاعر:

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم).

المصدر : المجلـــــة

التاريخ : ١٢ ابريل ١٩٩٦

بعدما أصبح شيخاً للأزهر!

مــأزق المفتي



فهمي هويدي

القصة لا تخلو من طرافة، والمفارقة فيها تصلح لان تكون مادة للمعالجة السينمائية، المفتي مهتم بتعزيز منصبه وتوسيع صلاحياته، وحريص على التمدد على حساب مشيخة الأزهر، وهو ما برح يعلن في كل حين بصورة مباشرة وغير مباشرة انه هو - وليس شيخ الأزهر - صاحب الحق في الإفتاء، ومرجع الخلق فيما يستشكل عليهم. على الجانب الآخر يقاوم شيخ الأزهر في هدوء محاولات تغول المفتي، ويسعى جاهدا للتمسك بالصلاحيات التي يلح المفتي على سحبها منه، وتستمر المعركة سنوات، صامتة حينا وصاخبة أحيانا، لكن الريح تبدو مواتية للمفتي طول الوقت، حيث يناصره الاعلام الرسمي. وتبدو بعض التصريحات الرسمية أكثر ميلا لتوسيع اختصاصاته وتأييد طموحه، حتى يتطلع الى محاولة تقنين ذلك الوضع، وتبدأ الخطوات التنفيذية بالفعل في ذلك الاتجاه، فتعد مسودة أولية بمشروع القانون الذي يستجيب لرغبة المفتي وطموحه.

في هذه اللحظة الدقيقة يقع ما لم يكن في حسبان أحد، يموت شيخ الأزهر بسكتة قلبية، ويفاجأ المفتي بأنه أصبح شيخاً للأزهر!، ولانه من الطبيعي أن يحمل الرجل طموحه معه الى المشيخة، فإنه يغدو مطالبا بالتراجع في كل ما أعلنه وطلبه وهو في منصبه السابق، ليس ذلك فحسب، وإنما قد يجد الرجل نفسه مضطرا للدخول في معركة ضارية، للذود عن حياض صلاحيات مشيخة الأزهر، في الإفتاء بوجه أخص، اذا ما حاول المفتي القادم ان يفتئت عليها، سيراً على نهج سلفه، الذي لا نستبعد منه أن يحاول اكمال الشوط الذي بدأه ذلك السلف.

ماذا سيفعل المفتي لكي يمسح الذي فات، وكيف سيثبت اختصاص شيخ الأزهر في الإفتاء، وكيف سيدحض دعاوى المفتي الجديد اذا ما حاول أن يتمسك بكلام وأساليب المفتي السابق، وماذا سيقول اذا ما واجهه المفتي الجديد بمقولاته التي سبق له أن رددها وقت ان كان في المنصب؟ ليست عندي اجابة عن تلك الأسئلة، وأتركها لمن يريد أن يستبق الأحداث. أما فيما يتعلق بنا فليس لنا أن نتعجل، لاننا لو انتظرنا بعض الوقت فستأتينا الاجابات تباعا، لان العرض الحي ماثل تحت أعيننا!

فكرة انجليزية في الأساس

ما نستطيعه الآن، وما أحسبه مفيدا، هو أن نتتبع جذور المسألة، لكي نعرف كيف بدأت، ولماذا تحولت الى اشكال في نهاية الأمر؟.. من المهم أن ندرك ابتداء ان وظيفة المفتي ليس لها سابقة في التاريخ الاسلامي، ناهيك عن ان فتوى أي مفت لاتلزم الناس بحال، فكل مسلم تمكن من العلم الشرعي ودرس أصول الدين والفقه، يستطيع أن يفتي، وله أن يصبح مجتهدا اذا ما توافرت فيه الشروط المقررة لذلك. وللمسلم أن يتبع الفتوى اذا ما اقتنع بأدلتها الشرعية التي ساقها المفتي، وله ألا يأخذ بها اذا لم تقنعه تلك الأدلة.. وكون التجربة غير مسبوقة لايعني انها مرفوضة، ولكنها يمكن ان تقبل باعتبارها صيغة مدنية تنظيمية لوظيفة دينية مطلوبة.

وغني عن البيان ان الأمر اختلف في زماننا، حيث أصبحت الأمور أكثر اتساعا وتعقيدا، بحيث صارت هناك قضايا عدة ـ علمية واقتصادية مثلا ـ يحتاج الحسم فيها الى اجتهاد فريق، ويتعذر على علم فرد واحد أن يستوعبها ويقوم بها. لذلك فان بعض الدول اعتمدت نظام الهيئات التي تتولى تلك المهمة، مثل هيئة كبار العلماء في المملكة السعودية، ومجمع البحوث الاسلامية في مصر.

تاريخيا، فان الافتاء كان يخرج من صحن الأزهر. كان هناك شيخ لكل واحد من مذاهب أهل السنة الأربعة (المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة). وكان شيخ الأزهر يحمل لقب «شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية»، وظل هذا الوضع مستمرا حتى عصر الخديوي اسماعيل باشا (1863 ـ 1879)، في تلك الفترة كانت سلطات الاحتلال الانجليزي في مصر حريصة على التدخل في القضاء الشرعي ومهيمنة على وزارة العدل، غير ان مشيخة الأزهر آنذاك ـ ممثلة في الشيخ حسونة النواوي ـ قاومت بشدة تدخلات سلطة الاحتلال، التي ما لبثت ان سعت الى الالتفاف حول المشيخة، فحاولت اضعافها عن طريق سحب اختصاص الإفتاء منها، وكان اضعاف دور الأزهر سياسة متبعة منذ عهد محمد علي باشا، الذي تولى حكم مصر في سنة 1805، واعتبر ان الأزهر يمثل مركز قوة يمكن أن يحول دون انفراده بالسلطة، فضلا عن انه كان متطلعا الى أوروبا ومعتبرا ان التغريب هو الوسيلة المثلى لبناء الدولة الحديثة.

منذ عهد محمد علي في أوائل القرن التاسع عشر، ظلت سياسة أسرته تقوم على تقليص دور الأزهر واضعاف نفوذه، لذلك فان فكرة انشاء وظيفة المفتي وإلحاقها بوزارة العدل، وهي فكرة انجليزية في الأساس، لقيت قبولا من الخديوي عباس حلمي الثاني ابن الخديوي اسماعيل الذي ولي الحكم في مصر عام 1892م.

كان الشيخ محمد عبده مقربا من الخديوي عباس حلمي، فعينه في عام 1899 كأول مفت للديار المصرية، ولان الشيخ كان آنذاك شخصية مرموقة وعالماً جليل القدر، فقد كبر المنصب به، ورغم انه كان قبل تعيينه لذلك المنصب من كبار رجال القضاء الشرعي التابع لوزارة العدل، ورغم ان وظيفة الإفتاء كانت من الناحية الرسمية ضمن الوظائف العليا في وزارة العدل، إلا أن شخصية الشيخ محمد عبده برزت بصورة خطفت الابصار، حتى سحبت الأضواء من مشيخة الأزهر، وهو عين ما يأخذه بعض الناقدين على الشيخ

الامام، لانه قبل بارتقائه لمنصب أريد به في الأساس اضعاف الأزهر ومنافسة مشيخته، وهو ما حدث بالفعل.

غير انه بوفاة الشيخ محمد عبده في عام 1905، عادت الوظيفة الى وضعها المحدد في إطار القانون، وبقي المفتي واحدا من كبار موظفي وزارة العدل.

للدقة فإن وظيفة الإفتاء لم تكن غريبة تماما عن وزارة العدل، إذ كان لها وجود في إطار نظام المحاكم الشرعية، حيث جرى العمل منذ القدم على أن يكون في كل محكمة شرعية ابتدائية مفت هو نائب رئيس المحكمة الشرعية. وكان يسمى «مفتي الاقليم». وكانت لائحة المحاكم الشرعية الصادرة في عام 1910. تنص على ان «يؤدي كل نائب أو من يقوم مقامه وظيفة الإفتاء في المحكمة المعين فيها».

مهمة المفتي بأحكام الاعدام

وبمقتضى قانون الاجراءات الجنائية الحالي في مصر، فإن المهمة الرئيسية للمفتي هي إبداء رأيه في مدى مطابقة حكم الاعدام للضوابط الشرعية، لذلك فإن دار الإفتاء الراهنة ليست إلا إحدى ادارات وزارة العدل، ومفتي الجمهورية في مصر اليوم هو الذي كان لقبه سابقا مفتي «الحقانية» (وزارة العدل كان اسمها وزارة الحقانية).

من الناحية القانونية أيضا فإن شيخ الأزهر هو: الامام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسلام (المادة الرابعة من قانون تنظيم الأزهر الصادر في عام 1961).

القانون نفسه ينص على أن مجمع البحوث هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية، وان من مهامه «بيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية»، وهذا الاختصاص أكدته اللائحة التنفيذية للقانون، وأضافت المشكلات الاقتصادية الى قائمة المشكلات المذهبية والاجتماعية التي لمجمع البحوث وحده حق إبداء الرأي فيها.

رغم ان هذا هو الإطار القانوني الذي يحكم نطاق عمل كل من شيخ الأزهر والمفتي، إلا ان مجريات الأمور في الواقع مضت في إتجاه مغاير نسبياً، آية ذلك ان مجمع البحوث الاسلامية الذي يرأسه شيخ الأزهر كان قد أصدر فتوى تحرم فوائد البنوك الربوية في عام 1965، ولكن عندما أثير الموضوع مجدداً في أواخر الثمانينات، فإن وزير الأوقاف آنذاك قال في تصريح له ان «الدولة

تترك الحكم في هذه القضية لعلماء الدين، وبخاصة دار الإفتاء، باعتبارها الجهة المنوط بها إصدار الأحكام الشرعية» (جريدة الأهرام ـ 1989/8/13).

هذا التصريح اثار ردود أفعال عدة في أوساط العلماء والباحثين، الذين يعرفون ان الجهة المنوط بها إصدار الأحكام الشرعية في مصر هي الأزهر ومجمع البحوث، ولكن الحديث عن دار الإفتاء على ذلك النحو، واعتبارها صاحبة اختصاص في الموضوع، بدا اشارة الى ان الحكومة تؤيد قيام المفتي بتلك المهمة، خصوصاً انه صرح آنذاك بأن «علماء الدين سوف ينتهون قريباً من إصدار الحكم الشرعي في فوائد البنوك ومختلف المعاملات المصرفية»، وكان المقصود بذلك هو دار الإفتاء وليس الأزهر أو مجمع البحوث.

ذلك لم يكن حادثاً فريداً أو وحيداً. ولكنه مجرد نموذج لحالات أخرى عديدة بدا فيها ان السلطة راغبة ـ أو لا تمانع عند الحد الأدنى ـ في توسيع صلاحيات المفتي. لكي تكون له كلمة في شأن الإفتاء العام، تتجاوز حدود «الحقانية». والسبب في ذلك انه كان أكثر تجاوباً مع السياسات العامة من شيخ الأزهر. فقد وقف شيخ الأزهر داعماً لفتوى مجمع البحوث في شأن المعاملات المصرفية، التي اعتبرت الفائدة نوعاً من الربا، بينما اتخذ المفتي موقفاً مناهضاً، وحين انعقد مؤتمر السكان في مصر بترحيب من الدولة، فإن شيخ الأزهر وقع على بيان أصدره مجمع البحوث انتقد فيه بشدة مشروع الوثيقة المقدمة الى المؤتمر، بينما اختار المفتي ان يقف في خندق السلطة وبدا أكثر ليونة وإيجابية في التعامل مع المؤتمر والوثيقة. وفي الوقت الذي اتخذ فيه شيخ الأزهر موقفاً حازماً في رفض التعامل مع اسرائيل، فإن المفتي كان له موقف مغاير، حتى انه افتتح مؤتمرا شارك فيه بعض الاسرائيليين بصورة مكشوفة، حيث جاء بعضهم وقد وضعوا فوق رؤوسهم أغطية رؤوسهم المعروفة... وهكذا!

ادرك المفتي ان هناك من يرحب «بمرونته» و«تجاوبه»، واستثمر تلك الريح المواتية لأجل تعزيز موقعه واضفاء شرعية على دوره كمفت للديار المصرية، فكانت تصريحاته التي أعلن فيها أكثر من مرة انه الجهة المختصة بالإفتاء العام، وسعى الى تقنين الوضع الذي تطلع إليه، فعمل على استصدار قانون يلبي طموحه، وكما ذكرت فإن مشروع القانون تم اعداد مقترحاته الأولية بالفعل، وتم تداوله بين عدد من المستشارين وكبار رجال القانون المصريين.

ولعلنا لا نذهب بعيداً اذا قلنا ان الاستثمار كان متبادلا، فاذا كان المفتي قد عبر عن تجاوبه المستمر مع سياسة الدولة وحرصه على أن يستفيد من تلك الأجواء لتوسيع نطاق صلاحياته، فإن الدولة استفادت منه أيضاً، لانها كانت حريصة بدورها على تعزيز مواقعها في مواجهة التطرف الاسلامي، عبر تأكيد التطابق في مواقفها بينها وبين المؤسسات الدينية الرسمية، ورغم ان شيخ الأزهر لم

لا يهم من صاحب الإفتاء لكن الأهم هو استقلال

المصدر: المجلة
التاريخ: ١٢ ابريل ١٩٩٦

المؤسسة الدينية

يقصر في مساندة موقف الدولة إزاء التطرف والإرهاب، إلا انه ظل محتفظاً «بمسافة» عبرت عن هامش استقلاله، فلم يشترك مثلا في الجولات والقوافل التي دعا إليها وزير الأوقاف لمساندة الحكومة في موقفها. وطافت بطول البلاد وعرضها لهذا الغرض.

كان المفتي قاسماً مشتركاً في تلك الجولات، بينما نأى شيخ الأزهر بنفسه عن المشاركة فيها، واكتفى باعلان موقفه الواضح من المسألة.

المهم: استقلال المؤسسة الدينية

ذلك كله أصبح تاريخاً الآن، يرويه الناس ويتناقلون وقائعه، وقد يعتبرون منه وقد لا يعتبرون، ولا شك ان موقف شيخ الأزهر الجديد الدكتور محمد السيد طنطاوي من قضية صلاحيات مشيخة الأزهر ودار الإفتاء، سيكون موضع متابعة ورصد من جانب كثيرين، وهو جدير بالمتابعة لاريب، حيث قد يتمثل المخرج من المأزق في العودة الى صيغة شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية القديمة، وإلا فإن الأمر لن يخلو من منازعة وشد وجذب من الطرفين، ولن نستبعد تكرار مشاهد السنوات الماضية بين رأسي المؤسسة الدينية: الامام الأكبر ومفتي الجمهورية.

بصراحة، لا تهمني كثيراً مسألة الصلاحيات والاختصاصات، ولكن أكثر ما يهمني هو الحفاظ على استقلال المؤسسة الدينية ورموزها، بحيث تظل في ادائها مبتغية وجه الرحمن وليس رضا السلطان.

ولئن بدا المطلب صعباً في أجواء زماننا، ينبغي ألا نستكثر على أنفسنا أن نتمناه.. يوماً ما ■

الهجوم على السنة النبوية .. طعن في أساسيات الدين الحنيف

● محاولات الاساءة إلى الاسلام في قيمه ومبادئه لا تتوقف .. فمنذأن بسط الاستعمار نفوذه على البلاد الاسلامية - إلا ما عصم الله - عمل جاهدا على محاربة الاسلام والاساءة إليه في عقر داره .. وقبل أن يرحل كون كوادر من أنفسنا وأجاد في صنعهم لرعاية أهدافه من بعده .. وقد نجح هؤلاء في تأدية الأدوار التي أريدت - ومازالت تراد - منهم وحققوا لأعداء الأمة ما لم يحققه الاستعمار نفسه يوم كان موجودا ؟!

وآخر وأغرب محاولات الكارهين لما أنزل الله ضد الاسلام هو الهجوم على السنة النبوية المطهرة في محاولة لنبذها بدعوى انه يجب الأخذ مباشرة من القرآن فقط .

طبعا هذه الدعوى باطلة من أساسها ، والقائمون بها ينشدون - كعادتهم دائما - هدفا خبيثا هو هدم المصدر الثاني للتشريع وتجريد ديننا الحنيف من احدى ركائزه الأساسية كمحاولة للاجهاز على الاسلام كله .

حملنا هذى الدعوى الخطيرة والخبيثة الى علماء الاسلام فماذا قالوا ؟!

يقول الدكتور السيد رزق الطويل الأستاذ بجامعة الأزهر : هذه الدعوى مستمرة ولن تكون هي آخر دعوى .. لكن كل هذه الادعاءات أو الجهود التي تبذل في سبيلها لابد أن تنتهي بالفشل .. لأن السنة النبوية المطهرة تعمل في ظل الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنها مبينة للكتاب العزيز ، وهي تجسيد لما دعا إليه القرآن وأمر به .

جهود خارقة

أضاف أن علماء المسلمين الاعلام وبخاصة من توافروا على جمع السنة وتدوينها قاموا بجهود خارقة من أجل بيان الدخيل والمكذوب والضعيف وكأنهم لمحوا أن هناك شكوكا قد تثار حول هذه المنقولات . فهم كفوا الجيل الحاضر من المسلمين مؤونة الرد على هؤلاء المضللين وبالمنهج العلمي الدقيق .

إن علماء الجرح - أي تجريح الحديث والشك فيه - والتعديل وضعوا قواعد ضابطة تعطي تقييما دقيقا لكل حديث منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقبل أن يظهر هؤلاء المشككون وجدنا أسلافنا بينوا الأحاديث الموضوعة وصنفوا بها مصنفات كثيرة ، كما بينوا أيضا الأحاديث الضعيفة ، وصنفت كتب الأحاديث الصحيحة الأمر الذي يجعل هذه الدعاوى القائمة ليس لها مكان ولن تجد أذنا صاغية لأن السنة النبوية ضرورية للمسلمين لأنها تبين الجانب العملي للاسلام من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله وتقريراته .

أشار إلى أن هذه الدعوى لون من الطعن في أساسيات الاسلام وهذا أمر بعيد المنال بالنسبة لهؤلاء العابثين .. فالهجوم على السنة كمحاولة

تحقيق: حاتم هلال

لنبذها ستبوء بالفشل وهم كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

ومن الأمور التى ينبغى أن يعرفها كل مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما اصطفاه الله تبارك وتعالى رسولا إلى هذه الأمة كلفه بمهام ثلاث :

● أولها أن يتلقى القرآن الكريم من ربه .. « انك لتلقى القرآن من لدن حكيم ».

● ثانيها : أن يبلغه للناس .

● ثالثها : أن يحول هذا القرآن الكريم إلى واقع عملى بحيث يكون بعمله وسلوكه قدوة للناس جميعا .

إذن الذين يقفون فى وجه السنة المطهرة يريدون أن يعطلوا الجانب الثالث من هذه المهام وبهذا يتحول الاسلام الى قواعد نظرية .. وهذا أمر بعيد المنال وماهم ببالغيه .

وأوضح أن علماء المسلمين جميعا بكل توجهاتهم أحرص الناس على سنة النبى صلى الله عليه وسلم .. وكل ما يحدث بينهم من اختلاف فى وجهات النظر يقوم حول بعض الأحاديث ، يأخذ به فريق ويتوقف أمامه فريق آخر لكن السنة كمبدأ ومصدر ثان للتشريع هى محل اتفاق الجميع ولا يضرنا إذا تحدث أحد عن هذا الأمر حديثا منحرفا من بعض الذين لا يحسنون السنة أو يدرسونها .

إثارة البلبلة

ويؤكد الدكتور اسماعيل الدفتار أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة أن الهجوم على السنة من ناحية من فى قلوبهم مرض يأتى لاثارة البلبلة بين المسلمين .. خاصة أن توثيق السنة مسألة غير معروفة لكل الناس ، وأحيانا لجهل المهاجمين أنفسهم بهذا العلم .. وأى انسان يتعرض للأصلين الأساسيين : الكتاب والسنة بالرفض أو الانكار أو مخالفة ما جاء فى شأنهما من صحيح وصريح النصوص وكونهما من عند الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يكون مجتهدا أو مفكرا .. فقد يكون مجتهدا فى غير دائرة الاسلام أى فى دائرة الذين يحاربون الاسلام ويعاندونه .

أضاف ان جهود العلماء المسلمين فى توثيق السنة النبوية المطهرة تعتبر من وجهة نظر المنصفين المحققين من علماء توثيق الروايات التاريخية هو ادق واصح ما يمكن أن تصل إليه طاقة بشر .. وهذه الدقة راجعة الى أن المسلمين أدركوا منذ اليوم الأول لبزوغ شمس الاسلام أن الذى يبلغهم رسالة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم قدوتهم ومعلمهم الذى يبين لهم تفصيلات أحكام الاسلام ، ويشرح لهم ما يحتاجون الى شرحه من معانى القرآن الكريم . فاعتبروا السنة النبوية هى الأصل الثانى لأحكام وتوجيهات الاسلام .



● د. السيد رزق الطويل ●

إذن بدون السنة النبوية المطهرة لا يفهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح ومن هنا بذلوا جهودهم المتتابعة للحفاظ على ذلك الأصل دون تبديل أو تغيير .

ولهذا فإن الهجوم على السنة من قبل من فى قلوبهم مرض يعتبر جريمة وخيانة عظمى وهذا الهجوم الفاشل جاء بعد فشلهم فى الهجوم على الاسلام كله ولهذا فهم يحاولون الهجوم على جزئية جزئية لتكون النتيجة هى الهجوم على الاسلام كله وتنحيته .. ولكن هذا أمر مستحيل ونتائجه تأتى بأثر عكسى حيث تزداد موجة التدين كلما ازداد الهجوم على ديننا الحنيف .

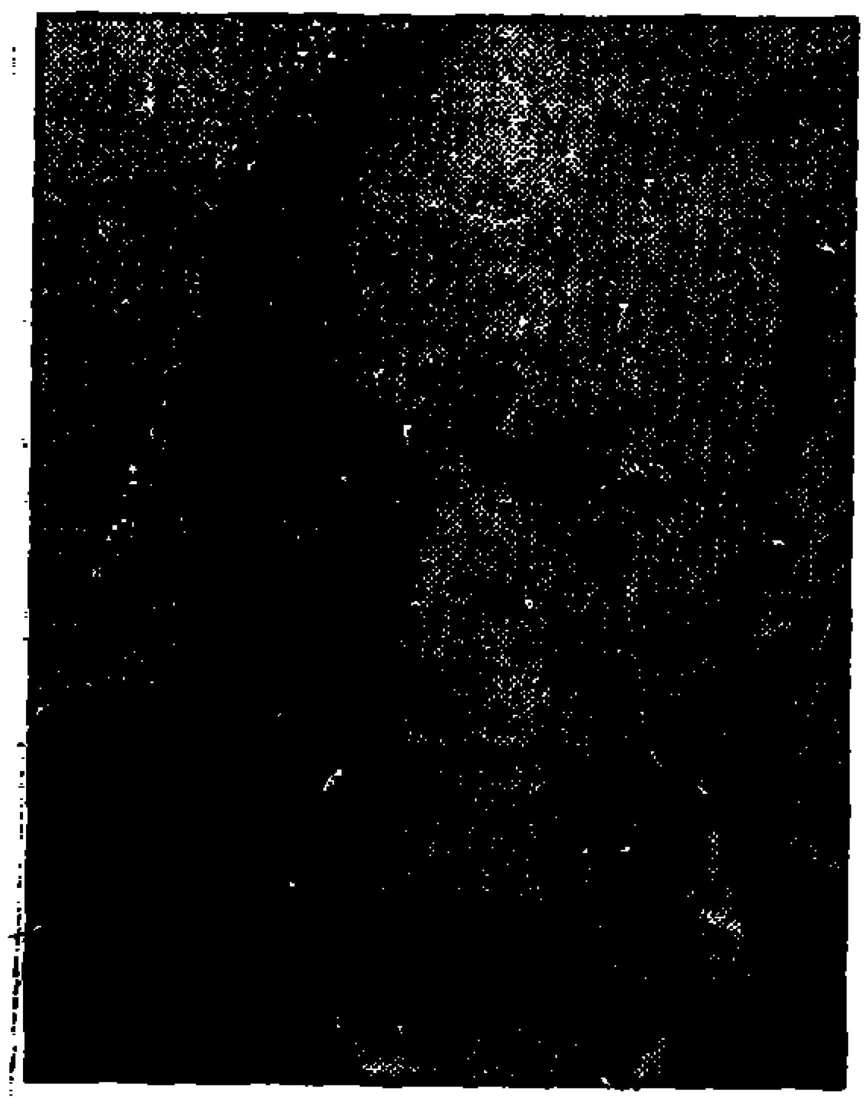
أما المفكر الاسلامى الدكتور أحمد عبدالرحمن فيقول : هذه الدعوى مدخل من مداخل عديدة لاقصاء الاسلام عن حياتنا .. لأن المطالبة بتجاوز الاسلام ككل قرآن وسنة شىء غير ممكن .. لكن خطتهم

المعروفة من أول هذا القرن هي القضاء على الاسلام نهائيا وتجاوزه لاحلال الفلسفة المادية فكرا وتشريعا ونظما وأخلاقا محل نظائرها الاسلامية وهذا ما يسمى بالاحلال الثقافي .. والكثير من هؤلاء العلمانيين يعتقد أن هذا هو الطريق الوحيد للنهضة ونعلم أن كثيرين جدا عبروا عن هذا . فهذه الدعاوى كلها ترديد ببغائي لكلام قيل في الهند وفي تركيا وفي مصر ابتداء من أول هذا القرن . أذكر السير سيد أحمد خان في الهند والذي كان يطالب بالغاء السنة . وفي تركيا معروف أن كمال أتاتورك ومجموعة كبيرة من المثقفين الأتراك في عهد أتاتورك طالبوا بنبذ السنة النبوية المطهرة بل طالبوا بنبذ القرآن وقلة قبلت من الاسلام العقيدة والعبادة .. وعندنا في مصر هنا الدكتور طه حسين وعبر عن هذا في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» وزكي نجيب محمود الذي وصل به الأمر في النهاية أن طالب بأن نكتب من الشمال إلى اليمين مثل أوروبا وأن نأكل ونشرب مثل أوروبا وكذلك سلامة موسى وغيرهم وأخيرا فلول الشيوعية والعلمانية الآن .

أضاف أن هذه الدعوى لاشك فيها خطورة وتشويش وتضليل لكن المجتمع المسلم على امتداد القرن ومع وجود هذه الدعاوى كان يقبل ومازال ـ ولله الحمد ـ أكثر وأكثر على الاسلام . وضاعف وزاد من موجة التدين في العالم الاسلامي بصفة عامة سقوط البدائل العلمانية فالشيوعية انهارت وأصبحت كأي نظرية فلسفية قديمة تدرس في أقسام الفلسفة .. ولكنها تدرس مثل نظرية المثل الأفلاطونية .. والبرجماتية الأمريكية تحتضر الآن في بلادها وتطبيقها أدى إلى تخريب الحياة الأمريكية والحيلولة دون تحقيق المثل الأعلى للفلسفة النفعية وهو السعادة ، وهناك ظواهر عديدة تدل على شقاء المجتمع الأمريكي وتعاسته منها ٥٠ ألف قتيل في سنة واحدة ومنها حوالي ١٠ ٪ من الشعب مصاب بالادمان ، و٥٠ ٪ من الاسرة في المستشفيات أمراض عقلية ونفسية والجريمة هناك غول رهيب يحصدهم ولا يعرفون كيف يعالجونها ؟ فما الذي يريده أذناب الاستعمار وأعداء الاسلام من الغاء السنة هل هو أن نكون مثل هذه المجتمعات ؟! أم اقصاء الاسلام واحلال النظريات المادية التي ثبت فشلها كله ؟!

أشار إلى أن علماء الحديث ما ادخروا جهدا في تمييز درجات الحديث وهناك كتب جمعت الأحاديث الزائفة كلها ومع ذلك نحن نطالب بالمزيد من الجهد والتمحيص .. لكن هذا لا يبرر اطلاقا الدعوى الخبيثة التي تستهدف الاسلام كله في النهاية .. فهذه الدعوى ليس لها مبررات وهم لا يهمهم قرآنا ولا سنة ولا اسلاما وما يحدث عداء صريح للاسلام وحرب عليه ويستحيل تماما أن يكون هدفهم هو خدمة الاسلام ويجب أن نفضح هذه الدعوى ونشرح أهدافها لجماهيرنا المسلمة .

رسالة أخرى..



بقلم :

أحمد عبدالمعطى حجازى

يسعدني أن أنشر هذه الرسالة الكريمة التي تلقيتها من الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأن أناقش ما جاء فيها، فنحن الآن في أشد الحاجة إلى الحوار حول ما يسمونه الحركة الإسلامية التي لا تتمثل في فكر إسلامي جديد مستنير بقدر ما تتمثل في نشاط سياسي عملي متعدد الوجوه يتميز أكثره بالعنف، وضيق الأفق، والانسحاب من حياة العصر، وتكفير المجتمع، ومحاربة النشاط الوطني، وشق وحدة الأمة، ومحاولة اسقاط الدولة المدنية والنظام الديموقراطي.

ومن المؤسف أن يتخلي بعض المشتغلين بالدراسات الدينية عنا، فلا يناقشون ما يقوله أصحاب هذا النشاط ولا يزنوه بميزان العلم والعقل، بل يلجأون في أغلب الأحيان إلى الصمت، ويتركوننا نواجه وحدنا من يضللون شبابنا، ويشترون ضمائرهم، ويلعبون بعواطفهم، ويلقون بهم وبنا وبمصر كلها إلى المهالك.

بل إن من علماء الدين من لا يقتصر على الصمت، بل يتورط في تزكية هذا النشاط المدمر، لأن علمه لا يعصمه من الوقوع في الخديعة، أو ليقدم خدمة ينال عليها الأجر في العاجل أو في الآجل.

فإذا رأينا اليوم مفكرا إسلاميا مرموقا كالدكتور عبد الصبور مرزوق يدخل المناقشة التي فتحتها رسالة الأستاذ حسن دوح من قبل فهذه بشرى.

والدكتور عبد الصبور مرزوق لا يمثل نفسه فحسب، بل يمثل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي يحتل فيه منصبا رفيعا، فدخوله المناقشة إشارة إلى تحول طرأ على موقف المؤسسات الدينية الرسمية خرجت به هذه المؤسسات من صمتها لتخوض معنا هذا الصراع الدائر، وتساعدنا في نقله من دوامة العنف الرهيبة إلى ساحات الرأي ومجالس الحكمة.

وأخيرا فرسالة الدكتور عبد الصبور بما تضمنته من فكر راجح مستنير ومودة فياضة، تتيح لي استكمال ما سبق أن عبرت عنه في كلمتي التي هنأت فيها صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر بمنصبه الجديد، ثم في ردي على رسالة الأستاذ حسن دوح التي علق بها على ما جاء في تلك الكلمة.غير أن ضيق المساحة لن يسمح لي بمناقشة ما جاء في رسالة الدكتور عبدالصبور اليوم، ولهذا أترك له مكاني وأعود للمناقشة يوم الأربعاء القادم.

أخى الأعز، الشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى
تحية ومحبة وأما بعد

فى ردكم المنشور بأهرام الأربعاء ٩٦/٣/٢٠ استوقفتنى ملاحظات أوجزها فيما يلى:

● أولا: أنك ترفض كل سعى لإقامة «حكومة دينية»

فإن كان القصد الحكومة التى هدفها «ولاية الفقهاء والمشايخ» فأنا معك.. أما إن كان القصد هو رفض استلهام «الإسلام» فى سياسة الحكم، فهذا ما لا يجوز رفضه، بل أتوقع منك وممن فى مثل حجمك من الثقافة والنضج أن تكون أول الداعين إليه. لأن فى الإسلام الصحيح من حسن السياسة ما يتحقق به حلم البشرية المفقود فى إصلاح الدنيا والدين جميعا.

● ثانيا: رفض الرسول صلى الله عليه وسلم للكسروية والملك ليس رفضا للدولة فى الإسلام ولكنه رفض لحكم الطغاة والمستبدين والمستكبرين فى الأرض بغير الحق.

● ثالثا: فى تسميتك للدولة فى الإسلام «بالحكومة الدينية» خطأ منهجى وتاريخى، لأن «الحكومة الدينية» ذات مدلول تاريخى تمثل فى كيان كهنوتى قام وطال مقامه فى أوروبا، واستغل الدين المسيحى فى تثبيته أبشع استغلال لإخضاع الناس له. وأخشى أن تكون قراءاتك الغزيرة عن سلطان البابوات، وقرارات «الحرمان» ومحاكم التفتيش وحرق المخالفين بتهمة الزندقة والكفر قد ملأت وجدانك نفورا فسحبت قسماتها على الدائرة فى الإسلام، مع أن الفرق كبير وخطير، فليس فى الإسلام كهنوت وليس فيه «رجال الدين» ولا طبقة «الاكليروس».

● رابعا: تقول: إن الطغاة يحتاجون دائما إلى الدين ليغطوا به استبدادهم، وأنا معك.. لكن فى الإسلام.. لا. لأن الإسلام وحده هو الذى عرى الطغيان ودمغه، وجعل أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

والإسلام وحده هو الذى فضح خلائق وعاظ السلطة، والمنافقين والانتهازيين، ومزورى الواقع، وأنزل فى القرآن آيات وسورا تدين هذا الباطل وتدمغه، وأنت تعرف الكثير منها، وفقط إنها تذكرة.

● خامسا: تحدثت عن الحكم الإسلامى والسيف؟!

ومن قال: إن الحجاج بن يوسف؟ أو معاوية أو العباسيين أو غيرهم ممن ذكرت كانوا حكاما دينيين؟ أو حتى حكاما بالإسلام؟ لقد كانوا حكاما لكن بغير الدين أى بغير الإسلام، بل لقد عدوا عليه، واستمر عدوانهم منذ أشعل معاوية «الفتنة الكبرى» التى لم تخب نارها إلى اليوم. وحسبك أن التاريخ لم ولن يغفر لهؤلاء جنايتهم على الإسلام.

ثم.. إذا كنا لا نحمل «اليهودية» جرائم الصهيونية، ولا نحمل المسيحية خطايا «البابوات»؟! فكيف نحمل الإسلام خطايا من خرجوا عليه وظلموه؟!

سادسا: تقول: إن النظام الذى أنتج عمر بن عبد العزيز هو نفسه الذى أنتج يزيد بن معاوية، وأبا جعفر السفاح، ثم ترتب على ذلك أن الديمقراطية وحدها هى النظام الذى يسمح باختيار الحكومة، كما يسمح بنقدها وتغييرها؟!

ودعنى أسألك: هل استطاعت الديمقراطية التى يتغنون بها فى الغرب أن تأخذ طريقها للتصدير خارج ديار الأقوياء والأغنياء، الذين يمارسون على العالم خارج ديارهم أبشع صنوف الطغيان والاستكبار والاستغلال؟!

بل هل حقا تطبق الديمقراطية فى التعامل مع السود والملونين والراغبين فى حقوق تقرير المصير فى أمريكا وأوروبا. وفى المملكة المتحدة؟

وهل تظل «الديمقراطية» أمل العالم وهى تبيح للرجل أن يتزوج من الرجل؟ وتبيح لأهل هولاندة إلقاء فائض الزبد فى المحيط وللأمريكان إحراق فائض القمح، ورصف الطرقات بفائض القطن.. حتى لا تنخفض أسعارها بينما تجوع الملايين من البشر وتعرى فى العالم الثالث الذى نحن أكثر سكانه؟؟!

● سابعا.. وأخيرا

قبل أن يعرف العالم «الديمقراطية» كانت «شورى الإسلام» والتى قلت عنها - ولا أدرى كيف طاوعك القلم - إنها أليق بمجتمع بدوى - مجتمع شيوخ القبائل. وأنها غير ملزمة. وأنها.. وأنها... ولأن المقام هنا لا يتسع..

فسيكون لى معك مقال طويل ترى فيه أن الشورى فى الإسلام هى الحاجز الأعظم ضد الاستبداد بالحكم أو بالرأى، أو حتى فى السلوك العام.

وسترى قبل هذا أنها «ملزمة» وليست «بمعلمة» كما قال أحد وعاظ السلاطين.

الشورى ليست بالهوان الذى بسطته فى حالة واحد يستشير صديقه فى أمر ثم يمضى لحال سبيله.. كلا..

إنها قسمة رئيسة للمجتمع الصحيح الإسلام، تحمى فيه الفرد من نفسه وتحمى فيه الشعب من استبداد الطغاة.

وحسبك أن تتذكر أنه ليس ثمة دين سماوى ولا وضعى سجل كتابه النقد الذاتى لصاحب الرسالة، كما سجل القرآن فى عتابه للرسول فى سور الأحزاب والتحريم وعبس!! بينما تجرم الديموقراطية أى مساس بالذات الملكية والجمهورية، بل حسبك أن تتذكر أن الإسلام وحده هو الذى توعد الفراعنة والقوارين وأعوانهم من الهامانات وحذرهم من بطش الله الذى هو لهم ولكل المفسدين فى الأرض بالمرصاد.

أخى الأعز

والحديث إليك موصول ومحبب..

وريثما نلتقى تقبل سلفا موفور تحيتى وتقديرى

د/ عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٩٦/٤/١٣

للبحوث و التدريب و المعلومات

المصدر: الجمهورية

التاريخ: ١٩ ابريل ١٩٩٦

العمامة فى الأصل .. لوزير العدل!

خبران نشرتهما جريدة « عقيدتى » يلفتان نظر كل غيور ومهتم بالشئون الاسلامية فى العدد الصادر فى ٢ ابريل الجارى ، جعلا الافكار تتزاحم فى رأسى حول آثارهما وما يترتب عليهما وهما يحتاجان الى تعليق .. وما هذا التعليق من جانبى إلا خواطر لا تتعلق بالشكل فحسب بل بالجوهر وهو الاهم .

الخبر الاول : وهو قرار للدكتور الفاضل محمود حمدى زقزوق وزير الاوقاف وهو زميل فاضل فعلا أعرفه من عصر الزمالة فى معهد دمياط الدينى فى الاربعينات وينص القرار على إلغاء فكرة توحيد خطبة الجمعة بالمساجد وما أعظمه وأعدله من قرار سليم يتمشى مع الحكمة الاسلامية من خطبة الجمعة ، ثم نهى عن التطويل كما نهى عنه الشيخ محمد متولى الشعراوى وعن استغلال المنابر للتطاول على الناس .. وهذا الموضوع أرجىء ما عنى ليحوله من خواطر الى مقال آخر ..

* * *

أما الخبر الثانى فيأتى فى صورة قرار ايضا للشيخ أحمد المدنى مدير عام أوقاف الدقهلية وهو إلزام الائمة والدعاه بالزى الرسمى فى كل وقت أثناء قضاء مصالحهم فى الادارات مختلفة .

وهنا يثور الخاطر فى نفسى وأتساءل :

هل العمامة والكاكولا زى رسمى لرجال الدين وهل فى الاسلام حقيقة طائفة تسمى « برجال دين » .. وهل إذا لجأ متأفف من العمامة الى القضاء يلزمه بارتدائها ، وهل هى فكرة إسلامية أو فكرة مستوردة ؟!

وهنا أقول إن الزى الازهرى الذى يهرب من ارتدائه بعض الازهريين لغير ضرورة تدعو الى ذلك هو موضع حوار منذ سافرت بعثة محمد على باشا للتعليم فى فرنسا .. ثم ثارت المناقشات عندما قام الامام محمد عبده بحملته الاصلاحية فى الازهر بل ان الشيخ محمد عبده نفسه وهو الامام الازهرى المصلح تعرض لضغوط شديدة كى يخلع العمامة ، ولكن نزعته الوفية لبيئته الازهرية المعتزة بعرفها وتقاليدها أبت ذلك .. وقد روت هذه الحكاية على لسان العالم الكبير رشيد رضا وهو يحكى سير الامام فيقول :

حدث والامام محمد عبده يشتغل فى الحكومة أن حرضه بعض الكبار على ترك عمامته الى الطربوش ، فأبى وامتنع ، فاستعانوا عليه برياض باشا وأوهموه أن الشيخ يريد أن يترك العمامة فعلا ، ولكنه يحتاج الى من يشجعه أو يطلب منه ذلك ، فحادثه رياض باشا الشيخ فى الفكرة فعاود اباءة ولما الح عليه رياض باشا قال الامام :

« إن كان لابد من ذلك فإنى سأخلع عمامتى أثناء أداء وظيفتى ، ثم أعود اليها بعد ذلك ، فقال له رياض باشا .. كلا إننى لا أرضى لك بالطربوش ، لاننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العمائم من العقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش تماما ..

وصدق رشيد رضا حين قال تعليقا على هذا الموقف .. يا لها من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرابيش وهابتها التيجان وعظمتها « البرانيط » ؟!

والعمامة كما يقول الشيخ أحمد المدنى مدير أوقاف المنصورة هى الزى الرسمى الذى يساعد على انضباط سلوك الامام في كل وقت وأن يكون قدوة للجميع وحتى ينال احترام وتقدير رجل الشارع .

وتلك حقيقة يجب أن نقر بها ، فإن ارتداء زى خاص لرجال الدين المؤهلين علميا الذين لا يعافون ولا يتأففون من زيهم يجعل لهم مكانة فى كل مكان خاصة إذا التزموا بالسلوك الذى يليق بمن يحمل رسالة نشر الدين والدعوة اليه .

وقد مرت عصور كثيرة عانى فيها المرتدون لهذا الزى من الاستخفاف بهم وكانت الحملات من الصحف

المصدر : الجمهورية

التاريخ : ١٩ ابريل ١٩٩٦



بقلم :
ناصف سليم

عليهم تؤثر فى الصبية فيهتفون بهتافات يزدرون بها كل معمم خاصة حين كانوا وما زال بعضهم يرتدى هذا الزى صغارا فى المعاهد الابتدائية ، وأسألوا الدكتور زقزوق عن الهتاف الذى كنا نسمعه من الاولاد أبناء الشعب الدمياطى المتدين !! كان هتافا تقليديا متوارثا منذ كان الطلبة يدرسون فى معهد المتبولى الشهير. بطريقة التحلق فى الازهر .. فلم يكن طلبة المعهد فى رواحهم وغدوهم يسلمون من الهتاف القائل « يا مبتلى .. عمتك دابت .. من السلطة والفول النابت » .

واشتدت الحملة حين مصرع الداعية الاسلامى الكبير الشيخ محمود أبو العيون نتيجة تعلق طرق جبته بعجلة الترام !!

وكان دعاة التقليل من شأن هذا الزى يرددون أنه زى ابتدعه المماليك والحقيقة التاريخية تقول غير ذلك ..

وعندى من الوثائق ما يدل ويؤكد أنه فكرة تولدت من رأس ابو يوسف العالم الكبير وحامل لواء مذهب ابى حنيفة النعمان بعد وفاته والمعلم الثانى للمذهب من بعده ، فهو بعد أن صنف المذهب وأصوله ودون المسائل الفقهية ونشرها وبث علم ابى حنيفة فى كل الاقطار أسندوا اليه منصب « قاضى القضاة » فكان أول من أسند اليه هذا المنصب فى الاسلام وبذلك كان بيده تولية القضاة وعزلهم فى كل الممالك الاسلامية فى عهد بنى عباس .

وهذا هو المنصب الذى نطلق عليه الآن وزير العدل .. لانه يشبهه من كافة الوجوه ، حتى تطور المنصب الى « مشيخة الاسلام » كما كان فى الدولة العثمانية بعد ذلك .. ولكن أبو يوسف هو أول من جعل لهذا المنصب ولكافة القضاة زيا خاصا بهم ليمتازوا به عن غيرهم ، وهذا هو منشأ العمامة الذى تم تحويرها بمرور العصور .. وخاصة بعد اختراع الصوف السميك الملون باللون الاحمر والذى يلف حوله الشال الابيض .. ومن هنا تختلف العمامة فى طولها وطريقة لف الشال عليها مراعين فى ذلك اختلاف الاعمار .. فعمامة الشاب اليافع غير عمامة الشيخ المسن واختلفت كذلك الالوان تبعا للمذاهب حتى فى مصر نفسها ما بين خضراء وحمراء وسوداء وأما الازهريون فكانوا لا يلبسونها الا بيضاء .

وما زالت العمامة حسب العرف والتقاليد مطلوبة فى عدد من المناصب الدينية وقد أثير جدل جديد .. وقديم ايضا حولها ، خاصة عند الترشيح لهذه المناصب ، كما حدث أخيرا قبل اختيار فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى الامام الاكبر لمشيخة الازهر .

المصدر: المصور
التاريخ: ١٩ ابريل ١٩٩٦

سر الأسبوع

قضيـــة حســـبة جديـــدة ضد نجيب محفـوظ



نجيب محفوظ

● اعلان غريب وصل من محكمة السنبلاوين إلى منزل نجيب محفوظ ظهر الاثنين قبل الماضي وقع محفوظ للمحضر بتسلم الإعلان الذى كان مكتوبا علي ورق محامي الحسبة هناك . في البداية تصور نجيب محفوظ ومحاميه الدكتور أحمد عوضين أن الإعلان مزور وبعد البحث والتحري في محكمة السنبلاوين إتضح أنها الدعوى القديمة التي كانت مرفوعة ضد نجيب محفوظ ورفضت وعندما عاد ملفها إلي المحكمة من أجل الحفظ.

فأشر عليها المحامى العام لنيابات المنصورة بكلمة «نظر» . وبعد ذلك عرضت علي نيابة السنبلاوين وبدلا من أن تكون التأشيرة بحفظ الملف مع تحصيل الرسوم القضائية من المحامي صاحب الدعوى جاءت التأشيرة بتحديد جلسة للقضية يوم ١٤ ابريل الماضي . الأغرب إنه عندما ذهب د. عوضين إلي المحكمة صباح الأحد الماضي لحضور الجلسة فوجئ بأن القضية غير موجودة في رول الدائرة رغم وجود المحامي الخصم في قاعة المحكمة .

والسؤال الآن هل القضية حفظت أم لا ؟ . ومن صاحب المصلحة في تحريكها مرة أخرى؟ ولماذا كانت تأشيرة نيابة السنبلاوين مخالفة لتأشيرة المحامي العام لنيابات المنصورة؟ وما ذنب الأستاذ نجيب محفوظ في هذه الدوخة والتلاعب بمصير عميد الرواية العربية وشيخ كتاب مصر في هذا العمر ؟

المدوسة للبحوث و التدريب و المعلومات

المصدر: الحياة اللندنية

التاريخ: ٢١ ابريل ١٩٩٦

الإيمان الإسلامى وظاهرة التكفير

محمد عمارة

■ الكفر: ضد الإيمان، وعدم الايمان. واذا كان الايمان - مطلق الايمان - هو «التصديق»، فإن الكفر - مطلق الكفر - هو: التكذيب والجحود والإنكار. والكفر درجات وأنواع. فهناك «كفر النعمة»، اي جحودها وعدم القيام بشكرها. وهناك كفر النفاق، الذي يقر فيه الكافر بالايمان ظاهرا، بينما هو لا يعتقده قلبا وباطنا. والكفر بالله، سبحانه وتعالى، هو انكار وجوده. والكفر بالرسول، صلى الله عليه وسلم، هو عدم تصديقه فيما أخبر به عن الله، سبحانه وتعالى. والكفر بالكتاب، هو عدم التصديق بانه من عند الله، او عدم الايمان، بما جاء فيه. ويطلق الكفر على مجاوزة حدود الايمان، او الاتيان بعمل لا ينبغي أن ياتيه المؤمن.

واذا كان كفر النعمة - اي عدم شكرها - هو ادنى واخف انواع الكفر، فإن اعظم الكفر واعلى مراتبه هو جحود التوحيد للخالق او الشريعة التي اوحى بها او النبوة التي اصطفى لها الانبياء والمرسلين. كذلك لا يستوي كفر الجاحدين للحق الذي عرفوه مع كفر التقليد الذي يولد فيه ويشب عليه الذين لا قدرة لهم على النظر المقارن بين العقائد والشرائع والرسالات.

وكما يحصل الكفر بالقول - الملفوظ والمكتوب - فإنه يحصل بالفعل. والقول الموجب للكفر هو: إنكار الاعتقاد الذي اجتمعت عليه الامة، والوارد فيه نص لا يحتمل التاويل. ويكون الفعل كفرا اذا صدر عن تعمد، او كان استهزاء صريحا بعقيدة من عقائد الدين، اذ يستوى في الكفر ان يكون صادرا عن اعتقاد او عناد او استهزاء.

تلك هي تعريفات الكفر، كما جاءت كمصطلحة في القرآن الكريم، وفي موسوعات المصطلحات في تراث الاسلام(١). واذا كان الايمان - مطلق الايمان - هو التصديق، والكفر - مطلق الكفر - هو التكذيب والجحود والانكار، فإنهما ليسا من خصائص الايمان، ففي الفلسفات والنظريات [...]لم والايديولوجيات الوضعية [...]رية - وفي الوطنيات والقوميات ايضا - «كفر» و«ايمان»!

بل إن علاقة الكفر بالايمان، والايمان بالكفر، تتجاوز مجر التناقض المميز لانسان عن غيره، الى حيث يتجاوران، بل ويتلازمان، في كل انسان. فكل مؤمن بمعتقد هو نفسه كافر بنقيض هذا المعتقد. فالمؤمن بعقائد الاسلام هو ذاته وفي الوقت نفسه كافر بنقيض هذه العقائد، والمؤمن بالفاشية كافر بالليبرالية، والمؤمن بالشيوعية كافر بالرأسمالية. فامتياز الايمان على الكفر، او الكفر على الايمان، رهن بطبيعة الذي نؤمن به او نكفر، وليس بمجرد الاتصاف بمصطلح الكفر او الايمان. وفي القرآن الكريم «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى» (٢)، فالايمان يحمد اذا كان ايمانا بالله، ويذم اذا كان ايمانا بالطاغوت والكفر يذم اذا كان كفرا بالله، ويحمد اذا كان كفرا بالطاغوت!

واذا كان المسلم يحمد الله على ايمانه بأن المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام، هو عبد الله ورسوله، فإنه يحمد الله، كذلك، على كفرانه بأن المسيح ابن الله. وعكس ذلك تماما هو اعتقاد وموقف المؤمن النصراني.

واذا كان النصارى يضعون غيرهم خارج دائرة الايمان، بل وتنظر كل كنيسة من كنائس النصرانية النظرة ذاتها - الكفر والهرطقة - الى النصارى الذين يختلفون معها في «قانون ايمانها»، فليس لدى الاسلام ما يُعتذر عنه عندما يطلق مصطلح الكفر، بل والشرك، على من لا يؤمن بعقائد الاسلام.

فالدهريون - الماديون - الذين «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» (٣)، هم جاحدون للإله الخالق وبه كافرون وبالمادة والدهر مؤمنون. والوثنيون الذين اشركوا مع الله اصنامهم كفار بالوحدانية في الخلق والتدبير «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»(٤).

وكذلك الحال مع الذين ألهوا المسيح، عندما آمنوا به ثالث ثلاثة او ابنا لله «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم» (٥) و«لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم»(٦). وكذلك اليهود الذين لم يقفوا عند تحريف شريعة موسى، عليه السلام، وانما انحرفوا بالتوحيد عندما جعلوا إله العالمين إلهاً لهم وحدهم من دون الناس، وعندما كفروا بعيسى بن مريم ومحمد بن الله «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»(٧).

هكذا، واتساقا مع الموقف البديهي الذي مثّل فيه كل ايمان بمعتقد الكفر بنقيض ذلك المعتقد، يصف الاسلام اولئك الذين آمنوا بنقيض عقائده بوصف الكفر. لكن الاسلام يتميز ويمتاز على كل انساق الاعتقاد الديني الاخرى عندما يعترف «بالآخر» حتى ذلك «الآخر» الذي لا يعترف بالاسلام. فاليهودية والنصرانية، بنظر الاسلام، ديانات سماوية، طرأ التحريف على بعض المواضع من كتبها الالهية. وانبياؤها ورسلها لهم بالاعتقاد الاسلامي مرتبة دونها مرتبتهم لدى بعض اتباع تلك الديانات. وذلك جزء من الاعتقاد الاسلامي، من دونه لا يكتمل الايمان. بينما ذلك «الآخر» لا يعترف بالاسلام كدين، ولا بكتابه كوحي إلهي، ولا بمحمد كنبي ورسول. فبمنطق «الليبرالية»، وبمعيار «التعددية» والاعتراف «بالآخر»، يتميز الاسلام ويمتاز على غيره من اصحاب تلك الديانات.

وميزة اخرى يتميز بها الاسلام ويمتاز، وهي انه الدين الوحيد الذي لم يقف، في الفضائل، عند حد الاعتراف «بالآخر»، بل جعل حماية هذا الآخر والدفاع عن حقه في الاختلاف الذي هو بنظر الاسلام «كفر» عقيدة وذمة وعهدا وميثاقا لا يكتمل من دون رعايتها والجهاد في سبيل الحفاظ عليها ايمان المؤمن بالاسلام.

الى هذه الذروة ارتقى الاسلام، من دون غيره من الديانات، عندما لم يقف، فقط، عند جعل «الاختلاف - الكفر»

حقا من حقوق اهله، بل جعل حماية الكافرين به، ورعاية ممارستهم للكفر جزءا من عقائد الاسلام التي لا يكتمل من دون اقامتها ورعايتها ايمان المؤمنين بالاسلام. فحماية الكفر بالاسلام، في دولة الاسلام وفي داره، هي دين يتعبد به المسلمون، وليست مجرد تسامح، او اختيار انساني، او حق من حقوق الانسان.

واذا لم يكن هناك كبير فضل في ان تعطي الحرية لمن لا يخالفك في الاعتقاد، فإن الفضل كل الفضل في ان تجعل حمايتك لحرية الجاحد لاعتقادك جزءا من هذا الاعتقاد.

ولهذا الافق، الذي تفرد الاسلام بالارتقاء اليه، كانت الضوابط التي وضعها في الحكم بالكفر على المخالفين. فالكفر - كالايمان - اعتقاد قلبي، والحكم به - في الدنيا ومن العباد - لا يتاتى الا بالقول الصريح او الفعل الذي يترجم صراحة وبقصد عما في الضمير. اي انه ليس هناك اتهام بالكفر وادعاء بالتكفير، وانما الكفر قول او فعل يفصح به الكافر عن كفره، وليس اتهاما او ادعاء يحق للآخرين امتلاك سلطانهما على ضمائر الناس.

اما النزق الذي يسرع باصحابه الى الحكم على العقائد والضمائر وتكفير المخالفين، الذين لا يقرون بالكفر، او يتأولون ما يشبه الكفر في اقوالهم وافعالهم - فهذا ما يخالف ثوابت الاسلام وروح شريعته، بل انه مما يودي باصحابه الى الهاوية - هاوية الكفر - التي ارادوها لمن تسرعوا في تكفيرهم من دون اقرار او برهان على «الكفر البواح»!

فالله، سبحانه وتعالى، يعلمنا - في قرآنه الكريم - تفرده وحده، واختصاصه من دون سواه بالحكم على العقائد والضمائر والافئدة والقلوب، لانه وحده صاحب العلم المحيط بما فيها، لم يعط شيئا من ذلك لاحد سواه «يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا، إن الله كان بما تعملون خبيرا»(٨).

ولقد وقف ائمة التفسير للقرآن الكريم امام هذا التوجيه القرآني والفريضة الإلهية، وقفة ذات دلالة، فقالوا لنا: إن في هذا التوجيه الالهي «من الفقه باب عظيم، وهو: ان الاحكام تناط بالمظان والظواهر، لا على القطع واطلاع السرائر، فالله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر»(٩).

ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الذي نتعلم منه النهج والقدوة والاسوة في هذا المقام وفي كل مقام قد جاءه نفر من اصحابه يحدثونه عن «الوساوس» التي جعلتهم «يشكون» في جوهر الدين ومحور التدين، في ذات الله، سبحانه وتعالى؟ فلم يجزع الرسول، ولم ينهرهم، ولم يتصيد مواقف الضعف ليوجه الاتهامات، وانما فتح لهم ابواب الامل في اليقين، موظفا «شكهم» هذا في سبل وآليات تحصيل «اليقين»، حتى وصف هذا الذي عرض لهم من «شك الباحثين عن اليقين» بأنه «صريح الايمان ومحض الايمان» ولبه وجوهره. ففي الحديث الذي يرويه ابو هريرة يقول: جاء نفر من الصحابة الى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: «يا رسول الله، ان أحدنا يحدث نفسه بالشيء ما يحب أن يتكلم به وان له ما على الارض من شيء، وإنا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به». فأجابهم الهادي البشير، صلى الله عليه وسلم: «وقد وجدتموه؟» «قالوا: نعم». «فقال: «ذاك صريح الايمان، ذاك محض الايمان»(١٠).

فالشك المنهجي، اي الذي يبرأ من العبثية ويوظفه اهله في البحث عن اليقين، هو الذي تكون ثمرته الايمانية «صريح الايمان ومحض الايمان».

وانها لشهيرة وحاسمة آية الحوار بين الخليل ابراهيم عليه السلام وبين ربه، تطلعا الى رؤية الدلائل التي تقود الى المزيد من اليقين الايماني «واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم ان الله عزيز حكيم»(١١).

فحتى «التجربة»، كانت آلية من الآليات التي اعتمدها القرآن للارتقاء بالايمان على درجات سلم اليقين. وشهيرة، كذلك، قصة ذلك الحديث النبوي الذي رواه أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، قال: «بعثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سرية، فصبّحنا الحُرَقات (مكان) من جهينة، فادركت رجلا، فقال: لا اله الا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: «اقال: لا اله الا الله، وقتلته»؟ قلت: يا رسول الله، انما قالها خوفا من السلاح. قال: «افلا شققت عن قلبه لتعلم اقالها ام لا»؟ فما زال يكررها علي حتى تمنيت اني اسلمت يومئذ»(١٢).

وامام هذا النهج النبوي والموقف الاسلامي الجامع يقف الامام النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ ١٢٣٣ - ١٢٧٧م) وهو يشرح «صحيح مسلم» فيقول: «انما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، واما القلب فليس لك طريق الى معرفة ما فيه». فالذين يتجاوزون حدود «الظاهر» الى الحكم على ما في الضمائر، لا يهدرون فقط ثوابت الاسلام، وانما يغتصبون لأنفسهم سلطان الله، الذي تفرد بالعلم والمحيط بما في سرائر القلوب.

ولان هذا المنهاج الاسلامي حرر القلوب من سلطان البشر - علماء وأمراء - فلقد فتحت هذه الحرية امام العقل المسلم ابواب «النظر» في آيات الله التي بثها في «كتاب الكون» المنظور وفي «كتاب الوحي» المسطور، دونما وجل او تخوف مما يثمره «النظر» في هذه الآيات، حتى لقد اصبح «الشك المنهجي» في الحضارة الاسلامية «علما» من العلوم، يسلك «النظار» سبيله لبلوغ اليقين الايماني، لا لهدم الايمان. بل ارتفع به فريق من ائمة الفكر الاسلامي الى مرتبة «الواجب»، بل الى مرتبة «الواجب الاول على الانسان»، فوجدنا في تراثنا، الى جانب من يفتخر باليقين، من يفتخر بالشك. فعندما قال ابن الجهم للمكي: أنا لا اكاد اشك. قال المكي: وانا لا اكاد اوقن! ففخر عليه المكي بالشك في مواقع الشك، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين(١٣).

وعندما يقول فريق من العلماء: ان اول واجب على الانسان هو «النظر»، يقول فريق آخر: ان اول واجب على الانسان هو «الشك»(١٤).

فالشك المنهجي هو ثمرة للحرية، ولذلك فهو «وقف» على العلماء، بينما العوام لا يعرفون سوى الرفض بـ «لا» او القبول بـ «نعم». بينما قادت حرية الفكر والنظر العلماء الى «الشك المنهجي الذي هو السبيل الى اليقين البرهاني» فصار، في حضارتنا، علما من علوم الاعتقاد. وبعبارة الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ ٧٨٠ - ٨٦٩م): فلقد «ترك الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانبا، واضربوا عنه صفحا، فليس إلا: لا او نعم... فعزلت الحرية جانبا، ولذلك فالعوام اقل شكوكا من الخواص لانهم لا يتوقفون في التصديق والتكذيب، ولا يرتابون بانفسهم، فليس عندهم الا الاقدام على التصديق المجرد، او على التكذيب المجرد، والغوا الحالة الثالثة من حال الشك، التي تشتمل على طبقات الشك». اما العلماء والخواص فعندهم انه «لم يكن يقين قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل احد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك»، ولذلك جعلوه علما وقالوا:

«فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين، والحالات الموجبة له. وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما، فلو لم يكن في ذلك الا تعرف التوقف، ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج اليه» (١٥).

فبتحرير الضمير من سلطان غير الله، تنفتح امام الفكر ابواب النظر والشك المنهجي الذي يوظف الفروض والنظريات وعلامات الاستفهام في تحصيل اليقين البرهاني للاعتقاد الديني. وهذا التحرير لضمير المؤمن هو الذي اكدت عليه حركة الاحياء الاسلامي الحديثة، ورأته السبيل الى الابداع والتجديد لدنيا المسلمين بتجديد الدين الاسلامي. فكتب الامام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥) عن تحرير الضمير الاسلامي من «سلطة الكهانة الدينية»: «ان الله لم يجعل للخليفة ولا لشيخ الاسلام ولا للمفتي ولا للقاضي ادنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام. ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على ايمان احد او عبادته لربه، او ينازعه طريق نظره. فليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير عن الشر. وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها انف اعلاهم، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من ادناهم. وليس لمسلم، مهما علا كعبه في الاسلام، على آخر، مهما انحطت منزلته فيه، الا حق النصيحة والارشاد. ولقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد احكام دينهم انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه، ويحتمل الايمان من وجه واحد، حمل على الايمان، ولا يجوز حمله على الكفر. وقال قائلون من اهل السنة: ان الذي يستقصي جهده للوصول الى الحق، ثم لم يصل اليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج. فهل رأيت تسامحا مع اقوال الفلاسفة الحكماء أوسع من هذا؟ ان المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به، فمن ربي على التسليم بغير عقل، والعمل، ولو صالحا، بغير فقه فهو غير مؤمن، لانه ليس القصد من الايمان ان يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه ان يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينهم فيعمل الخير لانه يفقه انه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشر لانه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه، ويكون، فوق ذلك على بصيرة وعقل في اعتقاده. ومهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر، اتى لنا باحكام تلك السنن - التي تسمى شرائع او نواميس او قوانين - فهو يجري مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه، ولا تنفر منه (١٦).

هكذا الاسلام، لا يعتذر عن وصف جاحديه بصفة «الكفر» لكنه يجعل من حرية كفرهم به وحماية ممارستهم لهذا الكفر دينا يتقرب به المؤمنون به الى الله، سبحانه وتعالى، وعهدا وذمة لرسوله، صلى الله عليه وسلم، في رقاب المسلمين الى يوم الدين. ويحرر ضمائر المؤمنين به من اي رقابة او سلطة الا رقابة سلطة علام الغيوب ومصرف القلوب، فيحفز بذلك التحرير عقولهم على النظر، بل وعلى الشك المنهجي، الذي يختبرون به الفروض ويمتحنون بواسطته علامات الاستفهام، وصولا الى تأسيس الاعتقاد الديني على براهين العقول.

فـ «الكفر»: قول او فعل يعلن به صاحبه عن انحيازه، اى نقيض «الايمان». اما «تكفير» الحكم على ما في قلوب الآخرين، فهو بعبارة حجة الاسلام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١م): «صنيع الجهال» فينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الانسان الى ذلك سبيلا. فان استباحة الدماء والاموال من المصلين الى القبلة، المصرحين بقول: لا اله الا الله محمد رسول الله، خطأ. والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم. والوصية: ان تكف لسانك عن اهل القبلة ما امكنك ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله، غير مناقضين لها، والمناقضة: تجويزهم الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعذر او غير عذر، فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه» (١٧).

نعم، ان الخطر في التكفير ولا خطر في صون اللسان عن هذا التكفير.

الهوامش:

١ - «معجم الفاظ القرآن الكريم»، وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة سنة ١٩٧٠م. و«المفردات في غريب القرآن» للراغب الاصفهاني - طبعة دار التحرير - القاهرة. وابو البقاء «الكليات»، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري - طبعة دمشق سنة ١٩٨٢م.

٢ - البقرة: ٢٥٦.

٣ - الجاثية: ٢٤.

٤ - الانفال: ٣٠.

٥ - المائدة: ١٧.

٦ - المائدة: ٧٣.

٧ - المائدة: ٧٨.

٨ - النساء: ٩٤.

٩ - القرطبي «الجامع لاحكام القرآن» جـ٥ ص ٣٣٩، ٣٤٠. طبعة دار الكتب المصرية.

١٠ - حديثان رواهما مسلم والامام احمد.

١١ - البقرة: ٢٦٠.

١٢ - رواه مسلم وابو داود وابن ماجة والامام احمد.

١٣ - الجاحظ «كتاب الحيوان» جـ٦ ص ٣٥. تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة القاهرة الثانية.

١٤ - دكتور علي فهمي خشيم «الجبائيان: ابو علي وابو هاشم» ص ٢٢٢ طبعة طرابلس - ليبيا سنة ١٩٦٨م.

١٥ - «كتاب الحيوان» جـ٦ ص ٣٥ - ٣٧، جـ٧ ص٨.

١٦ - «الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جـ٣ ص٢٠١ - ٣٠٩، جـ٤ ص٢٩٦ دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

١٧ - «فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة» ص١٧، ١٥. طبعة القاهرة ١٩٠٧م. و«الاقتصاد في الاعتقاد» ص١٤٣، طبعة القاهرة، مكتبة صبيح، دون تاريخ.

أنت معى وأنا معك!

قرأتم فى هذه الصفحة يوم الأربعاء الماضى الرسالة التى تفضل الدكتور عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فبعث بها إلى يناقش ما جاء فى ردى على رسالة الأستاذ حسن دوح المنشورين يوم الأربعاء الأسبق.

وقد أعلن الدكتور عبد الصبور فى رسالته أنه يرفض معى كل سعى لإقامة الحكومة الدينية، إذا كان المقصود ولاية الفقهاء والمشايخ. لكنه يرى أن «استلهام الإسلام فى سياسة الحكم شىء لا يجوز رفضه»، بل هو يتوقع منى أن أكون أول الداعين إليه.

والدكتور عبد الصبور يرى أن فى كلامى عن دولة دينية فى الإسلام خطأ منهجيا وتاريخيا، فليست الحكومة الدينية إلا حكم رجال الدين. والإسلام ليس فيه رجال دين.

وهو معى فى أن الطغاة يستغلون الدين ويغطون به استبدادهم، لكنه يرى أن هذا الذى جاز فى ديانات أخرى لا يجوز فى الإسلام الذى عرى الطغيان، وجعل أفضل الجهاد كلمة حق عن سلطان جائر. فإذا كان تاريخ الإسلام قد عرف أمثال الحجاج والسفاح ومعاوية، فهؤلاء لم يكونوا حكاما دينيين، ولم يكونوا يحكمون بالإسلام «بل لقد عدوا عليه، واستمر عدوانهم منذ أشعل معاوية (الفتنة الكبرى) التى لم تخب نارها إلى اليوم».

وأخيرا يرى الدكتور عبد الصبور أن الشورى التى جاء بها الإسلام «قبل أن يعرف العالم الديموقراطية، هى الحاجز الأعظم ضد الاستبداد، وأنها ملزمة للحاكم. أما الديمقراطية التى «تبيح للرجل أن يتزوج من الرجل» فهى احتكار للغربيين الذين يمارسون على العالم خارج ديارهم أبشع صنوف الطغيان».

بقلم :

أحمد عبدالمعطى حجازى

وانتم ترون أن الدكتور عبد الصبور مرزوق يتفق معى فى المسألة الجوهرية التى دار حولها حديثى، وهى رفض الحكومة الدينية، سواء كانت الولاية فيها للفقهاء والمشايخ، أو كانت للطغاة والمتطرفين والإرهابيين. وإذن يختلف معى؟

يقول إذا كان القصد هو رفض استلهام الإسلام فى سياسة الحكم فهذا ما لا يجوز رفضه.

وأنا لا أرفض استلهام الإسلام فى السياسة أو فى أى شأن آخر من شئون الحياة العامة أو الخاصة، إذا كان المقصود باستلهام الإسلام أن نكون أوفياء لجوهره الروحى ومثله العليا، فلا نعبد مع الله أحدا، ولا نقع فى الظلم أو الكذب أو النفاق، بل نتحرى الصدق والعدل والاستقامة، ونتراحم ونتآخى، ونخضع جميعا لقانون واحد نقف سواسية أمامه.

إذا كان هذا هو المقصود باستلهام الإسلام فى السياسة فأنا مع الدكتور عبد الصبور على طول الخط، لأن استلهام الإسلام على هذا النحو يجعلنا أقرب إلى حقيقته، ويعطينا حرية أكبر فى فهم النصوص وتأويلها بما يتفق مع مقاصد الإسلام، ويلبى فى الوقت ذاته

حاجاتنا التى تتطور يوما بعد يوم.

ومادام الجوهر الروحى للإسلام هو الغاية، فلا تناقض بينه وبين الجوهر الروحى لأى عقيدة أو نظام يسعيان لخير الإنسان. ولهذا كان إمامنا المستنير محمد عبده يقول إن الشرائع تتعدد، لكن الدين واحد. ولعله هو الذى كان يمتدح تقدم الأوروبيين فيقول إنه إسلام بغير مسلمين، وينتقد تخلفنا فيقول إننا مسلمون بغير إسلام! ومن المستحيل أن يكون الخير فى الإسلام نقيضا للخير فى المسيحية، أو تكون المساواة فى الديمقراطية نقيضا للمساواة فى الإسلام. وباستطاعتنا إذن أن نستلهم الثقافات والنظم الأخرى، ونقتبس منها ما يساعدنا على تحقيق الخير والعدل والحرية والمساواة التى يدعو لها الإسلام، بل إن واجبنا كمسلمين يحتم علينا ذلك، لأننا بهذه السماحة نحيى فضائل الإسلام ونحقق مقاصده.

ويقول الدكتور عبد الصبور إن رفض الإسلام للكسروية والملك ليس رفضا للدولة فى الإسلام، ولكنه رفض لحكم الطغاة والمستبدين.

وأنا لم أقل إن الرسول رفض الدولة، فليس لرفض الدولة معنى إلا إيثار الفوضى ورفض النظام. بل قلت فقط إن الإسلام لم يأت بنظام سياسى محدد، فهو لم يدع إلى ملكية أو جمهورية، ولم يحدد طريقة معينة فى اختيار الحاكم، ولم ينظم علاقة الحكومة بالمعارضة، بل أطلق لنا حرية اختيار النظام الذى نرتضيه، وأطلق لنا حرية تغييره أو تطويره بما يلبى حاجات كل عصر، بشرط أن نسوى دائما بين الناس، وننصر الضعفاء، ونسعى للخير، ونغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ونتحرى العدل، ونتحلى بالرفق والنزاهة، وهذه كلها أخلاق وليست نظاما سياسيا. ولهذا يتحدث الدكتور عبد الصبور عن «دولة فى الإسلام» لا عن «دولة إسلامية»، لأنه يعلم أكثر منى أن الإسلام لم يفرض على المسلمين أى شكل من أشكال الدولة، وإن كان بديهيا أن المسلمين مثلهم مثل أى جماعة بشرية منظمة لابد أن يعيشوا فى ظل دولة توفر لهم الأمن والعدالة والحرية، دون أن تكون هذه الدولة دولة دينية.

وإذا كان القرآن الكريم يقول للرسول عليه السلام «وما أنت عليهم بوكيل»، ويقول له «وما أنت عليهم بجبار» ويقول له «لست عليهم بمصيطر»، فكيف يزعم أى مسلم لنفسه امتيازا لم يكن للرسول نفسه؟

الإسلام لم يفرض على المسلمين نظاما سياسيا. وبالتالى فالحكومة بالنسبة للإسلام حكومة مدنية. ولهذا نرفض الحكومة الدينية، لأنها طغيان يتستر بستار الدين. بل إننا نرفضها ولو جاءت بحاكم عادل، لأن العدل بمعناه السياسى يتناقض كل التناقض مع الحكم الدينى. فالحاكم الدينى يزعم أن مرجعه هو الدين، ويسمى نفسه الحاكم بأمر الله، ويدعى أنه مسئول أمام الله وحده، وليس للمحكومين إلا أن يسمعوا ويطيعوا، وهذا هو الاستبداد بعينه. أما العدل بالمعنى السياسى فالمرجع فيه هو إرادة المحكومين الذين يختارون الحاكم،

فهو مسئول امامهم، ومن حقهم أن يراقبوه ويحاسبوه ويسقطوه ويحاكموه. فإذا قال قائل: ولكن المحكومين لا يستطيعون دائما أن يحاسبوا حكامهم، قلت له: إن لم يستطيعوا وهم أصحاب حق، فكيف يستطيعون بدون حق؟

ويخشى الدكتور عبد الصبور مرزوق أن تكون قراءاتى الغزيرة عن سلطان البابوات قد ملأت وجدانى نفورا من الحكم الدينى فسحبت صورته البشعة على الإسلام. وأنا أحب أن أطمئن الدكتور إلى أن قراءاتى عن الخلفاء والأمراء والسلاطين أغزر. وقد علمت منها أن الفرق هائل بين ما يدعو إليه الإسلام وما طبقه الذين حكموا باسمه والذين يحكمون باسمه حتى الآن. ويكفى أن نعود إلى السيوطى أو المسعودى أو ابن إياس لنرى الصورة البشعة لحكم الأمويين والعباسيين والمماليك والأتراك. ونحن نسيء إلى الإسلام إذا قلنا إن النظام الذى أقامه هؤلاء الطغاة كان نظاما إسلاميا. ولست أنا الذى يحمل الإسلام أخطاء الذين حكموا باسمه، وإنما يحمله هذه الأخطاء من يريدون إقحامه بالرغم منه فى الحكم والسياسة.

ونصل إلى مسألة الشورى والديمقراطية، فأذكر الدكتور بأن الديمقراطية نظام نشأ فى اليونان خلال الألف السابق على الميلاد. وهى ليست حكرا على الغرب، فهى النظام الذى يتمتع به اليابانيون والهنود والإسرائيليون أيضا! وقد كافحنا من أجل هذا النظام طيلة القرنين الأخيرين وأصبح لنا فيه تاريخ وضحايا، وإذن فقد مصرناه. والديمقراطية تتضمن لاشك معنى الشورى التى مازال الفقهاء والوعاظ يختلفون حولها. أما أن تكون الديمقراطية مسئولة عن الشذوذ الجنسى والجشع الرأسمالى فهذا ما لم أفهمه، فالشذوذ مرض تعانى منه كل المجتمعات، وله فى شعرنا القديم ديوان حافل. والديمقراطية تحمل الاشتراكيين إلى السلطة كما تحمل الرأسماليين إليها. وقد اتفقنا على أن التجارب البشرية تتعدد والغاية واحدة، فلا مبرر إذن لإقامة تناقض بين الديمقراطية والإسلام.

المصدر: الأهالي
التاريخ: ٤ مايو ١٩٩٦

وصية أخيرة لكي لا تحرث في البحر

أرفــض دعــاوى الــردة

في واحد من آخر الحوارات التي أجرتها الصحافة مع خالد محمد خالد ، تحدث الرجل- إلى سناء السعيد في مجلة « المصور » منذ شهورقليلة-مهديا لنا إجابتين باهرتين عن الحسبة وحد الردة في الإسلام . نهديهما بدورنا للفقهاء الذين أحلوا التسلل إلى فراش الأزواج ، للتفريق بين زوجين تحت أعلام « الحاكمية » غير الخفاقة لنقرأ إجابتي الرجل

■ دعاوى الحسبة يقوم بها الآن كل من هب ودب دون ضابط؟

■ ■ **الحسبة في الإسلام كانت في عصوره الأولى تعني معاونة الدولة في الوصول بالمجتمع إلى مرافئ الخير والصلاح ولم تكن سلوكا عشوائيا لأن العشوائيات في كل صنوفها ومجالاتها لا يمكن أن تسمح به دولة منظمة فكانت لها مواصفاتها وشروطها التي تؤهل من يريد استخدامها لهذا الدور ، والحسبة كانت في أيام الرشد تستخدم في قضايا المجتمع ولم تكن تستخدم للكيد أو للرغبة في الظهور ،ولذلك فإن الفقة الإسلامي نظم فيما بعد أمر الحسبة كله - لذلك فإن الحسبة قانون متفرع من قيمة العدالة والتصويب . والقوانين ولاسيما الفرعية منها تتطور وفق نظم العصر واحتياجاته . ففي أيامنا هذه مثلا يقوم النائب العام وجهازه بما تريد الحسبة تحقيقه . فطلب الفصل بين الرجل وزوجته إفتيات على الحسبة نفسها ، وهناك بعض الفقهاء يرون أن الذى تناله « شبهة الارتداد » لا يفرق قط بينه وبين زوجته حتى لا تترمل الزوجة وهو حي ويشتت أمر الأسرة بأسرها بشبابها وبناتها وأطفالها الذين إذا التحقوا بعد الحكم بالطلاق بأبيهم ضاعوا وإن التحقوا بأمهم جاعوا ، فلماذا لا نأخذ بهذه الفتوى وهذا الاتجاه السديدلبعض الفقهاء ؟**

■ ولكن ألستم معي بأن دعوى تفريق الرجل عن زوجه تتضمن إرهابا للفكر وإرهابا للحرية ؟

■ ■ **في رأيي أن أمثال هذه الدعاوى ينبغي رفضها أساسا ، وقد قلت لك أن بعض الفقهاء يرون ألا يدخل التفريق بين الزوجين في عقاب المرتد حتى لا تخرب البيوت وتهدم وحتى لا تترمل الزوجات ويضيع الأبناء والبنات - ثم أن الإسلام أجاز بسماحته الحلوة زواج المسلم بواحدة من أهل الكتاب ، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى . فإذا أراد المسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية تستمسك بدينها وتعيش عليه فإن ذلك لا يأمر الرجل باكراهها على الإسلام ولا بتطليقها .**

المصدر: الحياة اللندنية

التاريخ: ٦ مايو ١٩٩٦

هوامش للكتابة

الاختبار الأول

جابر عصفور

■ خرج كتاب «في الشعر الجاهلي» من المطبعة إلى الأسواق في صباح السبت الثالث من نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٦م الموافق العشرين من رمضان سنة ١٢٩٤هـ، وعرضته للبيع المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي إلى جانب غيرها من مكتبات القاهرة بعشرين قرشاً في اليوم نفسه. واعلنت جريدة "السياسة" (لسان حال حزب الأحرار الدستوريين الذي ينتمي إليه طه حسين) عن الكتاب للمرة الاولى، في عددها الصادر صباح الأحد الرابع من نيسان، في خبر يقول: ظهر أمس مؤلف الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب بالجامعة "في الشعر الجاهلي" مقسما إلى ثلاثة كتب. تضمن الأول غير التمهيد ومنهج البحث فصلا ثالثا في أن مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس في القرآن لا في الشعر الجاهلي، وفصلا رابعا في الشعر الجاهلي واللغة، وفصلا خامسا في الشعر الجاهلي واللهجات. أما الكتاب الثاني فقد تضمن ستة فصول بحثت في أسباب انتحال الشعر. والكتاب الثالث مخصص للشعر والشعراء فيه قصص وتاريخ وكلمات عن امرئ القيس وعبيد وعلقمة وعمرو بن قميئة ومهلهل وجليلة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والمتلمس. ولم تكن صياغة الخبر تنبئ عن شيء سوى الإعلان عن كتاب واحد من أبرز كتاب "الجريدة"، واظهار المحتوى المحايد للكتاب من دون إشارة إلى طبيعته الإشكالية أو الخلافية.

ولكن صدور كتاب لطه حسين ما كان يمكن أن يمر من دون تفحيص وتمحيص وتربص وترصد، لأن الرجل ظل يثير طوائف المحافظين طوال العامين السابقين على صدور كتابه، خصوصاً بعد أن صدم هذه الطوائف بشكه في الصورة الموروثة الشائعة عن العصر العباسي الأول في كتابه "حديث الأربعاء" الذي صدر العام ١٩٢٥، وأضاف إلى الصدمة الأولى صدمة ثانية عندما أعلن عن شكه في الوجود التاريخي لبعض شعراء الغزل العذري، وعلى رأسهم مجنون بني عامر، في الجزء الثاني من "حديث الأربعاء" الذي صدر قبل كتاب "في الشعر الجاهلي" بأسابيع معدودة. يضاف إلى ذلك مقالاته المستفزة في جريدة "الاتحاد" الحزب المعادي للأغلبية الوفدية، وموقفه الحماسي اللاهب في الدفاع عن صديقه الشيخ علي عبدالرازق، ومن ثم هجومه العاصف في جريدة "السياسة" على المجموعات التقليدية التي تولت تكفير صاحب "الإسلام وأصول الحكم"، ونجحت في حرمانه من شهادته الأزهرية العالية وفصله من وظيفته القضائية، وظلت تتربص بأصحابه الذين دافعوا عنه، منتظرة الفرصة المناسبة لتصفية حسابها معهم.

ولم يكتمل شهر نيسان (ابريل) إلا وكانت عاصفة الاستجابة العدائية لكتاب طه حسين قد بدأت في التجمع. وأخذت المقالات التي تتهم الكتاب بالكفر تتوالى منذ أواخر ذلك الشهر في جريدة "الأهرام" أولا، ثم في غيرها من الجرائد والمجلات التي فتحت صفحاتها للطوائف المعادية لما يمثله طه حسين ويرمز اليه. وسرعان ما تجمع مشايخ الأزهر الذين كانوا قد حققوا، منذ أشهر معدودة، ما حسبوه نصرا مبينا على الشيخ علي عبدالرازق الذي ارادوا أن يجعلوا منه أمثولة رادعة لتجمع المجددين الذين تحلقوا حول جريدة "السياسة". ولحق بهم مشايخ "دار العلوم" الذين قاد الشيخ محمد عبدالمطلب هجومهم العاصف في جريدة "الأهرام" في مطلع أيار (مايو). وأزرتهم المجموعة السلفية من دعاة الخلافة الإسلامية وأنصار الدولة الدينية الذين تحصنوا بمجلة "المنار" معلنين الحرب على ما أسموه جماعة الإلحاد. وتوترت الجماهير التي استجابت إلى هؤلاء وأولاء، متأثرة بخطابة الوعاظ وحماسة الخطباء ومقالات المنكرين وبيانات المنددين وبلاغات الساخطين وبرقيات المطالبين بأقصى درجات العقاب.

وأصبحت "الجامعة" الناشئة هدفا للهجوم بوصفها معقل التجديد الخطر، ومنبع البدع والضلالات الجديدة، وموئل أهل الزيغ من الخارجين على الأزهر من أبنائه الذين تمردوا عليه، وحمى الأفندية الضالين المضلين الذين ينادون بحرية الرأي وحق الاختلاف، ويسرفون في الاجتهاد إسرافهم في الدعوة إلى استقلال الجامعة، غير عابئين بسخط الساخطين الذين يريدون إبقاء الأحوال على ما هي عليه.

والواقع أن هذه الجامعة تحدد معناها منذ اللحظة الأولى لإنشائها بما أنزلها منزلة المقابل الجديد لمؤسسات التثقيف التقليدية، بوصفها ذروة التعليم المدني الحديث الذي يقابل التعليم الديني القديم، وفضاء العقل الذي استبدله علم العصر بالنقل، والتجريب الذي حل محل التلقين، كالشك الذي حل محل التسليم، في عمليات تأهيل الأفندي (المطربش) المحدث الذي أخذ يستكمل ما احتله من أماكن الشيخ المعمم، ويتصدر دونه في تراتب المجتمع المدني، ويؤدي الأدوار الأكثر أهمية في الدولة المدنية التي حاولت أن تستكمل حضورها بإنشاء الجامعة. وذلك وضع أدى إلى اتخاذ مؤسسات التثقيف التقليدية موقف الاسترابة من الجامعة الناشئة، بوصفها النقيض الجسور، والبديل الجذري الذي استأثر بترحيب طوائف متعددة مؤثرة في المجتمع، طوائف أخذت ترى في الجامعة رمز العلم الواعد بالتقدم، وعلامة المجتمع المانح للدستور الذي يؤكد حرية الفكر والبحث العلمي، من حيث هي جزء لا يتجزأ من حرية الوطن والمواطن. وكانت الدعوة إلى استقلال الجامعة عن السلطتين الدينية والسياسية هي اللازمة المنطقية المترتبة على هذه النظرة والمصاحبة لها في آن. وآية ذلك ما كتبه سعد زغلول (وكيل اللجنة التحضيرية لإنشاء الجامعة وزعيم الأمة الأزهري النشأة) في مذكراته، بعد جلسة افتتاح الجامعة بقاعة مجلس شورى القوانين في الحادي والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٨، مؤكدا أن الجامعة "لا دين لها إلا العلم". وهي عبارة لا معنى لها سوى تأكيد ضرورة استقلال الجامعة في ذاتها وبذاتها، بعيدا عن اية سلطة خارجها، لتظل محافظة على حرية

البحث فيها، من أي تدخل باسم الدين أو السياسة.

وكان على "الجامعة المصرية" الناشئة أن تخوض أول اختبار عنيف لمبادئ الحرية التي انبنت عليها، وأول امتحان قاس لمعنى استقلالها، في مواجهة العواصف التي أثارها كتاب "في الشعر الجاهلي" على مستويات متعددة. ولم يكن مضى على حضور هذه الجامعة في المجتمع سوى سنوات معدودة لا تسمح ببناء تقاليد جامعية راسخة، فما بين صدور الكتاب والافتتاح الرسمي الأول للجامعة (١٩٠٨) ثمانية عشر عاما فحسب، وما بين صدور الكتاب وتسليمها إلى وزارة المعارف العمومية (العام ١٩٢٣) ثلاث سنوات لا غير، وما بين هذا الصدور وتحول الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية بالكامل (١٩٢٥) عام واحد لا أكثر. ومع ذلك كانت حرية الجامعة واستقلالها أصل معناها الذي تأصل في أذهان الطليعة التي دعت إلى إنشائها، وتولت إدارتها، حالة أن تقيم للعلم صرحا مدنيا خالصا، يتمتع بالحرية الكاملة التي تضيء على المجتمع سبل الحق والخير والجمال، غير قاصدة إلى شيء سوى الوصول إلى كل ما يتصوره العقل الإنساني لمصلحة الجماعة الوطنية والقومية والإنسانية.

وكانت هذه الطليعة صلبة في تمسكها بحلمها، عنيدة في دفاعها عنه، يدعمها الظرف التاريخي الذي صاغها وصاغته، فحاربت دون هذا الحلم الحرب التي تكسرت عليها عواصف كادت تقتلع الجامعة من جذورها الفتية، وصانت استقلال الجامعة وحريتها في مواجهة أعتى أعدائها، وأعلنت "شرف العلم" شعارا يتردد على ألسنة دعاة المجتمع المدني في ذلك الوقت البعيد.

وقبل أن يدافع وزير المعارف العمومية علي الشمسي عن حرية البحث العلمي في الجامعة، محاولا صد الهجوم الكاسح الذي واجهه من بعض نواب البرلمان، في جلسة الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٢٦، كان مدير الجامعة لطفي السيد يؤكد قبل ذلك بشهر ما سبق أن كتبه في مشروع القانون الذي تقدمت به لجنة إنشاء الجامعة في سنة ١٩٢١، خصوصاً الفقرة التي تنص على أنه من المسلم به في جميع الممالك أن الجامعات يجب أن تنفرد بإدارة شؤونها سواء أكانت تعتمد في مواردها على ما تتقاضاه من المال من الخزينة العامة أم من أبواب أخرى، ولا ينتظر لجامعة من الجامعات نمو أو رقي إلا إذا أطلقت لها الحرية في تشكيل خطط التعليم بها على الوجه الذي تراه، واستقلت في إدارة شؤونها العلمية عن كل سلطة خارجية. وكانت طليعة الجامعيين تفهم أمثال هذه العبارات بما يؤكد أنه لا يمكن أن يكون هناك تفكير تحت وصاية الغير، وأن حرية البحث إذا تعلقت بغير جماعة العلماء في الجامعة كان ما ترجوه البلاد من التقدم العلمي في العالم وهماً لا يمكن أن يتحقق.

وتجلى هذا الفهم بأنصع صوره في الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة المصرية في السادس عشر من أيار (مايو) سنة ١٩٢٦، بعد أقل من شهر ونصف الشهر على صدور كتاب طه حسين، وفي مواجهة تدافع الأعصار الذي تحدد مساره التدميري، بعد أن رفع علماء الأزهر "عريضة" إلى رئاسة مجلس الوزراء بشأن كتاب "في الشعر الجاهلي" يطلبون فيها مصادرة الكتاب، وإبعاد المؤلف من الجامعة المصرية، وإحالته إلى المحاكمة، أسوة بما حدث لزميله الأزهري علي عبدالرازق، وللأسباب نفسها تقريبا. فأحال رئيس الوزراء العريضة إلى مدير الجامعة الذي عرض الأمر على المجلس، مقترحا عليه شراء الكتاب كله وحبسه تحت تصرف الحكومة، إلى أن يهدأ الاعصار. وعندئذ، طلب الكلمة عميد كلية الآداب (جناب الأستاذ جريجوار) وخاطب المجلس قائلا:

"طُلبَ إليّ مع كوني أجنبيا ولَسْتُ مُسلما أن أبدي رأيي في مسألة الدكتور طه حسين. وإني أفرق في هذه المسألة بين وجهتي النظر الدينية والعلمية. فمن الوجهة الدينية أرى أن واجب الأساتذة سواء أكانوا مصريين أم أجانب يقضي عليهم باحترام شعائر ومعتقدات الطلبة الذين يتولون تربيتهم. وقد أكد لي الدكتور طه حسين أنه لم يحاول مطلقا الإخلال بهذا الواجب، وقد قمت بين الطلبة بعمل تحقيق جدي، غير رسمي، وكانت نتيجته أن اتضح لي صدق ما قاله الدكتور طه حسين. وفضلا عن ذلك فإنني لم أتلق أية شكوى خاصة بدروسه ومحاضراته. ولم يشعر أي طالب أن الدكتور قد أهانه أو أقلقه في معتقداته، بل المسألة على النقيض من ذلك، فقد كان يتحاشى كثيرا التعرض للعقائد أو المسائل الدينية. فموقفه في ذلك لا غبار عليه. يؤكدون أن في كتابه عن الشعر الجاهلي بعض مسائل مخالفة للدين الإسلامي، غير أن الدكتور طه حسين صرح علنا بأن الناس أخطأوا فيما نسبوه إليه من الأفكار المخالفة للدين. وقد نشر بيانا أظهر فيه عقيدته الدينية، يؤكد الرجال المسؤولون أن فيه الترضية الكافية، ولذا أرى أن زميلي العلامة لم يقصر مطلقا في الاحترام الواجب للدين.

•وأما من الوجهة العلمية فأرى من واجبنا التمسك بمذهب حرية البحث، فإن الأستاذ بالجامعة المصرية كغيره في الجامعات الأخرى، وكل عالم جدير بهذا اللقب من حقه، بل من واجبه، البحث عن الحقيقة، وأن ينشر نتيجة أبحاثه، ولا يحكم على أعماله إلا النقاد المختصون. على أن الجامعة المصرية لا يمكنها أن تقبل نقد هذه الأعمال من أي سلطة كانت إلا إذا كان فيها مساس بالدين أو القوانين أو الأخلاق، يستدعي اتخاذ الإجراءات القانونية التأديبية، فالمحاكم النظامية، أو مجلس الجامعة بصفته الهيئة التأديبية للجامعة طبقا للائحة الجديدة التي لم يصدق عليها بعد بصفة نهائية، هي التي لها أن تحاكم الأستاذ.

•ولقد استطلعت رأي بعض العلماء المختصين في موضوع كتاب الدكتور طه حسين فكانوا مجمعين على الاعتراف بأن هذه الرسالة قد جاءت ببحث جديد في تاريخ الأدب العربي. فمهما تكن نتيجة التقرير النهائي لنقد هذا الكتاب فإنه مُشرفٌ لمؤلفه وللعلم في مصر ولكلية الآداب في الجامعة المصرية. وفي ظني أنه من المحتمل المؤلم أن يُطلَبَ إلى أستاذ وضعَ مؤلّفاً علمياً قيّماً، وهو حسنُ النيـة، أن يُنكر كتابَه أو يتبرأ منه على إثر تدخل سلطة خارجةٍ عن الجامعة، أو بسبب انتقادات ليست علمية بالمرة. فالجامعة يجب أن تدافع عن سلطتها، وعن شرف أعضائها، وعن حرية البحث، فإذا تهاونت في هذا كله فإنها تقضي بذلك على أساس التعليم العالي. ويؤكدون لنا أن الدكتور طه حسين لكي يدفع الأذى عن نفسه يجب أن يسلّـ ـتنازل عن كتابه، فيصبح

والحالة هذه كأنه شريك في مصادرة كتابه، الأمر الذي لا تستطيع الحكومة نفسها أن تقوم به إلا بعد صدور حكم قضائي بذلك. غير أنني أخالف هذا الرأي. وإذا قيل لكم بأن هذا ما تقضي به الضرورة حفظا لحياة الجامعة فإنني أجيب بأن تضحية الشرف والمبادئ بحجة إطالة حياتنا هي في الواقع قضاءٌ على الأسباب التي وجدنا من أجلها".

تلك كانت كلمات عميد كلية الآداب التي ينبغي أن نتذكرها في هذا الزمان الذي لم يعد فيه أحد يتحدث عن حرية البحث العلمي، أو حرية الفكر في الجامعات، من دون أن يتلفت حوله، أو يتحسس عباراته في حذر. وقد نقلتها على طولها من مستخرج منقول عن محضر الجامعة، وذلك لما لاحظته من عدم استشهاد الباحثين بها، أو حتى ذكرهم لبعض عباراتها، مع أنها أكثر دلالة من غيرها على إيمان الجامعيين بضرورة استقلال جامعتهم، ودفاعهم عن هذه الحرية التي يعلن عميد كلية الآداب أنها لا تقل أهمية عن الحياة نفسها، ما ظلت الحياة مع فقدان الشرف تدميرا للأسباب التي وجدت الحياة من أجلها. ولم يكن جناب الأستاذ جريجوار يعبر عن نفسه وحدها في هذه الجلسة، أو حتى عن زملائه الأجانب الذين وفدوا من جامعات أقدم وأسبق في تأسيس حرية البحث العلمي، وإنما كان يعبر في الوقت ذاته عن أقرانه المصريين في مجلس الجامعة الناشئة التي تطلّع مؤسسوها إلى مضارعة جامعات العالم في التقاليد الجامعية الأصيلة. ومن ثم الإصرار على أن الجامعة يجب أن تدافع عن استقلالها، وعن حرية البحث فيها دفاعها عن شرف أعضائها الذين هم حماة حاضرها وصناع مستقبلها.

ولذلك عقّب الدكتور علي ابراهيم بك على كلمات زميله عميد الآداب، مؤيدا إياه، وملحا على أهمية حرية الرأي وحرية البحث العلمي، موضحا أنه لا هيئة إكليريكية في الإسلام. وأبان ما يترتب على التسليم بمطالب "العريضة" الأزهرية من تقييد الحرية التي هي أساس التعليم العالي، وأشار بعدم نظر هذه المسألة. وتكلّم بعده حضرة أحمد عبدالوهاب بك مقترحا أن يترك المجلس الأمر لسعادة مدير الجامعة -أحمد لطفي السيد- ليسوّي المسألة بالطريقة المثلى التي يراها. ووافق الأعضاء بالإجماع على الاقتراح بعد أن بحثوا جوانبه، وناقشوا تبعاته، وفوضوا مدير الجامعة في تسوية مسألة الدكتور طه حسين مع السلطات المختصة، على أن يراعي في تلك المبادئ الأساسية للتعليم العالي والشرف العلمي لهيئة موظفي التدريس بالجامعة. وانتهى اجتماع مجلس الجامعة المصرية في السادس عشر من أيار (مايو) سنة ١٩٢٦ بعد أن نجح هذا المجلس في الاختبار الأول للجامعة.

أخبار الأسبوع

حكم نهائى فى قضية «روزاليوسف» :

اصدرت محكمة الجنح المستانفة (قصر النيل) ، حكما بإلغاء الحكم الذى سبق صدوره ضد محمود التهامى رئيس تحرير روز اليوسف ، كما قضت بعدم قبول الدعويين الجنائية والمدنية . كان يوسف البدرى وبعض المحامين قد اقاموا جنحة مباشرة ضد محمود التهامى حيث اعتبروا ما نشرته المجلة بعنوان « الحرب عن طريق الدعاوى القضائية » سباً وقذفاً فى حقهم . ■

قضية الشيخ البدرى ومن معه ضد روز اليوسف :

بجلسة ٢٤ ابريل ١٩٩٦ اصدرت محكمة الجنح المستانفة قصر النيل ، برئاسة المستشار سالم مدبولى ، وعضوية المستشارين ايمن الرفاعى ، وطارق محجوب ، حكمها بإلغاء الحكم السابق صدوره ضد محمود التهامى رئيس تحرير روزاليوسف ، وقضت بعدم قبول الدعويين الجنائية والمدنية اصلا .

●●

وقد ترافع احمد شوقى الخطيب المحامى ، والمستشار القانونى لمؤسسة روزاليوسف عن محمود التهامى امام محكمة الجنح المستانفة .

●●

وكانت روزاليوسف قد نشرت مقالا بعنوان (الحرب عن طريق الدعاوى القضائية) ، تناولت فيه سوء استعمال حق التقاضى ، ورفع الدعاوى من غير ذى صفة ، وناشدت المشرع التدخل ، إلا ان الشيخ يوسف البدرى ، وبعض المحامين اعتبروا انهم المعنيون بالمقال ، وان عباراته تمثل سبا وقذفا فى حقهم ، فاقاموا جنحة مباشرة ضد محمود التهامى امام محكمة جنح قصر النيل التى قضت بحبسه سنتين ، وبإلزامه باداء التعويض المؤقت لهم ، واستانف الأستاذ محمود التهامى هذا الحكم امام محكمة الجنح المستانفة قصر النيل ، وبجلسة ١٣ مارس ١٩٩٦ حضر امامها ومعه محاميه الأستاذ احمد شوقى الخطيب ، وبعد ان استمعت المحكمة الاستئنافية إلى مرافعة الطرفين ، حجزت القضية للحكم لجلسة ٢٤ ابريل ١٩٩٦ التى اصدرت فيها حكمها المتقدم .

●●

وقد قضى الحكم بانتفاء اية صفة للشيخ يوسف البدرى - اصلا - فى إقامة الدعوى ، وقضى بالتالى بعدم قبولها بشقيها الجنائى والمدنى ، واقام قضاءه على ان المقال موضوع الدعوى يتحدث عن المحامين وحدهم دون غيرهم ، والشيخ يوسف البدرى ليس محاميا ، ولم يدع انه محام ، ومن ثم تكون صفته منتفية فى الدعوى ، ويكون ما اثاره الدفاع فى هذا الخصوص فى محله جديرا بالقبول ، وهو ما قضت معه المحكمة

بعدم قبول الدعويين الجنائية والمدنية المقامتين منه .

كما اقام الحكم قضاءه بانتفاء صفة المدعين جميعا ، وبالتالى عدم قبول دعواهم بشقيها الجنائى والمدنى ، على ان عبارات المقال لا يمكن معها للمحكمة أن تدرك وفى الظروف والملابسات التى حصل فيها النشر ، الأسماء والأشخاص المدعى بقذفهم استنتاجا وبغير تكلف ولا كبير عناء ، ذلك ان المقال لم يشر إلى اسمائهم ، ولا يسهل للمحكمة وللقارىء العادى تعيينهم على نحو يدل عليهم ، وانه بذلك وكالمقرر فى قضاء النقض تنتفى - وتنحسر - عن المدعين « صفة المضرور » الذى يحق له تحريك الدعوى ، وتغدو دعواهم - بشقيها الجنائى والمدنى - غير مقبولة .

●●

وتعليقا على هذا الحكم يقول الأستاذ احمد شوقى الخطيب المحامى :

اولا : إن لهذا الحكم اهميته الكبيرة من حيث تاكيده وترسيخه لاكثر من مبدا قانونى جوهرى ، ياتى فى مقدمتها وجوب توافر الصفة والمصلحة الشخصية المباشرة كشرط لقبول الدعوى ، وهو ما اكده الحكم مرتين ، الأولى عند قضائه بعدم قبول الدعوى المقامة من الشيخ البدرى لانتفاء صفته ، والثانية عند قضائه بعدم قبول الدعويين الجنائية والمدنية المقامتين من المدعين جميعا لانتفاء - وانحسار - « صفة المضرور » عنهم .

ثانيا : وهناك - كذلك - مبدا آخر على اكبر جانب من الأهمية اكده ورسخه ، وهو ما اوضحه فى اسبابه من انه « يحد المحكمة فى تحديد اشخاص المقذوف فى حقهم عبارات المقال ذاتها والظروف والملابسات التى حدث فيها النشر ، وليس بدلائل وشواهد خارج الظروف التى تم فيها نشر المقال » .

وهذا المبدا الذى اكده الحكم ، والذى يمثل صحيح القانون ، يمثل - فى الوقت نفسه - ضمانة هامة لحرية الكلمة ، وحرية التعبير ، وحرية الصحافة ■

المصدر: عقيدتي

التاريخ: ٢ مايو ١٩٩٦

في المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية

لا تناقض بين الدين والفلسفة

د. زقزوق: ليست إلحادا .. بل تنمية للعقل السليم

د. مفيد شهاب: مطلوب فلسفة إسلامية تنقذ الشباب من التعصب والانغلاق

شهد المؤتمر الدولي الاول حول «الفلسفة الاسلامية وتحديات العصر» والذى عقده قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة مناقشات ساخنة وحادة حيث كانت قضية «العلاقة بين الفلسفة والدين» من أهم القضايا التى تناولها المشاركون فى جميع جلسات المؤتمر التى استمرت ثلاثة ايام.

كما كانت هناك قضايا اخرى معاصرة اهتم بها المشاركون اهتماما خاصا واهمها قضية «الفلسفة الاسلامية والحوار مع الاخر» وقضية «مقارنة الاديان بين الفكر الاسلامى والغربى» وقضية «اثر الفكر الغربى على الفكر الاسلامى الحديث».

علاقة الدين بالفلسفة

فى البداية .. شخص الدكتور محمود حمدى زقزوق فى محاضرته الافتتاحية للمؤتمر الازمة الحادثة فى العلاقة بين الفلسفة والدين والتى ادت بالشباب الى الحيرة من امره وانه مازال يفهم الفلسفة على انها دين الالحاد بل هى من قبيل السفه وضياع الوقت والمجهود .. مؤكدا ان الفكر الفلسفى نشأ وترعرع على صلة بالدين فالفلسفة تهدف الى معرفة اصل الوجود وغايته ومعرفة السعادة وهو ماعناه الدين بعلومه الشاملة وفروعه.

واشار د. زقزوق الى ان الفلسفة الاسلامية ظاهرة وهذا ماينفى رؤية البعض بان الفلسفة عمل عقلى لايجوز لاحد وصفها بصفة من الصفات كأن يقال عليها فلسفة اسلامية .. أو مسيحية .. او يهودية موضحا ان الفكر الفلسفى نشأ ممتزجا بالدين وان الاسلام دين يطالب باعمال العقل والفكر من خلال الكتاب والسنة.

واوضح د. زقزوق ان الخروج من هذه الازمة الفكرية يتطلب ان يحتل العقل مكانته الاولى وان تزال من امامه العقبات وان ينتشر الفهم الصحيح للدين ليكون عاصما من الانزلاق.

الفلسفة والتيارات الهدامة

واكد الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة ان الفلسفة الاسلامية تقوم بدور مهم من حركة الفكر المعاصر باعتبارها اداة للتأمل والتحليل والمقارنة والاستنتاج فهى قادرة ان تقدم المفهوم الحقيقى والصحيح للدين وان تكشف للناس عن المذاهب والتيارات الهدامة.

وقال: نحن فى اشد الحاجة فى هذا الوقت بالذات الى فلسفة اسلامية تنقذ الشباب من التعصب والانغلاق وتأخذ بشبابنا الى الحوار الهادىء وان توضح

لهم ان الحق واضح ولكن الطرق اليه قد تكون متعددة .

أما الدكتور حامد طاهر عميد كلية دار العلوم ورئيس المؤتمر فقد اشار الى ان المسلمين اصبحوا على وعي بالدور الذى تلعبه الفلسفة الاسلامية في تحديد المناهج وتحليل المشاكل وبلورة الاهداف ثم المساعدة في توضيح المفاهيم واستخلاص التصورات العامة .

تحديات العصر

وحول تحديات العصر التى تواجه الفلسفة الاسلامية شهدت جلسات المؤتمر اهتماما خاصا بهذا الموضوع فأوضح الدكتور محمد السيد الجليند استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم ان اهم هذه التحديات هى قضية «الحوار مع الآخر» مشيرا الى ان الاسلام قرر مبدأ الحوار مع الآخر فى القرآن الكريم والسنة النبوية حيث يقول تعالى «يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله» وقوله «وجادلهم بالتى هى احسن» .

وطالب د . الجليند بضرورة وضع ضوابط للحوار مع الآخر من حيث الاسلوب والاهداف وهى :

● ان يكون الحوار بالحسنى «وجادلهم بالتى هى احسن» .

● الاستقلال وعدم التبعية .

● ليس من وظيفة الحوار جبر الآخر على اعتقاد ماترى وماتقول وانما القصد هو تجلية الحق وتوضيحه وازالة ماعلق به من شكوك وشبهات «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء» .

● الا يكون الحوار مقصودا منه طلب الغلبة وافحام الاخر فان ذلك يوغر الصدور ويورث العناد والمكابرة والنفوس بطبعها تنفر من ذلك قال تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» .

اباطيل وافتراءات

وحذر د . الجليند من اتباع الغرب فى الفكر مشيرا الى نجاح الغرب فى تحريك الصراع بين الكنيسة والعلم أو العلاقة بين الدين والعلم الى المجتمع الاسلامى فأصبح هناك الكثير من المسلمين والعرب الذين يرفعون الشعار الكاذب «اما العلم .. واما الدين» مشيرا الى كتاب لاحد هؤلاء الذين يريدون مسخ الهوية الاسلامية للمجتمع العربى والاسلامى والذى يقول فيه «ان النهضة لاتقوم الا فى احضان العلم وبعيدا عن الدين وانه لاخلاص لنا الا بأن نحتو حذو اوروبا فى كل شىء ليس فى العلم فقط بل فى العادات والتقاليد» بل ان هؤلاء يدعون بان اوروبا نهضت يوم ان نفضت يدها من الدين .

وطالب د . الجليند بتوضيح المفاهيم التى شاعت بين الناس حول «التنوير» و«التقدمية» و«النهضة» والتى استخدمت للتعبير عن اصحاب الاتجاهات الغربية المضادة للدين والاسلام موضحا ان العلماء الذين قامت النهضة الاوربية على نتائج ابحاثهم لم يصلوا الى اكتشافاتهم العلمية بسبب انهم كفروا بالخالق أو انهم اشترطوا لصحة بحوثهم انكار الغيبيات كما يدعى دعاة التنوير .

ثم اوضح الدكتور عبدالحميد مدكور الاستاذ بجامعة قطر ان حركة الترجمة مثلت مرحلة كبيرة من مراحل الحوار مع الاخر فاخذ الغرب من الشرق وبالعكس الكثير من علوم الرياضيات والطبيعيات والطب والفلك والفلسفة واذا كان البعض قد تحفظ فى قبوله للفلسفة فذلك لانها كانت تمس خصوصية العقيدة الاسلامية وهويتها .

أما الدكتور عبدالراضى محمد عبدالمحسن فقد شرح بالتفصيل من خلال بحثه «الاسلام والمسيحية من الجدل الى الحوار» بداية الحوار بين الطرفين خلال القرن السابع الميلادى مشيرا الى ان الخطاب الاسلامى مع المسيحية يهدف دائما الى تحقيق عدة مفردات ومقتضيات اهمها :

- دعوة الاسلام الى التوحيد الخالص الذى دعا اليه انبياء الكتاب المقدس .
- تبنيه عقيدة ابراهيم الحنيف وتأكيده على انتساب المسلمين اليه .
- توقيره اباء التوراة بدءا من ادم وانتهاء بيوسف عليهم السلام .
- تكريم المسيح عيسى عليه السلام باعتباره نبيا عظيما من أولى العزم من الرسل وتكريم امه مريم باعتبارها صديقة اصطفاها الله وطهرها من بين نساء العالمين .
- انصاف المسيح وامه وتبرئتهما من افتراءات اليهود ومزاعمهم .
- الاعتراف بمشروعية الوجود المسيحى فى ربوع الدولة الإسلامية .
- حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية ومزاولة الانشطة الاقتصادية التى كفلها الاسلام لاتباع المسيح .
- حث الاسلام النصارى على الدخول فى حوار حر ومباشر يستهدف الحق والحقيقة والكلمة السواء «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» .

ضوابط اسلامية للحوار

واوضح د . عبدالراضى ان الاسلام وضع لهذا الحوار ضوابطه الحاكمة واسسه الملزمة التى تضمن له الموضوعية وبلوغ الغاية باحقاق الحق وابطال الباطل فألزم المحاور بالرفق والهدوء اثناء الحوار «ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن والزمه بالعلم والمعرفة قبل دخول الحوار فألزمه بالعدل والانصاف فى اصدار الحكم والنتيجة .

ولكن دعوات الحوار سابقا - والكلام مازال للدكتور عبدالراضى - لم تجد الارض الخصبة ولا الصدى المنشود على الجانب المسيحى الذى رجحت لديه كفة الصراع وتغلبت نزعة الجدل بسبب عوامل عدة أهمها :

□ عالمية الاسلام .. تلك السمة الخاصة التى باتت تهدد دعوة المسيحية كنظام عالمى للخلاص وكفصل اخير فى تاريخه .

□ الحسم والوضوح فى تحديد الاسلام وموقفه من الاديان من جانبه النظرى الذى يؤكد دون مواربة ان الاسلام هو الحلقة الاخيرة من سلسلة الاديان السماوية .

□ الانتقادات الاسلامية لعناصر التحريف التى شابت المسيحية فى مجالات العقيدة والشريعة والاخلاق والمجتمع .

□ اقرار الاسلام مبدأ سواسية البشر امام الله والغاء الوسائط فى علاقة الانسان بربه مما يعنى الغاء الكهنوت فى المسيحية .

□ سرعة انتشار الاسلام على وجه مخيف جعله يستعلى فى اقل من مائة وخمسين عاما .

واضاف د . عبدالراضى محمد : لكن الثلاثين عاما الاخيرة من هذا القرن قد شهدت دعوة جديدة من الجانب المسيحي للحوار مع الاسلام الا ان تلك الدعوة قوبلت بالحذر والتوجس من الجانب الاسلامى .. ويرجع ذلك - فى نظرنا - الى طبيعة الدوائر التى خرجت منها الدعوة الى الحوار فهى الدوائر الكنسية نفسها التى قادت حملة تشويه الاسلام والحرب عليه كما يعود ذلك الى طبيعة الحوار المنشود فهذا الحوار المدعو اليه هو حوار الخلاص بواسطة يسوع المصلوب والقائم من بين الموتى اذ تتمثل مفر دات هذا الحوار كما يظهر من التوجهات الصادرة عن الفاتيكان عام ١٩٦٩ م وفى الارشاد الرسولى الذى اصدره البابا يوحنا بولس الثانى علم ١٩٨٤ م وفى الوثيقة الصادرة عام ١٩٩١ عن المجلس البابوى للحوار بين الديانات وفى الاصدار الفاتيكانى الهام عام ١٩٩٣ وتتمثل فى :

اولا : الدخول فى حوار مفتوح مع اتباع الديانات الاخرى لاقناعهم بالتأمل فى متناقضات عقولهم وعقائدهم .

ثانيا : واجب المسيحيين ان يساعدوا مؤمنى العقائد الاخرى على التطهر من تراثهم الدينى لتقبل عملية الارتداد .

ثالثا : اتباع الديانات الاخرى مأمورون بالدخول فى الكنيسة لانها ملكوت الله .

رابعا : الحوار يدخل فى مهمة الكنيسة من اجل الخلاص .

المصدر: الشعب

التاريخ: ٢٠ مايو ١٩٩٦

الإسلام وأصول الحكم (١)

الشيخ «على».. من «الصعيد» إلى «إنجلترا»

محمود سلطان

ولد الشيخ على عبد الرازق (١٨٨٧-١٩٦٦) فى إحدى قرى محافظة المنيا فى أسرة من كبار الملاك ومعروف عنها ولعها بالعمل السياسى فهى إحدى العائلات المؤسسة لحزب «الأمة». ولقد تولى والده «حسن باشا عبد الرازق» بنفسه الإعلان عن قيام الحزب فى ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٠٧، أمام الحضور من أعضاء الجمعية العمومية لشركة «الجريدة» -صحيفة الحزب التى تأسست فى أغسطس عام ١٩٠٦. ثم عين على أثرها «وكيلاً» للحزب، وشغل أحمد لطفى السيد منصب السكرتير الدائم.ثم تولى الأخير رئاسة الحزب فيما بعد. ومن الثابت تاريخياً أن الحزب كان فى مقدمة القوى السياسية المنادية بـ«القومية المصرية» غير المرتبطة بالمفاهيم الإسلامية أو بدولة الخلافة فى «اسطنبول» ومواقف «الحزب» السياسية، كان معلنا عنها من خلال صحيفته -الجريدة- والتى راس تحريها رئيس الحزب -أحمد لطفى السيد- وأجمع المؤرخون على أنها كانت تتبنى «ثقافة الاحتلال» وكثيراً ما كانت تدعو إلى إبقاء الصلة بين الإنجليز مصر ولو كانت احتلالاً أو حماية.

يقول د. محمد حسين هيكل: «إنى رأيت «الجريدة» تذكر أن مصر تريد الاستقلال. فإذا لم يكن ميسوراً وكان لابد من أن تحكمها أمة أخرى فإنجلترا خير أمة ترضاها مصر»!

ويذكر طه حسين قائلاً: «إن لطفى السيد كان على استعداد لقبول الحماية البريطانية على مصر، وأنه -أى لطفى السيد- طلب من محمد حسنين هيكل ومن طه حسين تهيئة الرأى العام لقبول هذه الحماية عن طريق الكتابة فى الصحف. غير أن هيكل -رحمه الله- رفض هذا العرض ووبخ لطفى السيد على مجرد التفكير فى مثل هذا الموضوع. وعندما شرع «سعد باشا» فى تأليف «الهيئة الوفدية» عام ١٩١٨ انضم أعضاء حزب الأمة إلى الهيئة التى تحولت بحكم تطور الأحداث فى مصر إلى نواة شكلت فيما بعد «حزب الوفد» وفى صيف عام ١٩٢٠ بدأت بوادر أول انشقاق فى «الوفد» أثناء المفاوضات التى كانت تجرى بين «عدلى يكن» و«لورد ملنر». وكان جوهر الخلاف بين الطرفين (أى بين سعد، وعدلى» -كما يروى د. يونان لبيب رزق- أن خطة سعد قد قامت على رفض قرارات الجانب البريطانى، والعودة إلى مصر لمتابعة الجهاد. بينما كانت فكرة عدلى الذى تجمع حوله أعضاء حزب الأمة أن: «الأمة لا تقوى على متابعة المعارضة والمقاومة».. ثم انقسم الوفد بعد ذلك بشأن تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢، الذى اعترف باستقلال مصر مع الاحتفاظ بحق الإنجليز فى حماية المواصلات البريطانية والدفاع عن مصر والسودان، وحماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات. وأصبح هناك تياران واضحان داخل الوفد أحدهما يرفض التصريح «سعد زغلول» والآخر يقبل به «عدلى يكن» وانطلاقاً من الرغبة فى مواجهة سعد زغلول انشق عدلى يكن عن الوفد وأسس حزب «الأحرار الدستوريين» فى ٢٩ من أكتوبر ١٩٢٢، وانضم أعضاء حزب الأمة القدامى إلى الحزب الجديد. والكثير من المثقفين المصريين يستخدون التعبير (حزب الأمة= الأحرار الدستوريين) للدلالة على أنه لا فرق بين الحزبين. ولقب هذا الحزب فور الإعلان عنه بـ«حزب الإنجليز» لمواقفه المؤيدة لسياسات الاحتلال البريطانى. وكذلك قوبل هذا الحزب بامتعاض شديد من جانب جماهير الشعب المصرى. من الواضح -إذن- أن «آل عبد الرازق» شاركت فى تأسيس الأحزاب السياسية التى كانت مناوئة لـ«دولة الخلافة» والمنادية بـ«القومية المصرية» كبديل لها. وما ترتب على ذلك من انزلاقات خطيرة مثل التفريط والمهادنة مع الإنجليز! والشيخ على عبد الرازق لم يكن بمنأى عن هذا المناخ فهو ولد وتربى فى كنفه ومن ثم تأثر به بشكل أو بآخر. صحيح أنه التحق بالأزهر وحصل عام ١٩١٢ على شهادة «العالمية» منه، ولكنه أيضا سافر ما بين عامى ١٩١٢- ١٩١٥ إلى إنجلترا ودرس فى جامعة اكسفورد أى أنه تزود بثقافة الغرب، وعاش بين جنباته ثلاث سنوات على الأقل.. ثم عاد! ولعل الولاء السياسى لعائلته على نحو ما بيناه فيما تقدم وكذلك رحلته الدراسية إلى بريطانيا، قد أثرا بشكل بالغ على بنائه العقلى والوجدانى، هذا التأثير عبر عن نفسه بالفعل عام ١٩٢٥، عندما صدرت له طبعتان من كتابه «الإسلام وأصول الحكم».. والذى فجر أكبر معركة سياسية وفكرية شغلت الرأى العام فى مصر وفى العالمين: العربى والإسلامى.

الكتاب فى سطور

لم يتسن لجمهور القراء من الجيل الحالى الإطلاع على الكتاب على الرغم من أهميته فهو لايزال أهم وثيقة فى يد العلمانيين يشهرونها فى وجه «المشروع الحضارى الإسلامى»، ولذا فإنه من المفيد أن نشير إلى مضمونه والذى يلخصه الدكتور محمد عمارة على النحو التالى: «ففى هذا الكتاب يقول عالم أزهرى وقاض شرعى لأول مرة فى تاريخ العلم الإسلامى: إن الإسلام دين ورسالة روحية لا دولة فيه ولا سياسية، وإن الخلافات الإسلامية كالكهانة الغربية استبداد وطغيان باسم الدين وإن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم لم ينشىء دولة ولا حكومة، ولم يصنع إلا ما صنعه الرسل السابقون: البلاغ المجرد من التنفيذ.. لم يكن ثمة ولاة ولا قضاة ولا ديوان.. إلخ. كانت زعامته زعامة دينية ويا بعد ما بين السياسة والدين.. والكتاب إجمالاً يفتقر إلى الالتزام بالمنهج العلمى فهو يقتبس من الدراسات الإسلامية للمستشرقين بينما يفرط تفريطاً ظاهراً فى الرجوع إلى المصادر العربية الأصلية على كثرتها وأهميتها وتوافرها، فهو يعتمد مثلا على «سير توماس أرنولدة فيما يزعم من أنه ليس هناك سند قرآنى لما ذهب إليه الفقهاء من ضرورة إقامة الخلافة. ويحيل إليه كذلك عند تشنيعه على الخلفاء فى كل العصور الإسلامية وتصويرهم فى صورة هى أشبه بصورة القراصنة الذين يستحلون كل شىء فى سبيل المال والجاه والسلطان. واعتمد أيضا على كتاب «تاريخ الخلفاء» الفرنسى الذى قام بترجمته «نخلة صالح» وتأثر المؤلف أيضا بالكتاب التركى «الخلافة وسلطة الأمة» وهو كتاب مجهول المؤلف، غير أنه من المعروف أن «الكماليين» بتركيا هم الذين يقفون وراء إصداره وهو يهدف إلى تبرير ما أقدم عليه «كمال أتاتورك» من الفصل بين الخلافة الحكومة بمحاولة إيجاد سند شرعى له. أما المصادر العربية للكتاب فكانت مثيرة للاستغراب. إذ إن المؤلف اتخذ من «أبيات الشعر» ومن بعض الفقرات التى نقلها من مقدمة بعض الكتب لمؤلفين مسلمين تضمنت «غلواء» فى تقدير الحكام.

اتخذ من ذلك «مصادر» واعتبرها «أساسية» فى إصدار حكمه القاضى بأن الخلافة الإسلامية لم تكن إلا صورة من صور «الحق الإلهى للملوك»!

المصدر: الأهـــــرام
التاريخ: ٨ مايو ١٩٩٦

رأى

زياد بهاء الدين

الأزهــر الشريــف: المؤسسة وشيخها

القضية التي يجب أن تحظي باهتمام كبير وجدي. مع اختيار فضيلة الشيخ د. محمد سيد طنطاوي شيخا للأزهر هي دور الأزهر. كمؤسسة تعليمية وكمركز للدعوة وللفكر الاسلامي، وضرورة تطوير هذا الدور في ظل التغيرات الفكرية والعلمية الواسعة التي شهدها العالم في السنوات الأخيرة، ومن هنا فإن التحدي الحقيقي الذي سوف يواجه فضيلة الشيخ سيد طنطاوي سيكون في تخطي خلافات الماضي، والنظر الى المستقبل من أجل تطوير وتجديد الأزهر على النحو الذي يسمح له بدخول القرن الحادي والعشرين وهو جزء من الحوار الديني والثقافي المعاصر، وليس على هامشه، ولهذا التجديد وسائل عديدة يعلمها من هم على دراية بتفاصيل ودخائل الأزهر وبمشاكله. ومع ذلك فليسمح لي القارئ برأي غير متخصص في قضية تطوير وتجديد الأزهر:

من جهة أولي، فان هذا التطوير يستدعي توضيح المجال الذي يكون للرأي الديني فيه الصدارة، والمجال الذي يتحتم على الفقيه الديني أن يفسح فيه المكان لأصحاب المعارف الأخرى، أما القاء جميع قضايا العصر، الفقهي منها والفني، على عاتق رجال الدين فانه يدفعهم الى الخوض في مياه ليسوا بالضرورة أهلا لارتيادها، ويضر بمصداقيتهم وقدرتهم على التأثير على المدى الطويل أكثر مما يفيد ،وان كان بعض الفقهاء يدركون هذا الأمر يعتذرون عن عدم الافتاء فيما هم ليسوا مختصين به - وهذا بلاشك من دلالات العلم الحقيقي عملا بحكمة أن من قال لاأعلم فقد أفتي - الا أن آخرين يرضخون لاصرار الجمهور على اعطاء شرعية دينية حتى للقضايا التي يجدر بالفقهاء أن يترفعوا عنها، وليس معنى هذا أن يستبعد الرأي الديني من كل قضية ذات طابع فني، وانما أن يكون هناك مجال لالتقاء أنواع المعرفة، الفقهي والفني والعام. كذلك فإن هذا لايعني أن يمتنع رجال الدين عن الحديث الا في أصول الدين وفي قضايا الفقه، وانما أن يجري التفرقة بين مايقوله رجل الدين بوصفه صاحب الخبرة والمعرفة المتخصصة، وبين مايقوله من باب الاشتراك في نقاش عام. ولعل أحد الخلافات الشهيرة بين فضيلة الشيخ طنطاوي وبين المرحوم فضيلة الشيخ جاد الحق يوضح هذا الأمر فالخلاف الذي قيل بوجوده بينهما في مسألة التعامل مع اسرائيل جرى تضخيمه والمبالغة في أهميته رغم أن هذه قضية سياسية بالدرجة الاولى وكان ينبغي اعتبار راى كل منهما فيه نوع من الاشتراك في الحوار العام حول الموضوع وليس اصدار الفتوى الملزمة والنهائية للجمهور على نحو يلغي جميع الاعتبارات الأخرى.

من جهة أخرى فان الحث على النقاش والجدل بين رجال الدين، حتى في القضايا الحيوية وعلى مسمع من الجمهور أيضا من وسائل تطوير وتجديد الأزهر ودفع الفكر الديني لمسايرة قضايا العصر. أما القول بان مثل هذا الجدل العلني سوف يؤدي الى فتنة والى اضطراب أحوال الناس فهو يعني أن يحتكر التفكير والاجتهاد شخص واحد أو مجموعة بعينها، وأن يستبعد حتى من لديهم المقومات الشرعية للاجتهاد بدعوى خروجهم عن الاجماع واثارتهم للفتنة، ولذلك فإن تصوير خلاف الشيخين (جاد الحق وطنطاوي) على أنه دليل على عمق أزمة المؤسسة الدينية الرسمية في مصر كان أقرب الى الاثارة والتندر منه الى التحليل الصحيح. فقد كان الأجدر أن ينظر الى هذه الخلافات على أنها ظاهرة ايجابية لما تثيره من نقاش وجدل في أهم مايشغل الناس في مصر وفي العالمين العربي والاسلامي ، مثل قضايا المرأة والأسرة والمعاملات المدنية.

أما القفز الى نتيجة ان هذا الشيخ أو ذاك يفتي لمصلحة الحكومة أو أنه مدفوع بجهات أجنبية وما الى ذلك من وسائل التجريح الشخصي فلا يؤدي الا الى تأكيد الأحادية في التفكير وترسيخ رفض التعددية والنقاش العلني، وكلاهما مطلوب حتى في الحوار الديني. لقد عبر عدد من الشيوخ الكبار مثلا عن اعتراضهم على فتوى فضيلة الشيخ طنطاوي المتعلقة بالمعاملات المصرفية، وأصدر فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي كتابا بهذا المعنى على نحو أثرى الحوار في هذا المجال الجديد نسبيا. ولكن بدلا من اعتبار أن هذه أزمة علينا أن نتجاوزها، كان يجب اعتبارها فرصة لكي تطرح مثل هذه القضايا في ساحة النقاش ويعاد النظر في كثير من مسلماتها، ويدعي للاشتراك فيها كل من لديه رأي جديد سواء من أهل الفقه أو من العالمين بالجوانب الفنية المختلفة، بدلا من النكوص الى الاجماع المريح.

أخيرا فانه لاغنى عن تجديد وتطوير الأزهر بتوسيع معارف الدارسين به في مختلف أوجه العلم والمعرفة، والمقصود هنا هم دارسو علوم الدين واصول الفقه وليس طلبة المواد العلمية والفنية في جامعة الأزهر.

فنحن في عصر لم يعد مقبولا فيه حتى من رجل الدين - أو بالأحرى خاصة من رجل الدين - أن يكون غير مطلع أو متابع للثورة العلمية التي شهدها العالم في السنوات الماضية، وأن يكون ادراكه لوسائل الاتصال الحديثة، أو لعلم الهندسة الوراثية أو لتيارات الفكر الانساني المعاصر مستمدا من أساطير تكتب في الجرائد وتروى في الجلسات الخاصة، بل يجب أن يكون مدركا لها على نحو علمي وحديث حتى ولو كان ادراكا محدودا بطبيعة تعليمه، وعدم لحاق رجال الدين بعلوم وقضايا العصر هو مايجعلهم غير قادرين على الاشتراك في قلب النقاش الفكري الدائر الا من منظور ضيق مبني على تصور تقليدي للدور الذي يلعبه رجل الدين، فليست مصادفة مثلا أن في مصر صار مفكرون مثل الدكتور كمال أبو المجد في مجال الفقه والشريعة، والأستاذ فهمي هويدي في مجال الفكر السياسي، والمستشار طارق البشري في مجال القانون المقارن، والمرحوم الأستاذ خالد محمد خالد في مجال الدراسات الاسلامية والدكتور عبد الوهاب المسيري في مجال الفلسفة وعلم المعرفة، وكلهم من دارسي المواد المدنية، هم المعبرون عن الفكر الاسلامي المعاصر والذين لكتاباتهم وآرائهم وزن في المحافل الثقافية وانتشار يفوق أحيانا مالرجال الدين الأزهريين صحيح أن وجود مفكرين اسلاميين غير أزهريين ليس أمرا غريبا في حد ذاته، وأن الاسلام لايعترف باحتكار الشيوخ للاجتهاد والافتاء، ولكن اللافت هو اتساع الهوة بين المفكرين المدنيين - ان جاز التعبير - والشيوخ الأزهريين في فهم وادراك المعارف الحديثة وفي امتلاك لغة التخاطب المعاصرة وهو أمر يتضح ممثلا في قدرة الفريق الأول دون الثاني على التعامل مع العالم الخارجي ومع الجمهور الأجنبي.

والواقع أن أهمية تطوير وتحديث الأزهر على النحو السابق ذكره ليست مقتصرة على الجوانب الدينية والفكرية فحسب، بل ان هذا التطوير له نتائج عملية لاتقل شأنا، فأولا لايوجد سوى الأزهر الذي يقدر اليوم - من خلال معاهده ومدارسه المنتشرة في كل مكان على تقديم طرح اسلامي معتدل وبديل عن الفكر الأصولي المتشدد والداعي الى العنف، الذي كان من أهم أسباب انتشاره عجز المؤسسة الدينية الرسمية عن الوفاء بحاجة الناس والتعامل مع القضايا والمشاكل التي تشغلهم وان كانت الدولة قد تنبهت الى هذا الجانب المهم من الصراع السياسي، فان دور الأزهر يجب ألا يصبح رهينا بالاعتبارات الأمنية الضيقة وقصيرة المدى، بل يجب النظر اليه على المدى البعيد ومن أجل العمل على احداث تغيير جذري به وثانيا لايوجد اليوم سوى الأزهر الذي يقدر على تقديم طرح اسلامي معاصر يصحح المعتقدات الدينية الشعبية ويطهرها مما بداخلها من الخرافات والعادات السيئة، دون أن يعني هذا بالطبع أن ننظر الى الاسلام الشعبي - ان جاز هذا الوصف - على أن كله مساوئ وثالثا لايوجد سوى الأزهر الذي يستطيع تقديم طرح اسلامي نابع من البيئة المحلية ومستقل عن التأثيرات السياسية والفكرية الأجنبية التي طغت على المجتمع في السنوات الأخيرة فالأزهر هنا يقدر على القيام بدور سياسي في غاية الخطورة، أظن انه ماقصده الأستاذ محمد حسنين هيكل في حديثه العام الماضي مع مجلة روزاليوسف - في أعقاب محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك - حينما قال أن الدور المصري في العالم العربي يجب ألا يكون مقرونا فقط بالقوة العسكرية أو بالكتلة البشرية، وانما بالثقل المعنوي والحضاري للمؤسسات المصرية. ولاشك أن الأزهر واحد من هذه المؤسسات التي يجب أن يعود لها ثقلها المعنوي القادر على تقديم رؤية إسلامية معتدلة، رحيمة، او معاصرة.

وغني عن القول أن احياء الدور التاريخي والحضاري للأزهر، وتحديثه على النحو الذي يسمح له بملاحقة لغة وقضايا العصر، لايجوز أن يقع بأكمله على عاتق فضيلة الشيخ طنطاوي بمفرده، ولاعلى غيره من الأفراد فهو مجال محكوم بالدعم المادي والمعنوي الذي ستمنحه الدولة للأزهر وللقائمين عليه، وعلى الموارد التي تكفل للشيوخ والدعاة - خاصة الشباب منهم - فرصة الحياة الكريمة، وتقلل لديهم الحافز للتنقل من وظيفة الى أخرى سعيا وراء الرزق، وتساعدهم على تنمية معارفهم في أمور الدنيا وتجعل لديهم الحافز للبحث وللترقي في العلوم والثقافة كما في أصول الدين. ولكن قيمة الأزهر تكمن في مكانته التاريخية وفي ثقله في الوجدان العربي والاسلامي على نحو يجعله قادرا على أن يكون مركز الفكر ومصدر المرجعية لكل هذه الجهود.□

□ *كاتب هذا الرأي باحث مصري مقيم في لندن*